وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
كلية الآداب\ قسم اللغة العربية

نقد النص الأدبي
حتـــى نـهايـــة العصر الأموي

أطروحة دكتوراه
تقدم بها

فضل ناصر حيدرة مكوع العلوّي

إلى مجلس كلية الآداب- جامعة الكوفة
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور
علي كاظم أسد الخفاجي

١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م

Criticizing The Literary Text Until The End Of Ummiad Age

A thesis presented by

Fadhl Naser Haidara Makwaa

To the Council of College of Arts- Al-Kufa University

As Partial Fulfillment of Ph. D. Degree Requirements in Arabic Language and Its Arts

Supervised by

Ali Kadhim Asad

٢٠٠٣AD *١٤٢٤AH.*

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحْ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾



المجادلة/١١

الإهداء

إلى شهداء الإسلام جميعاً منذ فجر الدعوة الإسلامية إلى يوم الناس هذا.

وإلى كل نفسٍ توّاقةٍ إلى الشهادة في سبيل الله.

وإلـــى جيـــلٍ نقـــيٍّ طـــاهرِ   ســـيفه الإيمـــان ديـــنٌ وَحَـــسَبْ

جاهـــدوا بالـــسيف هبّـــوا ثـــورةً   اصـــفعوا الأعـــدا بـــسوطٍ مـــن غـــضَبْ

ثـــأركم ثـــأرٌ ولاتتراجعـــوا   فـــانزعوا نـــصراً بثـــأرٍ مـــن لَهَـــبْ

عـــانقوا الأقـــصى أعيـــدوا مجـــدها   عـــزّ اســـلامٍ وآمـــال العَـــرَبْ

الباحث

شكر وتقدير

يلزمنـي الوفـاء والعرفـان أن أتقدم بعظيم الامتنـان إلـى كـل مـن تحملـوا مشاق البحث وعناء السفر وغاب عنهم ماغاب من معاني الحب وابتسامة الحياة وتطلعات المستقبل وبخلت عنهم بوقت ثمين ما كان ماأحوجهم إليه ، وقد كانت تأخذهم الشفقة بي وهم يرون انقطاعي إلى أوراقي وكتبي ، وأخذتني الشفقة بهم وأنا أرى حرمانهم من كثير مما أعتادوه من حنـانٍ ودفـءٍ ومودة .

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من تتلمذت على يديه في مراحل الدراسة كلها.

ويتضاعف شكري واحترامي إلى كل من مدّ يد العون وأعارني كتباً وأفادني مناقشة وعزز بحثي بالتفاتة علميّة، وأسدى النصيحة وأسهم في تذليل الصعاب. ولا ريب في أن يتصدرهم أساتذتي الأفاضل في قسم اللغة العربية بجامعة الكوفة وأخص بالذكر أستاذي الدكتور علي كاظم أسد المشرف على الرسالة.

ولايفوتني أن أشكر بفخر واعتزاز جامعة عدن على ابتعاثي للدراسة وتهيئة اسباب التفرغ العلمي لانجاز هذه الدراسة، في بلد لا أظنني أن أفيهُ مما هو أهل له من قدر، فقد حللت فيه أهلا، ونهلت من رافده الثالث، اعني شموخه الروحي العلمي.

وفي الختام اسجل شكري الجزيل لموظفي المكتبات في العراق واليمن. مكتبة السيد الحكيم (النجف) ومكتبة كلية الآداب- جامعة الكوفة ومكتبة قسم اللغة العربية كلية التربية- جامعة الكوفة والمكتبة المركزية- جامعة بغداد، ومكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب- جامعة بغداد والمكتبة المركزية- جامعة المستنصرية والمكتبة المركزية- جامعة عدن ومكتبة مركزالبحوث و الدراسات اليمنية جامعة عدن ،ومكتبة كلية التربية زنجبار، ومكتبة كلية التربية عدن ،والمكتبة الوطنية عدن ،ومكتبة كلية الآداب جامعة صنعاء ،ومكتبة اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين صنعاء، ومكتبة الهيئة العامة للكتاب ، دار الكتب صنعاء ، ومكتبات أخرى عامة وخاصة .

إلى هؤلاء كلهم أقول: ماجزاء الإحسان الاّ الإحسان.

الباحث

المحتويات

التمهيد

- مفهوم النقد
- مفهوم النص

مفهوم النقد

النقد لغة:

إن أول مايطالعنا في لسان العرب أن مادة (ن، ق، د) حقيقتها خلاف النسيئة، ثم تنهال في نطاق هذه المفردة[1] المعاني والدلالات الآتية:

١- التمييز وإخراج الزيف.
٢- نقد الشيء قبضه وأعطاه لناقد أو مميّز.
٣- تعجيل الإعطاء للمال.
٤- المناقشة، أي ناقدت فلان ناقشته.
٥- الاختيار: أي أن النقد يعني اختيار شيءٍ من هنا وشيء من هناك.
٦- النقد المخالسة في النظر، ونقد إليه: اختلس النقد نحوه. ومازال ينقد بصره إلى الشيء: إذ لم يزل ينظر إليه.
٧- المؤاخذة: أي ان النقد معناه مؤاخذة الناس في بعض السلبيات أو ملاحقة السلوك بالتعليق أمراً أو نهياً أو أعابه.
٨- ويأتي معناه زوال القشرة والتقشّر.

ولاريب في أن تكون لهذه المفردة ومعانيها علاقة بمعناها الإصطلاحي الذي يعد تطوراً لدلالاتها وإيحاءاتها.

النقد اصطلاحاً:

إن المصطلح النقدي: هو قراءة النص ثم تمييزه من النصوص الأخرى وتصنيفه بدراسة،أما دراسة وافية تتعلق ببناء النص كاملاً: (لغةً وتراكيبَ وصوراً وإيقاعاً وإبداعات أخرى) وإما انتقاء أبيات منه وقد يصل الأمر إلى بيت أو مفردة من النص الأدبي وإصدار الأحكام. وقد تبدوالأحكام غير معللة وهذا مايبدو في ظاهر بعضها غير أن الباطن يحتضن أحكاماً علينا أن نسعى إلى إظهارها ومعرفتها. وفي ضوء ماأوضحناه عن مفردة النقد في اللغة فلابد لنا من الأخذ بما يدور في نطاق هذه المفردة من دلالات لأننا ندرس مدة لم يترسخ فيها معنى النقد اصطلاحاً، ومعنى ذلك نفي مايدور في نطاق هذه المفردة من معانٍ والتركيز على نوع واحد فقط. لكننا لم نصل إلى هذه المرحلة النقدية المتطورة؛ لأن طبيعة البحث لاتدور حول هذا الزمن، وانما الزمن الذي يدرسه البحث هو في حدود اتساع نشاط الدلالة العامة لمفردة النقد لذلك سنتكئ على الآتي من الدلالات التي تشمل هذا الحيّز:

يبدو لنا أن معاني هذه المفردة قد تعددت إلاّ أن المعنى يكاد يكون واحداً، فالنقد يعني تمييز الجيد من الرديء وهو الأخذ والتناول والمناقشة والحوار واختلاس البصر، أي دقة النظر في النص والتأمل. فدلالة الألفاظ الوضعية لاتبعد عن دلالتها المعنوية

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة نقد.

والمجازية لذلك قال الزمخشري ((ومن المجاز هو من نقاد قومه من خيارهم ونقد الكلام هو من نقدة الشعر، وانتقد الشعر على قائله، وهو ينقد عينه إلى الشيء، يديم النظر إليه باختلاس حتى لايفطن له ومازال بصره ينقد إلى ذلك نقوداً، كأنما شبّه بنظر الناقد إلى المنقود)) [٢] وهكذا يدأب النقد الأدبي على تعمق النص الأدبي وإبراز محاسنه وعيوبه وكثيراً مايعاني صاحب النص المنقود من الآلام عندما يظهر الناقد مساوءة أشد مما يعانيه الملدوغ من حية وهذا الايذاء يتناسب مع نقدته الحية أي لدغته.

وقد قيل للمفضل (١٦٨هـ): ((لم لاتقول الشعر وأنت أعلم الناس به قال: علمي به هو الذي يمنعني من قوله)) [٣] وفي هذا القول تلميح إلى أن النقد علم قوانين الإبداع الفني وأصوله. وقد ذكر صاحب العمدة بعض من كان على دراية بالنقد ومعرفته به يتصدرهم عمر بن الخطاب ﷺ الذي ((كان من أنقد أهل زمانه للشعر وانفذهم فيه معرفة)) [٤] ومن أوائل النقاد وأبرزهم بعده أبو عمرو بن العلاء الذي قال ((تنقاد الشعر اشد من نظمه)) [٥].

وقد اشترك النقاد والبلاغيون القدامى في تأسيس مفهوم للنقد وهو تمييز الجيد من الردئ من الكلام وربطوا المفهوم الاصطلاحي بالمفهوم اللغوي الذي يعني تمييز الدراهم الزائف منها والأصيل[٦] والكشف عن مواطن الحسن، ومواقع المؤاخذة والتقصير، وفي ذلك يقول ابن سلام: ((وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم. والصناعات منها ماتثقفه العين ومنها ماتثقفه الأذن ومنها ماتثقفه اليد، ومنها مايثقفه اللسان، ومن ذلك اللؤلؤ والياقوت، لايعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره، ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم، لاتعرف جودتها بلون، ولامس ولاطراز، ولا صفة، ويعرفه الناقد عند المعاينة)) [٧].

فابن سلام يريد بـ(أهل العلم) نقاد الشعر الذين يميزون جيده من رديئه بدليل أنه عقد مقابلة في النص نفسه بين أهل العلم بالشعر ونقاد الدراهم الذين يميزون الصحيح من الزائف.

---

(٢) اساس البلاغة ٤٦٩/٢-٤٧٠.
(٣) العمدة ١١٧/١.
(٤) م.ن ٣٣/١.
(٥) م.ن ١١٧/١.
(٦) طبقات فحول الشعراء:٥/١ والعمدة ١٨/١
(٧) م . ن ٤/١

اما الجاحظ فقد استعملها بمدلولها الاصطلاحي ((قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني))[٨].

ولعل قدامة بن جعفر أول من استعمل لفظة نقد بمعناها الفني المقترن بنقد وذلك بقوله ((لم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتاباً)) [٩]. فيما رأى الآمدي أن تحديد معنى النقد أمرٌ صعبٌ، ورد على من سأله في ذلك النقاش الطريف بأن ساق له نماذج، ثم ذكر أنه ((يبقى بعد ذلك ما لا يمكن إخراجه إلى البيان)) [١٠] غير أنه من النقاد الذين جعلوا المفهوم اللغوي والمفهوم الاصطلاحي سبيلاً يعتمد على التمييز الذي ذهب إليه عدد كبير من النقاد[١١]، ويبدو أن ابن سلام كان قد أشار إلى هذا المفهوم من خلال مانقله من ((أن رجُلاً قال لخلف الأحمر: ماأبالي إذا سمعت شعراً أستحسنه، ماقلت أنت وأصحابك فيه! فقال له: إذا أخذت درهما تستحسنه وقال لك الصيرفي انه رديء هل ينفعك استحسانك إياه؟)) [١٢] ولكن يبدو أن المفهوم اللغوي ما يزال مسيطراً على هذا النص وهو أن النقد هو (التميز) اكثر من مفهوم (الصناعة) التي ذكرها ابن سلام وإذا كان ابن سلام قد قصد بمصطلح الصناعة صناعة الشعر وصياغته ،فإن ابن رشيق قد استعملها بمعنى صناعة النقد وذلك واضح في قوله ((وقد كان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لايجرون مع خلف الأحمر في حلبة هذه الصناعة، ولايشقون لها غباراً لتضاده فيها، وحذقه بها وأجادته لها، وقد يميّز الشعر من يقوله)) [١٣] (ومن لا يقوله) هذه تجعلنا نضع اليد على التميّز بين الشاعر والمتذوق وأن بمقدور غير الشاعر أن يكون له موقف من الشعر، فالنقد كما نرى، ميّز الشعر ويبدو أن القاضي الجرجاني قد قرر انه (الميز) بين أصناف الشعر[١٤] ويبدو أن السكاكي وهو الدارس اللغوي والنحوي والبلاغي لم يحاول أن يعرف النقد أو يضع مفهوماً لمصطلح النقد وإنما يبقى الأمور على ما هي عليه من مفهوم النقد اللغوي على الرغم من أنه متأخر جداً في حين أن الدرس النقدي قد قطع قبله بقرونٍ مساحة طويلة جداً من الاستقرار، لأنه يحدد مهمة لـ(ناقد الكلام) وليس (الناقد) من أنها التميّز بين الخطأ والصواب وغيرها، إذ قال ((أبعد شيء عن نقد الكلام جماعتهم، لايدرون ماخطأ الكلام وماصوابه، ومافصيحه وماأفصحه، ومابليغه وماأبلغه، مامقبوله ومامردوده)) [١٥].

---

(٦) البيان والتبيين ١ / ٥٤ .

(٩) نقد الشعر: ٢.

(١٠) الموازنة بين الطائيين: ١٧٧.

(١١) ينظر: البيان والتبيين ٧٥/١، والبديع ٥٨، وعيار الشعر ٤٣، واخبار أبي تمام ١٠٠، ١٧٥، ونقد الشعر ١٥ والموازنة ٢٩١/١ والموشح ٨٣، وحلية المحاضرة ٣٠١/١ والعمدة ١١٧/١.

(١٢) العمدة ١١٧/١.للا ستزاده ينظر طبقات فحول الشعراء ٧/١

(١٣) العمدة ٩٧/٢ للاستزادة ينظر: م.ن ١١٧/١، ٣٣/١.

(١٤) ينظر م. ن ٩٧/٢.

(١٥) مفتاح العلوم: ٣٧.

ويعرف النقد في العصر الحديث بأنه ((تلك الشعبة من الفكر التي تحاول أن تتصرف على ماهية الشعر ووظيفته والرغبات التي يحثها ولماذا يكتب)) [١٦]

ويرى الدكتور محمد مندور: ((أن النقد في أحد معانيه: هو فن دراسة الأساليب وتمييزها وذلك إذا تفهمنا لفظة الأسلوب بمعناها الواسع، أي علينا أن نتفهم أن المقصود من ذلك ليست طرائق الأداء اللغوية فحسب، بل المقصود منحى الكاتب العام وطريقته في التأليف والتعبير والتفكير والإحساس على السواء))[١٧] وأن كان هذا التعريف جامعاً لكثير من التعريفات النقدية، فأنه يقودنا إلى معرفة النقد الذي يعد فنّاً من فنون الأدب يتناول بقراءات متعددة الآثار الأدبية ، ويحللها ثم يقومها ويحكم لها بالجودة، أو عليها بالرداءة والنقد بمعناه العام هو ما كتب عن الأدب كله سواء أكان تحليلاً أم تفسيراً أم تقويماً، أو هو هذه الأشياء كلها مجتمعة. وربما يدخل هذا في مهمة النقد التي تفسّر ((العمل الأدبي للقارئ والمساعدة على فهمه وتذوقه وذلك عن طريق فحص طبيعته وعرض ما فيه من قيم)) [١٨]. تسهم في التحليل والتفسير والإيضاح . والنقد أولاً عملية تحليل يكشف فيها الناقد عن عناصر الإبداع في العمل الأدبي وعن العوامل المؤثرة في النص، فضلاً عن ((جوانب النضج الفني في النتاج الأدبي وتمييزها عما سواها عن طريق الشرح والتعليل، ثم يأتي بعد ذلك الحكم العام عليها)) [١٩].

وقد يتمثل الناقد في نفسه العمل الأدبي ، ويربط مابينه وبين الحياة في مجموعها، ويبيّن للقارئ تلك العلاقة ويخلق بينه وبين ذلك العمل صلة قوية.

والنقد ثانياً عملية تقويم ويكون التقويم على أساس إسهام العمل الأدبي في الحياة، إذ تعتمد طبيعة العملية الأدبية على طبيعة العلاقة بين الأدب والحياة، ومحاولة الناقد إصدار الحكم على الأدب بقدر إسهامه في صنع الخيال تؤهله بذلك خبرته للكشف عن مزايا أي عمل أدبي وعيوبه.

ولمّا كانت مهمة النقد ذات شطرين: شطر تفسيري علمي وشطر تقويمي حكمي، فقد انقسم النقاد قسمين قسم غلب عليه النقد الحكمي فحكم على مايقرأ بالجودة والرداءة، أو بإصدار أحكامٍ ذوقيّة تأثرية في بداية الأمر ثم تسيرُ ((في خطواتٍ محدودة لكنها بالقياس إلى أوليات الأدب والنقد كانت خطوات لها شأنها وقيمتها)) [٢٠] من الناحية التاريخية والفنية. وقد شاع ذلك عند العرب في عصورهم الأولى – التي يتتبعها بحثنا هذا- إذ بدأ النقد عندهم ((تأثريّاً يقف عند حد التذوق الفطري ولايتجاوزه إلى التحليل كان الواحد منهم، إذا مااستساغ بذوقه الفطري قصيدةً أو جزءاً من قصيدة أو بيتاً، أو حتى نصف بيت منها ينفعل تلقائيا ويندفع إلى التعميم في الحكم فيجعل من الشاعر (أشعر العرب) أو (أشعر الناس) وقد كثر هذا الاتجاه في المراحل الأولى للنقد

---

(١٦) فائدة الشعر وفائدة النقد /٢٦.
(١٧) في الأدب والنقد: ٦.
(١٨) ينظر الأدب وفنونه: ٥٧.
(١٩) النقد الأدبي الحديث ١٠.
(٢٠) في النقد الأدبي ، عتيق ٢٧٩.

العربي)) [٢١] وقد تتعدد الأحكام وتتباين النظرات، وذلك لأن الناقد يصدر حكمه تبعا لميولهٍ واحساسه وانفعالاته. ولكن ذلك لايعني أن تلك الأحكام عامة، إذ إن في باطنها أحكاماً معللة يجب الغوص في أغوارها وإخراجها ويدلنا على ذلك ان الناقد أول مايبدأه بعد سماعه القصيدة هو أن ينطق حكماً عاماً ولكنه عندما يجابه بالرفض أو بالإستفسار فانه يعلل ذلك الحكم في نقطة أو عدد من النقاط نحو (حكم أم جندب)[٢٢] و(نقد النابغة لحسّان في سوق عكاظ)[٢٣].

والنوع الآخر من النقد هو الذي يرتبط بالتحليل. ومما يجب أن نذكره أن النقد قد تـأثر بمختلف العلوم ولاسيما الدراسات النفسية لانها تشرح طبيعة الخيال والتعبير وعملية الابداع، والشعور والتفكير، وما إلى ذلك ويحلل النص الأدبي في ضوء الدراسات الحديثة ولاريب في أن يذهب العلماء في ذلك مذاهب متباينة في أصول النقد ومناهجه على انهم اتفقوا جميعاً على أنّهُ ليس هناك قواعد يستطيع الناقد أن يقيس بها نقده على أنه إلى جانب القواعد المقدرة، لابد من التجربة الذاتية والالتفافات العلمية لدى الناقد كما تقترحه الدكتورة هند حسين طه هو ((تقدير النص الأدبي تقديراً صحيحاً، وبيان قيمته في ذاته ودرجته الأدبية بالنسبة إلى غيره من النصوص على أن يكون ذلك مستنداً إلى الفحص الدقيق والموازنة العادلة والتمييز المؤتمن على المعرفة الصادقة ليكون الحكم آنذاك قريباً إلى الصحة إلى حدٍّ ما)) [٢٤]. لأن الأدب في نظر أحد النقاد هو ضمير الإنسانية والنقد هو ضمير الأدب وأي شيء يسمو عليه [٢٥].

والنقد بهذا التعريف هو الحديث الذي يدور حول الأدب لهذا فان الأدب خير من يعبّر عن تجربة شعورية في صورة موحية وصادقة.

ومما لاشك فيه أن العمل الأدبي عمل معقد لأنه يحمل من القيم الجمالية والفكرية والنفسية مايعز على المتلقي الذي لم يتردد من تقويمه والكشف عن عوالمه إلا أن هذا لايعني ان نقدنا العربي تعوزه المنهجيّة بل إنه يعتمد ((أصولاً معينة في فهم الأدب وفي اكتشاف القيمة الجمالية والنفسية والفكرية والاجتماعية في العمل الأدبي)) [٢٦]. ويترتب على ذلك أن النقد لاينفصل عن الإبداع ان لم يكن فنّاً ابداعيّاً –وقد اشرنا إلى ذلك- مع علمنا ويرى الدكتور عناد غزوان ((أن التحليل النقدي والجمالي له مظهران إيجابيان من مظاهر بناء الحكم النقدي بوصفه أدباً أو تجربة أدبية لاتختلف في لغتها واحساسها وفكرها وأسلوبها عن أي تجربة أدبية أخرى))[٢٧]، لأنه لايختلف عن بقية الأجناس

---

(٢١) م. ن ٢٧٩-٢٨٠.
(٢٢) ينظر: الشعر والشعراء ٢١٨/١-٢١٩ والموشح: ٢٨، ٢٩.
(٢٣) ينظر: الأغاني ٦/١١ والموشح: ٨٢-٨٤.
(٢٤) النظرية النقدية عند العرب: ٢.
(٢٥) النقد الأدبي /٧٧.
(٢٦) دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي: ٥.
(٢٧) التحليل النقدي والجمالي للأدب: ٧.

الأدبية إلاّ في الشكل والمصطلح والموقف والوعي فالنقد وإن كان إمتداداً طبيعياً للقراءة فإنه خلق فني لايخلو من منهجّية [٢٨].

وإذا كان الهدف من النقد تقريب الأثر الأدبي إلى المتلقي بالكشف عن أسراره الخفيّة فان المنهج المبني على رؤية أو موقف محدد من الأدب سيسهل هذه المهمّة بالوسائل والتقنيات التي يستخدمها، وبالمفاتيح التي يلج بها الناقد عالم النص وهذا هو الذي نسعى إليه، لأن نقد النص الأدبي يتمثل في عرض آراء المتلقي في الأدب العربي القديم ومناقشتها، بعدّها جزءاً حيّاً من تاريخ النقد الأدبي عند العرب، اتخذ من الشعر العربي مجالاً لدراسات واسعة.

ومما يؤسفنا حقاً أن بعض النقاد العرب شغوف بالإساءة إلى الأدب العربي، ومنهم من يرى أن الأدب العربي ضعيف الخيال ويخلو من الرمز وأنه شعر سطحي لايعرف إلاّ الماديّات وقد وصل الأمر ببعضهم إلى التشكيك في شعر عصر ماقبل الإسلام برمته ولكن هذه القضايا وجدت من يتصدى لها من النقاد الذين قرأوا شعرنا القديم قراءات نقدية متأنية فندوا من خلالها تلك الحجج واثبتوا قوة الخيال كما نظروا بعمق إلى رمزية موضوعات قصيدة ماقبل الإسلام ونعني بالرمزية تلك (التي نلمحها في الشعر عامة وفي الشعر الجاهلي خاصة تلك القدرة التي تمتلكها القصيدة على اثارة تصوّرات ذهنية دلالية، فضلاً عن قابليتها على إثارة المعاني المتعددة في نفس المتلقي)[٢٩] آخذين بالحسبان تطور الثقافة العربية من عصر إلى عصر ومايحدثه ذلك في نفس الناقد. فكلما كان الشاعر يدرك مدى القيمة الفنية لهذا التوظيف، كان المتلقي قادراً على توجيه الشعر على وفق آفاق أعمق وأشمل.

وإن كان هذا الموضوع شائقاً وطويلاً فانه يسلط الضوء على طبيعة النقد (العربي القديم عبر نظرة انتقائية تفحص خصائص أو طبيعة التلقي المرتبطة

بالطابع الشفاهي للشعر وما يتصل به من مقام سماعي يتلقى منه ويفضي إليه)[٣٠] ولابد من علاقة حميمة تجمع بين الشاعر والناقد والمتلقي منه على وجه الخصوص وينبغي للناقد ((أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقةٍ من ذلك كلاماً ولكل حالةٍ من ذلك مقاماً حتى يقسِّم أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات)) [٣١] ولهذا يقال ((لا يضبط الشعر الاّ أهله)) [٣٢] وعلى ذلك رأى ابن طباطبا العلوي أن ((النفس تسكن إلى كل ما وافق هواها، وتقلق مما يُخالفه، ولها أحوالُ تتصرف بها، فإذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها اهتزت له، وحدثتْ لها أريحّية

---

(٢٨) ينظر :أشكالية المنهج في نقد الشعر الحديث (مقال) د.عناد غزوان مجلة الأقلام العدد (٣) ١٩٨٦م/ ١٦

(٢٩) دراسات نقدية في الشعر العربي: ٣٥.

(٣٠) المتاهات: ١٢٥.

(٣١) نقد الشعر: ٤٢.

(٣٢) طبقات فحول الشعراء: ٦٠/١.

وطرب، فإذا ورد عليها ما يخالفها قِلقتْ واستوحشت)) [٣٣] وعلى ذلك جاءت مقولة (مقتضى الحال) ولكل مقام مقال[٣٤].

وتأسيساً على هذا فأن المعاني التي تثيرها القصيدة في نفس الناقد قد تختلف من عصرٍ لآخر تبعاً لتطور الثقافة واختلافها، إلاّ أن هذا لا يعني أن النص القديم يخلو من التصوير والتعبير الرمزي ، بل ربما قد يكون لذلك أثرٌ أكبر من نصٍّ لعصرٍ متأخر، ولذا فان بالآراء والأحكام النقدية التي وصلت إلينا حاجة إلى قراءة ثانية وثالثة ومرّات لكي تثبت مدى قدرة الناقد القديم على نقده التعليلي للنصوص مع علمنا أن ثقافة الناقد القديم قد تقترب من ثقافة الناقد الحديث. فإذا أنعمنا النظر في الشعر القديم رأينا أن القصيدة العربية القديمة كتبت للإنشاد والمديح في الأعم الأغلب . والناقد لا يقبل إلاّ ذلك الشعر المرتجل والشفاهي، وفي أثره يصدر حكمهُ المباشر، مع إدراكنا أن الشاعر نفسه كان يحسِّب لمثل هذه المواقف، وهذا هو الذي قاد بعض الشعراء إلى تنقيح شعرهم مدة طويلة. ولا يعني أن الناقد يصدر أحكاماً مجانيّة، فهو يستمع جيداً إلى الشاعر ويدرك مواطن الجودة والرداءة لذلك يأتي حكمه بألفاظ موجزة تعلل

ما وقع فيه الشاعر من هفوات، وإذا كان الجمهور يملُّ الاستماع إلى القصيدة الطويلة فكيف يتعامل وهو يستمع إلى تحليل نقدي مطوّل فضلاً عن الرضاء والاستحسان والاستهجان والقبول والرفض لدى المتلقي وذوقه والناقد ((ليس شخصاً واحداً وإنما هو الحياة الأدبية الواسعة للمجتمع، التي تمثلها مجاميع كبيرة من الأدباء والعلماء على اختلافهم وتباينهم في الذوق الفنّي والثقافة، ونوع التخصص العلمي، وكل مجموعة من هؤلاء ينتخبون من الشعر مايجدون فيه ضوالهم ويفضلونه على غيره من سائر الشعراء)) [٣٥].

وتأسيساً على ماتقدم، نخلص إلى القول إن (النقد الأدبي) هو تمييز جيد القطعة الأدبية من رديئها، وفصل محاسنها من عيوبها سواء أكانت نثراً أم شعراً ثم تقديرها حق قدرها ومعرفة قيمتها وانزالها منزلتها ودرجتها في الأدب .

مفهوم النص الأدبي :

تـرد كلمة نص في المعاجم العربية في دلالات متعددة في مادة (نصَّ) و(نصص)، ولاريب في ان تتنوع الدلالة المعجمية للفعل (نَصَّ) تبعاً للتطور الذي يولّد دلالات جديدة للملفوظ الواحد، ويبدو أن (الرفع لأجل الإظهار) هي أولى الدلالات اللغوية للنص ((فنص الشيء رفعه ومنه منصة العروس أقعدها على المنصّة. ونص

---

(٣٣) عيار الشعر: ٥٣

(٥) ينظر : البيان والتبيين ١٠٧/١ .

(٣٥) بين الشاعر والمتلقي في التراث العربي (مقال) ثائر حسن جاسم، مجلة آفاق، العدد (٣) سنة ١٢، ١٩٨٧ .

الحديث إلى فلان رفعه إليه ونص كل شيء منتهاه وفي حديث علي رضي الله عنه : إذ بلغ النساء نص الحقاق)) [٣٦] و (نصّ المتاع): وإذا جعل بعضه فوق بعض، ومثله نصصت المتاع، ومنه نصّ الرجل أنفه فهو نصاص أي رفع أنفه[٣٧] وتتجاوز هذه الدلالة المجال الحسي إلى مايقترب من دلالة الرفع مثل الإظهار والاسناد والتحديد كما جاء في لسان العرب: نص الحديث ينصه نصّاً: رفعه وكل ما أظهر فهو نص، نصَّ الحديث إلى فلان رفعه، وكذلك نصصته إليه، وينصهم يستخرج رأيهم ويظهره[٣٨]. فالنص في الأصل اللغوي يعني النسيج ويعني كذلك التوثيق وإسناد الحديث إلى صاحبه.

وتأسيساً على هذا فان كلمة (نصّ) قد وردت في شعرنا العربي القديم ولاسيما شعر امرئ القيس، إذ قال:

وجيّدٍ كجيد الرئم ليس بفاحشٍ   إذا هي نصّته ولابمعطلِ[٣٩]

وقد زودتنا العلوم الدينية بمصطلح (نص القرآن) و (نص الحديث) التي تعني ((صيغة الكلام الأصلية كما وردت من مؤلفها ومنشئها)) مع إدراكنا أن النص القرآني اعجاز منزّه ومنزّل أظهر تفوقه الفني على النصوص كافة فقد تحدّى هذا النص مقدرة المبدعين قاطبة على الإتيان بسورة من مثله تأكيداً لكماله.

ومما يجب أن ننوه به أن بعض الدارسين استنكر محاولة إطلاق النص على القرآن الكريم، إذ ((لم نعرف أنّ احداً من العلماء تناول القرآن من حيث هو نص، لأن هذا مما يستعاذ بالله منه ، وإنما تناولوه في كل حال من حيث هو تنزيل من الله العزيز العظيم)) [٤٠] وقد رجح بعض الدارسين ان نقل الدال (نص) من المعنى القديم إلى المعنى الحديث كان في زمن الفلاسفة المسلمين[٤١] اعتماداً على مانقله ابن خلدون في تسمية منطق أرسطو في قوله:((وكتابه المخصوص بالمنطق يسمى نص)) [٤٢].

ومهما تكن دلالة (النص) هنا فأنها لاتمثل المدلول الحديث الذي جاء من أثر الثقافة الغربية، ولايمنع هذا التصور وجود المناسبة بين الاستعمال القديم والاستعمال الحديث، ويبدو أن تحديد مفهوم كلمة النص الحديثة جاءت بما يتلاءم ونظرة هذه الدراسة للمصطلح ولكن في إطار تشذيبه وتهذيبه ولتأسيسٍ بعد آخر في مجال النقد الفكري للأدب .

وقد أولى المحدثون كلمة النص عناية خاصة لما فيها من دلالة رفع الحديث إلى قائله مما أعطى للكلمة بعداً دينيّاً أتاح لها أن تصبح مصطلحاً فقهيّاً وأصولياً للدلالة على الكلام الذي لايقبل التأويل ، وبقيت هذه الدلالة حاضرة في كتب التراث الإسلامي بما في

---

(٣٦) مختار الصحاح مادة نص :٦٦٢.
(٣٧) الصحاح، نصّ.
(٣٨) لسان العرب، مادة نصّ.
(٣٩) ديوان امرئ القيس: ١١.
(٤٠) التصوير البياني: ١٩.
(٤١) النص السلطة الحقيقة: ١٥٩.
(٤٢) مقدمة ابن خلدون: ٤١٧.

ذلك كتب التفسير والكلام والتصوف ويورد السيد الشريف الجرجاني مايؤيد شيوع هذا المفهوم للكلمة في التراث العربي الإسلامي من (النص) ما ((لايحتمل الاّ معنى واحداً وقيل مالايحتمل التأويل)) [٤٣].

ولايزال هذا المفهوم حاضراً في الدراسات الفقهية والأصولية المعاصرة ومما لاريب فيه أن كلمة (نص) حملت رؤى دلالية واسعة ومتباينة[٤٤]، في الإعجاز والإنقطاع.

بيد أن الدلالة المركزية الكاملة التي تعني الظهور والانكشاف أخذت كلمة (منصّة) التي تعني المكان المرتفع البارز، ويأتي مفهوم النص الأدبي منطلقاً من هذه الدلالات اللغوية مجتمعة. ((فالنص الأدبي نسيج من العلاقات اللغوية المركبة التي تتجاوزحدود الجملة بالمعنى النحوي. كما أنّهُ وليد عوامل ومؤثرات مختلفة لغوية ونفسية واجتماعية ووليد تجربة ذاتية للمبدع في لحظة الإبداع وعلى ارتباط وثيق بالمتلقي في حالة التلقي.. على أن صلة الرحم بين النص وكل من المبدع والمتلقي صلة حضورية في حالتي الإبداع والإمتاع)) [٤٥].

والنص الأدبي من هذه الزاويةيغاير الخطاب النفعي ويتميز منه بطاقته الدلالية، فدلالة النص أو الخطاب النفعي دلالة حرفية خطابية على الطاقة الدلالية للنص الأدبي فإيحائية إيمائية إشارية تتجلى خارج الصورة الحرفية للنص، ومظاهر هذا التجّلي عند النقاد الأقدمين الخيال والتشبيه والإستعارة والمجاز المرسل والكناية ونحوها.

أمّا مظاهره عند المحدثين فالرمز والإيحاء وتراسل الحواس ومزج المتناقضات والغموض وغيرها[٤٦].

وتأسيساً على هذا فان أدبية النص هي وليدة تركيبته اللغوية بمعنى أن مكوّنات النص الأدبي هي العلاقات التركيبية بين المفردات والجمل والفقرات.

ولاريب في أن نصل بعد هذه الإيضاحات إلى تعريفٍ جامعٍ للنص وهو أنه ((مدوّنة حدث كلامي ذي وظائف متعددة)) [٤٧] ولكن لا يعني هذا أن النص لا يشمل الكلام الشفاهي لذلك ينطلق من هذا النقد التطبيقي الذي ((هو في الحقيقة قراءة النص الأدبي أي أن القراءة تبدو هنا رديفاً للمنهج))[٤٨] وهذه القراءة لاتقف عند مستوى الحروف والكلمات والتراكيب النحوية بل تتجاوز ذلك إلى المشاعر والأحاسيس وأجراس الكلمات ونغماتها الإيقاعية. وقراءة النص تتطلب جهداً كبيراً من الناقد بحيث

---

(٤٣) التعريفات: ١٣٢.

(٤٤) من اهم الدراسات التي تناولت ذلك. علم النص جوليا كرستيفا، ولذة النص، رولان بارت، والسيمياء والتأويل روبرت سولز وديناًمية النص د. محمد مفتاح، وشرح النص، د. عبد الله الغذامي واقنعة النص د. سعيد الغانمي، وترويض النص يحيى الغابري وفي الميتا لغوي والنص والقراءة مصطفى الكيلاني، وفي قراءة النص قاسم المؤمني وغيرها كثير.

(٤٥)قراءة النص الأدبي وتذوقه (مقال) دكتور احمد قاسم الزمر ، مجلة الحكمة ص ٥٧

(٤٦) ينظر: قراءة النص الأدبي وتذوقه (مقال) ٥٩.

(٤٧) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): ١٢٠.

(٤٨) من صور النقد التطبيقي وترويض النص وسلطة اللغة (مقال)، د. عناد غزوان: ١.

لا تكون قراءته إسقاطية[٤٩] لا قراءة شرح وتفسير وتقويم على ظاهر النص وإنما يجب أن تكون القراءة الشعرية التذوقية للنص الأدبي من خلال عباراته اللافتة وألفاظه المنتقاة[٥٠]، وذلك للبحث عن النسق الفكري للنص وعلاقات الجمل والألفاظ وكيفيّة ترتيبها وهذا النوع لا يعتمد على الذوق فحسب، بل يعتمد قبل ذلك على النضج المعرفي بقواعد اللغة ونحوها وصرفها وأصواتها ومعاجمها وأجراس كلماتها وتراكيب جملها[٥١].

لذلك فإن النص الأدبي يجب أن يتأ ثر بكل انتباه الناقد ودراساته كما يجب أن يكون كل شيء لدى الناقد وقرائه على السواء [٥٢]وتاسيساً على هذا فإن النص الجيد يفرض نفسه ويصبح ((هاجساً يطارد الناقد ويقلقه ويحفزه على أن يعيد معه حساباته ويشكك في مقدرته النقديه حتى يمكن القول أنه في كل مرة تعاد قراءته تزداد سلطته على حساب سلطه الناقد))[١] وينبغي أن تتوافر في النص الأدبي مجموعة من المنطلقات منها:

١- أن يصدر عن ملكة لغوية وخبرة فنية وقراءة فاحصة وعميقة للنصوص الأدبية التي سبقت عصر المبدع.
٢- ان يخاطب وجدان المتلقي ويمس مشاعره ويداعب أحاسيسه سواء أكان سامعاً أم قارئاً.
٣- أن تكون ألفاظه مختارة، ومفرداته منتقاة ومعانيه مبتكرة وجمله منتظمة في سياق واحد.
٤- أن يعتمد الإشارة والإيحاء والكناية والرمز والاستعارات والعبارات اللافتة إلى غير ذلك من السمات المبيّنة في مظانها من كتب البلاغة والنقد والدراسات اللغوية المعاصرة ولاشك في أن هذه السمات هي سر جمال التعبير ومصدر الإمتاع والتأثير.

ومما لاريب فيه أن لكل نص ادبي سلطته التي تحدد للناقد طريقه وتصحح خطاه ،لانها تضطر إلى التحرك ضمن الحدود التي تسمح بها لغة النص.

وإذا كان النص مصدر القراءات ،فان التفاوت في مستوياتها مصدره النقد والناقد القدير يتلقى النص ويتوغل في أبعاده ، فالنص وإن كان المتحكم في القراءة

---

(٤٩) وهي القراءة التي تتجه نحو المؤلف والمجتمع أو أي موضوع يهتم به النقد وهذا هو النقد النفسي والاجتماعي للأدب.

(٥٠) وهي القراءة التي لاتتجاوزعادة كتابة النص بكلمات مماثلة في معناها لما ورد في الأصل، وهذا سلوك كثير من شروح الدوأو ين الشعرية وكلا القرائتين لاصلة لهما بالنص الأدبي .

(٥١) ينظر: قراءة النص الأدبي وتذوقه (مقال) ٥٩ وفيه ان هذه القراءة تعتمد على أسس ثلاثة:
فطنة القارئ وقدرته على تحديد السمات اللغوية المهيمنة في بنية النص.
أن يكون مسلحاً بسلاح اللغة وأهم فروعها النحو.
ان يكون مسلحاً بسلاح التذوق والحسّ النقدي البصير.

(٥٢)النقد الأدبي د.سهير القلمأو ي ٦٥

(١) سلطة النص في المنظور الأدبي والنقدي (رسالة دكتوراة)١٠٦

النقدية.لكن يبقى الناقد ذا فاعلية في استنطاقه وفي رصد الجديد أو الإبداع،وفي تثبيت جدته عن طريق ثقافته النقدية .فهو عنصر حيوي مهم في وفائه للنص.(٢)
ومما لا ريب فيه أن النص الأدبي هو نتاج مبدعه وعرضه لنقد متلقيه الذي يتفاعل معه بقراءات متعددة وعميقة ، لأن النص مهما يكن الاختلاف في قراءاته يظل مادة لغوية وهو في أسلوبه انحرافات اللسان وجماليته مرهونه بهذا الأسلوب ولكنه في الوقت نفسه نص مفتوح يتابع حياته في نفس المتلقي فهو لا ينتهي بإنتهاء أخر كلمة فيه ..

وتأسيساً على هذا فأنه لا يستطيع منهج واحد أن يلم بقراءة النص ، لأن النص يقبل أن يقيد في علم اللغة لأنه خلق في اللغة ومعالجته تقوم على التحليل النفسي ،لأنه معاناة حياة ومعالجة تقوم على علم الاجتماع لأنه علاقة تقوم بين الناس والعالم ولكن لا يعني أن النصوص جميعها تقبل هذه المعالجة .

وكل ذلك يتوقف على غنى النص نفسه ومدى تجذر تجربة مبدعه في ذاته أو في المحيط الذي ينتمي إليه .

(٢) ينظر :م.ن ١٤٢.

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين...

وبعد..

فقد أذكى جذوة رغبتي في العلم دراسة نقد النص الأدبي منذ ولادته في عصر ماقبل الإسلام وأثر الإسلام في عصره الراشدي ومن ثم ازدهاره بازدهار العربية وآدابها في العصر الأموي.

ومن هنا كان النص الأدبي منطلقنا وسيبقى النقد محور القراءات.

وقد آثرنا أن يكون بحثنا مقتصراً على دراسة معايير نقد النص الأدبي . مع ادراكنا بالقيد الذي يحيط مسار البحث وهو استقرار التراث النقدي وتجريبه واستخلاص قيم وصفية لنقد النص وتلك أمور تحكمها الآراء والأحكام التي ابداها النقاد من مواجهتهم النصوص وتفاعلهم معها بالتوجيه والتحليل.

وقد قام البحث على رصد تلك الآراء مراعياً التطور الزمني آخذاً بالحسبان التسلسل التاريخي في دراسة تلك النصوص وعرضها ومناقشتها واستخلاص النتائج برؤية فنية تعمد إلى تصنيف الآراء تصنيفاً فنياً يضم كل مجموعة من هذه الآراء في قضية فنية معينة، ويدرسها بالموازنة بعضها ببعض وتحليلها.

فمن المعروف أن الناقد لا يتحرك من دون الأتكاء على تراث نقدي أصيل، ومن هذا المنطلق كان عملي مع علمي أن هذا العمل يأتي مكملاً دراسات طرقت هذا الموضوع من زوايا كثيرة ، فمما لاشك فيه أن ماكتبه المرحوم طه أحمد إبراهيم في كتابه تاريخ النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري يتصدر الدراسات النقدية..، فضلاً عن دراسات نقدية أخرى تبعته منها (في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية للدكتور طه الحاجري والنقد الأدبي حتى نهاية القرن الثالث الهجري للدكتور محمد طاهر درويش وتاريخ النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري للدكتور محمد زغلول سلام، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب

للدكتور عبد العزيز عتيق. والنقد الأدبي القديم بين الاستقراء والتأليف للدكتور داود سلّوم والنظرية النقدية عند العرب للدكتورة المرحومة هند حسين طه فضلاً عن دراسات أخرى حاولت الإحاطة بما وقع من نقد عند العرب بهذا الموضوع اشرنا إلى معظمها

على صفحات البحث.

ولا أخفي ما كان يتبادر إلى الذهن من سؤالٍ مفاده هل بقي ما يمكن أن يكتب في النقد العربي القديم؟ وربما كان هذا اعتقادي إلى وقت قريب غير أنني منذ إن سجلت هذا الموضوع وبدأت العمل به واطلعت على معظم الدراسات، رأيت أن موضوع النقد العربي القديم

موضوع واسع وما اطلعت على دراسات حاولت الخوض فيه ما هي إلاّ تكراراً أو تفصيلاً بعضها لبعض وما تبقى هو الكثير الذي لم تتناوله الدراسات فضلاً عن المناهج التي درست هذه النصوص تظل في أطر المنهج التاريخي أو التصنيفي، ويبقى أمر زوايا التناول وتحليلها والخروج منه بنتائج. فقد تتكرر النصوص إلاّ أن هناك نصوصاً مختفية ، وقد تتعدد الدراسات ولكن الأساليب متباينة، إذ إننا حتى هذه اللحظات لم نجد كتاباً نقدياً جامعاً للنقد العربي القديم، ولا أستطيع أن أصل بهذا البحث إلى هذا الهدف الذي اعتقد بأنه في نظري مهمة جماعية يقوم بها نخبة من النقاد المعروفين بخبراتهم وثقافتهم وموضوعيتهم. غير أن هذا لا يعني أن الدراسات الجمّة والمتنوعة لهذا الأدب لم تفِ بالغرض، بل إنها دراسات جادّة ناقشت الموضوعات وقوّمتها وحللت ما استطاعت ولكنها لم تصل إلى مرحلة بلورة نظرية نقدية عربية ربما استشفت بعض الدراسات هذا منها دراسة الدكتور عناد غزوان النظرية النقدية إلا انه لم يترجمها، والدكتور عبد العزيز حمودة في كتابه الذي صدر قبل عامين وهو (المرايا المقعرة) وهذا هو من الأمور المسلّم بها. وقد وقفت هذه الدراسات على النصوص النقدية القديمة، وحكمت على أكثرها بالسذاجة المفرطة، والبعد عن التعليل، وغياب المصطلح والمنهج النقدي وغير ذلك. وبتأملنا تلك النصوص نجد أن بنا حاجة إلى قراءة النصوص النقدية القديمة قراءة متأنية، لأن الدراسات النقدية لم تعرف الكلمة الأخيرة ، ولا القول الفصل، بل هي محاولات غايتها ومبتغاها الكمال، لارتباطها بدرجة رئيسة بالذوق والإرشاد والتوجيه.

ولاريب في أن المدة التاريخية للبحث طويلة وحافلة بالنصوص النقدية الموجزة في طبيعتها، الهادفة في مرامها التي رافقت النصوص منذ عصر ماقبل الإسلام حتى نهاية العصر الأموي. فكان على الباحث أن يتابع هذه الآراء والأحكام كلها أو بتقصيها بقدر الإمكان. وإذا كان التعامل مع النصوص الأدبية يتطلب من الناقد جهداً كبيراً وثقافة واسعة تعينه على التحليل، فإن نقد النقد، إن جاز لنا التعبير- أو التعامل مع الفكر النقدي- وهو موضوع بحثنا- يتطلب جهداً أكبر، ودقة أعلى، واطلاعاً أوسع ورؤية اعمق للخروج بنتائج أخرى غير النتائج التي خرج بها من سبقنا لأن مجرد عرض نصوص النقد القديم وتصنيفها، ودراستها تاريخياً (وهو ما موجود فعلاً في الدراسات التي ذكرناها) لا يكفي للخروج بنظرية نقدية عربية تفي دراسة النص الأدبي القديم وتحيط بنقد النص لاننا نتعامل مع نصوص نقدية، لامجال في تحليلها للخيال والعاطفة، فهي أفكار وقضايا ترتبط بأكثر من اتجاه وفيها أكثر من رأي، وقد توخى الباحث أن يكون موضوعياً في مناقشته دقيقاً في لغته وأن يطلع على ماستطاع الإطلاع عليه من مصادر ومراجع –وهي كثيرة بلا شك- تتحدث عن القضايا النقدية في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ النقد. وقد ظلت قضاياها وموضوعاتها الشغل الشاغل للنقاد القدماء والمحدثين فضلا عن أن الباحث تناول نقد النص الأدبي منذ عصر ماقبل الإسلام حتى نهاية العصر الأموي، بوصفها مرحلة مهمة وخصبة تتسم بكثرة النصوص النقدية المتباينة مع تعدد قضاياها وتنوعها مما اقتضى من الباحث بذل مزيد من الجهد والمثابرة لتذليل تلك الصعوبات. ولا ريب في أن هذه الدراسة تبحث عن الطريقة المثلى لإبراز

العلاقة الحميمة بين الناقد والمبدع في هذه المدة وهي مرحلة ليست هيّنة، ارتأينا أن نتابع فيها نقد النص الأدبي بكل أشكاله وأبعاده الفنية، منطلقين من ذلك المنهج الذي يعمد على رصد الآراء النقدية وتقصيها، ومناقشتها وتحليل بعضٍ منها. مع إدراكنا أن مفهوم (نقد النص) ليس معاصراً وجديداً. فالعلاقة الجدلية بين النص الأدبي والنقد قديمة، إذ انها تدلّ على توجيه النقد للعناية بالنص الأدبي بجنسيه (الشعري والنثري) بمعزل عن الظروف التي انتجته ،ونقد النص هو المصطلح الذي ارتأته هذه الدراسة ، وقد صنع بفعل التعامل مع النصوص التي تواجه ناقدنا القديم. غير أن نقد النص النثري في مرحلة البحث كان ضئيلاً ونادراً. ويبدو أن الباحث قد ركز على نقد الشعر لأهميته، وكثرت ما دار حوله من آراء نقدية ، لذلك كان عملنا عرض النصوص النقدية للشعر والنثر معاً عرضا تاريخياً لأهداف كثيرة منها رصد التطور النقدي للنص بتطور الحياة وتحليل أهداف النقاد في نقد النص وتبيّن وظائف النقد من عصر إلى عصر ومفاهيمه، ووضع النص في سياقه التاريخي الموضوعي الذي كان له أصل في أنشائه، تبعه في أحيان كثيرة تحليل لمضمون وحكم وفق مستواه الفني وفق ما انتهى إليه النقد والتحليل.

لقد انتظمت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وتناولنا في هذه المقدمة أسباب اختيار الموضوع وتحديد مجاله الزمني و المنهج الذي اتبع في دراسة النص الأدبي .

وخصصنا التمهيد لتحديد مفهوم النقد ومفهوم النص الأدبي .

وقد تناول الفصل الأول نقد النص الأدبي في عصر ماقبل الإسلام، تكلمنا فيه على النقد في المجالس الأدبية (الخاصة والعامة) وناقشنا بعض قضايا النقد المهمة منها المصطلحات النقدية والمعلقات والحوليات ورواية الشعر وتدوينه ونحل الشعر وصحته والسرقات الشعرية إلى ما هنالك وقد تتبعناها في مصادر الأدب العربي ونقده ورأينا مدى أثرها الفاعل في نشوء النظرية النقدية عند العرب.

في حين تناول الفصل الثاني نقد النص الأدبي في عصر صدر الإسلام والذي كان للباعث الديني النصيب الأكبر في توجيه الشعر، وقد كان حديثنا ينصب فيه على الإسلام والشعر وموقف الرسولﷺ من الشعر والشعراء ونقد الخلفاء (رضوان الله عليهم) للشعر مفصلين الحديث عن قضية ضعف الشعر في هذا العصر متوخين الإيجاز عن المفاضلات بين الشعراء.

وركز الفصل الثالث على نقد النص الأدبي في العصر الأموي الذي تشكل نهايته المحطة الرئيسة التي يتوقف عندها البحث، وقد كان لمجالس خلفاء بني أمية وولاتهم في الأمصار منتديات لمناقشة الأدب العربي ونقده فضلاً عن مجالس الفقهاء والأشراف والنقد النسوي في ذلك العصر، متوخين الحديث عن المفاضلات بين الشعراء وآراء النقاد في الشعر والشعراء ومآخذهم النقديه متطرقين إلى أثر اللغويين والنحاه في تطور النقد اللغوي. ولم يفتنا الحديث عن قضية السرقات الشعرية في هذا العصر.

ثم تأتي الخاتمة التي أو جزنا فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج .

وعلى الرغم من العرف السائد بأن كثرة المصادر ووفرتها من الأمور التي تذلل الصعوبات والعقبات أمام الباحث كانت كثرة ماكتب عن النقد الأدبي في هذه المدة واختلاف الآراء وتشعبها من المعوّقات التي اعترضت أو كادت تعترض سبيلي في استخلاص آراء جديدة وحرّة ازاء نقد النص الأدبي ، فضلاً عن الصعوبات التي واجهتني في مساحة البحث الواسعة التي شملت ثلاثة عصور عرفها تاريخ الأدب العربي بنقده ونصوصه، وهي مرحلة مهمة وخصبة في جانبيها الشعري والنقدي مع علمنا أن كل عصر يحتاج إلى بحوث كثيرة في الموضوع النقدي نفسه، ولعل شمول موضوعنا هذه المرحلة أدّى إلى مواجهة معضلة كبيرة منها كثرة الاشارات إلى هذا الموضوع في كتب النقاد القدامى، فضلاً عن كثرة الدراسات الحديثة التي تناولت النقد – كما ذكرنا- فقد عرّجت على جزءٍ مما نحن بصدده في نقد تلك المدة، وفي محاولة التسويغ لكثير من أحكام النقاد ومقاييسهم، وخالجني الشك في البداية في القدرة على التخلص من هذه الدراسات وبعد التوكل على الله مؤيدي ومعيني. أعانني على الوصول إلى منافذ جديدة على مستوى المنهج وطريقة تناول الآراء وعرضها والإلمام بالموضوع وتوخي الإيجاز غير المخل والوقوف على نصوص جديدة ومناقشة القضايا النقدية المثارة والمهمة في مرحلة البحث ، مع الإفادة من الدراسات التي عضدّنا بها صفحات بحثنا . قادنا هذا كله إلى الوصول إلى نتائج معيّنة أسفرت عنها هذه الدراسة التي هيأت لنا أن تختط منهجاً جديداً في تتبع مراحل تطور نقد النص.

وبعد فلا يسعني إلاّ أن أتضرع إلى الله سبحانه وتعالى آملاً أن يمكنني من رد الجميل والعرفان إلى كل من أعانني على هذا الجهد. وقدم لي نصيحة، وأعارني كتاباً، ووجهني بإلتفاتة علمية ، ويأتي في مقدمتهم الأستاذ الفاضل الدكتور علي كاظم أسد الذي كرمني بالإشراف على هذه الدراسة وأحاطني برعايته الكريمة وعنايته وثقته المعهودة. فقد كان ، بحق، مشرفاً مخلصاً تجشم عناء قراءة فصول الدراسة كلمة كلمة، وكان لتوجيهاته أثر فاعل في تصحيحها وتقويمها وأتاح لي حرية الرأي في القول وسعة الصدر في المناقشة . ولا يفوتني أن أشيد باعتزاز بقراءاته العميقة، وطول أناته وصبره الجميل، وعلميته وخبرته وثقافته التي لاشك في أنها أسهمت في تذليل الصعوبات والعراقيل التي صادفت الباحث . واشكر بعظيم الامتنان الأستاذ الدكتور حاكم حبيب الكريطي الذي كان الملهم الأول إلى موضوع البحث وأضاعف من شكري له على الرعاية الكريمة التي التمسناها منه طيلة المدة التي قضاها في رئاسة القسم وأشكر باعتزاز حضرات الأساتذة في قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الكوفة ولا أنسى توجيه الشكر لأساتذتي في قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة بغداد واشكر مخلصاً الأساتذة الأفاضل رئيس لجنة المناقشة وأعضاءها على قبولهم مناقشة الأطروحة وما تجشموه من عناء القراءة والتقويم لهذه الدراسة وما بذلوا معها من وقت ثمين في هذه الظروف الصعبة في سبيل إبداء ملاحظاتهم العلمية الناقدة التي لا شك في أنها تفيد الباحث وتنير صفحات بحثه وتسهم في إخراجه إلى النور.

وأسجل شكري العميق لعمادة كلية الآداب ورئاسة جامعة الكوفة ولا أنسى أن أسجل شكري الجزيل لرئاسة جامعة عدن بالجمهورية اليمنية على ابتعاثي للدراسة وتهيئة أسباب التفرغ العلمي لإنجاز هذه الدراسة في بلاد الرافدين آملاً أن أفي أهلها مما هم أهل له من قدر فقد حللت فيها أهلاً ونهلت من رافدها الثالث أعني شموخها العلمي والروحي . وأسجل شكري لموظفي وموظفات المكتبات في العراق واليمن، وزملائي في العام التحضيري وزملائي أعضاء الهيئة التدريسية والمساعدة في جامعة عدن واخص بالذكر الأستاذ الدكتور محمد عبد الله حسين الذي تحمل العبء الأكبر في غياب الباحث طيلة مدة الدراسة بوفاء وإخلاص وكان نعم الأخ ونعم الصديق ، وأسجل شكري العميق للأستاذ الفاضل هلال ناجي شيخ المحققين العرب الذي لا يأتي حضور هذه المناقشة تكريماً للباحث وكليته فحسب وإنما تكريماً لليمن الكبرى التي اسماها في مطلع الستينيات في كتاباته التي نشرتها مجلة الآداب البيروتيه ، وما لبث أن نشر كتابه شعراء اليمن المعاصرون. ولا أنسى أن أتوجه بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى الذين رفعوا أيديهم تضرعاً ويرفعونها الآن في اليمن ابتهالاً بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى بأن يوفق الباحث في جهده الذي شغله عنهم وان يجني ثمرته وأن يعيده سالماً على الرغم من معانتهم فقد سهروا الليالي من اجل توفير أجواء ملائمة للباحث وتحملوا مشاق البحث وعناء السفر وغاب عنهم ما غاب من معاني الحب وابتسامة الحياة وتطلعات المستقبل وحتى عند عودتي إليهم أثناء النزول الميداني والظروف الأخرى التي جمعتني وإياهم في مرحلة الدراسة لم أفِ بحقهم فقد بخلت عنهم بوقت ثمين ما كان أحوجهم إليه ، وقد كانت تأخذهم الشفقة بي وهم يرون انقطاعي إلى أوراقي وكتبي ، وأخذتني الشفقة بهم وأنا أرى حرمانهم من كثير مما اعتادوه من حنانٍ ودفءٍ ومودة . إلى هؤلاء كلهم أقول جزاهم الله عني وعن العلم خيراً وجعلني ممن يحسنون العرفان وممن يديمون على مودتهم وما جزاء الإحسان إلا الإحسان .

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت في عملي هذا الذي بذلت فيه جهداً صادقاً، وكان الإخلاص رائدي، والأمانة وسيلتي، فإن كنت قد وفقت إلى ماقصدت فذلك حسبي وغايتي ، وإن قصرت أو أخطأت فهذا جهد طالب علم لايدعي الكمال والتمام، والإنسان يخطئ ويصيب، وأسأل الله تعالى إلا يحرمنا أجر المجتهد وأن يجعل الثواب من عنده وأن يجزى عليه بمقدار الإخلاص فيه لوجهه الكريم. وما أحسن ماقاله الامام المزني صاحب الشافعي رحمهما الله تعالى: [لو عرض الكتاب سبعين مرّة لوجد فيه خطأ أبى الله أن يكون كتاباً صحيحاً غير كتابه] فاسأل الله جلّ شأنه ان يكون هذا العمل في ميزان حسناتي يوم العرض على وجهه الكريم ﴿يوم لاينفع مال ولابنون الاّ من أتى الله بقلب سليم﴾. سورة الشعراء ٨٨-٨٩

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

الخلاصة

نقد النص الأدبي حتى نهاية العصر الأموي:

لقد أذكى رغبة في العلم دراسة النص الأدبي منذ ولادته في عصر ماقبل الاسلام وأثر الاسلام في عصره الراشدي ومن ثم ازدهاره بازدهار العربيةوآدابهافي العصر لأموي ومن هنا كان النص الأدبي هو منطلقنا وسيبقى النقد محور القراءات

وقد قام البحث برصد الآراء النقدية مراعياً التطور الزمني آخذاً بالحسبان المنهج التاريخي في دراسة تلك النصوص وعرضها ومناقشتها واستخلاص النتائج. فيما اعتمد البحث المنهج الفني في تصنيف الآراء ومناقشة القضايا النقدية وفيما استند إلى الموازنة والتحليل بين الآراء النقدية المختلفة التي غطّت مساحة البحث في هذه المرحلة المهمة.

وقد سعى الباحث جاهداً الى متابعة الأحكام النقدية ورصدها وتقصيها ومناقشتها. وقد ركزنا على نقد الشعر لأهميته وكثرة مادار حوله من آراء نقدية.

وقد انتظمت الدراسة في مقدمةٍ وتمهيد وثلاث فصولٍ، متلوّة بخاتمة مذيّلة بمصادر ومراجع البحث.

تناولت المقدمة اسباب اختيار الموضوع وتحديد مجاله الزمني والمنهج الذي اتبع في دراسة النص الأدبي.

وخصصنا التمهيد لتحديد مفهوم النقد والنص الأدبي. أما الفصل الأول فقد تناول نقد النص الأدبي في عصر ماقبل الاسلام.

بينما تناول الفصل الثاني نقد النص الأدبي في عصر صدر الاسلام وركّز الفصل الثالث على نقد النص الأدبي في العصر الأموي الذي تشكل نهايته المحطة الرئيسة التي يتوقف عندها البحث، ثم ذيّلنا تلك الفصول بخاتمة أوجزنا فيها أهم ماتوصل إليه البحث من نتائج منها:

- بيّنت هذه الدراسة ملامح النقد العربي واعتماده على الذوق واطلاق الأحكام المعللة وغير المعللة التي أكدت ان العربية في تلك العصور كانت تتمتع بحياة نقدية راقية عكست لنا صورة جليّة لحياة النقد العربي منذ بدايته حتى نهاية العصر الأموي. وقد بينت هذه الدراسة طبيعة النقد السائد في كل عصر وقضاياه المختلفة.
- ركز النقد في مرحلة البحث على المفاضلة بين الشعراء والمصطلحات والالقاب والسرقات الأدبية والرواية والانتحال وقضية ضعف الشعر في صدر الاسلام والمآخذ النقدية والنقد اللغوي. وقد كان فحول الشعراء (في العصور الثلاثة) أكثر تعرضاً من غيرهم للنقد إذ شارك في نقد شعرهم كل من الرواة والشعراء والأدباء واللغويين والبلاغيين وعلماء اللغة وأشراف القبائل وساداتهم والخلفاء والولاة والأمراء وحتى عامة الناس.

وختاماً نقول: هذا ماستطعنا الوصول اليه سبيلاً وهو جهد ثمين وسخي ومارجونا منه الاّ خدمة تراثنا الأدبي فان وفقت واصبت فذلك من فضل الله ونعمائه فإن أخطأت أو قصرت فذلك من طبع البشر. فعسى الاّ أحرم أجر المجتهد. وأسأل الله التوفيق والصواب والسداد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

Abstract

Criticizing the literary text until the end of Ummiad age

The study of criticizing the literary texts arose the desire in science since its birth at pre-Islamic age, the Islam influence on its Al-Rashidi age and then its flourishing with the flourish of Arabic language and its arts at Ummiad age.

Hence, the literary text was out start point and criticism will stay the axis of our readings.

The research watched the critical opinions taking into consideration the temporal development and the historical method in the study of these texts, their displays, their discussion and extraction of conclusions. The research depended on the technical method in sorting the opinions and discussing critical issues. It also based on equilibrium and analysis among various critical opinions that covered the research area at this important stage.

The researcher tried hard to follow the critical rules, observe, find and discuss them. We concentrated on the criticism of poetry for its importance and the availability of critical opinions around it.

The study consisted of an introduction, preface and three chapters ended with a conclusion and references.

The introduction dealt with the reasons for choosing the topic, its temporal definition and the method followed in studying the literary text.

We dedicated the preface to define the concept of criticism and the literary text, whereas chapter one was about criticizing the literary text at pre-Islamic age. Chapter two discussed criticizing the literary text at Islamic age. Chapter three focused on criticizing the literary text at Ummiad age that its end formed the major station the research stopped at. Then we furnished the chapters with a conclusion briefing the most important results the research came with which were:

- this study indicated the features of Arabic criticism, its dependence on taste and the setting of reasoning and unreasoning rules emphasized the Arabic language at those ages enjoyed a high critical life reflected for us an obvious picture of Arabic criticism life since the beginning until the end of Ummiad age. It also revealed the nature of sovereign criticism at each age and its different issues.

The criticism at research stage focused upon the differentiation among poets, terms, titles, literary thefts, telling, plagiarism, the issue of poetry weakness at the Islamic age, critical adoptions and linguistic criticism. The master poets (at the three ages) were more exposed than others to criticism where their poetry was criticized by the transmitters, poets, writers, linguists, eloquent, lexicographers, tribes highborn and masters, caliphs, rulers, princes and even publics.

At the end, we say; this is what we can reach to and it is precious and generous effort. We only hope that we have served our literary heritage. If I was successful and correct, that is because of God’s favor and graces and if I was incapable and wrong, that is because of human merits. May God be our guide towards truth and success. Our last prayer: “Thank God for everything”.

The researcher

FadhlNasirHaidarah akwa’a

الفـصــل الأول

نقد النص الأدبي

في عصر ما قبل الإســلام

- النقد في المجالس الأدبية
- نقد أم جندب
- النقد في مجلس قيس بن ثعلبة
- النقد في مجلس ربيعة بن حذار الأسدي
- مجلس قريش النقدي
- النقد في مجالس مدينة يثرب
- النقد في سوق عكاظ
- النقد في قصور ملوك الحيرة والغساسنة
- ألقاب ومصطلحات
- ألقاب الشعراء
- أشعر الناس
- المعلقات
- الحوليات
- رواية الشعر وتدوينه
- السرقات الأدبية
- نحل الشعر وصحته

الفصل الأول
نقد النص الأدبي في عصر ما قبل الإسلام

كان للشعر في نفوس العرب منزلة ٌلاتساويها منزلة ومكانة لاتدانيها مكانة، إذ إنه ديوان مآثرهم وسجل مفاخرهم، واللسان الناطق بما لهم من فضلٍ وماهم عليه من مجد أثيل، وعز شامخ، فما من حرب تقوم بينهم إلاّ كان الشعر قدّ سعيرها وشَبَّ لظاها، وأشعلَ لهيبها، ولاريب في أنّهُ كان يُلهبُ روحَ العصبيّة ويحرّض الناس على الاقتتال والتناحر، فقد يشعل حرباً، ويطفي نار حرب، إلاّ أن هذا لايعني أن أغراض الشعر مقصورة على ذلك فحسب بل إنه أذاع الكرم وشيّد الشجاعة وحثّ على العفّة، وسجل سجايا العرب الحميدة. وقال ابن سلاّم ((كان الشعر في الجاهليةعند العرب ديوان علمهم ومُنتهى حكمهم، بهِ يأخذون وإليه يصيرون))[٥٣] ورأى أبو هلال العسكري أن ((الشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها ومستنبط آدابها ومستودع علومها))[٥٤] وأن العرب لا تعرف أنسابها وتواريخها، وأيامها ووقائعها ((الاّ من جملة أشعارها))[٥٥].

وقد واكب شعر ماقبل الإسلام ولادة النقد. وإن لم يكن النقد بمستوى نضج الشعر، فان ماوصل إلينا يدل على وجود ملامح نقدية تطورت فيما بعد لذلك الشعر في عصر ماقبل الإسلام، وقد عرفه أحد الباحثين بأنه كان نقداً ((هيّناً يسيراً ملائماً لروح العصر وملائماً للشعر العربي نفسه، فالشعر الجاهلي إحساسُ محضُ أو يكاد، والنقد كذلك، كلاهما قائم على الانفعال والتأثر، فالشاعر مهتاج بما حوله من الأشياء والحوادث والناقد مهتاج بواقع الكلام نفسه))[٥٦]. ومع ولادة نقد كهذا، دلّت ملامح التعليل أو بعضها على وصوله في بعض الأحيان إلى مرتبة مهمّة فما زاد في أهميته إمكانه إستنباط ملامح الشعرية في النص الشعري من خلال تلك الآراء النقدية.

وكان النقد في بداية أمره يعتمدُ على الاحساس، ويستند إلى الذوق البسيط، إذ يعتمدُ الشاعر من الشعراء فيعطي رأيه في شعر شاعر آخر مراعياً ذوق المتلقي من أبناء عصره . ومن هُنا نجد الشعراء تمارس النقد على أشعارها لأنها كانت تهتم بنتاجاتها خشيةً أن يكون هناك رأي يحطّ من منزلةٍ ماتقول. فوجد من الشعراءمن تستغرق عندهم القصيدة حولاً كاملاً، إذ ينقّح ويهذّب ويغيّر ويشذّب، وهذا مافعله زهير تجنباً للنقد الذي كان يمارسه الشعراء فيما ينظمون والرواة فيما يروون والناس عامة فيما يسمعون هذا وإن كان فيما يبدو تذوقاً فأنه تذوق يساير مختلف طبقات الناس ولكنه يشكل البذرة الأولى لتكوين النقد. وقد كان لهذا النقد ميادينه التي يكون فيها المتلقي مقوماً، وناقداً فكان لذلك أثره في تنبّه الشعراء الى مكان ترقيق اللفظ وتوجيه المعنى في

---

(٥٣) طبقات فحول الشعراء: ٢٤/١.
(٥٤) كتاب الصناعتين: ١٠٤.
(٥٥) م.ن.
(٥٦) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٢٩.

غرض ومكان جزالة اللفظ وعمق المعنى في غرض آخر، فقد كان النقد مآخذ يفطن إليها الشعراء في الشعر. وما كان له من أصل الاّ سليقتهم، وماطبعوا عليه، ولم يقم إلاّ على الذوق العربي السليم. ولاريب في أن يكون النقدالأدبي هو المعيار لتقويم النص، فقد بُذِلت جهود في دراسته تعين على تمييزه ونقده، وكانت الغلبة للشعر في ذلك، وقد فرض شعر ماقبل الإسلام نفسه على الأجيال متمثلاً في روايته، وإحاطته بحفاوة كبيرة لانظير لها في عصور سبقت التدوين، لذلك كان هذا الشعر أسبق الأمثلة الناضجة للشعر التي وعاها الناقد، فقد كان له أثره المباشر في الأذواق وإسهامه الكبير في إعدادها فنشأ ذوق متتلمذ على نصوصه متأثراً بها لايرى مثيلاً لها، أعانته كثرة مدارسته على فهمه، وتمييز أساليبه وصوره ومعرفة التفاوت بين شعرائه، فقد فرض شعر ماقبل الإسلام نفسه ليكون مثالاً شعريّاً مهمّاً، وعلى الشعراء أن يحتذوا حذوه ويسيروا على منهجه في مختلف العصور.

وقد أسهم الشعر في إظهار الملكات النقدية المتنوعة وتنميتها. ووعى النقاد المفاهيم النقدية للشعر من شعر ماقبل الإسلام، إذ كان المؤثر في ذوقهم وساعد على زيادة وعيهم الشعري.

وَقَدْ كان النقادُ يستندون في آرائهم النقدية إلى ماتلهمهم طبائعهم الأدبية وسليقتهم العربية، وأذواقهم الشاعرة، وحسهم اللغوي الدقيق بلغتهم وإحاطتهم بأسرارها، ووقوفهم على ماللألفاظ من دلالات وايحاءات في شتّى صورها ومختلف استعمالاتها، وعلى سعة تجاربهم الأدبية ، فجاءت أحكامهم في أغلبها ذاتية محضة، تقوم على آرائهم الخاصة، وبوحي أذواقهم الشخصية من دون استناد إلى أسس معروفة أو مقاييس مألوفة، أو أصول مقررة، أو قواعد مرعيّة، وفي صورة مجملة يصدرونها بالإستحسان أو الاستهجان غير مفصّلة ولا مسببة، لاتبيّن وجوه النقد، ولاتتعرض للعلل والأسباب التي قامت عليها، ولاتعتمد على دراسة بحث أو تحليل فإنّما يصدر مثل هذا عن فكر علمي منظّم يحسن التحليل والتعليل والإستنباط.ولم يكن هذا الفكر قد نما لديهم.

وقد كان لأهل عصر ماقبل الإسلام شغف بالأدب عامة لاسيما الشعر، وقد أطالوا الوقوف عنده وقلّبوا وجوهه وتمعنوا في دلالته، وتخيروا ألفاظه، وأدمنوا النظر فيه، فكان صاحب هذه القصيدة متميزاً من صاحب تلك، فكانت نفثات الحكم وملامح التمييز، وكان النقد.

وَعُرِفتْ عند العرب قبل الإسلام مجالس يجتمعون فيها لتبادل الاخبار والبحث في شؤونهم العامة التي تخص القبيلة، مثل نادي قريش ودار الندوة بجوار الكعبة، ولم تك المجالس تخلو من انشاد الشعر وروايته، وقد عرفت أسواق العرب التجارية واشهرها سوق (عكاظ) بزحمة الشعراء وهم يتناشدون الأشعار، فتدور بينهم المفاخرات والمقارعات على الملأ أشهرها معاظمة الخنساء وهند بنت عتبة، وكل منهما تدعي أنها أعظم العرب مصيبة[٥٧] كذلك المقارعة والمنافرةعلى الأحساب التي جرت بين عامر

(٥٧) ينظر: الأغاني ٤/٢١٠-٢١١

بن الطفيل ولبيد والأعشى من جهة، وعلقمةبن علاثة والحطيئة وبعض بني الأحوص من جهة أخرى، إذ أخذوا يتناشدون في المقارعة في حديث طويل[٥٨] وكان لهذه المفاخرات والمقارعات والمعاظمات أثرها الكبير في تنمية ملكات الشعراء، إذ كانت تحفزهم على نظم الشعر بسرعة والشاعر الذي يسكت على خصمه يعد مقلباً فكان قول الشعر يجري في كثير من الأحيان ارتجالاً وعلى البديهة.

النقد في المجالس الأدبية :

ونقصد بالمجلس في بحثنا هذا كل اجتماع اعتمد على الحوار الذي تثار فيه قضايا الأدب (الشعر والنثر). ولا ريب في أن يكون لكل مجلس طبيعته وأهدافه . فقد يكون المجلس الأدبي معروفاً تطرقه الشعراء من كل حدبٍ وصوب وتأتي الأسواق الأدبية في صدارة ذلك ، لذلك تعددت المجالس الخاصة وتنوعت فقد تحدث هذه المجالس مصادفة ، ومنها ما يتم الإعداد له .

ولاغرو فقد شكلت المجالس نهضة شعرية ونقدية مهمة وجدنا أن هدفها هو التمتع بذكر الأدب ولاسيما الشعر .

وقد تنبهت العرب على النَقد الأدبي منذ القدم وعرفته، فكانت تخرج بأحكام نقدية تدل على معرفة بالأثر الجمالي المنعكس من قصيدة عصر ماقبل الإسلام، غير أن تلك الأحكام النقدية كانت أحكاماً عامة لم تصدر عن دراسة وتعمق مثلما هو حال النقد الأدبي في هذا الزمان.

وهناك نماذج تدلُّ دلالة أكيدة على وجود تلك اللمحات النقدية التي كانت أساس موضوعة النقد الأدبي ، فغني عن التعريف كون أمة العرب أمّة شعر، ومن يتذوق الشعر لابد أن يتكون لديه إحساس بمكامن هذا التذوق فقبول مايسمع أو رفضه مبنيٌّ على رضا، وقد وقع في نفسه نتيجة ملامح اتفق عليها الجميع يتلمس وجودها في ذلك البيت ولايجدها في الآخر، وهذا نقد في أبسط صوره.

نقد أم جندب :

ومن هذا النقد الذوقي مانجده في نقد المجالس والأسمار وفيما روي عن الأثر الذوقي الذي بني عليه رأي أم جندب زوج امريء القيس عندما تنازع مع علقمة في أيهما أشعر. واقترح علقمة أم جندب حكماً فقالت لهما: ((قولا شعراً تصفان فيه الخيل على روي واحد وقافية واحدة. فقال امرؤ القيس:

خليليّ مرّا بي على أم جندبٍ لنقضي لبانات الفؤاد المعذّبِ

وقال علقمة:

---

(٥٨) ينظر : م.ن ٣٠٤/١٦-٣١٩.

ذهبتَ من الهجران في كل مذهبِ ولم يك حقّاً طول هذا التجنّبِ

ثم أنشداها جميعاً. فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك، قال: وكيف؟ قالت: لإنك قلت:

فللسوط ألهوب وللساق درّةٌ وللزجر منه وقع أحوج متعبِ

فجهدت فرسك بسوطك في زجرك، ومريته بساقك فاتعبته وقال علقمة:

فأدركهنّ ثانياً من عنانهِ يمرّ كمرِّ الرائح المتحلّبِ

فأدرك فرسه ثانياً من عنانهِ، لم يضرب بسوط ولا مراه بساق ولا زجره، قال: ماهو بأشعر مني، ولكنك له وامق، فطلقها فخلف عليها علقمة فسمي بذلك بالفحل))[٥٩] . ولكنه لم يسمى بالفحل لهذا السبب بل لأنه غلب امرأ القيس في قصيدته على وفق شروط ام جندب .

ولعل شروط ام جندب تقودنا إلى أنها نشأت هذه المرأة في بيتٍ أهله يقولون الشعر ويستمعون إليه ويتذوقونه لذلك صدر عنها ذلك الحكم النقدي مع علمنا أن نظرة المتذوق في ذلك العصر، كانت جزئية تنظر إلى البيت أو الكلمة أو الجملة ولا تنظر إلى القصيدة.

إلاّ أننا لو انعمنا النظر بموضوعية إلى شعر ماقبل الإسلام وصياغاته الارتجالية فإننا لانستغرب الآراء النقدية البسيطة التي لا تتعدى رأياً في بيتٍ ، بل في كلمةٍ من بيت حيث تصدر هذه الأحكام عن ذوق المتلقي وهوى نفسه أكثر مما تصدر عن عمق في النظرة إلى القصيدة بأبياتها وكلمات تلك الأبيات، وقد تصدر عن تأثر وحب لهذا الشعر أو ذاك، فتجد المتلقي منقاداً بحكمه إلى شعر من يحب متغافلاً عن هفوات أو هِنات تقع هنا وهناك في القصيدة، ولكن لا يعني أن جزءاً من هذا الهوى قد أصاب أم جندب التي فضلت علقمة في قصيدته على امرئ القيس. ولانرى ان أم جندب قد تعمّقت في حكمها النقدي ان صحّت تسميته بالحكم، إلاّ أن ذلك لايعني ان هذا الحكم اطلق جزافاً فقد ، ألتمست بيتاً من قصيدة امرئ القيس ومناظرة من قصيدة علقمة ووازنت بينهما. وقد يكون انحيازها إلى علقمة ناشئاً من ألم يحزّ في نفسها نتيجة مغامرات زوجها مع النساء.

وان كنا لانتفق في الرأي مع أم جندب فامرؤ القيس لم يقع في مالا يجب قوله في وصف فرسه، فقد اعتمد في حركته على الزجر والضرب بالسوط، والحثّ بالساقين، فهذه من دون شك هي لوازم أي فارس مهما كان جواده.

ومن ثم فاننا لانلمس بلادة في جواد امرئ القيس، فهو وصف لم يخرج عن المألوف، إذ إن مس الساق يلهب الفرس الجري الشديد ((وإذا مسّه بسوطه در بالجري كما يدر السيل والمطر وإذا زجره بلسانه وقع الزجر منه موقعه من الأهوج الذي لاعقل له))[٦٠].

وعلى الرغم مما داخل الرواية من شك في صحتها نلمح في حكم أم جندب رؤية نقدية، عندما اشترطت ما يشترطه الحكم الناقد، إذ طلبت من الشاعرين توحيد الموضوع وألزمتهما بوحدة القافية والروي، والحق أننا لا نجد ظلماً لامرئ القيس فمما لاشك فيه أن الفرس التي يدركها فارسها ثانياً من عنانها خير من تلك التي تضرب بالسوط فيتعبها

---

(٥٩) الشعر والشعراء ٢١٨/١-٢١٩. ينظر: الموشح ٢٨،٢٩. والقصيدتان في ديوان امرئ القيس ٥٠ ،وفي ديوان علقمة ٣٣، ومابعدها.

(٦٠) دراسات في نقد الأدب العربي، د. طبانه ٦٣.

صاحبها، وإن كنا نلمس اللمحة الفنيّة في بيت امرئ القيس لكنه لا يرقى إلى بيت علقمه ، وان كان امرؤ القيس قد استدرك في البيت الذي يليه بقوله:

فأدرك لم يجهد ولم يثنِ شاؤهُ يمرُّ كخذروف الوليد المثقّبِ[٦١]

فـأن هـذا يقودنـا إلـى أن علقمـه علـى هـذا فـإن علقمـة – فيمـا يبـدو- هوالـذي تـاثر بهـذا القول،ولا ريب في أن قصيدته تكشف ((عن توافر(١٦) بيتا رويت لامرئ القيس ولعل فاعلية الروايه الشفوية كانت وراء مثل هذا التضارب والتضاد ومن ثم التداخل)) [٦٢] . ولعل توافق القصيدتين في كثير من الألفاظ والمعاني فضلاً عن طولهما يجعلنا نتأمل في أن انشادهما لا يمكن ان يكون ارتجالاً ولكن لا يعني أننا نشك في هذه القصة التي نثبتها باسباب وحيثيات ، وإذا تأملنا هذه الشروط فأن أم جندب - فيما يبدو – لم تلزم الشاعرين بزمن معين وهذا هو الذي جعل التوافق واضحاً بين القصيدتين ، في المجلس النقدي الواحد قد يطول وقد يتكرر وهذا ما التمسناه من هذه القصة . ويبدو أن هناك الكثيرين ممن شكّوا في نسبة هذه القصيدة لامرئ القيس، وهو المشهود له بين شعراء ماقبل الإسلام، لاسيما في معلقته، وفي قصيدته اللاميّة التي لاتجارى في هذا الصدد، وقد انكر عبد الله بن المعتز نسبة القصيدة لامرئ القيس، إذ بيّن أنها وإن جرت على مذهبه الشعري المطبوع به. فهي لشاعر غيره[٦٣]. والحق أن في هذا الرأي   تطاولاً على الشاعر.

وقد رأى الأستإذ طه احمد إبراهيم ((ان الموازنة على شريطة الجمع بين ثلاثة أشياء فكرة تدل على شيء من الدقة لاتتلاءم مع الروح الجاهلي في النقد الأدبي . هذا واننا نرتاب في أن جاهلياً يدرك الفرق بين الروي والقافية. ونرتاب في ان هذه الألفاظ تستعمل في العصر الجاهلي بمعناها الاصطلاحي))[٦٤] ولذلك يرى الأستاذ طه إبراهيم أن نبتعد عن ذكر الشروط التي جاءت أساساً نقدياً في قصّة أم جندب، إذ إنه يرى أن روح عصر ماقبل الإسلام نظرية صرف وان العقل آنذاك لم يكن يرقى إلى الاحتكام بمثل هذه الشروط، والحق أننا نقف على جانبٍ آخر مما وقف عليه الأستإذ طه، إذ إن العملية الابداعية قد بلغت أوج نضجها، فلا غرو أن تكون هذه الأسس النقدية موجودة في عصر ماقبل الإسلام.

ووقف إلى جانب رفض الشك في هذه الرواية كثيرون منهم الدكتور طه الحاجري، الذي فنّد حجج المشككين إستناداً إلى ((أن ماتتضمنه من نقد أشبه بصنيع المتأخرين في النقد والموازنة، ولكني مع ذلك لاأذهبُ إلى حدٍّ إنكارها جملة أورفضها رفضاً باتّاً مطلقاً، فروح النقد فيها وان يكن نقداً معللاً، روح بسيطة متواضعة بما لا ينبغي أن يثير كبير الشبهة))[٦٥] فالحياة في عصر ماقبل الإسلام لم تكن بسيطة إلى حدٍّ أن يستبعد معه كل أثر من نوع كهذا[٦٦].

---

(٦١) ديوان امرئ القيس:٥٣ .

(٦٢) الإتجاهات الفنية في رواية الشعر الجاهلي رسالة دكتوراه ١٣٣ .

(٦٣) ينظر : تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه ابراهيم ٢١.

(٦٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه ابراهيم ٢٧.

(٦٥) في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية ٣٨.

(٦٦) ينظر : م.ن: ٣٨.

وإذا قلنا إن امرأ القيس قد رأى هوى أم جندب لعلقمة في عينيها قبل إن تحكم لهُ لان امرأ القيس كما أسلفنا مشهور بمغامراته مع النساء، وإن كانت أم جندب قد تأثرت بهذا الهوى إلاّ أن علقمة -فيما يبدو- قد استمالها في نصه الذي عبرفيه عن خبرته بالنساء، إذ يقول:

فــان تــسألوني بالنــساءِ فــإنني بــصير بــأدوار النــساء طبيــبُ
إذا شــابَ رأسُ المــرءِ أو قــلّ مالــهُ فلــيَس لــهُ مــن ودهّــنَ نــصيبُ(٦٧)

هذا أن كان الحكم قد انطلق من تلك الاستمالة المشار إليها مع إدراكنا أن المرأة في عصر ماقبل الإسلام، لايمكن أن تستمال بهذه السرعة المذهلة ولايمكن أن تقف بوجه زوجها، فضلاً عن تعصب العربي لقومه فالروح العصبية توغلت في إنسان عصر ما قبل الإسلام الذي لايستطيع الإفلات من أسرها بدليل قول دريد بن الصمة:

وما أنا الاّ من غزيّة ان غوت غويت وإن ترشد غزيّة أرشدِ(٦٨)

وإذا نظرنا إلى ما وصفت به المرأة في عصر ماقبل الإسلام فانها من دون شك تمتلك صفات حميدة جمّة لايمكن أن تسمح بها العادات والأعراف وإن تقف تلك الوقفة التي وقفتها (أم جندب)، إلاّ إذا كان ذلك من باب الامتحان لزوجها لعله يتعفف ويكف عن مغامراته.. ففي ذلك قد يلتمس لها العذر.

ومايهمنا من ذلك تلك الأحكام النقدية التي جاءت على وفق الشروط التي اقترحتها وطبقتها -فيما يبدو- على بيت القصيد لكلا الشاعرين وطالما عللت سبب تفضيلها علقمة - فيما يبدو- يعدُّ نقداً موضوعياً استندت إليه النظرية النقدية عند العرب.

وتأسيساً على هذا فإن مثل هذا النقد لايحتاج إلى التشكيك في نسبهِ إلى عصر ماقبل الإسلام ،لأن نماذجهم النقدية تستند إلى نضج في التفكير واستواء في المذهب الشعري والمام بمقررات لغوية وعلمية فهذه الحجج في طبيعتها واهية؛ ذلك((أن العصر كان جديراً أن يخلق لنا حصاداً نقديّاً أضخم وأعمق من ذلك، لولا أن ذلك التراث لم يدوّن فلقد تخطّى الشعر العربي... مرحلة الطفولة، إذ قصّدت القصائد وثبتت الأوزان واستقر نظام القوافي وأحكم بناء القصيدة وسادت قيم فنيّة عالية تمثل عمود الشعر، كل ذلك والنقد – بعد- يحبو ويتعثّر في أذيال الطفولة

وغير معقول أن يخطو الشعر خطواته تلك في طريق النضج الا في ظل نقد موضوعي واع، وذلك مالم يصل إلينا الاّ القليل، فهذا النقد نتاج عصره و جدير أن يكون كذلك، بل إنه أقل مما نرجوه من عصرٍ بلغت فيه التقاليد الشعرية حدّاً من الثبات لدرجة أثّرت معها في الشعر على اختلاف العصور حتى عصرنا الحديث))(٦٩) ولم تقف عند ذلك بل إنها مازالت وستظل –إلى ماشاء الله- رافداً ومعيناً ثرّاً له.

النقد في مجلس قيس بن ثعلبة:

روي أن المسيّب بن علس مرّ يوماً بمجلس قيس بن ثعلبة فاستنشدهُ فأنشد:

---

(٦٧) ديوان علقمة: ٣٥-٣٦.
(٦٨) ديوان دريد بن الصمة: ٤٦.
(٦٩) بيئات نقد الشعر عند العرب من الجاهلية إلى العصر الحديث: ٤٧.

إلاّ انعم صباحاً أيّها الربع واسلمِ   نحيّيك عن شحطٍ وإن لم تكلّمِ

فلمّا بلغ قوله:

وقد أتناسى الهمِّ عند أد كاره   بناج عليه الصيعريّة مكدمِ

قال طرفة وهو صبي يلعب مع الصبيان: لقد استنوق الجمل. فقال المسيّب: ((ياغلام اذهب إلى أمّك بمؤيدة –أي داهية- قال طرفة: لو عاينت فعل أمّك حالياً نهاك. فقال المسيب من أنت؟ قال: طرفة بن العبد قال ماأشبه الليلة بالبارحة، يريد ماأشبه بعضكم في الشر ببعض))(٧٠).

وجاء في الشعر والشعراء ((أن هذا البيت للمتلمس فلمّا قال: طرفة (استنوق الجمل) ضحك الناس وصارت مثلاً، فأتاه المتلمس وقال له: اخرج لسانك، فأخرجه، فقال: ويلٌ لهذا من هذا. يريد ويلٌ لرأسه من لسانه))(٧١).

فالناقد في كلتا الحالتين هو طرفة بن العبد والبيت هو نفسه مصدر النقد. ويبدو أن طرفة قد وفق في استدراكه على الشاعر لأن الصيعرية سمة للنوق للأناث، تكون في عنق الناقة لا في عنق البعير، وإطلاقها على الذكور خطأ، وقد اعتمد طرفة على ذوقه الذاتي ومعرفته اللغوية(٧٢).

النقد في مجلس ربيعه بن حذار الأسدي:

ومن المجالس الأدبية في عصر ماقبل الإسلام مجلس ربيعة بن حذار الأسدي حيث تحاكم إليه الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وعبدة بن الطبيب، والمخبّل السعدي في أيهم أشعر بعد أن قالوا ((لو أن قوماً طاروا من جودة الشعر لطرنا))(٧٣) فقال ربيعة للزبرقان:

((أما أنت فشعرك كلحم أسخن لا هو أنضج فأكل ولاترك نيئاً فينتفع به وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرود حبر يتلألأ فيها البصر، فكلما أعيد فيها نقص البصر، وأما أنت

---

(٧٠) الموشح: ١٠٩-١١٠، والبيتان في ديوان المسيبي بن علي .

(٧١) الشعر والشعراء ١٨٣/١ والبيت في ديوان المتلمس ١٤٨.

(٧٢) لقد تعددت الروايات لهذا الخبر، ويرى المرزباني أن طرفة قال هذا القول لعمرو بن كلثوم التغلبي الذي أنشد قصيدته لعمرو بن هند وقد طلب منه أن ينشده شعراً يصف فيه جملاً، فبينما هو في وصفه خرج إلى ماتوصف به الناقة فذكر البيتين السابقين، فقال طرفة (استنوق الجِمل) فذهب عمرو بن كلثوم غاضباً لفخر طرفة عليه، الذي أنشد شعراً يفخر فيه بأيام بكر على تغلب، ويرى عمرو بن كلثوم ان عمراً بن هند قد مال إلى طرفة، ينظر : الموشح ١١٠-١١١.

ويبدو أن طرفة قد جمعه بعمرو بن كلثوم موقف غير هذا وقال فيه ماقال، اما مقولته (استنوق الجمل) فنرجح أنه قالها للمسيب بن علس، لانه قد أخذ عليه موقفاً آخر في وصف الناقة:

وكأن غاربُها ربأو ة محرمِ   وتمد ثنى جديلها بشراع

أراد تمد جديلها بعنق طويلة، أراد أن يشبه العنق بالدقل فشبهها بالشراع، فلم يعرف الشراع من الدقل)) الشعر والشعراء ١٨٣/١، والبيت في ديوان المسيب

ونخلص من هذا إلى إن مجالس النقد لم تكن حصراً على المختصين، بل كانت تضم عامة الناس حتى الصبيان. فليس غريباً ان يستدرك طرفة هذا المأخذ وهو واحد من شعراء عصره.

(٧٣) الأغاني ٤٤/١٢.

يامخبّل فان شعرك قصر عن شعرهم وأرتفع عن شعر غيرهم. وأما أنت يا عبدة فإن شعرك كمزادة أحكم خرزها فليس تقطر ولاتمطر))[٧٤].

وبتأملنا هذا النص النقدي نجد أن الشعراء يتفاخرون بجودة شعرهم جميعاً ومختلفين في الأشعر منهم، ثم أن الناقد أعطى رأيه ولجأ في ذلك إلى تشبيهات مادية ليعبر عن إحساسه ورأيه في شعر كل منهم بأسلوب نقديّ مهم في ذلك العصر، واستند في ذلك إلى أحكام ذاتية وموضوعية، ويمكننا أن نرى خبرة الناقد بالشعر وذوقه الخاص قد انضج له حكماً نقديّاً فسّره بألفاظه تلك، فقد وجد إن شعر الزبرقان قد جمع الطيب والردئ، فلم يبلغ درجة النضج والاكتمال، لأنه فَقَدَ الجزالة وحرارة العاطفة، وبذا فقَدَ قوة المعنى مع أن ابن سلام قد وصف الزبرقان بأنه كان ((شاعراً مفلقاً.. وكان حليماً.. وقد تقدم عليه المخبل بالهجاء))[٧٥].

أما شعر عمرو بن الأهتم، فالناقد يرى أنّه يبهر العين، فتعجب به لأول نظرة، لأن ألفاظهِ براقةوأساليبه خلاّبة فإذا فتش الناظر في حقيقته واستكنه معانيه لم يجد شيئاً.

والحق أن الشعر في أغلبه هكذا وقد ذكره ابن قتيبة عندما تحدث عن أضرب الشعر الأربعة جعل مثل هذا الشعر في الضرب الثاني الذي حلا لفظه وكانت معانيه مما هو متداول ، وقال إن هذا الصنف من الشعر كثير وضرب مثلاً لذلك بأبيات يزيد بن الطثرية :

فلما قضينا من منى كل حاجةٍ	وَمّسحَ بالأركان من هو ماسح
وشدّت على حدب المهارى رحالنا	ولم ينظر : الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا	وسالت بأعناق المطي الأباطح[٧٦]

وقد أعجب النقاد بهذه الأبيات ، مع إدراكنا ان النصوص قد يصل الى هذه الحال لأن النص الفني وجود بنفسه ، قيمتة من وجوده فقط [٧٧].

أمّا شعر المخبّل السعدي فيبدو أنه احتل مرتبة الوساطة فلا يصل بصاحبه إلى مرتبة الفحول، ولايضعه في الدرك الأسفل إلى درجة الشاعرين، وإذا اسندناه إلى طبقة ما،على وجه الإفتراض فإنه يكون أشبه بالفحول.

فيما يبدو أن شعر عبدة بن الطبيب قد استمال الناقد، إذ يرى أن شعره قوي الأسر، متين النظام، متلاحم، متماسك بلغ حدّاً من الجودة والمتانة،

إذ لايرى الناظر في شعره ضعفاً، ولايلمح في أساليبه ومعانيه وهناً، فهو أشعر الشعراء الأربعة في نظر الناقد الذي يبدو أنّه على بيّنة تامّة من شعر الشاعر، لانه لم

---

(٧٤) الموشح: ١٠٧-١٠٨.

(٧٥) طبقات فحول الشعراء ١١٧/١.

(٧٦) ينظر : الشعر والشعراء ٦٦/١ والأبيات في ديوان يزيد بن الطثرية ٦٤

(٣) ينظر النقد المنهجي عند العرب ٣٣- ٣٥ .

يصدر حكماً عاماً ولم يخلو من التعليل فهذا النص وإن كان فيه شيءٌ من الروح الانطباعية العابرة ولمسات التأثير، وبساطة الذوق الشخصي، فان فيه من التعليل الجزئي ما اوضحناه آنفاً، وهو يكفي بأن يكون نقداً جزئياً، إن لم يكن نقداً له أصوله ومناهجه واتجاهاته، إذ إنه ((لايحوي بعض المقاييس الفنيّة والملاحظات المعتمدة على الدراسة والتأمل للنص المنقود))(٧٨).

وقد رأى الدكتور احسان عباس استناداً إلى هذا النص ان هذا الأنموذج من أرقى الأمثلة وأكثرها دلالةً على طبيعة النقد الأدبي ((قبل إن يصبحَ لهذا الشعرِ كيانٌ واضحٌ، فهو أنموذج يجمعُ بين النظرة التركيبية والتعميم والتعبير والانطباع الكلي دون لجوءٍ للتعليل وتصوير مايجول في النفس بصورة أقرب إلى الشعر نفسه))(٧٩).

وأكّد الدكتور عناد غزوان ((أن هذا النص يكشف اهتمام نقد ماقبل الإسلام بالشعر صياغة وفكرة، وهو اهتمام يسمو على مجرد الذوق الشخصي والروح الانطباعية العابرة التي يستبد بها التأثر))(٨٠).

والحق أننا نذهبُ إلى ماذهب إليه الأستاذان الفاضلان بأن هذا النص أنموذج نقدي يدلّ على وجود متلّقٍ يقدّر الصياغة الشعرية. فلو أنعمنا النظر في النص لوجدنا تعليلاً يدل على الاهتمام بالأثر الجمالي للنص الشعري، على اننا لانقيس تلك الأحكام بأحكام هذا الزمان الذي تهيأت له الوسائل والأسس النقدية بيدأن نقد عصر ماقبل الإسلام كان الحجر الرئيس والبذرة الأولى لنشوء النظرية النقدية العربية.

مجلس قريش النقدي:

ولقريش ذوقٌ أدبي يختلف عن ذوق القبائل الأخرى وذلك لأسباب تفرّدت بها قريش منها أنهاقبلة الحجيج لقبائل العرب جميعاً، وفيها تقام أسواق العرب التجارية، فضلاً عن سوق عكاظ الأدبي ، فيسعى الشعراء لينظموا بلغة قريش التي كانت تمتاز بفصاحتها وحسن لغتها ورقة السنتها.

ومن هنا كان لأحكام قريش النقدية أهميتها، وهي أحكام تفوّقت على أحكام القبائل الأخرى. وكان للشعر الذي تتخيره قريش نصيب من الذيوع والانتشار، فإذا ماقدمت شاعراً على غيره فان حكمها يعتد به. ومن ذلك حكمهم على علقمة وقد انشدهم قصيدته:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم   أم حبلها أم ناتك اليوم مصروم

فقالوا هذه سمط الدهر. ثم عاد بعد عام فأنشد:

---

(٧٨) مقالات في تاريخ النقد العربي: ٣٣.

(٧٩) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ١٣.

(٨٠) تاريخ النقد الأدبي ٤٩.

طحا بك قلبٌ في الحسانِ طروبُ   بعيد شباب عصر حـان مشيبُ

فقالوا: هاتان سمطا الدهر[٨١]، ارادوا أنهما قد خلتا من العيوب وهذا دليل واضح على أن عرب ماقبل الإسلام قد عرفوا الموازنة بين الشعراء. فكانت آراء قريش دافعاً إلى تجويد الشاعر شعره فقد حفّز الحكم الأول علقمة على أن يعودَ ثانية، ويبدعُ في قصيدةٍ أخرى بعد أن أدرك أعجاب قريش بشعره، ومعرفتها بمكامن البناء الفني في القصيدتين، ففضلوهما على غيرهما من القصائد وعدّوهما سمطي الدهر. وهذا يؤكد أن ماوصل إلينا من شعر ناضح لعرب عصر ماقبل الإسلام لم يكن يصل هذه الدرجة من الرقي والإتقان لو لم يتيسّر له من النقد مايقوّمه، ويبيّن معايبه وعثراته، لأن كل بداية لابد أن يصحبها تخبّط وشيئاً فشيئايصل النقد إلى مالم يكن في الحسبان، إلاّ أن هذا يتطلب أجيالاً تتعاقب على الاصلاح والتصحيح مع اعطاء نقطة البداية أهميتها، لأنها تمثلت بالتأثيرات العفوية التي انبثق منها المنهج التأثري الذي مايزال مرحلة ملحة ورئيسة وأولية في النقد ، ومن ثم فإنه لابد ان يتبع ذلك بمسوغ للإقناع[٨٢].

النقد في مجالس يثرب:

كانت يثرب ميداناً حيوياً للنقد، وقد ارتبط نقدها بدرجة رئيسة بالعيوب الصوتية وذلك لأن شعراء ماقبل الإسلام راحوا ((يلاحظون- في اخبار قليلة تقاليد الشعر الأخرى من الوزن واللغة والصياغة ويقيسون صحتها إلى ما كان قد استقر لديهم من تقاليد فنيّة ولغوية، ولم يكد يسلم من هذه الملاحظات النقدية الدائبة شعراء هذه الطبقة (الشعراء النقاد) أوقل النابغة نفسه الذي رأينا العرب في الإسلام تطمئن إلى ذوقهِ الفني وتركن إلى أحكامه في نقد الشعر))[٨٣] فقد أخذ عليه أهل يثرب الإقواء في شعره ولاسيما في داليته المعروفة، واسمعوه إيّاها على حياءٍ في غناءٍ وتلطفوا في ذلك بان جاءوا بقينةٍ فجعلت تغنيّه بهذا الشعر وتشبع حركة الروي وتطيل في البيت الأو ل حتى إذا جاءت إلى البيت الذي يليه أشبعت الضمة في قوله (الغراب الاسودُ) وقوله (يكاد من اللطافة يعقدُ) الذي يظهر في قوله:

مـن آل ميّـة رائـحٌ أو مغتـدي   عجـلان ذا زادٍ وغيـر مـزوّدِ
زعـم البـوارح ان رحلتنـا غـداً   وبـذاك خبّرنـا الغـراب الأسـودُ

وقوله أيضاً:

سـقط النـصيف ولـم تـرد إسـقاطهُ   فتناولـتـه وآتقتنـا باليـدِ

(٨١) الأغاني ٢١/٢٢٥-٢٢٦، والبيتان في ديوان علقمة ٥٠، ٣٣. وجاء في لسان العرب (سمط) مانصّه: سمط الجدي والحمل يسمعه سمطاً، علقه وقيل نتف عنه الصوف ونظفه من الشعر بالماء الحار يشويه وسمط الشيء سمطاً علقه.
(٨٢) ينظر: الأدب وفنونه ١٣٧.
(٨٣) قضايا الشعر في النقد الأدبي : ١٦٠.

بمخضّبٍ رخصٍ كأن بنانهُ   عنمٌ يكاد من اللطافة يعقد

ففطن لما يريدون وقال: ((وردت يثرب وفي شعري بعض العاهة، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس))[٨٤] ويروي أبو عمرو بن العلاء إلى أنه ((بعد أن فطن إلى مايريد وعمد إلى تغيير القافية وقال: وبذاك تنعاب الغراب الأسودِ))[٨٥] وهذه الرواية لها مكانتها في النقد لأنها تعد من الأحكام النقدية المهمة التي عرفها العرب وقد كان لبعض النقاد استغراب وتعجب من هذا الموقف، فقد استغرب أبو الفضل العلوي مما أخذ على النابغة، إذ قال: ((وياللعجب كيف ذهب ذلك عن النابغة مع حسن نقده للشعر وصحة ذوقه وإدراكه لغوامض أسراره، وقد عرفت ماأخذه على حسّان بن ثابت، مما تحار الافكار فيه ولما نبّه إلى موضع الخطأ لم يصل إلى فهمه ولم يأبه به حتى غنّت مغنيّة))[٨٦].

وقد تعددت الروايات فيها ولكن لم تصل إلى طريق الشك في صحتها خاصة وهي تستهدف شاعراً مثل النابغة الذبياني الذي اعترف له معاصروه من الشعراء بالتفوق والقدرة وأشادوا بحاستهِ الذوقية وتمييزه بجودة شعره وملكته النقدية الفاحصة.

فقد لاتصدق هذه المآخذ التي أخذت عليه، ولكن كما يقال: لكل حصان كبوة ولكل لسان هفوة ، وربما تعمّد الشّاعر ذلك لتغيير إيقاع قصيدته وخدش اذن المتلقي بهذا الخروج امتحاناً ، لان لهذه القصة لها مكانتها في النقد، لأنها ((تعكس جانباً من فهم العرب للنقد في مرحلة التدوين الأولى وليس بعيداً أن تصدر مثل هذه الأحكام قبل الإسلام بعد مارأينا كثيراً من الدلائل التي تؤيد ماذهبنا إليه، يضاف إلى ذلك أن هذه الروايات ليس فيها التعليل القائم على النظرة العلمية لكي ننكرها وإنّما هي أحكام عابرة أطلقها الشعراء والمحكمون معتمدون على الذوق الفطري الذي عرف به العرب قبل الإسلام))[٨٧].

وقد كان ليثرب أثر فاعل في نقد النص الأدبي فهذه الأحكام النقدية ليست هيّنة فقد أعطت لهذه المدينة (يثرب) مكانتها وذلك لأنها ضمّت عدداً من الشعراء

الجيدين الأمر الذي قادهم إلى أن يجعلوا للشعر في يثرب مكانة متميّزة، وقد ذكر ابن سلاّم في طبقاته خمسة شعراء منهم ضمن طبقات شعراء المدن والقرى، وقال ان شعراء يثرب أكثرهم قريحة. ويبدو أن استمرار الحرب بين الأو س والخزرج سبب في أشعال هذه القريحة، لأن الشعر كان سلاحاً من أسلحة العرب في حروبهم ضد خصومهم، وقد جعل الذوق العربي العام من الشعر أناشيد للمقاتلين. وتأسيساً على هذا نما الذوق في مدينة يثرب فكان لها أحكام نقديّة ميزتها من المدن الأخرى.

ونستطيع أن نقول إن الأحكام النقدية كان فيها من الموضوعية مايشار إليه فمع مكانة النابغة إلاّ أن ذلك لم يمنع جمهور النقد من أن تنبهه على إقوائه وهو نقد صادق

---

(٨٤) الأغاني ١٣/١١-١٤ وينظرالشعر والشعراء ١٥٧/١ والموشح ٤٥-٤٧ والأبيات في الديوان ٢٩-٣٤.

(٨٥) الموشح: ٤٦.

(٨٦) نضرة الاغريض في نصرة القريض: ٢٤٤.

(٨٧) البلاغة العربية، المعاني والبيان والبديع، ١٥.

ليس فيه من آثار الهوى الذاتي ويدل على ذلك انهم تلطّفوا في إبلاغ النابغة عيبَهُ فدسّوا له الجارية تردد الصوت وتطيل القافية حتى أدرك الإقواء الذي وقع فيه[٨٨]. والإقواء هو اختلاف حركات القافية، أي هو تغيير في الإعراب وقد ذكر ابن سلاّم انه ((لم يقوِ أحدٌ من الطبقة الأوْلى ولا من اشباههم الاّ النابغة))[٨٩] إلاّ أن ابا الفرج يروي عن أبي عمرو بن العلاء قوله((كان فحلان من الشعراء يقويان: النابغة وبشر بن أبي خازم فأمّا النابغة فدخل يَثْرِبَ فهابوه أن يقولوا له لحنت واكفأت فدعوا قينة وأمروها ان تغني في شعره ففعلت. فلمّا سمع الغناء و (غير مزوّد) و (الغرابُ الأسودُ) وبان له ذلك في اللحن فطن لموضع الخطأ فلم يقو بعد، وأما بشر بن أبي خازم فقال له أخوه سواده إنك تقوي، فقال وماذاك؟ قال قولك:

ألم ترَ ان طُول الدهرّ يُسلي وَيُنْسى مثلما نسيت جُذَامُ

ثم قلت:

فكانوا قومنا، فبغوا علينا فَسُقْنَاهُم إلى البلد الشامي))[٩٠]

وعلى الرغم من الإقواء الواضح في بيتي القصيدة فقد وصفها أبو عمر بن العلاء بقوله ((ليس للعرب قصيدة على هذا الروي أجود منها وهي التي الحقت بشراً بالفحول))[٩١].

ويبدو أن مسألة المآخذ الصوتية هذه تقف على جانب أن العرب امّة تملك من العقل والمنطق ودقة التحليل، وحسن الانتباه مايؤهلها، لأن تطلق حكماً نقديّاً أو أحكاماً ونلمح في ذلك ردّاً على من أنكر على العرب ذلك.

ويبدو أن تلك القصيدة لم تكن الأولى التي أقوىفيها النابغة، فهذا أبو عمر بن العلاء في حديثه عن الإقواء وتعريفه يقول ((كقول النابغة الذي أكفأ في قوله في قصيدة مجرورة أولها وقال فيها:

قالت بنو عامر: خالوا بني أسد يا بؤس للجهل ضرّار لأقــوامِ

وقال فيها:

تبدو كواكبهُ والشمس طالعةً لا النور نورٌ ولا الإظلام اظلامُ[٩٢]

(٨٨) ينظر: دراسات في نقد الأدب العربي، د. طبانه ٦٦.
(٨٩) طبقات فحول الشعراء ٥٥/١.
(٩٠) الشعر والشعراء ٢٧٠/١ والموشح ٥٩ والبيتان في ديوان بشر بن أبي خازم ٢٤٢.
(٩١) شرح المفضليات ٦٤٨. الحاشية نقلاً عن شرح المفضليات للمرزوقي.
(٩٢) الشعر والشعراء ١٧٢/١ والبيتان في ديوان النابغة ١٢٢.

ويرى يونس بن حبيب أن ((عيوب الشعر أربعة، الزحاف والسناد والإقواء والاكفاء وهو الإقواء))[٩٣] وبتأملنا شعر ماقبل الإسلام نجد مايؤكد ذلك، فهذا الشاعر جندل بن المثنى الطهوي يمدح قوافيه بقوله:

لم أقوِ فيهنَّ ولم أساندِ[٩٤]

وقال امرؤ القيس:

أذود القــوافي عنّـي ذيــادا	**ذيــادَ غـلامٍ غـوى جـوادا**
فلمّــا كثــرن وأعيننــي	**تنقيــت مــنهنّ عــشراً جيــادا**
فــاعزل مرجانهــا جانبــاً	**وآخــذ مــن درهــا المــستجادا**[٩٥]

فالقوافي فيما يقول الشاعر تكثر عليه وهو لذلك يذودها عن نفسه ذياداً وينظر : إليها ألفاظاً وقوافي نظر الجواهري إلى لآلئه حيث يتخيّر المستجاد من الدر.

وبتأملنا تلك النصوص النقدية نجد أن الإقواء لم يكن محصوراً بالنابغة وبشربن أبي خازم كما ذهب أبو عمرو بن العلاء ولا فيما أشاروا إليه منأبيات. إذ لم يسلم الشعراء الفحول من هذا العيب. فهذا امرؤ القيس وقد أكفأ في نونيته التي قال فيها:

أحنظــل لــو حــاميتم وصــيرتمُ	**لأثنيـت خيـراً صـادقاً ولا رضـان**[٩٦]

وقال ايضاً:

ثيــاب بنــي عــوفٍ طهــارى نقيّــةٌ	**وأو جههـمُ بـيض المـسافر غـرّانُ**[٩٧]

غير أن هناك من نزّه امرأ القيس من الإقواء، فسكّن القافية منهم الأخفـ([٩٨])والتبريزي[٩٩]. مع علمنا ان البيتين قد وردا في قصيدتين مختلفتين من الديوان وكلتاهما مكسورة القافية ولاشك في أن الإقواء قد لازم احداهما ويبدو انها التي قال فيها:

إلاّ أن قومــاً كنــتُ أمــس دونهــمُ	**همــوا منعــوا جــاراتكم آل غــدرانِ**
ثيــاب بــن عــوفٍ طهــارى نقيّــةٌ	**وأوجههــم عنــد المــشاهد غــرّانُ**
هــم أبلغــوا الحــيّ المــضلل أهلهــم	**وســاروا بهم بين العراق ونجران**[١٠٠]

إلاّ أن شعر امرئ القيس لايخلو من عيوب القافية الأخرى منها الايطاء فقد كرر الشاعر القافية (عرير) عينها بعد بيت واحد فقط في قوله:

---

(٩٣) طبقات فحول الشعراء ٦٨/١.
(٩٤) البيان والتبيين ١٣٩/١.
(٩٥) ديوان امرئ القيس ٢٤٨.
(٩٦) ديوان امريء القيس ٣٩٧.
(٩٧) م.ن: ٨٣.
(٩٨) ينظر: القوافي ٩٢.
(٩٩) ينظر : الوافي في والعروض والقوافي ٤٠.
(١٠٠) ديوان امرئ القيس ٨٣.

بلاد عريضة وأرض أريضـــةٌ   مدافع غيث في فضاءٍ عـــــريرِ

ثم قال:

ومرقبة كالزُّج أشرقتْ فوقــها   أُقلِّبُ طَرْفي في فضاءٍ عـــــرير

ووردت قافية (قصيص) في بيتين متتابعين في قصيدة أخرى(١٠١).

وفي بائيته المشهورة كرر قافية (مرقب) مرتين ولم يفصل بينهما سوى بيت واحد(١٠٢) ومن العيوب (الاجازة) وهي اختلاف الارداف قبل القوافي المقيّدة فقد جاءت قوافي رائيته (أَفِرْ،صُبُرْ، بشَرْ)(١٠٣) فكسر الروي في الأوْلى وضمّه في الثانية وفتحهُ في الثالثة.

اما السنّاد وهو الحرف الذي يكون قبل الروي المقيّد، فتحه مع ضمه أو كسره وكذلك الفتحة مع الكسرة أو الضمة وبهذا تتعاقب حركات كثيرة مختلفة فقد جاءت قوافي الشاعر هكذا (خَصِرْ، القُطُر، المستَحر، بُهُر، فَطِر، حُجُر...)(١٠٤).

وفي قصيدة أخرى جاءت القافية (آخرا، تعبّرا، قيصرا)(١٠٥).

ويبدو أن هذه المآخذ لم تقلل مطلقاً من شاعرية امرئ القيس الذي وصفه أحد النقاد بأنه ((مصنعٌ من مصانع اللغة لا رجل من رجالها))(١٠٦).

وعلى الرغم من تلك المآخذ انتهى رأي النقاد القدامى إلى تقديم امرئ القيس على غيره من الشعراء، إذ ((يعد أباً للشعر الجاهلي، بل للشعر العربي جميعه؛ فقد استوى عنده في صورة رائعة سواء من حيث سبقه إلى فنون أجاد فيها أم من حيث قدرته على الوصف والتشبيه، وقد مضى يعني بأخيلته ومعانيه وألفاظه مما نجده ماثلاً في استعاراته وبعض طباقاته وجناسه، وبذلك أعدّ للشعراء من بعده للعناية. على معنويّة ولفظيّة مختلفة))(١٠٧).

فإذا كان هذا هو حال أمير الشعراء، والذي لاريب فيه ان أهمية شعره تبدو في انه متجدد عبر الأزمان فأن الإقواء وغيره من عيوب القافية قد لازمت شعره فانه قد يندر أن يفلتَ أي شاعر من هذه العيوب.

ومن شعراء المعلقات الذين لم يسلم شعرهم من الإقواء الحارث بن حلزة اليشكري إذ قال في معلقته:

---

(١٠١) ينظر: الديوان ٧٣-٧٤.
(١٠٢) ينظر: شرح القصائد التسع المشهورات لابن النحاس ٦٦٦/٢. والديوان ٤٧.
(١٠٣) ينظر : الديوان ١٥٤ و ١٦٠.
(١٠٤) م.ن ١٥٧-١٥٨.
(١٠٥) م.ن: ٦٩.
(١٠٦) امير الشعر في العصر القديم، ٦.
(١٠٧) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ٢٤٥-٢٤٦.

زعموا أن كل من ضرب العير   موّال لنا وأنا الولاءُ

فقال المعري ((لقد اتعبت الرواة في تفسير قولك (زعموا..))[108] ((ويقول وما حسبك اردت الاّ العير الحمار))[109]. وفي قول الحارث

فملكنا بذلك الناس حتى   ملك المنذر بن ماء السماءِ

فهذا البيت جاء مكسور الروي فيما يبين البيت الأول أن القصيدة مضمومة الروي ويبدو أن هذا هو الذي دفع المعري إلى أن يقول: ((... ولقد شنّعت هذه الكلمة بالإقواء في ذلك البيت ويجوز أن تكون لغتك أن تقف على آخر البيت ساكناً وإذا فعلت ذلك اشتبه المطلق بالمقيّد...))[110].

فالإقواء هذا أخل بنسق القصيدة الموسيقي، وافقدها قيمتها الفنية وأخرجها عن الانسجام الواقع بين نهايات الأبيات.

---

(١٠٨) رسالة الغفران: ١٥٣ والبيتان في ديوان الحارث بن حلزة اليشكري ٣٨.

(١٠٩) م.ن: ١٥٣.

(١١٠) م.ن: ١٥٣.

النقد في سوق عكاظ الأدبي :

حفل عصر ماقبل الإسلام بالأسواق الأدبية [١١١] حيث تلتقي جماهير الشعر ملتقى حول فحول الشعراء والخطباء والبلغاء لابداء نتائج، افكارهم واظهار محاسن فصاحتهم وبلاغتهم، وقد مزجت في نقدها الذاتية بالموضوعية، إذ إن فطرة العربي نشأت على النزعات العصبية والقبلية، وهذا يجعلنا نلمس في نقده- وأي أمر- ذلك شاء هذا أم أبى، فضلاً عن أن طبيعة النقد آنذاك كانت انطباعية فورية متأثرة بطبيعة الأسواق نفسها. فعلى المتلقي الناقد أن يصدر حكمه على العمل الأدبي فور الاستماع إليه، وبهذا كانت هذه العجلة الانطباعية والذاتية في الوقت نفسه تؤثر في طبيعة الحكم النقدي. إلاّ أن ذلك لايعني؟ إنّما عن الناقد –ان صحّت التسمية- تغيب عن الخبرة والثقافة، بل نجد ان الحكم يمتاز بسعة اطلاعه وكثرة حفظه ومعرفته بالأنساب واخبار العرب بالدلالة، والا لما التجأت إليه الشعراء تحكمه في أشعارها. فضلاً عن أمر آخر كان يتمتع به ناقد عصر ماقبل الإسلام وهو شاعريته وموهبته الشعرية الفذّة التي جعلته في مصاف كبار الشعراء الذين عرفوا ميادينه وخاضوا في أغراضه وجابوا فنونه وخبروا محاسنه ومساوءه، وتأملوا في معانيه فهم يرجعون في حكمهم النقدي إلى ذلك كله ((فإذا جاء نقدهم موجزاً فهو إيجاز التكثيف والاكتناز وهو من قبيل الاجمالي الذي لو فصّل لظهر ماقد يكون وراءه من رأي سديد))[١١٢]. ومن أولئك الذين عرفوا وذاع صيتهم في الشعر والنقد النابغة الذبياني حيث ذكر صاحب الموشح أن النابغة الذبياني كانت ((تضرب له قبّة حمراء من آدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها قال: فأو ل من أنشده الأعشى ميمون بن قيس (أبو بصير) قصيدته التي مطلعها:

مَا بكَـاءُ الكَبير بالأطــْلاَلِ وَسـؤَالي ومـاتَرُدَّ سـُؤالي

ثم أنشده حسّان بن ثابت الانصاري قصيدته التي يقول فيها:

لنـا الجفنـاتُ الغُـرُّ يَلْمعْـنَ بالـضُّحَى وأسـياڤُنا يَقْطُـرْنَ مـن نَجْـدةٍ دمَـا
وَلَـدْنَا بنـي العَنْقـاء وابنَـي محـرّقٍ فـأكرمْ بنـا خَـالاً وأكـرم بنـا أبْنَمـا

---

(١١١) الأسواق الأدبية في الجاهلية ذكر منها اليعقوبي عشراً وكان في ناحية مكّة منها ثلاثة: (عكاظ) و (ذو المجاز) و(يتجنّة) واشهرها على الاطلاق سوق عكاظ. ينظر تاريخ اليعقوبي ٣١٣/١-٣١٤.
(١١٢) بيئات نقد الشعر عند العرب: ٤٢.

فقال النابغة، أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك)) [١١٣] وقد ذكر ان الشاعرة الخنساء كانت قد أنشدت في هذا المجلس قصيدتها التي فيها ترثي أخاها صخراً:

قذىً بعينيك أم بالعين عُوّارُ......... حتى وصلت إلى قولها:

وإن صخراً لتأتمُّ الهداةُ بهِ كأنهُ علمٌ في رأسه نارُ [١١٤]

فقال النابغة ((والله لولا ان أبا بصير أنشدني (آنفاً) لقلت إنك أشعر الجنّ والانس.

فقال حسان: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك [١١٥].

ويبدو أن النابغة تقبل اعتراض حسان على الحكم بعصبية الشاب المغرور وأجابه النابغة برؤية الشيخ الناقد، وحكمته فقبض على يديه برفق وقال: ياابن أخي لاتحسن أن تقول مثل قولي:

فأنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلتَ أن المنتأى عنك واسعُ [١١٦]

فقدجاءالنابغة بهذا البيت وهو يعلم ان حساناً يطاطئ له لأنه ابتكار لم يسبق إليه، فيه صورة الليل الذي يمتد ليدرك الموجودات كلها. وصورة القدرة والذراع

الطويلة التي يحتاجها الانسان. ولكي يبرر حكمه في تفضيل الخنساء قال النابغة: أنشديه، فانشدته((فقال والله مارأيت (ذات مثانة) أشعر منك فقالت له الخنساء ولا ذا خصيتين))[٣]) فهي تعد نفسها من هذا الحكم (أشعر العرب)

وقد قيل إن الخنساء هي التي قامت بنقد شعر حسّان بقولها ((قلت لنا الجفنات والجفنات مادون العشر فقللت العدد ولو قلت الجفان لكان أكثر. وقلت الغر، والغر جمع غرّة والغرَّة البياض في الجبهة ولو قلت البيض لكان أكثر اتساعاً. وقلت يلمعن واللمع شيء يأتي بعد الشيء (أي يظهر ويختفي) ولو قلت يشرق لكان أكثر لأن الاشراق أدوم من اللمعان، أو قلت بالضحى ولو قلت بالعشيّة لكان أبلغ في المديح، لان الضيف بالليل أكثر طروقاً، وقلت أسيافنا، والأسياف دون العشرة ولو قلت سيوفنا لكان أكثر، وقلت يقطرن فدلّت على قلّة القتال ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم وقلت دماً والدماء أكثر من الدم وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك))[١١٧].

---

(١١٣)الموشح٨٢والبيت الأول في ديوان الأعشى: ٥٣،والبيتان الآخران في ديوان حسان١٣١

(١١٤) الشعر والشعراء ٣٤٤/١. والبيت في ديوان الخنساء: ٣٧٨.

(١١٥) الشعر والشعراء ٣٤٤/١ للستزلدة ينظر : الأغاني ٨/١١ ـ ٩.

(١١٦) ديوان النابغة /٧٨.

(١١٧) الأغاني (ط.دار الكتب) ٣٤/٩وجمهرة اشعار العرب١٠٦/١ والموشح ٨٢، ٨٤ للاستزادة ينظر : دراسات في النقد الأدبي رشيد العبيدي ٦٢ ومفاهيم في الأدب والنقد ٣٦-٣٧

وفـي روايـة أن النابغـة قـال لحسان: يـا ابـن أخـي علـى رسْلِك،فقد اخطـأت فـي هـذا البيت(لناالجفنـات الغر ...)فـي ستة مواضـع:قـال فمـاهن يـاعم؟ فذكر لـه تلـك المواضـع المذكورة آنفا)) [١١٨]

والحق أن هذا الرأي النقدي قد امتلك كثافة تفسيرية لبيت شعري واحد وهو أمر غير معهود في تاريخ ماقبل الإسلام غير أننا لانستطيع أن نرفضه، أو نقول بعدم صحته، فلربما ضاعت نصوص تحمل بين ثناياها رواية كهذه ((كان من الممكن ان تفيدنا في فهم أسلوب الجاهليين في النقد ومفرداتهم التي كانوا يستعملونها وسيلة للتعبير عن المضامين النقديـة التـي تجـول فـي خـواطرهم))[١١٩] ونقـل مافيهـا مـن أحاسيس ومشاعر، واضـعاً العاطفـة بالحسبان، أعنـي بهـا تصوير العواطـف فـي صـورة شـعرية، ولا ريـب فـي أن يعطي الرمز والخيال شيئاً من الأهمية. وإن كنّا نلمس مبالغة في الحجج التـي نسبت إلـى الخنساء التي لـم يعرف لهـا رأي نقدي غير هذا، فضلاً عن كونهـا شـاعرة خجـولاً ذاع صيتها بأحزانها التي عبرت عنهافي شعرها على أخيها صـخر إلـى يومنـا هـذا ، إلاّ أننـا لانشك في وجود تعليل نقدي كهذا في عصر ماقبل الإسلام وفـي الوقت نفسه لانستطيع أن ننكرعلى الخنساء تذوقها للفن الشعري وفهمه وتحليلـه والحكم عليـه ، والاّ لمـا دارت تلك المحاورة الأدبية لترد على حسّان بن ثابت وتفنّد ذكر الحجج، وإذا كانت هي الناقدة فعلاً فاننا هنا نضع الخنساء ناقدة بارعة تسطّر صفحة فـي كتـاب النقد الأدبـي والتذوق الفني على البداهة والارتجال في هذا الوقت المشحون بالمنافسة.

ويبدو أن هذا الحكم كان متطابقاً مع حكم النابغة الذبياني وهذا وحده يثير الشك لدى أي دارس وان كان كذلك فان مثل هذا الحكم لايمكن ان يسلب عن ناقد عصر ما قبل الإسلام ذوقه وربما أن الخنساء استمعت إلى حكم النابغة بحق حسّان ووسعته بعد أن جاءت بتلك الحجج.

أمّا أحكام النابغة فلا مجال للطعن فيها، لأنهُ ناقد الشعراء المعروف، ويزيد الأمر تأكيداً ان حساناً يعدّ المنافس الأول للنابغة في بلاط الملوك، إذ نال رضا ملوك الغساسنة والمناذرة، أكثر من مرّة وكرّم بجوائزهم وعطاياهم، ومما يذكر ان الحـارث الأعـرج الغساني فضّل حساناً على كل من النابغة وعلقمة في مجلسه حيث كـانوا. فكـان ان أثنـى علـى لاميتـه ودعاهـا (البتّـارة) التـي بتـرت المدائح، نقول ألا يكفـي أن يكـونَ هـذا دافعـاً لتفضيل النابغـة الأعشى والخنساءَ علـى حسّانٍ، يقـف إلـى جانـب ذلـك وقفـات اقتنـصها النابغة من شعر حسّان.

وقد كان هذا الحكم مدعاة لآراء نقدية ووقفات بين النقاد الذين كان منهم من وقفَ رافضاً قول النابغـة، وكـان منهم مـن تعصّبَ لـه، ولكل فريق نظرتـه الفاحصة وتعليلـه للقبول أو الرفض، فكان أمامهم نصّان احداهما الشعر والآخر نقده، وكان عليهم الحكم، فهذا الصولي يقول: ((فـانظر إلـى هذا النقد الجليل الذي يدلّ عليـه نفاذ كـلام النابغـة،

---

(١١٨)جمهرة اشعار العرب ١٠٦/١.

(١١٩) مقالات في تاريخ النقد العربي: ٣٤.

وديباجة شعره، قال له – أي لحسان- أقللت أسيافك لانه قال: (أسيافنا) وأسياف جمع لأدنى العدد، والكثير سيوف، والجفان لأدنى العدد، والكثير جفان، وقال: فخرت بمن ولدت، لانه قال ولدنا بني العنقاء وابن محرّقٍ فترك الفخر بآبائه وفخر بمن ولد نساؤه))(١٢٠).

وهذا ما بينه الصولي في نسبة الحكم إلى النابغة لا إلى الخنساء. ويقف إلى جانبه المرزباني مؤيداً ذلك مع التماسه العذر لحسان في وصفهِ راداً إيّاه في فخره إذ فخر بولده وهذا مرفوض عند العرب التي تفخر بأنسابها.

ويبدو أن أسامة بن منقذ كان من أو ائل المتعصبين للنابغة وقد اتبع موقفاً لايبتعد عن موقف الصولي، ويبدو ذلك من اتهام أسامة لحسان بالإفراط في استعمال مفرداته، إذ يقول ((إنّه فرّط في قوله الجفنات لانها دون العشرة، وهو يقدر أن يقول: لدينا الجفان لأن العدد الأقل لايفتخر به وكذلك قوله وأسيافنا لانها دون العشرة، وهو يقدر ان يقول بيض لنا، وفرّط في قوله الغر، لأن السواد أمدح من البياض لكثرة الدهن والقري فيها، وفرّط في قوله يلمعن بالضحى وهو قادر أن يقول بالدجى، لان كل شيء يلمع في الضحى، وفرط في قوله يقطرن، وهو قادر أن يقول يجرين لان القطر ينزل قطرة بعد أخرى))(١٢١).

ومن النقّاد الذين تعصّبوا لحسان وقللوا من وقع نقد النابغة قدامة بن جعفر الذي قال رأيت قوماً ((يستحسنون مايرون من طعن النابغة على حسان ﷺ)) في قوله: لنا الجفنات... ((انهم يرون موضع الطعن على حسان في هذا القول))(١٢٢)... ويسردالحكاية بتفاصيلها ثم يذكر:((ان النابغة أراد من حسان الافراط والغلو بتصيير مكان كل معنى وضعه ماهو فوقه وزايد عليه، على من أنعم النظر علم ان هذا الرد على حسان من النابغة كان أو من غيره خطأ وان حسّان كان مصيباً، إذ كانت مطابقة المعنى بالحق في يده وكان الرّد عليه عادلاً عن الصواب إلى غيره))(١٢٣) ورأى ((ان حسّاناً لم يرد بقوله (الغر) أن يجعل الجفان بيضاً فإذا قصر عن تصيير جمعها بيضاً نقض ماأراده، لكنه أراد بقوله (الغر) المشهورات كما يقول (يوم أغر) ويد غرّاء وليس يراد البياض في شيء بل أراد الشهرة والنباهة))(١٢٤) أمّا قوله ((يلمعن بالضحى)) فلو قال بالدجى لكان أفضل لان كل شيء يلمع بالضحى فهذا خلاف الحق وعكس الواجب لانه لايلمع بالنهار الاّ الساطع والنور الشديد الضياء ويلمع بالليل للحالة ادنى نور فالمصابيح ينقص نورها كلّما أضحى النهار. أمّا قوله في السيوف يجرين خير من قوله يقطرن لان الجري أكثر من القطر فلم يرد حسان الكثرة وإنّما ذهب مااعتاده الناس من وصف الشجاع الباسل بقولهم: سيفه يقطر دماً ولم يسمع يجري دماً ولعلّه لو قال يجرين دماً

---

(١٢٠) الموشح: ٨٣.
(١٢١) البد يع في نقد الشعر: ١٤٦.
(١٢٢)نقد الشعر: ٩٢.
(١٢٣) نقد الشعر: ٩٣.
(١٢٤) م.ن:٩٣

يعدل عن المألوف المعروف من وصف الشجاع النجد إلى مالم تجدِ عادة العرب بوصفه))[١٢٥] والحق انني أرى مايراه قدامة بن جعفر وأزيد عليه ان الشاعر لم يرد أن يصف نفسه في المغيرين دون هدف فهم ليسوا بقطّاع طرق سمتهم القتل والبطش بل إنه من قوم يهبون لنجدة المنتخي اياهم، فإذا ماحزم الامر ترى سيوفهم تقطر دماً تقتل من اعتدى من دون وجه حق. لقد جاء قدامة بهذا النقد المنصف بعد أن فتح للغلو باباً في كتابه (نقد الشعر) قال: ((ان الغلو عندي أجود المذهبين وهو ماذهب إليه أهل الفهم بالشعروالشعراء قديماً وقد بلغني عن بعضهم انة قال : أحسن الشعر أكذبه))[١٢٦].

ويبدو أن أبا الأصبع المصري قد أيد فكرة المبالغة وتعصب لحسان بقوله ((خير الكلام مابولغ فيه ويحتجون بما جرى للنابغة مع حسّان في استدراك النابغة عليه تلك المواضع في قوله:

(لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى) فان النابغة عاب على حسّان ترك المبالغة. والقصة مشهورة والصوّاب مع حسّان، وان روي عنه انقطاعه في يد النابغة، وقوم يرون المبالغة من عيوب الكلام ولايرون محاسنه الاّ ماخرج مخرج الصدق ويزعمون ان المبالغة من ضعف المتكلم وعجزه ان يخترع معنى))[١٢٧].

وهناك فريق قلل من قيمة تلك الرواية وشكك بها، وكان ذلك في القرن الخامس الهجري، ومن أو لئك ابن رشيق القيرواني الذي كان أو ل من اعترض، وعدّ هذه الرواية مجانبة الصّواب فقال: ((قد يذكر القارئ مايروى من أمر جلوس النابغة في عكاظ في خيمته الحمراء يقضي بين شعراء كالأعشى والخنساء وحسّان الذين راحوا ينشدون احسن ماعندهم من الشعر بين يديه على مافي الرواية من وهن يبعدها عن دائرة التصديق))[١٢٨].

اننا نلمح مايؤكد التشكيك في الرواية بأكملها، ولعل التعليل الذي صاحب الرواية هو الذي قادإلى ذلك الشك. وإن كنا لا نغالي إذا ما وقفنا إلى جانب صحة الرواية، إذ إن خبرة النابغة في هذا الميدان، وغضب حسّان بسبب الحكم، قاد النابغة إلى التعليل والتفصيل في هذا التعليل، وهذا يعطينا دليلاً على ماذكرنا من ضياع نصوص ربما كانت أكثر اتقاناً ودقة من تعليل النابغة لحكمه النقدي، فالناقد لم يكن يصدر حكماً عامّاً فقط، وان كان الناقد غير مطالب دائماً في تعليل حكمه ويرى السيد قطب ((ان الناقد غير مطالب بالتعليل فحسبه أن يتذوق ويتأثر فيحكم، والذي ورد في تفضيل لايتفق عنده مع طبيعة النقد حينذاك))[١٢٩].

ويبدوأن هذا التشكيك قاد بعض العلماء إلى رفض ماورد في هذه الزاو ية، ومن هؤلاء المظفر بن الفضل العلوي الذي قال: ((قيل في رواية غير موثوق بها انه قال- أي

---

(١٢٥) نقد الشعر: ٩٤.
(١٢٦) م.ن: ٩٤.
(١٢٧) تحرير التحبير:١/ ١٤٨.
(١٢٨) العمدة ٧٦/١ .
(١٢٩) ينظر: النقد الأدبي أصوله ومناهجه ١١٣.

النابغة لحسان- وقلت: لنا الجفنات الغر، والغرّة لمعة بياض الجفنة ولو قلت الجفنات البيض لكان أحسن لكثرة الدّسَم عليها ويقول: ولو قلت يلمعن بالدجى لكان أبلغ، ولو قلت: وأسيافنا يجرين لكان أبلغ من (يقطرن) لان الجري أعظم من القطر. وأقول إن هذه الزيادة عليها اعتراض والصحيح ماقاله النابغة(١٣٠) أمّا فيما يتعلق بقول النابغة ((فخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك))(١٣١) فانه في نظر العلوي (النقد الجليل الذي يدل عليه نقاء كلام النابغة)(١٣٢).

ويبدو أن شكّه نابع من قدرة العربي على الوصول إلى العقلية النقدية آنذاك بحيث تستطيع أن تصدر حكماً وتعلل هذا الحكم. ويبدو اننا مازلنا نعاني هذه المشكلة وهي الوثوق بالعقلية العربية، إذ لم نجد كتاباً نقدياً واحداً تناول النقد العربي القديم الا وأشار إلى آراء متباينة في صحتها وهذا ماجعل الأمر سجالاً بين النقاد. وأو ل من رفع اللواء فيه المرحوم طه أحمد إبراهيم الذي أنكر ان يكون لانسان ماقبل الإسلام(١٣٣) تلك العقلية الفكرية لأن شعر ماقبل الإسلام إحساسٌ محض والنقد كذلك فكلاهما قائم على الانفعال والتأثر فما كان النقد أكثر من مآخذ يفطن إليه الشعراء في الشعر وماكان له من اصل الاسليقتهم ورأى: ((ان هذه الرواية تأباها طبيعة الاشياء لان الجاهليين لم يكونوا يعرفون جمع التصحيح وجمع التكسير وجموع القلّة وجموع الكثرة كما فرق بينها ذهن الخليل وسيبويه، ومثل هذا النقد لايصدر الا عن رجل عرف مصطلحات العلوم وعرف الفروق البعيدة بين دلالة الالفاظ والمّ بشيء من المنطق))(١٣٤) ولم يقف عند هذا فحسب بل ذهب إلى أبعد من ذلك ويقول: ((ان روح النقد هذه لو وجدت في الجاهلية لظهر اثرها في عصر البعثة النبوية حين تحدّى القرآن العرب بأن يتصدوا لنقده بالروح نفسها على حين لم نعثر على مثل هذا الاسلوب في العصر الإسلامي لا بين الأدباء ولا بين النحويين واللغويين))(١٣٥).

ويرى الأستاذ طه إبراهيم ان ((من الجائز أن يغضب حسان من ذلك الحكم، وان يظن ان النابغة جامل الخنساء، وآثر شعراء البادية على شعراء المدن أو شاعرة من مضر على شاعر من اليمن، أو وضع من شاعر كان يسابقه إلى المناذرة وآل غسّان، من الجائز ان يكون شيء من ذلك))(١٣٦).

ويبدو أن رفضه هذه الرواية لا لانها لاتتلائم وروح العصر فحسب بل لانه يرى ان ((رجلاً من الأنصار افتخر على الفرزدق بهذه الأبيات وغيرها من قصيدة حسّان

---

(١٣٠) نضرة الأغريض في نصرة القريض ٢٢٩.

(١٣١) م.ن: ٢٢٩.

(١٣٢) م.ن: ٢٢٩.

(١٣٣) لايعني ان طه إبراهيم في شكه في صحة هذه الرواية قد اعتمد أو اتبع آراء المستشرقين واراء الدكتور طه حسين والذي تأثر باستاذه مرجليوت الذي انكر شعر ماقبل الإسلام جملة وتفصيلاً وسنفصل الحديث عن ذلك عند تناولنا قضية الإنتحال.

(١٣٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى نهاية القرن الرابع الهجري: ٢٤.

(١٣٥)تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى نهاية القرن الرابع الهجري: ٢٤.

(١٣٦) م.ن ٢٤.

وتحدّى بها شاعر مضر كما وصف الفرزدق، ووردت هذه القصّة في الجزء الثاني من نقائض جرير والفرزدق وليس فيها اشارة إلى شيء من ذكر النابغة أو النقد الذي قيل في عكاظ))[١٣٧] ويرى في الوقت نفسه، ان نحاة القرن الرابع لم يطمئنوا إلى ذلك ومنهم ابن جنّي الذي رأى ان ((هذه الزيادات لاتثبت للروح العلمية ولا التاريخ وبعيد كل البعد أن توجد ملكة الفكر في النقد الجاهلي وان توجد على هذا النحو الدقيق الذي يحلل ويوازن ويفرِّق بين الصيغ تفريقاً علميّاً))[١٣٨].

لقد بالغ الأستاذ طه ابراهيم –فيما يبدو- في الذي أجده طعناً قد جانب الصوّاب، فبغض النظر عن كون هذه الرواية صحيحة أو غير صحيحة إلاّ أنه من غير المعقول أن يكون هذا العربي الذي نزل عليه القرآن الكريم والمعجز البليغ وتُحدي به.. لايفرق بين جموع التكسير كثيرها من قليلها، لقد فنّد الدكتور طه الحاجري حجج الأستاذ طه إبراهيم ذاكراً ((ان العرب كانوا يفرقون بطبيعة حسّهم اللغوي بين صيغة الجمع الدّالة على القلّة والصيغة الدّالة على الكثرة وليس هذا مايحتمل الانكار بل هو الأمر الطبيعي وهو الأمر الذي بنى عليه علماء النحو كلامهم عن جمع القلّة والكثرة فمن أين لهم هذه التفرقة بين صيغ الجمع من هذه الناحية إلاّ أن يكونوا صدروا بها عن الاستعمال العربي الذي يفرّق بين الصيغة وتلك دون ان يكون صادرا عن ذهن كذهن الخليل وسيبويه))[١٣٩].

أما فيما يخص بلاغة العرب في ذلك العصر فلا شك في أنها قد بلغت قمّة من النضج بدليل الإعجاز القرآني، وقد شاء الله ان تكون معجزة كل نبي من جنس مايبرع فيه قومه لكي تؤثر في نفوسهم، وتستولي على عقولهم، فيسرعوا بالتصديق ويبادروا إلى الايمان وهو مايسعى إليه كل نبي مرسل..((فكانت معجزة موسى من جنس السحر الذي برع فيه قومه فحمل إليهم عصاه التي انقلبت حية تسعى وضرب بها البحرفانفلق عن طريق يبسا،وأعاد الضربة إلى الحجرفانفجرمنه الماء. وكانت معجزة عيسى في الطب الذي برع فيه قومه فأحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص، وحين بُعث محمد ﷺ في أمّة عرفت بالفصاحة وتقديس الكلمة وكان أبناؤها يتنافسون على الفصاحة والبلاغة والذلاقة يتبجحون بذلك ويتفاخرون بينهم، كانت معجزته عليه الصلاة والسلام من حيث مابرعوا فيه من بيان وفصاحة فتحدّاهم بالقرآن وهو الغاية في الفصاحة والبلاغة، وقد نبه على هذا من تحدث من العلماء عن الاعجاز))[١٤٠] ولكن لايعني ان تصل بلاغة العرب إلى ان توازن بكلام سماوي لينتقدوه كما يرى المرحوم طه إبراهيم. والاّ فأين الاعجاز في ذلك وقد تحدّاهم في آيات ان يأتوا بمثله[١٤١] حتى بان عجزهم في التحدي

---

(١٣٧)تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى نهاية القرن الرابع الهجري ٢٥، للاستزادة ينظر : النقائض ٥٤٦-٥٤٧.

(١٣٨)للاستزادة ينظر : النقائض: ٢٥.

(١٣٩) في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية : ٤٣.

(١٤٠) الإسلام والشعر، (العاني)٢٨ .

(١٤١) ارجع إلى قراءة الآيات: الطور/٣٤، هود/٢٣، البقرة/٢٣، الاسراء/٨٨.

وعرف كل فصيح منهم ان لا قدرة بشر على مثله واثبت الله عجز الخلق جميعاً عن الاتيان بمثله))[١٤٢].
لقد سببت هذه الآراء تضارباً في آراء النقاد وأشعلت معركة نقدية، فكان من وقف إلى جانب الأستاذ طه إبراهيم وكان من رفض ذلك، ومن النقّاد الذين أيّدوا طه إبراهيم الدكتور حسن الدرويش، إذ رفض النقد التفصيلي ورفض قصة النابغة مع حسّان والخنساء فبرأيه ان نقد عصر ماقبل الإسلام فطري لايربط بين الشاعر وبين بيئته وزمانه[١٤٣]، فيما نجد نقّاداً آخرين رفضوا التعليل ولم ينكروا الروايّة ومن هؤلاء سيد قطب[١٤٤] والسباعي بيومي[١٤٥] والدكتور عبد العزيز عبد المعطي الذي أدهشته الفصاحة والبلاغة التي شُهر بها عصر ماقبل الإسلام. [١٤٦] إلاّ أن أهل هذا العصر كانوا يكتفون بإحساسهم بروعة النظم وتأثيره فلم يحتاجوا إلى إبراز خصائصه أو شرح الأسباب الموضوعية التي من خلالها يتفوق شاعر على آخر فهؤلاء جميعاً اتفقوا على عدم قدرة الناقد في عصر ماقبل الإسلام على التعليل ويرون أن الناقد لم يستطع ان يتجاوز مرحلة الذوق والتأثر الانطباعي وقد جاء في كتاب الأغاني أنه قد روي عن حسّان انه قال:((جئت نابغة بن ذبيان وقد قامت الخنساء من عنده فانشدته، فقال إنك لشاعر وإن أخت بن سليم الخنساء لبكّاءة))[١٤٧].
وقد أهملت الدراسات النقدية الحديثة هذا الخبر مع أهميته، فالخنساء لايشق لها غبار في هذا النوع من الشعر بينما طرق حسّان الأغراض كلها وكانت شهرته معروفة. ويبدو أن هذا الحكم جاء متأخراً عن حكم آخر فضلها على حسان وجعلها أشعر الجن والأنس ولأن مستواها تدنى في القصيدة التي انشدتها مؤخراً.
والحق أننا نأسف لاتهام نقادنا المحدثين للناقد العربيّ على انه لا يميّز قليل الجمع من كثيره، ولايستطيع أن يحلل أي نص وهو صاحب البلاغة والفصاحة، ومن استقرائنا النصوص لشعراء عصر ماقبل الإسلام، ندرك خبرة نقاد ذلك العصر وقدرتهم على إدراك القيم الجمالية، ولمّا كان النص نتاج عصره ومجتمعه، فإن أدوات التحليل والنقد ستكون نابعة من ذلك العصر وأدواته، وبما أن النص الأدبي قد بلغ الفصاحة، ومنتهى البلاغة في ذلك العصر فلابد لمتذوقه أن يجد فيه مكامن القوة ومواضع الضعف.
ولذلك كان على نقادناالمحدثين أن ينظروا بموضوعية إلى أهمية الأحكام النقدية في ذلك العصر. وإذا كان الذي صدر عنه الحكم النقدي شاعراً ذوّاقة عارفاً بالشعر وفنونه له خبرة انضجت ملكته النقدية فلا عجب ان يصدر حكمه النقدي تعليلاً وتفسيراً وتفصيلا. فالنابغة كان يعيش حقبة زاهرة في حياة الشعر العربي في عصر ماقبل

---

(١٤٢)اعجاز القرآن: ٢٣.
(١٤٣) ينظر: في النقد العربي القديم اعلامه واتجاهاته ٣٨.
(١٤٤) ينظر: النقد الأدبي أصوله ومناهجه ١١٣.
(١٤٥) ينظر: تأريخ القصة والنقد في النقد العربي ١٠٧ ومابعدها.
(١٤٦) ينظر: من بلاغة النقد العربي ٨.
(١٤٧) الأغاني ١٧٢/٤.

الإسلام، إذ استقرّت تقاليد الشعر الفنيّة أو كادت، مما مكن الشعراء من تحقيق المثل الفني الأعلى في الشعر[١٤٨].

وكان رأي الدكتور بدوي طبانه من الآراء المهمّة التي سجلت على من اعترض على أحكام النابغة النقدية بصورة دقيقة وبإسهاب متخذاً لتلك الحجج أقوى التعاليل فيفندها بقوله: ((أما ذهاب النابغة إلى تخطئة حسّان في فخرهِ بالأبناء دون الآباء فلأنه أعرف بصفات المدح التي لاتغفل فيها العرب مآثر الآباء والأجداد، ومانظن منصفاً يرى أن تخطئة النابغة حسان في هذا يستلزم الإلمام بشيء من المنطق لان معنى هذا انّ الناس قد حرموا العقل والتفكير حتى طلع على الانسانية ارسطوطاليس وذلك ظلم للعقل الإنساني والتفكير الفطري الذي ميّز به الإنسان من سائر أنواع الحيوان، ولم يقل بهذا القول الظالم أحد حتى صاحب المنطق نفسه الذي أخذ منطقه من الفكر الإنساني))[١٤٩].

ويبدو أن الدكتور طبانة يؤيد النظرة الفطرية القائمة على الذوق ولكنه مع هذا يرى فيه النظرة الموضوعية ،وتبدو النظرة الفنيّة الموضوعية أكثر وضوحاً في حكم النابعة على حسّان وأهم صفات هذه النظرة هي الذاتية النابغة من إحساس الناقد تجاه النص وقد تنوّعت صور موضعيتها من ناقدٍ إلى آخر فهي إما لغوية وإما عروضيّة او دلالية وهي سمة نقد النابغة، ولكن هذه الموضوعية هي جزئية ليس فيها من الإحاطة والشمول أو محاولة التنقيب في زوايا الأثر الأدبي ، ولم تتضمن دراسة مستوعبة لقصيدة كاملة أو دراسة للشاعر من خلال تلك القصيدة وإبراز المحاسن والمسأوئ في كل جزء من أجزائها.

ويسير أحمد أمين بخطى جديدة فالنقد عنده أنواع منها نقد الألفاظ أو المعاني الجزئية، ومنها نقد مفاضلة بين الشعراء ومنهاالحكم على القصائد بأنها بالغة منزلة عليا في الجودة موازنة بغيرها، وهو لذلك لم يبن على قواعد فنية ولا على ذوق منظمٍ ناضج وإنّما هو لمحة الخاطر والبديهة الحاضرة لإن شعر الشاعر كان إحساساً أكثر منه عقلاً، كذلك الناقد فكلاهما ينفعل بالحوادث ليعبر بعدها بطريقته سواء أكان شعراً أم نقداً، وكلاهما ساذج هذا في أدبه وهذا في نقده[١٥٠].

وكان تفنيد الدكتورة المرحومة هند حسين طه لحجج طه إبراهيم أقرب إلى الواقع، إذ رأت أن لاصحة لعدم معرفة العرب بالجموع وغيرها لأن الإنسان مجبول بطبيعته على التفريق بين الجمع وغيره ((فكيف به إذا كان شاعراً متمكناً كالنابغة الذبياني أو كالخنساء الشاعرة، ثم أن الأدب ونقده ذوق وفن قبل إن يكون معرفة

---

(١٤٨) قضايا في الأدب والنقد: ١٦١. ومن النقاد الذين أيّدوا الدكتور الحاجري، الدكتور حكمة الالوسي والدكتور عبد العزيز عتيق والدكتور بدوي طبانه والدكتورة هند حسين طه وغيرهم. ينظر: مفاهيم في الأدب والنقد ٣٨، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب ٢٩-٣٠ ودراسات في نقد الأدب العربي ٥٩-٦٠.

(١٤٩) دراسات في نقد الأدب العربي، لغاية القرن الثالث الهجري ٩٦.

(١٥٠) ينظر: النقد الأدبي ٢/٤١٦-٤١٧.

وعلماً، فإذا توفّرت المعرفة، عند صاحب الحس المرهف والذوق السليم، فهي تعينه على الفهم والدقة))[١٥١].

والحق أنني أذهب إلى ماذهبت إليه الدكتورة هند ومن سبقها في أننا نغمط العربي حقه إذا ماتهمناه بقصر النظره وعدم القدرة علىالتمييز، كيف ذلك وهو الذي علق في أذهان العرب إلى ماشاء الله تلك المعلقات المذهبات، فهل يعقل أن يكون من أتى بتلك المعاني الدقيقة، قد فقد القدرة على تحسس جمالي وذوقي بقصيدة أو ببيت شعري؟.

ونحن نستغرب ذلك الانكار لمن انكروا، وعندي أن من ينكر قدرة العربي على النقد والتحليل كأنه أنكر عليه شعره وقصائده الرائعة وكأنه انكر وجوده إلاّ أن الدراسات المنصفة أثبتت براءة الشعر والنقد من تلك التهم.

والحقّ أننا إذا ماانعمنا النظر في مكانة النابغة النقدية لما وجدنا غباراً يثير الشك في قدرته على اطلاق الأحكام بسبب ماكتسبه من صلته وتقربه من ملوك الحيرة والغساسنة ومكانته في قبيلته، فضلاً عن مكانته الفنية بين اقرانه الشعراء فهذه العوامل جعلت له وزناً يمارس من خلاله دور الناقد الأدبي في الأسواق والمجالس

والمجالس الأدبية فمما يروى أنه كان يجالس النعمان ملك الحيرة، وكان الشعراء ينشدونه قصائد المدح، فإذا بالنابغة يطلق أحكامه النقدية على شعرهم، فهذه الصفات تجعله بلا شك قادراً على التمييز بين جمع القلة وجمع الكثرة ودلالة كل منهما في شعر حسان ويبدو أن النابغة قد وفّقَ في نقدِهِ فخر حسان بأبنائهِ من دون أبائه أما فيما عداه وإن لم يوفق فيما يبدو إلاّ أن لهذه الأحكام جذورها المهمّة في ترسيخ دعائم النقد في تلك الحقبة من الزمن. لقد كان للشعراء منزلة كبيرة حازتها لهم أشعارهم، ولذا عمل الجميع على أن يرضوهم ويسمعوا لهم، ويجزلوا العطايا لهم أملاً في ذكرهم وإذاعة صيتهم بين العرب، فقد أورد صاحب الأغاني خبراً عن الأعشى عندما قدم مكة، إذ لقي ترحاباً وحفاوة، وقد بادر إليه المحلّق الكلابي-وكان مئناثاً محلقاً- فاستضافه وأكرمه- آملاً أن يصيبهُ مدحه بخير- ونحر له ناقته، وبالغ في إكرامه وإكرام رفاقه وقامت بناته بخدمته وجماعته، فسأله عنهنَّ الأعشى فقال :بنات أخيك وهن ثمان،فقدم الأعشى على عكاظ فأنشد قصيدته ومطلعها:

أرقْتُ ومَا هذا السُّهادُ المُؤرِّقُ وَمَا بي مِنْ سُقمٍ ومابي مَعْشَقُ

إلى ان قال:

لَعمْري لَقَدْ لاَحَتْ عيُونٌ كَثِيرةٌ إلى ضُوءِ نَارٍ في يَفَاعٍ تُحَرِّقُ
تُشَبٌ لَمِقْرُورِيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وَبَاتَ عَلَى النّارِ النّدى وَالمُحلَّقُ

(١٥١) النظرية النقدية عند العرب: ٣٢.

فمـا أن أتـمّ القصيدة جاءالنـاس يتوافدون علـى المحلق يهنئونـه، والاشراف مـن القبائل يتسابقون يخطبون بناتـه لمكانـة الأعشى وشعره، فلم تمس واحدة منهنّ الاّ في عصمة رجل خير من أبيها ضعف)[١٥٢] فللمديح عند العرب تـأثير كبير فـي النفوس فقد يرفع رجلاً وضيعاً ويجعله في مصاف علية القوم، كما فعل الأعشى فـي مدحـه للمحلق الذي كان فقيراً مغموراً ومئناثاً. فمدح الأعشى -كما يبدو- دفع وجهاء القوم يتسابقون إليه يخطبون بناته بهذه السرعة المذهلة. ولمكانة المدح قال الجاحظ ((ومـاأعلم فـي الارض نعمة بعد ولاية الله أعظم من أن يكون الرجل ممدوحاً))[١٥٣] فهذه الروايـة سواءٌ صحّت أم لم تصح فهي تبين أثر الشاعر في متلقيه.

وقد ذكرنا ان للممدوح رأياً في الشعر فكان يستحسن موضعاً ويرفض آخر من ذلك ماعابه قيس بن معدي كرب على الأعشى عندما مدحه منشداً:

وَنُبِّئـــــت قيـــــساً ولــــم آتـــــهِ   وَقَـــدْ زَعمُـــوا سَـــادَ أهـــل الـــيمن

فأنكر عليه قيس ماجاء في شطره الثاني (وقد زعموا) فجعل بدلاً منها ((على نأيهِ)) فكان البيت:

نُبِّئـــــت قيـــــساً ولــــم آتـــــهِ   علـــى نأيـــهِ ســـاد أهـــل الـــيمن[١٥٤]

ولم يكن الأمر في النقد أو الرأي النقدي مقتصراً على النـابهين صـغيراً وكبيـراً، ولاعجب فالعرب أمّة الشعر منها الشعر وإليها يعود.

---

(١٥٢) الأغاني ٧٧/٨. والأبيات في الديوان ٢٦٧ـ٢٧٥

(١٥٣) الحيوان ٣٨٣/٤.

(١٥٤) ينظر: الموشح ٧٣، والبيت في ديوان الأعشى ٢٥ . وَفيه(كما زعموا خير . .)

النقد في قصور الحيرة والغساسنة :

كانت قصور الملوك والأمراء في عصر ماقبل الإسلام بيئة أخرى من بيئات نقد الشعر وتقويمه، وهي بيئة كان يشترك أصحابها من الممدوحين في الحكم على هذه القصيدة أو تلك. ولاريب في أن يحتل (المدح) الصدارة في موضوعات الشعر في بلاط الامارتين العربيتين (المناذرة والغساسنة) وذلك لتشجيع ملوكها الشعر والشعراء وازدهار الحياة الأدبية في تلك الحقبة من الزمن فقد تمتعت الامارتان بانفتاح تام ولازدياد ثرائهما وسلطانهما اتجه الشعراء إلى هذين المنبعين في رحلات مستمرّة ومنتظمة للارتواء منهما ومن الشعراء من استقر فيهما استقراراً دائماً لملوكها ومغرّداً في رياضها منهم النابغة وعدي بن زيد وأبو دؤاد الأيادي والأعشى. وكان البلاط في هاتين الأمارتين يَعِجُّ بشعراء متفننين احتلوا منزلة رفيعةً في قلوبِ الملوكِ، ومن حسنات هاتين البيئتين انهما جمعتا شعراء من نواحي الجزيرة كلها.

وقد أورد أبو الفرج الاصفهاني خبرين: لهما مكانتهما في النقد العربي ينسب الأو ل إلى جبلة بن الأيهم الغساني وينسب الآخر إلى عمرو بن الحارث وكلاهما من ممدوحي حسان بن ثابت الأنصاري وقد ذُكِرَ أن حسّاناً قال: ((أتيت جبلة بن الأيهم الغساني وقد مدحته فإذن لي، فجلست بين يديه.. وعن ميمنته رجلٌ له ضفيرتان وعن يساره رجل لا أعرفه، فقال اتعرف هذين؟ فقلت: أمّا هذا فاعرفه وهو النابغة، واما هذا فلا أعرفه، قال: فهو علقمة بن عبدة، فان شئت استنشدتهما وسمعت منهما، ثم إن شئت ان تنشد بعدهما، انشدتَ، وان شئت سكت، قلت: فذاك، قال فانشده النابغة

كليني لهمٍّ ياأميمة ناصبِ   وليلٍ أقاسيهِ بطيءِ الكواكبِ

قال فذهب نصفي! ثم قال لعلقمة: أنشد فأنشد:

طحا بك قلبٌ في الحسان طروبٌ   بعيد شباب عصر حان مشيبُ

فذهب نصفي الآخر، فقال لي: أنت أعلم الآن، ان شئت أنشدتَ وان شئت ان تسكت سكَتَ. فتشددت ثم قلت: لا بل، أنشد. قال: هات.

فأنشدته:

لله دَرُّ عِصابَةٍ نادمتهمْ	يُومٌ بجلّقَ في الزمان الأو لِ
أو لادُ جَفْنَةَ عند قبر أبيهمُ	قَبْرِ ابنِ ماريَةَ الكريمِ المُفضّلِ
يَسْقونَ من وَرَدَ البريضَ عليهمُ	بَرَدَي يُصَفَّقُ بالرحيقِ السّلسلِ
يُغشَونَ حتى ماتهّرُ كلابُهم	لايَسْألونَ عن السّوادِ المُقبلِ
بيضُ الوُجُوهِ كريمة أحسابُهُمْ	شُمُّ الأنوفِ من الطّرازِ الأو لِ

فقال لي: أدنه لعمري مأأنت بدونهما، ثم أمر لي بثلاثمائة دينار وعشرة أقمصة لها جيب واحد، هذا لك عندنا في كل عام))[١٥٥].

ونلمح من الرواية ان هذه تعدّ بداية شعرية لحسّان لما شُعِرَ من أعماقهِ بفحولة هذين الشاعرين وقدرتهما، فضلاً عن ذلك انه لمّا أراد الورود على عمرو بن الحارث أشارت عليه بعض نساء الأمراء: عليك بمدارسة الشعر[١٥٦] وهذا يعني نصحاً بضرورة امتلاك ناصية الشعر من خلال الخبرة التي تعد درعاً واقية وسيفاً يشهر على اعداد المجروح.

إن هذا الأمر يقودنا إلى الخبر الآخر الذي نسبه الأصفهاني لحسان أنه قال: قدمت على عمرو بن الحارث فاعتاص علي الوصول إليه فقلت للحاجب بعد مرّة، إن أذنت لي عليه، والاّ هجوت اليمن كلها، ثم انقلبت عنكم، فإذن ليَ، فدخلت عليه فوجدت عنده النابغة و(عبدة) فقال لي يابن الفريعة قد عرفت عيصك[١٥٧] ونسبك في غسَّان فارجع فاني باعث إليك بصلة سنيّة ولا احتاج إلى الشعر، فاني أخاف عليك من هذين السبعين: النابغة وعلقمة أن يفضحاك، وفضيحتُك فضيحتي، وأنت والله لاتحسن ان تقول:

رقـــاقُ النّعَـــالِ طيّــبٌ حُجُـــراتهمْ ... يُحيَّون بالرّيحانِ يومَ السباسبِ[١٥٨]

فأبيت وقلت لابد منه، فقال ذلك إلى عميّك فقلت لهما: بحق الملك الاّ قدمتماني عليكما، فقالا: قد فعلنا. فقال عمرو بن الحارث هات ياابن الفريعة، فأنشدتُ:

أســألتَ رَسْــمَ الــدّار أم لَــمْ تــسألِ ... بــينَ الجــوابي فالبُــضَيع فحَوْمَــلِ

فقال: فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل[١٥٩] عن موضعه سروراً حتى شاطر البيت، وهو يقول: هذا وأبيك الشعر لا مايعللاني به منذ اليوم هذه والله البتّارة التي قد بترت المدائح، احسنت ياابن الفريعة هات ياغلام ألف دينار مرجوحة[١٦٠]، ثم أقبل على النابغة فقال: قم يازياد فهات الثناء المسجوع فقام النابغة فقال:

إلا أنعم صباحاً ايها الملك المبارك السماء غطاؤك والأرض وطاؤك ووالدتي فداؤك والعرب وِقاؤك والعجم حماؤك والحكماء جلساؤك والمَداره سُمّارك، والمقاول إخوانك، والعقل شِعارك والحلم دثارك والسكينة مهادُك والوقار غشاؤك والبر وسادك والصدق رداؤك واليُمن حِذاؤك والسخاء ظهارتك.. وأكرم الاحياء أحياؤك وأشرف الأجداد أجدادك وخير الآباء اباؤك.. وأفخرك الشبان أبناؤك وأطهر الأمهات أمّهاتك.. فانك من

---

(١٥٥) الأغاني ١٥/١٥٣-١٥٤ والأبيات في ديوان النابغة: ٥٤ وديوان علقمة: ٣٣ وديوان حسان: ١٢٢-١٢٣

(١٥٦) ينظر: تاريخ دمشق ١٢٦/٤.

(١٥٧) العيص الأصل.

(١٥٨) وطيّب حجراتهم اراد مديحهم بالعفّة، يوم السباسب عيد النصارى.

(١٥٩) يزحل: يتخلى عن مكانه.

(١٦٠) الاغاني١٥/١٥٥-١٥٦ والبيتان في ديوان النابغة٦٣وديوان حسان١٢١.

أشراف قحطان وأنا من سراة عدنان. فرفع عمر رأسهُ إلى جارية كانت قائمة وقال: بمثل هذا فليُثْنَ على الملوك ومثل ابن الفريعة فليمدحهم! واطلق له أسرى قومه))[(١٦١)].

ولو عدنا إلى الخبر الأول الذي يحكي تفوق حسان على صاحبيه النابغة وعلقمة في بلاط المناذرة والغساسنة سنجد أن سؤالاً يلحُّ علينا وهو الحكم النقدي الذي اطلقه حسان بنفسه وهو يقول عن الأول ذهب نصفي وعن الآخر مثل ماذكر عن صاحبه، إذ إن ذلك يعدُّ نقداً وحكماً على القصيدتين بالجودة والبراعة والإبداع نجد انهما قد بلغتا نضجاً فنيّاً راقياً يستشعر الشاعر سببيهما خشية من عدم بلوغه مابلغه الشاعران في قصيدتيهما، فضلاً عن ذلك نجد حَكَماً نقديّاً آخر وهو جبلة بن الأيهم الذي استحسن شعر حسان وفضّله واجزل له العطاء بسبب ذلك. ومثل هذا في الخبر الآخر، إذ يكرم عمرو بن الحارث حساناً والنابغة. وعندنا ان تفضيل حسّان لم يكن لصلة النسب التي جمعته بالملوك. بل كانت العرب ذوّاقة جريئة تقول صوتها أكان مع الشاعر أم مع غيره من الشعراء ان تفضيل قصيدة قد يرجع إلى أسباب موضوعية أكثر منها ذاتية.

فالقصيدة التي أعجبت حساناً وهي قصيدة النابغة مشهود لها بقيمتهاالفنيّة والقيم الجمالية ولو كانت الأحكام ذاتية. لقلل حسّان من أهميتها وجماليتها إلاّ أن بناءَها الفني منع عليه ذلك. أمّا قصيدة علقمة التي انشدها فقد نالت استحسان قريش ونعتت بـ (سمط الدهر) ولولا جودة شعره وقوة بنائه وتمكّنه من أدواتها لما ألحق بالسمط سمطاً آخر. ولما أقرّت له أم جندب بجودة الوصف. وهذه القصيدة (طحا بك قلب في الحسان طروب). وقصيدة النابغة دفعت حسّاناً إلى ان يقف موقفاً مخيّراً أما الانسحاب أو إنشاد ماهو أفضل، وهو العالم بدراية (جبلة وعمرو) بالشعر. إلاّ أنه أنشد ماأعجب الأثنين وزادهما طرباً ونشوة اختيرت قصيدته نموذجا لمدائح الشعراء. وعندي أن قصيدة حسّان بلغت نضجاً فنيّاً وذوقاً شعريّاً رفيعاً لاريب في أن تكون المفضّلة، على أن ذلك لايعني عدم بلوغ الآخرين الحظوة التي بلغها حسان. فالنابغة معروف بشعره وجوائزه التي يكرم بها
على ذلك الشعر وعلقمة قالت العرب في قصيدتين من شعره هاتان سمطا الدهر. وفي الوقت نفسه فإن علقمة قصد الحارث الغساني لا للتكسب بالمال بل آملاً منه أن يطلق أخاه شأس بن عبدة وتسعين رجلاً من تميم كان قد أسرهم الحارث (في يوم باغ) فبعد سماع القصيدة اطلق الحارث شأساً وإسرى بني تميم[(١٦٢)] وتعد هذه جائزة مهمة حققها الشاعر علقمة.

وفي رأيي ان تقدير عمرو بن الحارث ونباهته قد حفظت للنابغة مكانته، فطلب منه النثر وقد أجاد الطالب وأجاد المجيب.

---

(١٦١) الاغاني ١٥٦/١.

(١٦٢) ينظر: العمدة ٥٧/١.

ألقاب ومصطلحات نقدية

ـ ألقاب الشعراء:

من الظواهر التي نستنبط منها وجود نقد في عصر ماقبل الإسلام ظاهرة ألقاب الشعراء وقد عرف كثير من الشعراء ما قبل الإسلام بألقاب ارتأوها لأنفسهم ولصقت بهم، وقد فطن القدامى من المؤرخين إلى هذه الظاهرة فأولها عنايتهم واستقصوها[١٦٣] فألقاب في هذا الحال لم تطلق اعتباطا طالما هي ارتبطت بأقوال الشعراء، فاطلاقها له أبعاد فنيه وفي هذه الابعاد ملمح نقدي مهم لأن العرب كانت تلقب الشاعربمايجيده، فهذا المهلهل بن ربيعة سميّ ((مهلهلاً لأنهُ هلهل الشعر أي رّققه))[١٦٤]. وقد غنّت العرب شعره، ((وقيل انّه أول من قصّد القصائد وقال الغزل[١٦٥]))وفيه قال الفرزدق(ومهلهل الشعراء ذاك الأول)[١٦٦]. وهذا طفيل الغنوي ((من أوصف الناس للخيل وكان يقال له في الجاهلية المحبّر لحسن شعره))[١٦٧].

وهذا المرقّش الذي غلب لقبه على اسمه لتحسينه شعره وتنميقه[١٦٨]، وهذا النمر بن تولب سميّ ((بالكيس لحسن شعره))[١٦٩] وسميّ كعب الغنوي كعب الأمثال لكثرة مافي شعره منها[١٧٠].وهذا النابغة الذبياني الذي غلب لقبه اسمه لنبوغه في شعره ((إذ نبغ بالشعر بعدما احتنك))[١٧١] وكان علقمة يلقب بالفحل لجودة اشعاره[١٧٢].

إن هذه الألقاب في الحقيقة ماهي الإ أحكام نقدية. فالعرب أدلت دلوها فاعجبها الشاعر من ناحية فلقبته. ووصل الأمر إلى ان لُقبَ الشعراء بألقاب نسبت إلى بيت أو قصيدة من أشعارهم أو حادثة من حوادث الحياة المليئة بالصراعات. فهذا محصن بن ثعلبة سميّ المثقب العبدي وذلك لقوله:

([١٦٣]) من هذه المصنفات كتاب محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ) القاب الشعراء الذي سماه ياقوت الحموي كتاب من قال بيت من الشعر فنسب إليه، ينظر: معجم الادباء ٢٨٩/١٩.، ينظر: م.ن ١٣٧/١٤. وكتاب ألقاب الشعراء ومن منهم يعرف بأمه لأبي جعفر بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ)، نشر ضمن مجموعة نوادر المخطوطات ٢٩٧/٢ ـ ٣٣٨. وكتاب من قال شعراً فسمي به للمدائني (ت ٢٧٥ هـ) وكتاب من قال بيت فلقب به لأبي سعيد بن الحسن السكري (ت ٢٧٥هـ) وخص الثعالبي فصلا من كتابه (الطائف المعارف) بالقاب الشعراء الذين لقبوا بأشعارهم، ينظر: الاغاني ١١٣/١٧. وكتاب المذاكرة في اللقاب الشعراء لمجد الدين الشيباني الكاتب (ت ٦٥٧هـ). وإذا تأملنا مصادر النقد العربي ونقده لوجدناها طافحة بهذه الألقاب، وقد استكمل هذا الجانب الدكتور سامي مكي العاني في كتابه معجم القاب الشعراء.

(١٦٤) الشعر والشعراء ٢٩٧/١.

(١٦٥) المفضّليات ٤٨٥/٤.

(١٦٦) الشعر والشعراء ٢٩٧/١. .

(١٦٧) م.ن ٤٥٣/١.

(١٦٨) م.ن ٢٩٧/١.

(١٦٩) م.ن ٣٠٩/١.

(١٧٠) معجم الشعراء ٣٤١.

(١٧١) الشعر والشعراء ١٥٧/١.

(١٧٢) ينظر : العمدة ٥٧/١.

رددن تحيّـــــة وكـــــنن أخـــــرى وثقّـــبن الوصـــاوص للعيـــون[١٧٣]

حتى إن أبا عمرو بن العلاء استجاد هذه القصيدة فقال:

((لو كان الشعر مثلها لوجب على الناس أن يتعلموه))[١٧٤].

وهذا شأس بن نهار سميّ بالممزق العبدي لقوله:

فـــان كنـــت مـــأكولاً فكـــن خيـــر آكـــل وإلاّ فـــــادركني ولمّـــــا أمـــــزّق[١٧٥]

وكان يلقب الأعشى ((صناجّة العرب لانّه أو ل من ذكر الصنج في شعره فقال:

ومـــستجيبٍ لـــصوت الـــصّنّج تـــسمعهُ إذا ترَجِّـــع فيـــه القينـــةُ الفـــضلُ))[١٧٦]

وقد أخذ بهذا الرأي صاحب العمدة وأضاف إليه إنما سمي الأعشى ((صناجة لقوة طبعه وحلية شعره)) [١٧٧]**وفي هذا دليل على أن شعر ما قبل الإسلام ارتبط بالغناء . لأن الغناء كان جزءاً لا ينفصم من تعلم الشعر لدى العرب ، ((ولعلهم من أجل ذلك عبرّوا عن إلقائهِ بالإنشاد ومنه الحُداءُ الذي كانوا يحدون به في أسفارهم وراء إبلهم ، وكان غناءً شعبيّاً عاماً))** [١٧٨]

وقد كانت العرب تسميه صناجة العرب لأنه كان يغنى في شعره. ويبدو من هذا أن بعض شعراء ما قبل الإسلام كانواينشدون قصائدهم بالغناء لانهم يرون في الغناء وسيلة لاصلاح الشعر وتنبيه الشاعر على مافي شعره من عيب لكي يصلحه ويتجاوز ذلك الخلل العروضي. ويؤكد هذا قول حسّان بن ثابت:

تغنّـــى فـــي كـــل شـــعرٍ أنـــت قائِلـــهُ ان الغنـــاء لهـــذا الـــشعر مـــضمار[١٧٩]

وان امرأ القيس كان يغني بشعره.

يقول أبو النجم لقينته ان تغنيه ببعض ماكان يغني به امرؤ القيس أو عمرو فقال:

تغنـى فـان اليوم يـوم مـن الـصبا بـــبعض الـــذي غنّـــى امـــرؤ القـــيس أو عمـــــــــــــــــــــــــــــرو[١٨٠]

ولربما عادت الألقاب عاراً على الشاعر أو القبيلة في عصر ماقبل الإسلام من نحو ذلك ماجرى لبني عبد المدان الذين بارك الله لهم بسعة الصدور وطول الأجسام وغلظتها. فكانوا يفخرون بذلك حتى هجاهم حسّان بقوله:

لاعيبَ في القومِ مِنْ طُوْلٍ وَمِنْ عَظَمٍ جِـسْمُ البغَـالِ وأحـلامُ العَـصَافيرِ[١٨١]

---

(١٧٣) الشعر والشعراء ٣٩٥/١، والبيت في الديوان٥٧وصدره (ظهرن بكلـةٍ وسدلنً رقما والوصواص البراقع الصغار ارادا انهما حديثات الاسنان، فبراقعهن صغار والبيت في اللسان ٣٧٤/٨ ، ٥٣.

(١٧٤) الشعر والشعراء ١/ ٣٩٥ .

(١٧٥) ينظر : الشعر والشعراء ٣٥٩/١ والبيت في ديوان الممزق .

(١٧٦) الشعر والشعراء ١/ ٢٥٨ والبيت في الديون١٠٩ وصدره: (ومستجيبٍ تخال الصنج يسمعه).

(١٧٧) العمدة ١٣١/١.

(١٧٨) تاريخ الأدب العربي (في العصر الجاهلي) ، ضيف ١٩١ .

(١٧٩) ديوان حسان: ٢٨٠.

(١٨٠) ينظر: المرأة في الشعر الجاهلي ٤٣٩.

فما كان إلاّ أن ذهبوا إليه يسترضونه، فقالوا له يا بن الفريعة، كنا نفتخر على الناس بالعظم والطّول فعيّرتنا به وأفسدته علينا. فرد عليهم قائلاً: سأصلح ماأفسدت فقال:

وقـــد كنّـــا نقـــول إذا رأينـــا لـــذي جـــسم يعـــدُّ وذي بيـــانِ
كأنـــك أيهـــا المعطـــى بيانـــاً وجـسماً مـن بنـي عبـد المـدان[(١٨٢)]

وبهذا المدح نالوا التقدير والمكانة الطيبة بين القبائل.

وإذا أنعمنا النظر في هذه الألقاب فاننا نجد فيها مايقودنا إلى تحديد معانيها الدقيقة بعدّها مصطلحات نقدية كانت تعكس مواقف فنيّة بعينها من شعر هؤلاءِ الشعراء الكبار. فإذا أخذنا النابغة الجعدي مثالاً وسبب تسميته بالنابغة يقول البغدادي: ((انه قال الشعر في الجاهلية ثم أقام مدّة نحو ثلاثين سنة لايقوله فإذا به ينبغ ويقول الشعر الجيّد لذا سميّ بالنابغة))[(١٨٣)] ولاريب في أن هذا القول ينطبق على بقية الألقاب وذكرنا ان النابغة الذبياني سميّ بالنابغة لنبوغ شعره وجودته وذلك لان مدّة قوله الشعر اتسمت بالنضج الفكري والمعرفي وبسعة اطلاعه وتذوقه للشعر فقد قال فيه ابن رشيق ((ان شعره كان نظيفاً من العيوب))[(١٨٤)] ويقال انه لقب بالنابغة لقوله:

وحلّـت فـي بنـي القـين بـن جنـسر فقـد نَبغـتْ لنـا مـنهم شـؤون[(١٨٥)]

بيد أنه يرجح ان النابغة لقب نقدي بدليل ماأو رده صاحب العمدة ((وكان جرير نابغة الشعر مظفراً))[(١٨٦)] فلقب النابغة يدل على برودة شعره فالنابغة لقب نقدي يطلق على جودة شعر الشاعر وانشاده بين الناس وتدفقه وغزارته وغير ذلك.

أشعر الناس:

ألفت عبارات كثيرة أطلقها العرب في عصر ما قبل الإسلام مصطلحات نقدية من ذلك قولهم (أشعر الناس) أو (أشعر العرب) أو (أشعر الشعراء) أو (أشعر الجن والأنس) أو (أشعر قبيلة)، أو أمدح أو أغزل أو أهجى أو أشعر.. إلى ما هنالك.

وقد يقال: أشعر العرب في قصيدته ثم يورد مطلعها أو مجموعة من أبياتها أو ينشدها كاملةً أو يكتفي ببيت من أبياتها ويقولُ هو أشعر الناس في ذلك البيت وقد ((عمد بعض النقاد إلى سوق تعليل لهذا الحكم إذ لا يترك هكذا على أطلاقه فشاعر ما قد أصبح أشعر الناس أو العرب لأنه قال ما لم تقله الشعراء أو جاء بالبديع المستطرف الذي فاق

---

(١٨١) ينظر:ديوان حسان ١٧٨.
(١٨٢) ينظر: م.ن ١٨٠.
(١٨٣) ينظر: خزانة الأدب ١١٩/٢.
(١٨٤) ينظر: العمدة ٢٠٥/١.
(١٨٥) ينظر: العمدة ٢٠٥/١ والبيت في ديوان النابغة ٢٥٦.
(١٨٦) العمدة ١٨١/٢.

به نظراءه، ومعروف أن التعليل يقترب بالحكم من الموضوعية ويمنحه ابعاداً من القبول والمصداقية))[١٨٧].

ولعل مصطلح المفاضلة (أشعر..) فيه أمر من الصعوبة ((لأن تفضيل شاعر في أمّة شاعرة قطعت أكثر من خمسة قرون من الإبداع الشعري وهو أمرٌ من أزهى الآماد الفنية، تفضيل صعب ولا سيما في أمر نسبي))[١٨٨]. ويضيف الدكتور علي كاظم أسد دليلاً لذلك بقوله ((لقد واجه ابن سلاّم في تقسيمه فحول الجاهلية والإسلام على طبقات تحوي كل طبقة أربعة شعراء منهم واجه عنتاً ما بعده عنت حتى اضطر إلى الاعتراف بهذا فأمتحن في تقويمه هذا امتحاناً عسيراً فصار عبرة لابن قتيبة الذي نأى عن معايير ابن سلاّم وامعن في رأيه وتدرع بالموضوعية حينما وضع عنواناً لكتابه يوحي بهذا النأي عن التفضيل أو التقسيم أو الانتماء إلى الزمن))[١٨٩].

والحق أن العرب لم تطلق تلك العبارات اعتباطاً من دون تعمّق فيما تلفظ وفيما تحكم، ولا يمكن ان نردَّ ذلك إلى الذوق فقط، فالباحث يرى ان الناقد لم يطلق تلك الأحكام ألاّ وكان لديه معرفة كاملة بأشعار العرب وأنسابها وأيامها، وكان له فهم لمعاني الشعر وأغراضه، وكان له علم بفنونه، ولا شك في ان احكام النابغة في تفضيله الأعشى والخنساء على حسّان مايثبت ذلك، بل حتى في قوله للخنساء ((والله لولا أنّ أبا بصير أنشدني (آنفاً) لقلت: إنّك أشعر الجن والانس))[١٩٠] فهو حكم نقدي لأبي بصير في أنه أشعر الناس والعرب والجن. وحتى في حكمه على حسّان بقوله: ((أنت شاعر ولكنك اقللت جفانك وأسيافك...)[١٩١] فهو يحكم على شاعريته، إلاّ أنه يثبت عليها عيوباً لو تلافاها لكان أشعر العرب. وهذه الأحكام لا تصدر الاّ عن قوة في الاستخدام اللغوي ومعرفة بالمعاني التي تقبلها العرب وتفضلها على ما سواها وترتضيه لها فخراً. وتأسيسا على هذا فأننا نثبت رأينا في مخالفة من أدّعى ان حكم النابغة كان بدافع الغيرة وهذا أمر لا نقبله لاننا نجد في حكمه روحاً علمّية ونفساً نقدّياً وأساساً يدلُّ على ذوقٍ في معرفة ما وراء الكلمات.

ومن حسنات هذا العصر أن الحكم بين الشعراء يكون شعره عرضة للنقد فها هو النابغة الشاعر الذوّاقة الذي تلتجي إليه الشعراء ليحكم بينها نجده يُنبّه على الإقواء في قصيدته المشهورة، حتى إنه قال ((قدمت الحجاز وفي شعري صنعة ورحلت وأنا أشعر الناس))[١٩٢].

ان قولاً مثل هذا يدل على عقلٍ راجحٍ ونضجٍ في التفكير وتقبل للنقد.

---

(١) النقد الأدبي في كتاب الأغاني ١٢٩٧/٢.
(٢) كافوريات المتنبي: ١٩٥.
(٣) م.ن ١٩٥.
(٤) الشعر والشعراء ٣٤٤/١.
(١) الموشح:٨٢.
(١) الموشح:٤٦.

وهذا الأمر جعل له قصب السبق في آرائه وأحكامه وزادهُ معرفة بالشعر والشعراء فمن ذلك ما جاء في كتاب الأغاني من أنّ النابغة كان يريد سوق بني قينقاع فلحق به الربيع بن أبي الحقيق وهو شاعر فلما أشرف على السوق اسمعا ضجّة، فحاصت بالنابغة ناقته فانشأ قائلاً:

(كانت تهال من الأصوات راحلتي) ثم طلب من الربيع أن يكمّل شطر البيت وكأنه يمتحنه، فقال الربيع:

(والنفر منها إذا ما أو جسته خلقُ) فقال النابغة (ما رأيت كاليوم شعراً) ثم قال: **(ولولا انهنهها بالسوط لأجتذبت)** اجز ياربيع فقال: **(إلى مناهلها لو انهاطُلُقُ)** فقال النابغة أنت يا ربيع أشعر الناس(١٩٣).

ويبدو أن النابغة كان يريد ان يعرف في الربيع مدى شاعريته وسرعة البديهة عنده، وفي الوقت نفسه نظر النابغة إلى قوة السبك اللفظي وجزالة المعنى المكمل لمعنى كلامه وموضوعه، فالحكم هذا وان كان يخص الربيع وشعره فهو في الوقت نفسه يخص النابغة الشاعر لانه قد جعل نفسه القاعدة والقياس الذي يقيس عليه الشعراء.

ويروي أبوالفرج الاصبهاني ان النابغة الذبياني: ((قدم إلى المدينة، فتقدم إليه قيس بن الخطيم وجلس بين يديه وانشده أتعرفُ رسماً كالطراد المذاهب حتى فرغ منها. فقال له النابغة: أنت أشعر الناس يا ابن أخي، وقال حسّان: فدخلني منه شيءٌ وحسدته على ذلك، ثم تقدمت وجلست بين يديه، وكان يعرفني من قبل ـ فقال انشد فوالله انت شاعر قبل أن تتكلم، فانشدته فقال: أنت أشعر الناس))(١٩٤).

وقد يتراءى لنا تناقض من الوهلة الأولى فقد اطلق حكمين غير مختلفين في مجلسٍ واحدٍ، فكلا الشاعرين صار أشعر الناس والحق أنّهُ لا تناقض في الحكمين. إذ يبدو أنه أراد بأشعر الناس انه أفضل الشعراء في هذه القصيدة وغرضها وشكلها وتجانس الفاظها وملاءمتها المعنى ومناسبتها وبذلك كانت قصيدة قيس في نظره في ذلك المجلس لا يقولها الاّ أشعر الناس، وكانت قصيدة حسان بأجوائها في نظرهِ في ذلك المجلس لا تصدر الاّ عن أشعر الناس وبذا لا تناقض في قول النابغة في ذلك الحكم الذي لم يقتصرْ نشاطه سوق عكاظ بل تعدّاه إلى أسواق أخرى.

وتأسيسا على هذا فأنه تبيّن لنا أن النقد كان يتسمُ بالشموليّة والحكم والانطباع إذا لم نجد تعليلاً لكل حكم أو تفسيراً لكل قول وإن كان هذا ليس من عمل الناقد. ولكن لا يعني ان الحكم في هذا المعنى ((لا ينبني على شيء. إذ الواقع أن هذا الحكم يدلّ على اشياء كثيرة، لها قيمتها في النقد الأدبي . منها: ان ذلك الحكم على الشاعر معناه أنه في هذا المعنى الجزئي قد استطاع ان يصل إليه، ويعبر عنه تعبيراً فاق به الشعراء العامة، فاستحق بذلك ان يوصف بأنه أشعر الشعراء في هذه الجزئية الخاصة))(١٩٥).

---

(٢)ينظر الأغاني ٢٢/١٣٣-١٣٤

(٣)الأغاني ٢/١٠-١١ وشطر البيت في ديوان قيس بن الخطيم٧٦ وفيه المذّهبِ وعجزه:لعمرة وحشاً غير موقف راكبِ.وعمرة اخت عبدالله بن رواحة ينظر: خزانة الأدب ٧/٢٥

(٢)اسس النقد الأدبي عند العرب ٥٥٣-٥٥٤.

ويبدو أن النابغة قد كاد ينفردُ بهذا الحكم النقدي (أشعر الناس) أو (أشعر العرب) أو أشعر الشعراء إلى ما هنالك...) ففي مجالس النعمان بن المنذر توسم النابغة في لبيد الشاعرية، إذ قال له: ((... يا غلام إن عينيك لعينا شاعر افتقرض من الشعر شيئا قال نعم قال : انشدني شيئاً مما قلت.. فأنشده قوله:

ألم تربع على الدمن الخوالي

فقال له ياغلام أنت أشعر بني عامر زدني فأنشده قوله:

(طلل لخولة في الرسيس قديم) فضرب بيديه على جنبيه وقال: أذهب أنت أشعر قيس كلها أو قال: هوازن كلها. ثم قال زدني فانشده قوله:

عفت الديار محلّها فمقامها ... بمنى تأبدّ غولها فرجامها

فقال له النابغة إذهب أنت أشعر العرب[196].

وهو بهذا الحكم ـ كما يبدو ـ نقض الحكم السابق الذي قضاه للأعشى وهذا يتكرر لأكثر من شاعر من الناقد نفسه والحق أن الحكم إنما يتجه للمعنى الذي يأبى به الشاعر وانفعال الحكم بهذا المعنى ـ فالذهن متصرف لمعنى البيت وتركيبه ومطابقته للحال.

ثم إن النقد كان يحكم على أمور وجدانية وأنفعالية أنسانية وليس على أمور علمية محددة لتطلب منه الثبات والتجدد والتّفنن، لأن النقد أدب يميز بين الجيد والأجود ويرفض الردي، وبناء على هذا فان نقد ما قبل الإسلام كان انطباعاً أكثر منه تعليلاً.

وكان تسجيلاً للحس الذاتي للنقد إزاء البيت أو الصورة وليس هذا عيباً فالفطرة تتسم بالصدق والذاتية ترجمة لما في النفس من أثر ازاء العمل الفني[197].

ومن المصطلحات النقدية التي عرفها شعراء قبل الإسلام، وأدركوا قيمتها (أشعر بيت) و (الصدق والكذب)، وقد جمع حسان بن ثابت هذه المصطلاحات الثلاثة في قوله:

وأنّ أشعر بيتٍ أنت قائلهُ ... بيتٌ يقال إذا انشدته صدقا

وإنما الشعر لبُّ المرء يعرضهُ ... على المجالس إن كيسا وان حمقا[198]

فهذه المصطلحات تعبر عن دلالات خاصة ومما لا ريب فيه ان العرب منذ عصر ما قبل الإسلام اصطلحوا على كثير مما يدور في حياتهم من أفكار ومحسوسات نتجت عن ألفاظ استعملت في حياتهم العامة فنقلوا دلالاتها إلى دلالات خاصة فاصبحت اعرافاً اصطلحوا عليها معبرين عن أفكارهم وحياتهم آنذاك في النواحي كافة واخذت الحياة الأدبية نصيب الأسد من ذلك. ومن المصطلحات الأخرى (التوعر) الذي جاء في بيت النابغة:

---

(١) ينظر: الأغاني : ١٥/٣٧٧ـ٣٧٨. والأبيات في ديوان لبيد: ٨٧،٩٥،٢٩٧

(٢)ينظر ابن سلام وطبقات الشعراء ٢١.

(٣) ديوان حسان بن ثابت ٢٧٧.

جاوزتــــــه بعلنـــــــداةٍ مناقلـــــــةٍ وعـــر الطريـــق علـــى الاحـــزان مـــــــــــــــــــــــضمار[199]

والحق اننا نجد في اخبار عصر ما قبل الإسلام ما يدل على معرفة العرب بمعاني هذه المصطلحات، إذ وردت هذه المصطلحات في اشعارهم وهذا ما اتفق عليه المشككون وغيرهم فليس غريباً ان يكون العرب قد عرفوا العروض والروي والقافية وعيوبها (الاقواء، والسناد والاكفاء). وهذا ما يحسب للشعراء والنقاد، إذ استخدموا ((تلك المصطلحات بعد أن نقلوها من دلالتها الوضعية إلى تلك الدلالة، وكان ذلك قبل أن يضع الخليل بن أحمد شيئاً من علم العروض))[200].

ولا ريب فقد عرف العربي عدداً من المصطلحات التي ما زلنا إلى يومنا هذا نعتمدها وسنقف على بعض منها للتمثيل ولأهميتها ولأنها قريبة من تلك المصطلحات التي اشترطتها أم جندب ومآخذ أهل يثرب على النابغة.

ومن المصطلحات النقدية التي يمكن ان نستشفها من الأبيات الشعرية: الإغلاق وجاء ذلك في قول زهير:

وفارقتـــك بـــرهنٍ لا فِكـــاك لـــه يـــوم الـــوداع فأمـــسى الـــرهن قـــد غلِقــــــــــــــــــــا[201]

فيقال: أغلق عليه أمره إذا لم يتضح ولم ينفتح من ذلك قولهم غلق الرهن أي لم يوجد له تخلص وهو ما حمله لنا معنى بيت زهير. و على هذا يكون الغلق ضد الفتح ويستمد مفهومه في الاصطلاح النقدي الأدبي من دلالته اللغوية فيكون النص الأدبي شعراً أو نثراً غير واضحٍ ومنفتح أمام المتلقي وتتجدد هذه المسألة في المعنى أكثر من أي شيء آخر.

وقد ورد مصطلح الإغلاق عند ابن سلام[202].

ومثل ذلك مصطلح (الشاعِرُ الثنيَان) والثنيان بمعنى العاجز الواهن[203] عند ابن سلام واضاف إليه ابن رشيق ((الثنيان الذي ليس بالرئيس، بل هو دونه))[204] وقد جاء هذا المصطلح في قول النابغة الذبيان:

يَـــصُدُّ الـــشّاعِرُ الثُنيـــانَ عنّـــي صُـدُود البِكـر عـن قـرْم هجـانِ[205]

---

(1) ينظر: جمهرة اشعار العرب ١١٤ والبيت في ديوان النابغة ٢٩١ وعجزة(ودعت الطرق على الاحزان اصرار). والوعر في اللغة ضد السهل .والوعر هو الجبل. وتوعر الرجل: تشدد وفي الكلام:توعر تحير.فاللفظ الوعر هو اللفظ الصعب.

(٢٠٠) دراسات نقدية في الأدب العربي د. بدري طبانه ٦٧.

(٢٠١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ٢٣.

(٢٠٢)طبقات فحولة الشعراء ٧٩/١.

(٢٠٣) م.ن ٧٩/١.

(٢٠٤) العمدة ١١٨/١ .

(٢٠٥) ديوان النابغة الذبياني ١١٢ كذلك ورد هذا المصطلح في قول أوس ابن مغراء :

ثنياننا أن أتاهم ، كان بدْأهمُ وبدؤهم أن أتانا كان ثنيانا .

ومن المصطلحات النقدية الجاهلية (المُقحَم)[٢٠٦] وهو ((الذي يقتحم سناً إلى أخرى وليس ببازل ولا المستحكم))[٢٠٧] وقد جاء ذلك في قول أو س بن حجر

وقد رام بحري قبل ذلك طامياً   من الشعراء كل تمودٍ ومُقحَمِ[٢٠٨]

لا يعني ان الامر اقتصر على الشاعر بتلك الصفات والمزايا المهمة بل ان مصطلح (شويعر) يحتل مرتبة أدنى من كل ذلك وهناك من سميّ من الشعراء بالشويعر منهم محمد بن حمدان بن أبي حمدان وقد سمّاه بهذا الاسم امرؤ القيس في قوله:

أبلغا عنّي الشويعر انني   عَمْدُ عينٍ نَكَبتهنّ حديما[٢٠٩]

وهناك شاعر آخر يسمّى (المفوَّف) من بني ضبّه وقد سمّاه الممزق العبدي (الشويعر):

الاّ تَنهى سراة بني حَمِيسٍ   شويعرها فويلية الأفاعي[٢١٠]

والشويعر أيضاً صفوان بن عبد

وهذه المصطلحات تعددت في تلك البيئة وتنوعت، ويرى الجاحظ ان في بيوت الشعر الأمثال والأوابد ومنها الشواهد والشوارد والشعرء عندهم اربع طبقات: فأولهم الفحل الخنذيد والخنذيد هو التام.

قال الاصمعي: ((قال رؤبة الفحولة هم الرواة ودون الفحل الخنذيذ الشاعر المفلق ودون ذلك الشاعر فقط. والرابع الشعرور))[٢١١].

ويرى ان حواراً نقدّياً جرى بين امرئ القيس والتوأم اليشكري، إذ قال امرؤ القيس: ان كنت شاعراً فملّط انصاف ما أقول فاجزها، قال: نعم.

قال أمرؤ القيس: **أحار ترى بريقاً حبّ وهنا**

فقال التوأم: **كنار مجوسَ تَسْتَعِرُ استعارا**

فقال امرؤ القيس: **أرقت له ونام أبوشريح**

فقال التوأم: **إذا ما قلت قد هدأ استطارا**

ولا يزالان هكذا يصنع قسيماً هذا وهذا قسيماً إلى آخر الأبيات[٢١٢].

وإذا انعمنا النظر في تلك المساجلة فانها تقودنا إلى مفهوم لمصطلح نقدي عرفه نقاد ما قبل الإسلام وهو ((التمليط)) والذي سماه الخطابي المعارضة، وأحد وجوهها ((ان يتبارى الرجلان في شعر، أو محاورة، فيأتي كل واحد منهما بأمرٍ محدث من وصف ما تنازعاه، وبيان ما تباريا فيه، يوازي بذلك

---

(٢٠٦) ينظر : لسان العرب مادة قحم المقحم البعير الذي يربع ويثنى في سنة وأحدة فيقحم سناً على سن قبل وقتها إذا ألقى سنية في عام واحد فهو مقحم

(٢٠٧) ينظر : طبقات فحول الشعراء ٧٩/١ والعمدة ١١٨/١.

(٢٠٨) طبقات فحول الشعراء ٧٩/١ والعمدة ١١٨/١ والبيت في ديوان أوس بن حجر ١٢٣.

(٢٠٩) ينظر: البيان والتبيين١٠/٢ والعمدة٢٠٢/١ والبيت في ديوان امرئ القيس ٤٧٦.

(١) العمدة١١٥/١ لم اعثر على البيت في ديوان الممزق.

(٢) البيان والتبيين ٩/٢ وبعض العلماء يقول :طبقات الشعراء ثلاث: شاعر ،وشويعر،وشعرور.ينظر: م.ن ١٠/٢.

(٣)ديوان امرئ القيس ١٤٧.

صاحبه أو يزيد عليه ويفصل بينهما حكم لبيان فضل أحدهما على الآخر))[٢١٣]
وقد ذكر مساجلة امرئ القيس والتوأم مثالاً لذلك.

ورآى صاحب العمدة ان مفهوم التمليط هو ((ان يتساجل الشاعران فيضع هذا قسيماً وهذا قسيماً لينظر: ايهّما ينقطع عن صاحبه))[٢١٤].

ومن المصطلحات التي عرفها العربي في هذا العصر مصطلح (الفحولة) وقد بنيت عليه دراسات كثيرة منذ بدائة القرن الثالث الهجري حتى العصر الحاضر[٢١٥] ودليلنا على أن لهذا المصطلح أصل في عصر ما قبل الإسلام وروده في عدد من النصوص الشعرية فقد جاء في قول المهلهل:

انبضوا معجس القسي وابرقنا كما توعد الفحول الفحولا[٢١٦]

وقال زهير:

إلى معشرٍ لم يورث اللؤم جدهم أصاغرهم وكل فحلٍ له نجلُ [٢١٧]

وقد لقب علقة بالفحل لانه غلب أمرء القيس في الشعر كما رأينا وهذا هو في الاساس لقب فني.

وقد يطول أمر الحديث في طبيعة استحضار القدماء للمصطلحات النقدية التي عرفها العربي في عصر ما قبل الإسلام، إلا أننا أرتأينا الايجاز على نماذج بعينها لتكون اهدة على أن العربي لديه القدرة على استنباط الأحكام والمصطلحات، إذ لم يخلُ ديوان شعري واحد من ذكر مصطلح أو مصطلحين أو اكثر وهذا يعود إلى ثقافة الشاعر نفسه ولعل ذكرنا لهذه الشواهد لكي نزيل الشك عن بعض المشككين في ثقافة ذلك العصر. وقد اثبتت ذلك دراسات حديثة خصصت للمصطلحات[٢١٨].

---

(٤)بيان اعجاز القرآن ٥٨.

([٢١٤]) العمدة ٩١/٢.

([٢١٥]) بدأت بكتاب الاصمعي فحولة الشعراء ثم ابن سلام طبقات فحول الشعراء، ويرد هذا المصطلح في مصادر الأدب العربي ونقده: ينظر الشعر والشعراء ٢٧٠/١ والموشح ٥٩ والعمدة ٥٦/١.

([٢١٦]) ديوان المهلهل.

([٢١٧]) ديوان زهير ١٠٠، ومثله قال الأعشى: وكل اناس وان افحلّ إذا عاينوا فحلكم بصبصوا. والبيت في الديوان ٣٦٩.

([٢١٨]) منها المصطلح النقدي في نقد الشعر للدكتور ادريس الناقوري، ومعجم النقد العربي للدكتور أحمد مطلوب، ومعجم النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والاسلاميين للدكتور الشاهد البو شيخي، فظلا عن دراسات نقدية جامعية تناولت المصطلح النقدي تصدرت جامعة الموصل تلك الدراسات إذ قام بعض الباحثين بدراسة المصطلح النقدي في كتاب العمدة وأخر في كتاب نقد الشعر ودراسة المصطلح النقدي في منهاج البلاغاء وسراج الادباء.

ولا ريب في أن ذكرنا لتلك المصطلحات ما هو إلا تاكيد على معرفة العربي بها، وهذا هو في الأساس ملمح نقدي مهم كان له اثره الفعال في تكوين النظرية النقدية عند العرب.

ويرى الدكتور محمود الجادر أن ((مصطلحات النقد اتسمت بشيء من الاصالة اللغوية، وذلك ان نقد الشعر كان من العلوم العربية المبكرة، بل إننا نزعم انه من اقدم العلوم العربية، فقد مارسه الجاهليون بل إن بعض تلك المصطلحات مما لا يزال مقترننا بمدلول الجاهلي نفسه حتى يومنا هذا))[٢١٩].

([٢١٩]) الفحولة بين الجذر اللغوي والتاسيس الاصطلاحي مجلة الموقف الثقافي السنة الخامسة ٢٠٠٠ ص٥٢.

المعلقات:

المعلقات قصائد نفيسة ومنتقاة، افتخر بها العرب واهتم بها النقاد والدارسون منذ عصرها عصر ماقبل الإسلام وحتى يوم الناس هذا، فقدحسن اختيارها وذاعت شهرتهاومازالت تلك النفائس الأدبية التي كلما راجعناها وأعدنا النظر فيها تتألق في سماء الشعر العربي وهي علق ثمين يزيد نحر أدبنا العربي ويحلي جيد تراثنا التليد.

لايخفى ماللذوق من أثر في اختيار القصيدة أو في الحكم على قصيدة ما، وقد راعى النقاد في اختيارهم وأحكامهم الإذواق العامة، والإذواق الخاصة. فرشحت قصائد في عصر ماقبل الإسلام، باجماع الرواة لتكون الأنموذج الذي لايجارى والسبق الذي لايبارى حتى انها استوفت اذواق المتلقين وسيطرت على قلوب السامعين فعلّقت بين ثناياها وذاع صيتها في الافاق، وتناولتها الاخبار وسطّرت خالدة على الأوراق ، وكان أن أطلق عليها تسميات كثيرة، لم تطلق اعتباطاً بل تدخل ذوق المتلقي في أظهارها، فهناك من قال انها (المذهّبات) إذ إن العرب لإعجابها بها كتبتها بماء الذهب في نسيج من صنع أقباط مصر وعلقوها على أستار الكعبة، وذلك تعظيماً لتلك القصائد واكباراً لاصحابها، وإذا أنعمنا النظر في أمهات كتب الأدب العربي فاننا نجد آراء متباينة فمنهم من يسميها (السبع الطوال)[٢٢٠] ومنهم من يسميها القصائد المشهورات[٢٢١]ومنهم من يسميهاالسبع الطوال الجاهليّات[٢٢٢]، وهناك تسميات اخرى منها: السموط[٢٢٣] والسبعيات[٢٢٤] والمذهبات[٢٢٥] ولا ريب في ان تكون هذه القصائد متنوعة الموضوعات ومتعددة الأغراض إلاّ أنها كانت أنموذجاً للشعر العربي صياغة ومضمونا، إذعبّرت عن حياة عصر ماقبل الإسلام بتفاصيلها ودقائقها كلها لذلك ((لفتت المعلقات أنظار الأدباء وعلماء اللغة منذ زمن بعيد، فأنكبوا عليها يدرسونها ويقتبسون منها في كتبهم وفي استشهاداتهم. وأقبل فريق من الأدباء على شرحها وتفسير غامضها وتوضيح مفرداتها ومعانيها))[٢٢٦] وقد تعددت وتنوعت وهي شروح لها شأن في اللغة والأدب والنقد[٢٢٧].

---

(٢٢٠) ينظر: معجم الأدباء ١٤٠/٤.
(٢٢١) شرح القصائد المشهورات لابن النحاس ١٢٥/٢.
(٢٢٢) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات.
(٢٢٣) الجمهرة: ٣٤ والعمدة ٩٦/١.
(٢٢٤) اعجاز القرآن: ١٥٩.
(٢٢٥) الشعر والشعراء ٢٥٢/١ والعمدة٩٦/١ .
(٢٢٦) مصادر الدراسات الأدبية واللغوية: ١٧.
(٢٢٧) من هذه الشروح: (أ) شرح بن كيسان (ت٣٢٠هـ).
ب- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات لابن الانباري (ت٣٢٨هـ).
ج- شرح القصائد التسع المشهورات لابن النحاس (ت٣٣٨هـ).
د- شرح أبي علي القالي (ت٣٥٦هـ).
هـ- شرح المعلقات السبع للزوزني (ت٤٨٦هـ).
و- شرح عاصم بن أيوب (ت٤٩٤هـ).
ز- شرح القصائد العشر للتبريزي (ت٥٠٢هـ).

ولكن لايعني ان لفظ المعلقات قد غاب عن نقادنا في هذه المرحلة المحددة للبحث بل إن حمّاداً الراوية ((هو الذي روى تلك القصائد وأطلق عليها لفظ المعلقات تنويهاً بشأنها وحثّاً للناس عليها، ومن هنا خرجت أسطورة الكتابة والتعليق، فليس معنى معلّقة انها كتبت وعلقت على حائط أو معبد، وإنما التسمية هنا مجازية تآلفها العرب، فهم يدعون القصيدة الجيدة سمطاً، كما رأينا في شعر علقمة، والسمط هو القلادة، والقلادة لاتكون الاّ من نفيس والقلادة لاتعلق الاّ في الجيّد، فالمعلقات معناها السموط والقلائد معناها الجودة والنفاسة))[٢٢٨]. هذا هو رأي الدكتور بدوي طبانة، وقد أولى هذا الموضوع عناية فائقة، وأفرد كتاباً لدراسة المعلقات ناقش فيه الذين أنكروا تسمية المعلقات وفنّد ((حججهم وفي الوقت نفسه رد على حجج الباحثين المعاصرين في انكار التعليق ومما لاشك فيه ان هذه القصائد استحسنتها العرب وحرصت على حفظها والتغني بها ورواياتها، ونستطيع ان نقرر انها كانت في نظر الشعراء والنقاد الصورة الكاملة للفن الشعري وان اصحابها هم المقتدى بهم في صناعة الشعر))[٢٢٩] غير أن هذا الأمر لم يقف عند رواية حمّاد والتسليم بها فعلينا مناقشة ذلك، لاننا إذا أرتأينا أن نقبل بأن حماداً هو أو ل من اختار القصائد السبع فهذا في حد ذاته عمل نقدي لان الاختيار قائم على موقف ومستند إلى نظرة فلابد من وجود أسس بمقتضاها يقدم الشعر الذي وقع عليه اختيار الناقد. وهذا بلا ريب يعتمد على ذوق حمّاد والمقياس الذي ارتآه فقد ((بحث حمّاد في تراث شعري ضخم، وانتهى به البحث إلى انتقاء سبع قصائد، عدّت من خيار الشعر ونفائسه))[٢٣٠] إلاّ أننا لم نجد مايشير من قريبٍ أو بعيد إلى انه قال عنها انها علّقت على استار الكعبة ولعل اسم المُعلّقات ومايترتب عليه هو المحور النقدي الذي ارتأينا ان نناقشه في هذا البحث.. لذا لابد من متابعة هذا المصطلح لعلنا نصل إلى نتيجة تحسم أمر التعليق أو تنفيه ومن دراستنا لمصادر الأدب العربي ونقده وجدنا ان الحديث عن هذا الموضوع قد تشعب وتباينت فيه الآراء وليس بمقدورنا حصر هذه الاراء كلها لان مثل هذا الحصر يحتاج إلى بحث متكامل القوام. لذا فقد رأينا أن نبدأ بأو ل من أشار إلى تسمية المعلقات انها علقت على استار الكعبة فوجدنا ان ابن الكليبي المتوفى (٢٠٤هـ) قد اشار إلى ذلك وصرح ضمناً بقوله: ((أو ل شعر علّق في الجاهلية شعر امرئ القيس علق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم حتى نظر إليه ثم اصدر فعلّقت الشعراء بعده وكان ذلك فخراً للعرب في الجاهلية وعدّوا من علق شعره سبعة نفر))[٢٣١] هم امرؤ القيس بن حجر، وزهير بن أبي سلمى، ونابغة بني الذبيان،

ح- شرح المعلقات السبع لأبي سعيد.

ط- المعلقات العشر واخبار قائليها لاحمر بن الأمين الشنقيطي (ت٩١٣م).

(٢٢٨) دراسات في نقد الأدب العربي: ٧٣.

(٢٢٩) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه ابراهيم ٢٨.

(٢٣٠) تقويم جديد لجهود حماد الراوية في رواية الشعر العربي ونقد (مقال) د. زكي ذاكر العاني، مجلة المورد، العدد الأو ل لسنة ١٩٩٩م ٣١.

(٢٣١) مقدمة السبع الطوال: ١١ للاستزادة ينظر : تاريخ آداب العرب ١٨٤/٣ وشرح المعلقات العشر، د. مفيد قميحه١٣ .

والأعشى البكري ولبيد بن ربيعة وطرفة بن العبد وعمرو بن كلثوم. وهؤلاء السبعة كانوا من اختيار حمّاد ولم يخالفه أبو عبيدة[٢٣٢] لذلك قال المفضل ((هؤلاء أصحاب السبع الطوال التي تسميها العرب السموط فمن زعم ان في السبع الطوال شيئاً لاحد غيرهم فقد اخطأ وخالف ماأجمع عليه أهل العلم والمعرفة))[٢٣٣] ويتفق رواة القرنين الثاني والثالث على أن المعلقات سبعاً وهو ماكان قد اتفق عليه القدماء إلاّ أن الاختلاف كان في الشعراء فقط.

فقد استثنى بعضهم من السبعة الذين ذكروا آنفاً النابغة والأعشى واستبدلهما بالحارث بن حلزة وعنترة العبسي[٢٣٤] وهذا مادأب عليه شرّاح المعلقات أو القصائد السبع.

اما صاحب الجمهرة فقد عمد إلى ذكرها باسم المعلقات في مجموعته الشعرية (جمهرة اشعار العرب) دون أن يعلق على تسميتها بشيء أو يشير إلى أمر تعليقها أيضاً في مقدمته المسهبة. وقد اتفق مع أبي عبيدة والمفضل في جمع التبريزي قصائد هؤلاء الشعراء جميعاً، واضاف اليهما قصيدة أخرى لعبيد بن الابرص وبذلك اكتملت المعلقات إلى عشر فقط.

ولسنا في الخوض بعددها بل اهتمامنا بالتعليق الذي كان قضية رئيسة من قضايا نقد ماقبل الإسلام. حتى إذا تجأوزنا النقد في القرن الثالث لم نجد من علمائه من يشير إلى فكرة التعليق على أستار الكعبة وفي القرن الرابع عادت تلك الفكرة حيث أكّدها أحد علماء ذلك القرن وهو ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد، إذ قال:

((كان الشعر ديوان خاصة العرب والمنظوم من كلامها والمقيد لأيّامها والشاهد لاحكامها حتى لقد بلغ من كلف العرب بهِ وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرّجة وعلقتها بين استار الكعبة، فمنهم من يقال: مذهبة امرئ القيس والمذهّبات السبع وقد يقال لها المعلقات))[٢٣٥].

ومن النقاد القدماء الذين أكدوا فكرة التعليق ابن رشيق القيرواني صاحب (كتاب العمدة) الذي قال: ((وكانت المعلقات تسمى المذهّبات، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وَعُلّقت على الكعبة))[٢٣٦].

وذكر عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب ان العرب في عصر ماقبل الإسلام كان ((يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض فلا يعبأ به، ولاينشده أحد ، حتى يأتي مكة في موسم الحج، فيعرضه على أندية قريش، فان استحسنوه رُوي، وكان فخراً لقائله

(٢٣٢) ينظر: جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والإسلام ١٥٣/١-٣٠٧.

(٢٣٣) جمهرة اشعار العرب ١٣٠/١-١٣١ للاستزادة ينظر : خزانة الأدب ١٣٧/١.

(٢٣٤) للاستزادة لمعرفة أصحاب هذا الرأي ينظر: العقد الفريد ٢٦٩/٥-٢٧٠ والعمدة ٩٦/١، والسبع الطوال لابن النحاس: ٤٦٠ وتبعهم في ذلك ابن الانباري والزوزني.

(٢٣٥) العقد الفريد ١٣٧/١.

(٢٣٦) العمدة ٩٦/١.

وعلّق على ركن من أركان الكعبة حتى ينظر : إليه، وإن لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به))[٢٣٧] ثم ذكر امرأ القيس في أنّه أول من علّق شعره في الكعبة ثم بعده علقت الشعراء وعدد من علق شعره سبعة..((وكانت المعلقات تسمّى المذهبات وذلك انها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلّقت على الكعبة))[٢٣٨] ويبدو أن الكتابة بماء الذهب تثير الشك مما دفع بعض النقاد إلى الشك هو ان العرب لم تعرف الكتابة في ذلك العصر واتخذوا من تلك الحجة وسيلة لإنكار فكرة التعليق مع أن معرفة العرب الكتابة أمرٌ لايحتاج إلى نقاش ولاجدال ولامراء.

وتلك الآراء لها شأن في تاريخ النقد الأدبي ولاسيّما أننا إذا قرأنا كتابي (العقد الفريد) و(العمدة) وجدناهما قد أحاطا بالنقد العربي القديم وبالشعراء واخبارهم وأنسابهم وقد لاقت هذه الآراء قبولاً من كبار كتاب القرنين الثامن والتاسع منهم: ابن خلدون، إذ قال: ((أعلم أن الشعر كان ديواناً للعرب فيه علومهم واخبارهم، وحكمهم، وكان رؤساء العرب منافسين فيه وكانوا يقفون بسوق عكاظ لإنشاده، وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر لتمييز حوله حتى انتهوا إلى المباهاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت إبراهيم، كما فعل امرؤ القيس بن حجر والنابغة وزهير وعنترة وطرفة وعلقمة والأعشى وغيرهم، من أصحاب المعلقات السبع، فإنه إنما كان يتوصل إلى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته ومكانه في مضر على ماقيل في سبب تسميتها بالمعلقات))[٢٣٩].

وقد نجد انكاراً للتعليق في دراسات المستشرقين، فهذا نيكلسون الانجليزي وهذا الالماني هنجستيرج ونولدكه وكليمان هبّار الفرنسي نجد صدى نكران فكرة التعليق في كتبهم[٢٤٠] مع العلم انهم لاينكرون جودتها ويميلون إلى أن هذه التسمية مستوحاة من معانٍ مجازية اخرى منها الشهرة والنفاسة.

وبغض النظر عن التعليق وعدمه ومن خلال دراستنا آراء النقاد- مع اختلاف آرائهم- فانهم يتفقون على أنها قصائد مختارة من عيون الشعر العربي، وقد حظيت بدراسات وألّفت عليها شروح كثيرة ومتنوعة وأحيطت بدراسات محكمة فكرة التعليق وهذا أمر معروف لم يكن وليد الصدفة بدليل أن الملك من العرب كان إذا استجيرت له قصيدةٌ طلب منهم تعليقها قائلاً علقوا لنا هذه أي اكتبوها لتكون في خزانتي[٢٤١]، ويروي ابن جنّي خبراً عن حمّاد الراوية يذكر فيه ان النعمان أمر بنسخ أشعار العرب في الطنوج أي الكراريس ((ثم دفنها في قصره الأبيض فلمّا كان المختار بن أبي عبيدة قيل

---

(٢٣٧) خزانة الأدب ١٣٧/١.
(٢٣٨) ينظر: م.ن ١٣٧/١.
(٢٣٩) مقدمةالعلامةابن خلدون: ٣٦٠.
(٢٤٠) ينظر: تاريخ العرب الأدبي ١٧١.
(٢٤١) ينظر: خزانة الأدب ١٣٧/١ وجمهرة أشعار العرب ١/ ٩٧-٩٨ والعمدة ٩٦/١.

له أن تحت القصر كنزاً فاحتفر فأخرج تلك الأشعار))[٢٤٢] وهو بهذا يلح إلى أن أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة.

ويبدو أن حمّاداً ليس الجامع الأو ل لهذه المعلقات، ولكن لايعني إنه قد جمعها بعد جهد سابق له بدليله جهود خلفاء بني أمية في هذا المضمار فقد أعطوا لشعر ماقبل الإسلام عناية سواء في كتابته وحفظه أوروايته ونقده وقد جاء في الخزانة ان معاوية بن أبي سفيان قال: ((قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة الحارث بن حلزة من مفاخر العرب، كانتا معلقتين بالكعبة دهراً))[٢٤٣] ولعبد الملك بن مروان عناية بجمع هذه القصائد (المعلقات) وهذه العناية لاتقل قيمتها عن آرائه النقدية الأخرى فقد روي عنه انه طرح شعر أربعةٍ من شعراء المعلقات وأثبت مكانهم أربعة[٢٤٤].

وروي ايضاً ((ان بعض امراء بني أمية أمر من اختار له سبعة اشعار فسماها المعلقات))[٢٤٥] وهذه الأدلة تؤكد ((معرفة القوم بأمر المعلقات وكتابتها قبل حماد بدهر))[٢٤٦] غير أن ذوق حمّاد هو الذي تحكّم في اختيار المعلقات ((ولابد أن تكون في ذهن حماد وهو ينتقي هذا الانتقاء احكام ومقاييس لمواصفات معيّنة تتعلق بشخصية المختار لهم وطبيعة تكوين القصيدة والبناء الذي كانت عليه الطريقة التي استخدمت في ذلك والموضوعات المتداخلة التي تعرضت لها وربما احكام اخرى لم تهتد اليها))[٢٤٧].

ووقف على جانب انكار التعليق فريق آخر كان في مقدمتهم ابن النحاس الذي شرح القصائد السبع الطوال وان كان غير ناكر التعليق بمعانيه المعنوية فقد قال ((ان الملك إذا استحسن قصيدة قال: علقوا لنا هذه واثبتوها في خزانتي))[٢٤٨] إلاّ أنه انكر تعليقها قائلاً: ((وأمّا قول من قال انها عُلّقت بالكعبة فلا يعرفه أحدٌ من الرواة))[٢٤٩]. وأكد ذلك أبو البركات الانباري بقوله ((ولم يثبت مإذكره الناس من انّها كانت معلقة على الكعبة))[٢٥٠] وشاطره ياقوت الحموي رأيه هذا في ترجمته لحمّاد، ومن المحدثين الذين انكروا ذلك هو أحمد الحوفي[٢٥١]. وقد علل مصطفى صادق الرافعي رأي حمّاد بان هذه التسمية استنبطت من الحديث الشريف ((أعطيت مكان التوراة السبع الطوال وهي البقرة وال عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس))[٢٥٢].

---

(٢٤٢) الخصائص ٣٨٨/١.

(٢٤٣) خزانة الأدب : ٣٧/١.

(٢٤٤) خزانة الادب:١/ ١٣٧.

(٢٤٥)خزانة الأدب : ١٣٧/١.

(٢٤٦) تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، د. نوري القيسي وآخرون ٨٣.

(٢٤٧) خزانة الأدب ١٣٧/١.

(٢٤٨) شرح القصائد التسع المشهورات ٦٨٢/٢.

(٢٤٩) شرح القصائد التسع المشهورات ٦٨٢/٢.

(٢٥٠) نزهة الالباء: ٣٩.

(٢٥١) ينظر: الحياة العربية ٢٠١-٢١٢ وقد قدم بين يدي بحثة أثنتي عشرةْ نقطةلإنكار فكرة التعليق على الكعبة .

(٢٥٢) تاريخ آداب العرب ١٨٩/٣ وهناك اختلاف في السورة السابعة فقد تكون احدى السور الثلاث (يونس، يوسف، الكهف).

غير أن الأستاذ طه ابراهيم كان أكثر تشدداً لهذا الموقف إذ قال: ((وليس من شك في ان هذه القصة لا أصل لها: أريد قصة الكتابة والتعليق فصاحب العقد الفريد من رجالات القرن الرابع الهجري، ثم هو أندلسي فماذا منع المشارقة قبله من ايرادهم لها لو كانت صحيحة، كثير من المشارقة دوّنوا في النقد وفي الأدب ، وفي اخبار الشعراء قبل القرن الرابع الهجري ولم يشر واحد منهم إلى شيء من ذلك، ولفظ المعلقات غير مذكور لا في طبقات الشعراء لابن سلاّم ولا في الشعر والشعراء لابن قتيبة ولا في البيان والتبيين للجاحظ ولا في الكامل للمبرّد وتلك كلها من أمهات كتب الأدب))[٢٥٣] ويرى ان تأخر هذه القصة إلى عهد ابن عبد ربه تجريح لها طالما لم يشر لها أحد من قبله[٢٥٤] وقد وجّه في ذلك أسئلة كثيرة منها ((من الذي اختار هذه القصائد؟ من الذي كتبها وعلقها؟ في أي زمن؟ وفي أي احوال؟ وبحضور مَن مِن رجالات العصر وماذا فعل الله لها بعد الإسلام، ثم تلك أمور كان يجب ان تعرف، ثم إذا كانت قد كتبت، فكيف يختلف العلماء في عددها وفي أصحابها على أن من العلماء من ينكرها، أو لهم ابن النحاس المصري احد شراح هذه القصائد))[٢٥٥].

تلك اراء واسئلة مهمّة في مضمار العمل النقدي ويبدو أن ما أوجزناه من الآراء التي أكدت فكرة التعليق جزء من الاجابة والرد على اسئلة الأستاذ طه إبراهيم اما فيما يتعلق بأن السبب كان ابن عبد ربه لأنه كاتب اندلسي، وانه أو ل ماأظهر ذلك وطالما لم يشر اليها أحد من قبله على قوله فهذا امر غير مقبول لان هناك من اشار إلى ذلك ثم ان ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد تناول آراء نقدية سديدة كانت ومازالت إلى يومنا تضيء صفحات البحوث والدراسات.

ويناقش المرحوم الدكتور نوري القيسي قضية التعليق ويرى((أن هذه القصائد لو كانت معلّقة حقاً، ولو كان الناس حقا مطلعين عليها، وكانوا يعرفون حقاً مواضع تعليقها وأماكنها المحددة في الكعبة لما وجدنا هذا الاختلاف في العدد والاختلاف في تحديد الشعراء))[٢٥٦] ولم يكتفِ بهذا بل ذهب يقول: ((ومالنا لانذهب بعيداً وبين ايدينا شروح القصائد وهي لاتنص على هذه التسمية مطلقاً، فشرح ابن الانباري هو شرح القصائد السبع الطوال، وشرح ابن النحاس هو شرح القصائد التسع المشهورات، وشرح الزوزني هو شرح القصائد السبع.. وشرح التبريزي هو شرح القصائد العشر))[٢٥٧].

هذا هو رأي الدكتور القيسي يتلخص في عدم قبوله بفكرة التعليق على جدار الكعبة. ولكنه يرى ان نفي خبر التعليق لم يقلل من قيمة القصائد كونها صورة واضحة القسمات للشعر. إذ إنه لم ينكر تسمية المعلقات فقد جعلها عنواناً مصغراً لحديثه ورأى ان هذه التسمية تأتي من معنى المحبّة لان هذه القصائد كانت محببة إلى الناس وقريبة

---

(٢٥٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه ابراهيم ٨.
(٢٥٤)تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه ابراهيم ٨.
(٢٥٥)تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه ابراهيم ٨
(٢٥٦) تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام: ٨٤.
(٢٥٧) م.ن: ٨٤.

إلى قلوبهم لذلك علقت بهم واطلقوا عليها المعلقات[٢٥٨]، فالتعليق سواء أكان على جدار الكعبة أم في القلوب له قيمته الدلالية والفنية في الدراسات النقدية.

فإذا تأملنا هذه الآراء التي تنكر فكرة التعليق. فأننا نجد ابن النحاس قد انفرد بهذا الرأي من بين النقاد القدماء على الرغم من ان فكرة التعليق دعمتها آراء من السابقين عليه والمعاصرين له والمتأخرين بعده. وإذا تأملنا آراء ابن النحاس فاننا نجد فيها مايؤكد القول بالتعليق فعلى سبيل المثال قوله: ((وقيل بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول: علقوا لنا هذه لتكون في خزانته))[٢٥٩] ففي هذا النص دلالة واضحة على فكرة التعليق. وفي موضع آخر يقول ابن النحاس: ((فأمّا قول من قال انها علقت في الكعبة فلايعرفه أحد من الرواة))[٢٦٠] فهذه المقولة تؤكد ان من القدماء من قال قبله انها علقت ولكنه لم يجاريهم في ذلك. ومما يدل على أن وصف التعليق كان شائعاً وغالباً أن ابا جعفر عند شرحه قصيدة الحارث بن حلزة قال: ((ولايجوز ان يأتي بالفاء بعد بين وقد ذكرنا شرح هذا في معلقة امرئ القيس)) [٢٦١] فهذه الأدلة تكفي ان تكون شاهداً على فكرة التعليق وجاءت على لسان ممن لايؤمن بفكرة التعليق.

ومن الدارسين الذين عنوا بالمعلقات درساً وتمحيصاً وعناية الدكتور بدوي طبانه وناقش فكرة التعليق بموضوعية وعلمية دقيقة في كتابه معلقات العرب وخرج بعدد من النتائج المهمة منها ((ان تعليق الآثار النفيسة التي يحرص عليها على جدران الأماكن ذات القداسة والاجلال ليس بدعاً، فان الأمم قديمها وحديثها تعودت أن تصون نفائسها مثل تلك الأماكن المقدسة، والافراد من أو لي الحول والطول اعتادوا ان يتقرّبوا إليها بما يقدمونه من الهدايا والتحف وقد يلتمسون بذلك الزلفى والمثوية وبذلك جرت العادة في الجاهلية، وبقيت في الإسلام وكانت في العرب وغير العرب))[٢٦٢] وقد عضّد ماذهب إليه بقول المسعودي: ((كانت القرى تهدي إلى الكعبة أموالاً في صدر الزمان، وجواهر، وقد كان ساسان بن يابك أهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفاً وذهباً كثيراً، فدفن في زمزم، ولما فتح عمر بن الخطاب مدائن كسرى وكان مما بعث إليه هلالان، فبعث بهما فعلقا في الكعبة، وبعث عبد الملك بن مروان بالشمسيتين وقدحين من قوارير وبعث الوليد بن عبد الملك بقدحين وبعث الوليد بن يزيد بالسريرين والكرسي والهلالين وبعث أبو السفاح بالصفحة الخضراء وبعث أبو جعفر المنصور بالقارورة الفرعونية وبعث المأمون بالياقوتة التي تعلق كل سنة في وجه الكعبة في الموسم بسلسلة من ذهب...))[٢٦٣].

---

(٢٥٨) ينظر: تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ٨٣.
(٢٥٩) شرح القصائد التسع المشهورات ٦٨٢/٢.
(٢٦٠) شرح القصائد التسع المشهورات ٦٨٢/٢.
(٢٦١) م.ن ٥٤٨/٢
(٢٦٢) معلقات العرب: ٥٣.
(٢٦٣)معلقات العرب: ٥٣.

ولاريب في أن تعرض هذه القصائد في سوق عكاظ. ونظراً لجودتها وقيمتها الفنية والموضوعية فان امر تعليقها على الكعبة أمرٌ مهم وذلك لقداسة الكعبة في نفوس العرب والشعر في هذا العصر هو ديوان العرب ولكن فكرة التعليق قد تكون آنية حتى يدرك الناس مكانة هذه القصائد مع علمنا ان تعليق الاشعار والكتابات أصبح امراً مألوفاً متعارفاً عند عرب ماقبل الإسلام في الوقت نفسه أن تعليق الشعر لم يكن حصراً على العرب، فقد كان لذلك نظائر في أدب الاغريق ((فإن القصيدة التي قالها (بندار) زعيم الشعر الغنائي يمدح بها (ادياجوراس) قد كتبوها بالذهب على جدران معبد اثينا في لمنوس))[٢٦٤] لذلك لاتستغرب ان تكون عند العرب كتابة بماء الذهب لهذه القصائد الجياد. ومما يؤكد رأينا هذا مايروى عن معلقة جلجامش فقد قيل أنها كتبت بأمر الملك آشور ابن بعل ووضعت بقصره ونيه على هذا في تذليل لوحاته ثم ختمت بخاتمة وكانت مودعة في معابدهم[٢٦٥]. ولاريب في أن هناك من يذهب إلى أن عرب ماقبل الإسلام كانوا يعلقون كتاباتهم على جدار الكعبة ومن ذلك ماذكره محمد بن حبيب عن حلف خزاعة لعبد المطلب قال: ((وكتبوا بينهم كتاباً كتبه لهم أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة.. ثم علّقوا الكتاب في الكعبة))[٢٦٦].

فأمر التعليق ((ليس مستحدثاً بل هو دليل على تعليق كان قبله وليس مستبعداً قط أن تكون تلك القصائد مما علق في الكعبة وخصوصاً بعد أن ذكرت خبر التعليق عدد من المصادر الإسلامية))[٢٦٧] وهناك دليل آخر يجب ان نمثل به وهو التعاهد والتواثق الذي تم بين قريش حينما اجمعت على بني هاشم وبني المطلب على الاّ ((ينكحوا إليهم ولاينكحوهم ولايبيعهم شيئاً ولايبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على انفسهم))[٢٦٨] ولاريب في أن تمكث هذه الصحيفة معلقة في الكعبة دهراً، فلما اخرجوها بعد ذلك وجدوا ان الأرضة لم تدع في الصحيفة الاّ اسم الله.[٢٦٩]

ان تلك الآراء التي تحدثت عن المعلقات وتعليقها هي التي ذاعت واشتهرت واصبحت نوعاً ((من الشيوع العام في الناس وفي الزمن يتصل مااتصل التعليق، ويجري تحت أعين الشهود ماتجدّد الحاج وماتعاقب، فهو ليس ملكاً خاصاً لشاهد واحد ولاطائفة معينة من الناس، يضيف أصحاب السند فيها))[٢٧٠].

والسؤال الذي يبقى امامنا هو ماموقف رواة القرن الثالث الهجري وعلمائهم لمذا لم يتحدثوا عن تلك القصائد في كتاب تعلم واين هم من فكرة التعليق؟ اننا نقولها بصراحة

---

(٢٦٤) تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات ٣.

(٢٦٥) المعلقات سيرة وتاريخ: ١٦.

(٢٦٦) ينظر : بغية الوعاة ٧٣/١-٧٣، معجم الأدباء ١١٢/١٨، ومحمد بن حبيب هو محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، علاّمة بالانساب والاخبار واللغة والشعر والنثر مولده ببغداد ووفاته بسامراء سنة ٢٤٥هـ.

(٢٦٧) شرح المعلقات العشر، د. مفيد محمد قميحة ٢٠.

(٢٦٨) السيرة النبوية ٣/٢.

(٢٦٩) تاريخ الأدب العربي: ٦٤.

(٢٧٠) م.ن: ٦٤.

ان رواة القرن الثالث وعلماءهم بدءاً بابن سلام مروراً بالجاحظ وابن قتيبة وانتهاءً بالمبرد، قد تعرضوا لهذه القصائد ولشعرائها إلاّ أنهُ لم ترد عندهم تسمية المعلقات ولاخبر التعليق على الرغم من انهم لم يغفلوا اشارات الجودة للقصيدة المطوّلة عند تناولهم شعر الشاعر ولنأخذ طرفة بن العبد مثالاً، إذ يقول عنه ابن سلام: فأما طرفة أشعر الناس واحدة وهي قوله:

((لخولة اطلال ببرقة ثهمد))(٢٧١)

وقال أبو عبيدة ((طرفة أجودهم واحدة))(٢٧٢) وعندما تكلم ابن سلام على عنترة بن شداد قال:

((وله قصيدة وهي:

يـــادار عبلـــة بـــالجوادِ تكلمـــي وعمـــي صـباحاً دار عبلـة واسـلمي

وله شعر كثير إلاان هذه نادرة فالحقوها مع أصحاب الواحدة))(٢٧٣) وهي عند ابن قتيبة أجود شعره وكانوا يسمونها المذهبة(٢٧٤) وأصحاب الواحدة هم الذين عرفوا باصحاب المعلقات(٢٧٥) ويقول صاحب الخزانة هو أشعر الشعراء بعد امرئ القيس ومرتبته ثاني مرتبة ولهذا اثنى بمعلقته وقال الشعر صغيراً)).

وابن قتيبة تكلم أيضاً على شعراء المعلقات ولم يستخدم وصف التعليق لهؤلاء أو لقصائدهم إذ يقول عن امرئ القيس: ((قال لبيد أشعر الناس ذو القروح يعني امرأ القيس..))(٢٧٦) ويقول ابن قتيبة ((ومما يتغنى به من شعره قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل))(٢٧٧) وهذه القصيدة هي الذائعة في الأدب العربي باسم المعلقة.

ويقول عن طرفة: ((هو أجودهم طويلة وهو القائل: لخولة أطلال بببرقة تهمدِ- وله بعدها عشر حسن))(٢٧٨).

وعن عمرو بن كلثوم يقول ابن قتيبة: ((هو القائل: ألا هبي بصحنكِ فاصبحينا. وكان قام بها خطيباً فيما كان بينه وبين عمرو بن هند وهي من جيد شعر العرب القديم واحدى السبع ولشغف تغلب بها وكثرة روايتهم لها قال بعض الشعراء:

الهـي بنـي تغلـب عـن كـل مكرمـةٍ قـــصيدة قالهـــا عمـــرو بـــن كلثـــوم

يفـــاخرون بهـــا مـــن كـــان أولهـــم يااللرجـــال لـــشعرٍ غيـــر مـــسؤوم(٢٧٩)

---

(٢٧١) طبقات فحول الشعراء ١٣٨/١والقصيدة في ديوان طرفة ٣٨-٥٦ .

(٢٧٢) الشعر والشعراء/١٩١والمعلقة في الديوان ٥٢ وما بعدها .

(٢٧٣) طبقات فحول الشعراء ١٥٢/١،والبيت في ديوان عنترة٥٢

(٢٧٤) الشعر والشعراء ٢٥٢/١، خزانة الأدب ٤١٩/١.

(٢٧٥) ينظر: طبقات فحول الشعراء هامش ١ من ١٥٢.

(٢٧٦) الشعر والشعراء ١٠٥/١.

(٢٧٧) م.ن ١١٣/١.

(٢٧٨) م.ن ١٨٥/١.

(٢٧٩) الشعر والشعراء ٢٣٦/١.

ويرى التبريزي أن أجود الشعراء ((قصيدة واحدة جيدة طويلة ثلاثة نفر: عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وطرفة بن العبد))[٢٨٠] فيما يرى أبو عبيدة ان عمراً ابن كلثوم ((اجودهم واحدة...))[٢٨١].

والذي يؤسفنا حقاً اننا لم نجد نصوصاً شعرية تؤيد فكرة التعليق سوى بيت شعري واحد لعنترة بن شداد وهو:

عُلّقْتُها عَرَضاً وأقْتُلُ قومَها زعماً لَعَمْرُ أبيكَ ليسَ بمزعَمِ[٢٨٢]

ولانريد ان نذهب إلى ماذهب إليه بعض النقاد من أن كثيراً من النصوص التي تشير إلى فكرة التعليق على جدار الكعبة قد ضاعت فيما ضاع من شعر ماقبل الإسلام، لاننا ندرك جيداً ان الجيد الفريد لاتفقده ضمائر الأمّة مهما مر عليها من صنوف الأحداث. فضلاً عن أمتنا العربية التي عرفت بذوقها ومحافظتها على تراثها ولغتها على حدّ سواء. آخذين بالحسبان ان نشأة المعلقات قد ارتبطت بسوق عكاظ الأدبي الذي ((أمتهُ فحول الشعراء تتبارى باشعارها للفوز ولم يكن للشاعر مجد أعلى من الفوز في هذا السوق.. وليس بين نائلي جائزة نوبل اليوم من يزيد فخره عن فخر احد أو لئك الفائزين في عكاظ الجاهلية))[٢٨٣] والتي كان لشعراء المعلقات قصب السبق في الفوز ففكرة التعليق تزيد في قيمة تراثنا الأدبي فقبولها أهون على إنسان ماقبل الإسلام من وضع أصنام بالقرب من الكعبة وعبادتها. فهذه الآراء تزيد من قيمة المعلقات المعنوية والفنية.

ويبدوأن ماقاله الدكتور ناصر الدين الأسد أقرب إلى الصواب، إذ قال ((إننا لانملك وسيلة قاطعة للأثبات أو النفي ولانحب أن نعتسف الطريق ونقتحم كما يقتحم غيرنا ،وكل مانستطيع أن نقوله ان الاعتراض الذي قدّمه القدماء كاعتراض ابن النحاس والذي قدمه المحدثون لايثبت -في رأينا- التحقيق والتمحيص، فإذا مااستطعنا ان ننفي هذا الاعتراض بقي القول الأول بكتابة المعلقات وتعليقها سواء في الكعبة أو خزانة الملك أو السيد قولاً قائماً، ترجيحاً لايقيناً، إلى ان يتاح له اعتراض جديد ينفيه أو سند جديد يؤيده ويثبته[٢٨٤] ولكن لايعني ان الصفات حصرت على المعلقات بل شملت قصائد الشعراء مقلين ومغمورين فابن سلام يقول عن دالية الاسود بن يعفر النهشلي ((كان الاسود شاعراً فحلاً.. وله واحدة رائعة طويلة لاحقة بأجود الشعر، لو كان شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته وهي:

نام الخلي وماأحسَ رقادي والهم محتضرٌ لديّ وسادي

وله شعر جيد ولا كهذه))[٢٨٥].

---

(٢٨٠) شرح القصائد العشر: ١٢٥.
(٢٨١) جمهرة اشعار العرب:١/ ٦٧.
(٢٨٢) ديوان عنترة: ٥٤.
(٢٨٣) تاريخ العرب، ١٢٨.
(٢٨٤) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية: ١٧٠.
(٢٨٥) طبقات فحول الشعراء ١٤٧/١ والبيت في ديوان الأسود بن يعفر ٢٥.

والحق أن الاراء النقدية التي تميل إلى فكرة التعليق كانت لها الغلبة والترجيح ولعل ثبوت الوثائق والكتابات على جدار الكعبة أصبح مألوفاً فكيف بالشعر الذي كان ديوان العرب وديدن حياتهم وسجل اخبارهم. وقد ثبت تعليقه على خزائن الملوك والجدران فليس الأمر غريباً ان يعلق على جدار الكعبة.

ويرى الدكتور محمد أبو الأنوار انه: ((يجب الاّ يفزعنا كثيراً ضياع الغالبية العظمى من الاخبار والروايات حول التعليق، ذلك ان الإسلام كان حدثاً رهيباً على حياتهم حول الاهتمامات وغير مجرى الطبيعة الانسانية في مسيرة الحياة وكان العزوف عن مقدسات الجاهلية عبادة يتقرّب بها. فهل بقي لما كان في الكعبة من أصنام مكان بجانب عقيدة التوحيد؟! وهل بقي لما كان في الكعبة من معلقات مكان بجانب المعجزة الخالدة الباهرة: القرآن الكريم))(٢٨٦).

ولا ريب في أن ماوصلنا من موروث الشعر الجاهلي يدل على نضوجه واستقراره بعد أن فحص ومحص من لدن النقاد ولم يشكل ماضاع منه أي ضرر علينا، لاننا ندرك ان الجيد الفريد لاتفقده ضمائر الأمة مهما مرّ عليها من صنوف الاحداث. فضلاً عن امتنا العربية التي عرفت بذوقها وحافظتها. كما ان هناك من الأخبار ماأكدت فكرة التعليق وبعد أن انعمنا النظر في تلك الروايات ونظرنا اليها بموضوعية ارتأينا قبول التعليق.

---

(٢٨٦) من قضايا الأدب الجاهلي: ٨٥.

الحوليات:

مثلما تباينت آراء الرواة والنقاد في تفسير المعلقات تباينت كذلك في تفسير معنى (الحوليّات) فقد ذُكر أنّ ((زهيراً كان ينظم القصيدة في شهر ويفحصُها ويهذبُها في سنة و كانت تسمى قصائده حوليّات زهير))[(٢٨٧)] وقد أصبحت الحوليات ظاهرة أدبية في شعر ما قبل الإسلام وانتشرت بين عدد من الشعراء كأوس بن حجر، وزهير بن أبي سلمى وكعب بن زهير والحطيئة، وكان لها أثرها في بناء القصيدة.. تلك هي ظاهرة (الحوليّات) القائمة على عملية (التنقيح) و التهذيب و التنقيب))[(٢٨٨)] فقد كان الشاعر يحرص على تشذيب قصائده وصقلها بحيث يجعل منها فنّاً خالصاً فهو لا ينفع في الشعر مع سجيته وإنما يحاول أن ينقحه، ويمعن النظر فيه، ويطيل حتّى تخرج القصيدة في ثوب قشيب، سداها البيان الخالص ولحمتها الكلمة المنتقاة المختارة، لذلك تبدو قصائده كالخرائد في أجياد كواكب حسان تتهادى في مشيتها زهواً واختيالاًوقد كان زهير ((يسمّي كبرى قصائده الحوليات))[(٢٨٩)]لهذا كان معروفاً بالتنقيح وكان موصوفاً بالمهذّب منعوتاً بالمنقح وسمّى شعره الحولي المحكك[(٢٩٠)].

وقد وصف الأصمعي زهيراً والحطيئة وأشباههما بأنهم عبيد الشعر وذلك لأنهم لم يذهبوا على عادة المطبوعين، وإنما كان ينقحون الشعر ويهذبونه ويعيدون ثم يعيدون حتى تخرج القصيدة التي يريدون[(٢٩١)].

وقد كان الشعراء يحّبذون عملاً مثل هذا بل ويمدحون صاحبه فهذا الحطيئة يصف خير الشعر بانه ((الحولي المنقح المُحَكَّك)) وهو بهذا يلمح في قوله (الحولي) إلى الحول وهو مدة طويلة لاخراج القصيدة ثم يردف قوله بـ (المحكك) وكأنه يخرج لنا قطعة من الجوهر الأصيل. و هذا دليل على أن عناية الشعراء باشعارهم كانت أمراً معروفاً وصل حد الأفراط وهذا حد الأصمعي إلى ان يصفهم بـ (عبيد الشعر). غير أن تغليب هؤلاء الشعراء شعرهم لا يعني أنهم غير مطبوعين ، واهتمامهم بشعرهم لا يعني انه صنعة، فهو ملكة قبل كل شيء، إلاّ أن تأتيهم في ان يخرج شعرهم اجود يجعل رأي ابن قتيبة وهو أن هؤلاء تكلفوا الشعر مقبولاً. لان المتكلف ((هو الذي قوّم الشعر

---

(٢٨٧) خزانة الأدب ٣٦٧/١-٣٧٧.
(٢٨٨) تاريخ النقد الأدبي د.عناد غزوان وآخرون ٥١.
(٢٨٩) الشعر والشعراء ٧٨/١.
(٢٩٠) ينظر: تحرير التحبير٣/ ٤٠١.
(٢٩١) ينظر:فحولة الشعراء ٤٩، والشعر والشعراء ٧٨/١.

بالّثقاف، ونقّحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر بعد النظر، كزهير والحطيئة))[٢٩٢].
فابن قتيبة ـ كما يبدو ـ يريد أن هؤلاء قد بذلوا في شعرهم أكثر من الموهبة فزادوا في صنعهِ بدليل تسميته بالشعر الحولي.
وهذا هو شعر تُكلف حتى ان قول ابن سنان الخفاجي لا يعني الصنعة عندما قال عن زهير ((انه عمل سبع قصائد في سبع سنين، وكان يسميها الحوليات ويقول خير الشعر الحولي المحكك والرواة كلهم يجمعون على هذا.. وإذا فضلوا شعر زهير قالوا: كان يختار الألفاظ ويجتهد في أحكام الصنعة وإذا وصفوا الحطيئة شبهوا طريقته في الشعر بطريقة زهير))[٢٩٣].
ونجد ان الجاحظ لم يعب على هؤلاءِ اهتمامهم بشعرهم بل بيّن ان شعر المدائح تلازمه الصنعة التي تثبت جودها في الاداء الفني أمّا ما عدا ذلك من الشعر فانه ملازماًللطبع لذلك، قال: إن ((من تكسَّبَ بشعره والتمس صلات الإشراف والقادة وجوائز الملوك والسادة في قصائد السماطين وبالطّول.. لم يجد بّداً من صنيع زهير والحطيئة واشباههما، فإذا قالوا في غير ذلك، اخذو عفوا الكلام وتركوا المجهود، ولم نرهم مع ذلك يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد في صنعة طوال الخطب))[٢٩٤].
والحق أن موضوع الحوليّات كان له حيّز في صفحات النقد الأدبي قديمه وحديثه بما يعرف بالطبع والصنعة، إلاّ أنه اتفق أصحابه على أن الفن المتميّز هو الفن القائم على ((فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعنى وإبرازه، وإتقان بنية الشعر، وإحكام عقد القوافي، وتلاحم الكلام بعضه ببعض))[٢٩٥].
فالطبع والملكة وفطنة الشاعر وطموحهِ إلى أن يكون في مصاف المجيدين ذلك كلّه أهّلَ الشاعر للريادة، فطبع زهير وصنعته وثقافته التي أثرتها روايته للشعراء فضلاً عن مكانته بين قومه وقربه من عصر صدر الإسلام ذلك كله جعله يفيد من خبرة سابقيه وتجاربهم، و يبدو أن هذا جعله على رأس مدرسة الصنعة. إذ إن شعره كان ((نتاج مرحلة متأخرة في العصر الجاهلي، فبعد أن استقرت فيها القصيدة الجاهلية من ناحية المبنى والمعنى توّجت هذه المرحلة بقصيدة زهير التي بلغ فيها النمط الجاهلي الموروث قمّة الاستقرار والنضج))[٢٩٦].
وكما كان أهل عصر ما قبل الإسلام يطلقون القاباً على الشعراء الكبار فأنهم كانوا يسمون القصائد التي ذاعت واشتهرت أسماء تصور أعجابهم بها وإجادة أصحابها في نظمها من مثل اليتيمة[٢٩٧] والمنصفة[٢٩٨] والسموط[٢٩٩].

---

(٢٩٢) الشعر والشعراء ٧٨/١.
(٢٩٣) سر الفصاحة ٢٨٢-٢٨٣.
(٢٩٤) البيان والتبيين ١٣/٢-١٤.
(٢٩٥) العمدة ١٢٩/١.
(٢٩٦) زهير بن أبي سلمى بين ناقديه، رسالة ماجستير ١٨٦.
(٢٩٧) الأغاني ١٧/٢١.
(٢٩٨) الاصمعيات ١١٧.
(٢٩٩) البيان والتبيين ٩/٢.

وهذه الظاهرة لم تفت الجاحظ، وكانت إشارته إلى تفسير أصل تسمية الحوليات، إذ قال: ((ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتاً وزمناً طويلاً يردد فيها نظره، ويحيل فيها عقله ويقلّب فيها رأيه، اتهاماً لعقله، وتتبعاً على نفسه، فيجعل عقله زماماً على رأيه، ورأيه عياراً على شعره، إشفاقاً على أدبه، وإحرازاً لما خوّله الله من نعمته.وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليّات والمقلّدات والمنقحات، والمحكّمات ليصير قائلها فحلاً خنذيذاً وشاعراً مفلقاً..))[300].

فالشاعر يسعى إلى تجويد شعره وتنقيحه وتهذيبه. ولا ريب في أنه يمر على بيت من أبيات قصيدته فيهذّب ويغربل فوقفته تستدعي أن يعيد النظر فيما قاله حتى تخرج قصيدته كلها مستوية في الجودة وتبلغ أعلى مراتب الإبداع، إذ إن الأسلوب كما يقول المسدّي ((اختيار واعٍ يسلّطه المؤلف على ما توفره اللغة من سعَةٍ وطاقات))[301] ولا ريب في أن عملية الإبداع قد كونت مدرسة إبداعية في عصر ما قبل الإسلام اعتمدت على الصنعة إن هذه المدرسة قد ((استمرت بالنمو والتطوير في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي وكأنها اتجاه شعري له أنصاره ودعاته))[302].

ولم تقف عند ذلك الحد بل واكبت العصور اللاحقة بعد أن أتيح لها ما أتيح من الامكانات التي وصل بها الأمر إلى الافراط والغلو في العصور.

ولا غرو أن تعرف المدرسة بـ (مدرسة زهير)، إذ اتخذ أمر الاستغراق في شعره ((طابعاً بعينه غلب على صوره الشعرية ومعانيه.. وهو استغراق هذه المعاني والصور الشعرية واستنفاذها، وهي خاصيّة فنية كانت تميّز شعره من شعر غيره))[303]. ويبدو أن نفسه الطويل واجتهاده في تجويد فنّه مكّناه من ريادة هذه المدرسة نفسها بدليل قول الأصمعي الذي ذكرناه سابقاً. ولم يكن زهير والحطيئة وحدهما اللذين اهتما بشعرهما فثمة شعراء آخرون دأبوا على تثقيف شعرهم.

فهذا سويد بن كراع العكلي يشبه قوافي شعره بسرب حيوان الوحش الاكبر ويريد بها الأبيات الشعرية ويقصد بها القصيدة وفي الوقت نفسه يعبر عن مدى تنقيحه ومكابدته في الاختيار فهو يقول:

أبيتُ بأبواب القوافي كأنما	**أصادي بها سِرْباً من الوَحشِ نُزَّعَا**
أكالِئهُا حَتّى أعَرِّسَ بعدما	**يكون سُحَيْراً أو بعيداً فاجمعا**
عواصي الاَّ ما جعلت وراءها	**عصا مربدٍ تغشى نحوراً وأذرعا**
أهبت بغر الآبدات فراجعت	**طريقاً أملّتهُ القصائدُ مَهْيَعا**
بعيدة شأو لا يكاد يردّها	**لها طالبٌ حتى يكلَّ ويظلعا**
إذا خفت أن تروى عليَّ رددتُها	**وراء الترامي خشيةً أن تطلعا**
وجشمتني خوف بن عفان ردَّها	**فثقفتها حولاً حريداً ومربعاً**

---

(٣٠٠) البيان والتبيين ٩/٢.

(٣٠١) الأسلوب والأسلوبية ٧٤-٧٥.

(٣٠٢) أصول نظرية نقد الشعراء عند العرب ١٤.

(٣٠٣) قضايا الشعر في النقد العربي ٤٠.

وقد كان في نفسي عليها زيادة فلم أرَ إلاّ أن أطيعَ وأسمعا[٣٠٤]

ونجد ان كلمة (حول) قد كانت بين كلمات القصيدة وهذا يؤكد لنا مصطلح (الحوليّات) وهذا كما يبدو يعني مدى الاهتمام بتصحيح الشعر وتهذيبه وصقله حتى يستوي شعراً تتناقله الرواة ويفخر به الشاعر ويبدو أن سويداً لم يكن من المحككين أو من عبيد الشعر بأبياته هذه وإنما أراد أن يصوّر حال الشاعر عامة في معاناة قول الشعر لا تحليله، وتركه حولاً كاملاً يعيد النظر فيه لأن إعادة النظر في الشعر (هو شأن زهير واضرابه، إذا لم يكن يستدعي معاناتهم بل المعانة كانت في إنشائه لا في تحبيره وتحليله. وسويد لم يقصد بهذه الأبيات تحليل الشعر بل في معاناة انشائه اللهم الإّ في نهاية أبياته التي ذكر فيها كلمة (حول) وربما كان هذا في بعض شعره لا عامته كزهير والإّ لذكر كما ذكر زهير.

ومن اللافت للنظر أن مصطلح التنقيح عرف لدى الشعراء قبل النقاد، حكي عن الحطيئة انّه قال ((نقحوا القوافي فإنها حوافر الشعر))[٣٠٥]، وقد شغل مساحة كبيرة في كتابات القدماء فذكر الجاحظ ((القصائد المنقحات))[٣٠٦] وجعل ابن قتيبة ((التنقيح سمة المتكلف في شعره))[٣٠٧]. وهذا المصطلح يؤكد تهذيب الشعر وتنقيته من العيوب.

وقد ذكره شعراء عصر ما قبل الإسلام، فهذا أبووجزة السعدي يقول:

طوراً يجوب العقد من نقح كالسند أكابده هيم مراكيل

وكذلك في الأمثال حيث جاء (استغنت السلاءة عن التنقيح) وهو مثل يضرب لمن يحاول أن يزيد في تجويد شيء هو في غاية الجودة سواء أكان شعراً أم نثراً أو غير ذلك مما هو مستقيم[٣٠٨].

وقد برز من شعراء الحوليات زهير والحطيئة وكعب بن زهير ويؤكد ذلك ما جاء في الأغاني من قول الحطيئة لكعب ((قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي أليكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك فان الناس لأشعاركم أروى واليها أسرع. فقال كعب:

فمن للقوافي؟ شأنها من يحوكها إذا ما ثوى كعب وفوّز جرولُ
كَفيتُكَ لا تلقى من الناس واحداً تنخّلَ منها مثلَ ما اتنخّلُ
نقولُ فلا نعيا بشيءٍ نقولهُ ومن قائليها من يسيءُ ويعملُ

---

(٣٠٤) الشعر والشعراء ٦٣٥/٢ ، والأبيات في ديوان ،سويد بن كراع العكلي ٩٤ – ٩٥ وأصادي: خاتل ونزع جمع نازع وهو الغريب، أكالها: أراغبها. والتعريس: النزول في السحر، والمربد: محبس الابل، أهبت بها: دعوتها. الآبدات: المتوحشات. أملته: سلكته. والميهع: الطريق الواسع.

(٣٠٥) الرسالة المُوضَحَة ٤٢.

(٣٠٦) البيان والتبيين ٩/٢.

(٣٠٧) الشعر والشعراء ٧٧/١، للاستزادة ينظر: الموشح ١٩٩ والوساطة ٤١٣ والصناعتين ٣٠ والعمدة ١٢٩/١، ٢١١.

(٣٠٨) ينظر: اللسان مادة نقح والتنقيح: تشذيبك عن العصا أبنها حتى تخلص، ونقح الشيء قشرّه.

نثقفهـــا حتـــى تلـــينَ متونُهـــا فيقـصرُ عنهـا كـلُّ مـن يتمثـلُ[٣٠٩]

ويجد الدكتور عبد العزيز عتيق في أبيات كعب السابقة ((ملاحظة نقدية مجملة تشير إلى الأتجاه الذي ابتدعه زهير في صناعة الشعر. وأعني بذلك الاتجاه إلى تنقيح الشعر وتثقيفه مع النظر في متونه وأعطافه من حيث الفصاحة والجزالة، وبسط المعنى وإبرازه، وإتقان بنية الشعر وأحكام عقد القوافي، وتلاحم الكلام بعضه ببعض))[٣١٠].

والباحث يجد في هذا قبولاً، إذ إن التفاخر بصفات أشعار الشعراء ووصف أحدهم الآخر ما هو الاَّ ملاحظات نقدية كان لها أثرها في النقد الأدبي فها هو المُزَرِّد بن ضرار يغضب لعدم ذكره ويرد على قصيدة كعب بن زهير وتفاخره وينظم على غرار ما نظّم فيقول في أبياتٍ منها مشيراً إلى ذكر عدد من المصطلحات النقدية

وباســتِك إذا خلَّفْتَنِــي خَلْــفَ شــاعرٍ مــن النــاس لــم أكْــفَ ولــم أتنحَّــلِ

فــإن تخــشبا أخــشب وان تتــنخّلا وان كنــت أفتــي منكمـــا اتنخّــلِ

ولــستُ كحـسانِ الحـسام بـن ثابـتٍ ولــــستَ كـــشمّاخٍ ولا كالمخبّــــلِ

وأنــت امــروٌ مــن أهـل قـدس أوارةٍ أحلّتـك عبـدُ الله أكنــافُ مبهــلِ[٣١١]

يبدو أن كلام الشعراء وأطلاقهم الأحكام مع تعليل تلك الأحكام إنما هو حكم نقدي ولا نشك في أنه جاء استناداً إلى علم دقيق وفهم عميق ودراية بأحوال العرب ومعرفة بأذواقهم، فكأن كل من نطق بالحكم ناقد. وانا إذا استقرينا نصوصاً أخرى وجدنا مصطلحات جديدة كانت مفتاحاً لباب نقدي مهم.

---

(٣٠٩)طبقات فحول الشعراء١/١٠٤- ١٠٥ للاستزادة ينظر: الشعر والشعراء ١/٥٦ ، والأبيات في ديوان كعب بن زهير ٦٦ مع تغيير يسير فصدر البيت الثالث (يقول فلا أعيا بشيءٍ يقوله) وفي الاخير (نقومها حتى...).

(٣١٠) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ٨٥.

(٣١١) ينظر: طبقات فحول الشعراء١/١٠٥-١٠٦ ١/ ٨٨-٨٩، للاستزادة ينظر: الشعر والشعراء ١/١٥٦.والأبيات في ديوان مزردبن ضرار ٨٠-٨١. وقدس أوارة: جبل لمزينة وعبد الله يعني عبد الله بن غطفان، وكان كعب فيهم ينظر معجم البكري ١٠٥١.

رواية الشعر وتدوينه:

لا ريب في أن الحديث عن الروايّة قد بلغ أوجه في الدراسات العربية والنقدية على وجه الخصوص فقد أسهمت بهذه المهّمة دراسات تبعث على الاجلال والاحترام[312] ولرواية شعر ما قبل الإسلام أهمية كبيرة في تاريخ الأدب العربي فقد ركّزت في حمل الشعر على الألسن شفاهة من جيل إلى جيل حتّى عصرنا الحاضر الذي ما زال الشعر في أغلبه متواتراً ومكتوباً في لوح الحافظة على الرغم من كثرةالمصادر والمراجع التي حملت الشعر في مظانها. وفي الوقت نفسه فقد رافقت الكتابة الرواية في نقل أدب ما قبل الإسلام وأمر الكتابة معروف لا يحتاج إلى جدال ولا نقاش ولا مراء فيه فالاشعار تعلق في خزائن الملوك وعلى جدار الكعبة.

وقد وصف الشعراء الكتابة في عدد من القصائد[313] غير أن الأثر الشعري في قضية عصر ما قبل الإسلام لدى الشعراء.. مصدره في الاصل الارتجال[314].

ويرى غولد زيهر: ان شعر ما قبل الإسلام كان مكتوباً في أغلبه فالتقييد والتدوين كانا معروفين لدى أهل عصر ما قبل الإسلام، وإذا كان الشعر عندهم يعد في الذروة العليا من القيمة والخطر، إذ هو ديوان أمجادهم وأحسابهم وسجل مفاخرهم ومآثرهم فهذا وحده يكفي ان يجعلهم يتسابقون إلى تدوينه طالما انهم قد دوّنوا ما دوّنوا من دونه. فضلاً عن شغف القبيلة بشعر شاعرها وتحيط به من كل الجوانب وتحفظه لكي تباهي به القبائل الأخرى، وأمر آخر مهم يجب أن نذكره وان بعض الشعراء ورواة الأشعار قد جعلوا الشعر مورداً من موارد الارتزاق وغير معقول الاّ يقيّدوا هذا الشعر مصدر الخير ومورد الرزق فالتقييد في كتابته وحفظه في لوح الحافظة في آن معاً، ومما يدل على تقييده أيضاً وأن بعض الشعراء عمدوا على نظم الشعر الحولي المحكك ولم يرتجلوه ارتجالاً وهذا أمرٌ يتطلب التقييد والكتابة.

فالرواية تمثل لوناً مهماً من ألوان الثقافة التي لا يستغني شاعر عن التزود فيها في بدء حياته وفي مراحل تطوره كلها، وإذا ما تأملنا قصائد شعراء ما قبل الإسلام فأن فيها ما يؤكد ظهور الكتابة.

فقد قال: امرؤ القيس:

لمن طللٌ أبصرتهُ فشجاني ... كخط زبورٍ في عسيبٍ يماني

ويقول لبيد في هذا المعنى:

وجلاء السيولُ عند الطلولِ كأنّها ... زُبُرٌ تجدُّ متونها أقلامها

وقد تناول حاتم الطائي هذه الصورة، فقال:

اتعرف أطلالاً ونؤياً مُهدّماً ... كخطك في رَقٍّ كتاباً مُنمنَما

---

(١)ينظر: مصادر الشعر الجاهلي ١٨٧.

(٢)ينظر :المفضليات (دار المعارف)،٢٠٤،١٣٠،٢٣٧والأغاني١٣٠/٦.

(٣)تاريخ الأدب العربي ، بلاشير ٩٥.

ويبدو أن أبا ذؤيب الهذلي قد تأثر بقول حاتمٍ وأفاد منه في قوله:

عرفـــت الـــديار كرســـم الكتـــا ب بزِّبــرهُ الكاتــب الحميــري)) [٣١٥]

ويبدو أنه ناك أسباباً كثيرةً أدت إلى نسبة البيت أو القصيدة إلى اكثر من شاعر منها ما يرجع إلى الذاكرة ((التي لا تسلم من ادخال حدث في حدث مشابه له أو قريب منه واحلال كلمة محل أخرى يترتب عليها نسبة الشعر إلى غير قائله وقد يتعلق الأمر بالرواة انفسهم من حيث أمانتهم أو تزويدهم بالمادة المروية من حيث ضبطها ونقلها مثلما اراد صاحبها ومن الأسباب التي أدّت إلى ذلك اتخاذ بعض القصائد في المعنى والوزن والقافية فيشتبه ذلك على الناس فيدخلون أبياتاً في قصيدة أخرى)) [٣١٦] ـ وقد يعود الأمر إلى ((اشتهار بعض الشعراء بموضوع أو غرض معيّن أكثروا من النظم فيه أو قصروا عليه عظم أشعارهم، فعرفوا به وعرف بهم، فإذا سمع الناس أبياتاً مجهولة القائل تدور حول غرض اشتهر به شاعر بعينه أو تشبه شعره ونهجه، صرفوها إليه)) [٣١٧].

فالتدوين لم يكن له إلاّ القدر القليل الذي تسمح به حياة العرب قبل اسلامها من حيث ارتحالهم وعدم اصطناع وسائل الكتابة وأدواتها على نطاق واسع. لذلك ظلت الرواية حتى بعد عصر التدوين ذات مكانة متميزة ولا سيما الرواية عن الأعراب والأخذ منهم، ولكنها بدأت ـ أو كادت ـ تفقد مركزها بعد فساد ألسنة الأعراب من جهة، واعتماد المؤلفين والعلماء على الكتاب مصدراً مهماً من جهة أخرى.

ولكن لا يعني ان الرواة لا يتدخلون في اصلاح الشعر القديم ولكنهم كانوا يوجهون بعض النصوص ويهذبونها بدليل ان الأصمعي روى أبياتاً لجرير على خلف الأحمر حتى وصل إلى قوله:

فيالـــك يومـــاً خيـــره قبـــل شـــره تغيـــب واشـــيه وأقـــصر عاذلـــه

فقال ويله! وما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ قلت له هكذا قرأته على أبي عمر فقال له:

صدقت، وكذا قاله جرير.. وما كان أبوعمرو ليقرئك الاّ لما سمع فقلت كيف كان يجب

ان يقول؟ قال الأجود له لو قال:

---

(١)والأبيات في ديوان امرئ القيس ٨٥ وديوان لبيد ٢٩٩ وديوان حاتم الطائي ٧٠ وديوان الهذليين ٦٤

(٢)مجلة المجلة ٣٠ ومثال ذلك سينّية أمرئ القيس وسينية بشر بن أبي خازم التي ثبتت في ديوانهما ، ينظر : ديوان أمرئ القيس ١٠١ـ ١٠٢، وديوان بشر ٩٩ والمرجح أنها لبشر وقد رواها المفضل أو عمر الشيباني . وقد يحدث التداخل بين قصيدتين للشاعر الواحد وهذا لا يكون إلا في حالة إتحادهما في المعنى والوزن والقافية ينظر : الاتجاهات الفنيه :في رواية الشعر الجاهلي(راسالة دكتوراة) ٢٥٣ـ٢٥٨

(١)مجلة المجلة ٣٧ . وقد أحتملت إشارة الأصمعي هذا المعنى إذ قال الناس يروونها لأمية بن أبي الصلت

من لم يمت غبطة يمت هرماً الموت كأس والمرء ذائقها

قال : وهذا لرجل من الخوارج : الموشح ٧٥ والبيت في ديوان أمية بن أبيالصلت ١٧٢.

فيالك يوماً خيره دون شرّهِ.

فاروه هكذا..))[318].

وهكذا كان شاعر عصر ما قبل الإسلام ينشد قصيدته فتعلق في الإذهان عن طريق الرواية المباشرة المتواترة كما ان الشاعر ينشد قصيدته في اكثر من مجلس وقد يغير أو يحذف شيئاً من القصيدة سعياً إلى تنقيحها يظهرها بغير مظهرها الأو ل وهذا بالتأكيد يؤدي إلى اختلاف الرواية. والرواة كما أشرنا كثيرون يتصدرهم الشعراء فقد كان كل شاعر راويةلشاعر، وكان من الرواة أبناء الشاعرأواقارب وقد يصل الأمر إلى مجموعة كبيرة من أفراد عشيرته أو قبيلته وقد يتجاوز ذلك إلى أبناء قبائل أخرى. فالخنساء على سبيل المثال تروي لها ابنتها (عمرة) التي كانت شاعرة وتروي شعر امها. وابن حفيدها (حفص بن قيصر بن عمرة) كان مرجعاً لرواية شعر جدته ورجال آخرون من قبيلتها مثل (عرّام السلمي)و(شجاع السلمي)كانوا رواة يوثق برواياتهم وقد اعتمد الرواة على رواة بني سليم في صنع ديوان الخنساء كأبي عمروابن الاعرابي))[319].

ويروى أن للاعشى ثلاثة رواة ولم نجد شاعراً جاهليّاً أو أسلاميّاً أو أمويّاً، الاّ وقد كان راويةً لشاعرٍ اقتدى بهِ وجعله إماماً أستاذاً له وقد كان للصلة أثرٌ في الرواية. ولو تتبعناها ـ أي الصلة ـ بين شعراء الجاهلية لوجدنا الكثير منهم ذوي رحم.[2] والحق انه سُجِّلَ لهذه الأمة أن تحفظ تراثها الأدبي الجم عن طريق الحافظة والذاكرة((وقد رأينا للشعراء الجاهليين الكبار رواة يقفون أنفسهم على حفظ أشعارهم وغيرها. ولعل المتأمل الدقيق يكشف لنا عن حكمة آلهية عليا في صياغة هذه الأمة على هذا النحو في العناية بفن الرواية وشغفها بهِ وحرصها عليه، لأنه سبحانه وتعالى كان يعدُّها لتلقي القرآن الكريم ـ وحفظ السنّة المطهرة ـ فاستقبلته ذواكرهم ما تحرص عليه العناية، بحفظ الكلمة الأدبية ، ومراوحة ترديدها ومن ثم سهل فيهم ـ وإلى اليوم ـ حفظ القرآن الكريم إلى المدى الذي جعلَ الرسول الكريم ﷺ بعد تدوين القرآن الكريم ومراجعته مع جبريل عليه السلام يعرضه أيضاً على الحفظة في حضرة كتاب الوحي))[320]. وهذه الموقف يسجل القيمة المعنوية والفنية لحفظ الرواية ومستواه في رجالات هذه الأمة.

والحق أن الرواية الشفوية للشعر الجاهلي قد تبلورت عن حاجة ثقافية وضرورة انتهجت على المستوى الرسمي كما تفيد اخبار الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ﷺ وقادة الدولتين العربيتين الأموية والعباسية وإلى يوم الناس هذا وقد زاد من فاعلية الاتجاه الشفوي الفاعل للرواية ارتباطه في حلقات المســاجد والأوساط الأخرى[321]. فقد كان النبي الكريم ﷺ يدرك قيمة الشعر وروايته في نفوس العرب وما جبلوا عليه من حب

---

(٢) الموشح ١٩٨- ١٩٩ وروي في ديوان جرير ص ٥٧٦ ((وذلك يوم خيره دون شره)) .

(١) ديوان الخنساء ٢٤.

[2] من قضايا الأدب الجاهلي ١٥٧.

(٢) من مصادر الشعر الجاهلي١٥٧.

(١)ينظر:الأغاني ١٠٣/٦ ومعجم الأدباء ٢٤٣/٤.

وتذوق حتى قال: ((لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين))[322]. وهذا دليل على أن الرواية لم تتوقف في عصر صدر الإسلام، فقد قيل للحسن البصري ((أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمزحون؟ قال: نعم، ويتقارضون من القريض وهو الشعر))[323]، وقال جابر بن سمرة: ((جالست رسول الله ﷺ اكثر من مئة مرة، فكان اصحابه يناشدون الاشعار في المسجد وأشياء من أمور الجاهلية فربما تبسّم رسول الله ﷺ [324] والأخبار عن رواية الشعر في صدر الإسلام كثيرة ومتنوعة.

وكان عمر ﵁))لا يكاد يعرض له امر إلاّ أن شد فيه بيت شعر))[325] ومشى اغلب الصحابة على هذا المنوال ويروى عن عائشة انها قالت ((اني لأروي الف بيت للبيد، وإنه أقل ما أروي لغيره))[326] وقالت:((روّوا أولادكم الشعر تعذب السنتهم))[327].

على أن رواية الشعر في صدر الإسلام لم تتوقف، وأنها كانت على قدر من الصحة والثقة. وكان المقداد بن الاسود يقول ((ما كنت أعلم أحداً من اصحاب رسول الله ﷺ اعلم بشعر ولا فريضة من عائشة ﵂)) [328]

الا يكفي ذلك تأكيداً ان الرواية في عصر صدر الإسلام كان لها أثر كبير في نقل الشعر وتقييده في الإذهان.

ويبدو أن فكرة التكسب من الرواية قادت بعض الرواة إلى التبديل والتعديل في بعض القصائد، وهذا هو الذي أدّى إلى تشكيك بعض الدارسين في صحة هذا الشعر وهو الذي دفع بعضهم إلى إنكاره جملةً وتفصيلاً. والحق أن شعر ما قبل الإسلام وقع فيه ما وقع من الزيادة والنقصان إلاّ أنه في أغلبه الأعم كان صحيحاً فقد ثبتت صحته ، ووثقه كثير من النقاد وأصحاب الخبرة والدراية. وإذا كان هناك من خلاف أوتعارض في روايات ذلك الشعر، فأن ذلك أمر متوقع ومفروغ منه ويمكن أن يكون ذلك في العصور كلها حتى العصر الحديث الذي توافرت فيه الإمكانات الكافية والمقومات التي يعجز عنها الوصف.

ولا ضير فقد كان هناك رواة مصلحون يهذبون وينقحون الأشعار[329] وفي الوقت نفسه كان هناك رواة وضاعون وأكثر هؤلاءِ هم ممن ارتبطوا بالمجالس، إذ

---

(٢) العمدة ٣٠/١.
(٣) الفائق في غريب الحديث والأثر ٢٢٩/٢.
(٤) البيان والتبيين ١/ ٤٥، ٢٢٩- ٢٤١ والأغاني (دار الكتب) ٣٨/٤، ١٠ / ٢٨٨- ٢٩١، ٤/١١-٥.
(٥) م.ن : ٢٤١/١.
(٦) العقد الفريد ٢٧٥/٥.
(٧) م.ن ٢٧٥/٥.
(٨) م.ن ٢٧٤/٥.
(١) ينظر:الموشح٢٨، ١٨٤، ١٨٢، ٢٥، ٩٥، ٨٥، ٢٨، والعمدة ١٩٢/٢- ١٩٣ ومصادر الشعر الجاهلي ٢٤١- ٢٤٤.

وجدوا في القصص وأحاديث السمر مجالاً فسيحاً للزيادة في الأشعار، ولم يتوغلوا في ذلك فقد كان كثير من شعر ما قبل الإسلام صحيحاً ومنسوباً إلى شعراء معروفين. أمّا الشعر الذي تحدث عن يعرب بن قحطان وعن عاد وثمود وجديس وعمليق وطسم فهو شعر موضوع[٣٣٠] وقد أدركه النقاد القدماء ووضعوا له حداً[٣٣١]. وقد أوضحنا أن ابن سلاّم تعقّب ابن اسحاق واسقط الشعر الفاسد وثبت الرواية الصحيحة[٣٣٢] ونخلص من هذا إلى أن رواية الشعر لم تتوقف في عصري صدر الإسلام وبني أمية والعصور اللاحقة بل إنها أي الرواية ظلت ((منهلاً رافداً يزود منها الشاعر حصيلته الثقافية فهي بهذا تلمذة وتحصيل علمي بشكل ما))[٣٣٣] فالشاعر لا يكون شاعراً كبيراً يعرف مسالك الشعر وعيوبه ومداخله ومخارجه مالم يحفظ الكثير من شعر غيره[٣٣٤] ممن سبقه أوعاصره ويرويه لأنه يجمع بهذا الحفظ وبتلك الرواية ((إلى جيد شعره معرفة جيد شعر غيره فلا يحمل نفسه الاّ على بصيرة))[٣٣٥] وقد نبه ابن قتيبة على ذلك بقوله ((إذا اردت ان تكون أديباً فخذ من كل شيء أحسنه))[٣٣٦].

وقد أدرك معاوية بن أبي سفيان قيمة الرواية وأثرها في حفظ الشعر وكان يقرب منه رواة الاشعار والاخبار منهم عبيد بن شرّية الجرهمي فقد كان معاوية يصغي إليه إذا حدّثه ويستزيده ويسائله وكان من حديثه وكثرة حفظه وعلمه وحضور بديهته ويقال إنه كان يأمر ان تقيد احاديثه[٣٣٧]، فمعاوية كان يقول لابنه ((أرو الشعر وتخلق به))[٣٣٨] وأمرَ الرواة أن ينتخبوا له قصائد يرويها ابنه فاختاروا له اثنتي عشرة قصيدة منها المعلقات[٣٣٩] فضلاً عن روايته هو للشعر وتأبينه لزياد بن أبيه على عدم رواية الشعر لولده يقول: ((ما منعك من أن ترويه الشعر فوالله ان كان العاق ليرويه فيبر، وان كان البخيل ليرويه فيسخو وان كان الجبان ليرويه فيقاتل))[٣٤٠].

اما عبد الملك بن مروان فقد كان يروي الشعر منذ صباه[٣٤١] ولما صار خليفة له آراء كثيرة تحث على رواية الشعر[٣٤٢] فهو مؤمن بأن رواية الشعر تلمذة تغرس في النفوس مكارم الاخلاق التي نشأ عليها العرب وفاخروا بها الأمم الأخرى. فهو يعجب

---

(٢) ينظر:مصادر العشر الجاهلي ٢٤٥- ٢٤٧.
(٣) ينظر:م.ن ٢٤٥- ٢٤٧.
(٤) ينظر : طبقات فحول الشعراء ٢٤/١ وفيه أن ابن إسحاق اقر وأعتذر أنه لا علم له بالشعر .
(٥) شعر أوس بن حجر وروايته ١٤٤.
(٦) ينظر : كفاية الطالب في نقد كلام الشعر والكاتب ص ٤٣.
(١) كفاية الطالب في نقد كلام الكاتب الشاعر ص ٢٤.
(٢) عيون الأخبار ١٢٩/٢.
(٣)ينظر:الفهرست ١٣٢.
(٤)البرهان في وجوه البيان ١٦٩.
(٥) ينظر : المنثور والمنظوم ٤٠ – ٤١.
(٦) العقد الفريد ١٠٨/٦.
(٧) ينظر : امالي المرتضى ١٧٦/١، ٢٤٩- ٢٥٠ والأغاني ٢٣/٩.
(٨) ينظر : نصيحة الملوك ٣١٠.
(٩) ينظر : عيون الأخبار ٢/ ١٦٧ والعقد الفريد ٦/ ١٠٨.

لمن يروي لعنترة أربعين بيتاً ولا يكون أشجع الناس ولحاتم الطائي مثلها ولا يكون اسخى الناس وللبيد بن ربيعة مثلها ولا يكون أحكم الناس وفضلاً عن ذلك فهو يوجه مؤدبي أبنائه ويبيّن لهم ان رواية الشعر للأبناء وتعلمهم إيّاه تجعلهم يسمحون ويمجدون وينجدون[٣٤٣] وقال لمؤدب ولده في وصيته إياه ((وعلمهم الشعر يحمدوبه)). [٢]

ويتبين مما سبق ان الرواية رافداً مهماً من روافد ثقافة الشاعر وحبه للشعر وتذوقه.

ويروى أن الوليد بن يزيد بعث كتاباً لأمير الكوفة مفاده أن يرسل إليه حماد الراوية، ففعل ذلك ولما وصل إليه حماد فسأله: ((أنت حماد الراوية؟ فقلت له ان الناس ليقولون ذلك. قال: مما بلغ من روايتك؟ قلت أروي سبعمائة قصيدة أول كل واحد منها: بانت سُعاد؛ فقال انها لرواية.. فقال انشدني، فأنشدته))[٣] ويروى أنه عندما سأله الوليد: لم سميّتَ الراوية؟ وما بلغ حفظك حتى استحققت هذا الاسم؟ قال له ((يا أمير المؤمنين ان كلام العرب يجري على ثمانية وعشرين حرفاً أنا أنشدك على كل حرف منها مائة قصيدة. قال أن هذا لحفظ (هات فاندفع ينشد حتى ملّ الوليد، ثم استخلف على الاستماع منه خليفةً حتى وفّاه ما قال فأحسن الوليد صلته وصرفه))[٤] ،

ومما لاريب فيه أن حماد الراوية كان يعد من أوائل من جمع اشعار العرب وساق أحاديثها[٥] وعلى الرغم من إضطراب شخصيتة بين معاصريه فقد أجمعوا على كثرة محفوظه وسعة روايته ، فقد قال عنه الأصمعي ((كان حماد اعلم الناس إذا نصح)) [٦]وفي تلك إشارة إلى عدم الثقة في حماد وفيها إعتراف بعلميته وثقافته وحفظه ، أما المفضل فقد قال عنه ((لايزال حماد يقول الشعر ويشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل عنه في الآفاق مختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد))[٧] وكل تلك لم تقلل من شأن حماد والأروع من هذا شهادة أبي عمر بن العلاء فقد ذكر أبوعمرو الشيباني أنه ((ماسئل أباعمرو بن العلاء عن حماد الرواية إلا قدمه على نفسه،ولاسألت حمادا عن أبي عمرو إلاقدمه على نفسه)) [٣٤٤]

وقد كان للرواة في العصر الأموي أثرٌ فاعل في توجيه الشعر فقد كان لكل شاعر راويه الخاص، ولم يكن انشاد الشعر حصراً على الشعراء فحسب، فقد يجتمع رواتهم ويتناشدون الشعر ويفضلون بين الشعراء ويتفاخرون، ويروى أن عدداً منهم اجتمعوا بالمدينة ويفضلون بين الشعراء ويتفاخرون، وهم راوية جرير وراوية الأحوص وراوية نصيب وراو ية جميل وراوية كثير وأدعى كل رجل منهم ان صاحبه اشعر.[٣٤٥]

---

(١) البرهان في وجود البيان ١٧٠ .
[٢] الاغاني ١٠١/٦
[٣] م.ن ١٠١/٦
[٤] ينظر م.ن ١٠٢/٦
[٥] معجم الأدباء ١٣٧/٤
[٦] الاغاني ٧٩/٦
[٧] م.ن ٩٩/٦
(١) الأغاني ٦|٩٩ وقال الهيثم ((ما رأيت رجلا أعلم بكلام العرب من حماد))ينظر م.ن ٦|٨٢
(٢) ينظر : الموشح ٢٥٢.

وقد شهدت آخريات القرن الأو ل وبداية القرن الثاني ظهور طائفة من الرواة العلماء الذين أخذوا على عاتقهم جمع الشعر وروايته للناس، شأنهم في ذلك شأن القصّاصين والمحدثين في رواية الاخبار والحديث مثل حماد عجرد والمفضّل الضبي وخلف الاحمر وأبي عبيدة والأصمعي وأبوعمر الشيباني وغيرهم. وهؤلاء هم العلماء والرواة الذين حفظوا لنا الشعر واللغة والأدب بوجه عام، فكانوا رواة ومفسرين حين يحتاج الأمر إلى تفسير.

وقد شد هؤلاء الرحال إلى البوادي والأمصار يجمعون الشعر من أفواه الأعراب الفصحاء ويعودون به إلى الحواضر وكان يأخذ بعضهم عن الآخر وكانوا يمتازون بكثرة الحفظ وقوّة الذاكرة ومن هؤلاء من كان لا يكتفي بالاعتماد على حافظته، بل كان يدوّن ما يسمعه كأبي عمرو الشيباني الذي جمع اشعار نيف وثمانين شاعر وقبيلة. فكان كلما عمل شعر قبيلة وأخرجه إلى الناس كتب مصحفاً، وجعله في مسجد الكوفة حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطه وقد كان راوية واسع العلم باللغة ثقة في الحديث ، كثير السماع أخذت عنه دواوين أشعار القبائل كلها وله بنون وبنوبنين ويروون عنه كتبه [٣٤٦] وهذا دليل على تمحيص وتأصيل الشعر العربي وتشذيبه.

وقد توزعت الأهواء والميول في جمع الشعر. فبعضهم عني بجمع غريبه كما فعل المفضّل في المفضليات، وبعضهم عني بآراجيزه، كما فعل الأصمعي في الأصمعيات ومنهم من أتجه إلى جمع دواوين الشعراء وياتي في مقدمتهم الأصمعي وأبوسعيد السكري وابن السكّيت وأبوعمرو الشيباني، وابن حبيب وابن الأعرابي وأبوعبيدة وخلف الأحمر وحماد الراوية[٣٤٧].

ومما يتصل باخبار الرواية أيضاً ما جاء في البيان والتبيين عن اخبار عمرو بن العلاء فقد ((كان اعلم الناس بأمور العرب، مع صحة سماع وصدق لسان))[٣٤٨] وقد قال الأصمعي ((جلست إلى أبي عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت اسلامي))[٣٤٩] وروى ان ابا عمرو قال: ((لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت ان آمر فتياننا بروايته))[٣٥٠] ويعني بذلك شعر جرير والفرزدق والأخطل واشباههما وقال أبوعبيدة: ((كان أبوعمرو اعلم الناس بالغريب والعربية وبالقرآن والشعر وبأيام العرب وأيام الناس.. وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء، قد ملأت بيتاً له إلى قريب من السقف، ثم أنّه تقرّأ فاحرقها كلها. فلما رجع بعد إلى علمه الأول لم يكن عنده إلاّ ما حفظه بقلبه. وكانت عامة اخباره عن أعراب قد ادركوا الجاهلية))[٣٥١].

وفي القرن الثالث الهجري وما بعده ألفت كتب أدبية ضمّت بين دفتيها فني الأدب : الشعر والنثر فضلاً عن النقد[٣٥٢] اطال فيها أصحابها الوقوف عند الشروح النحوية واللغوية،

---

(٣) ينظر : الفهرست لأبن النديم ٦٨، ١٠٧ .
(٣) الفهرست ١٥٨.
(١) البيان والتبيين ١/٣٢٠- ٣٢١.
(٢) م . ن ١/٣٢٠- ٣٢١.
(٣) م. ن ١/ ٣٢١.
(٤) م . ن ١/ ٣٢١.
(٥) منها فحولة الشعراء للأصمعي ، وطبقات فحول الشعراء لأبن سلام ،والبيان والتبيين وكتاب الحيوان للجاحظ ، والشعر والشعراء وعيون الأخبار وأدب الكتاب لأبن قتيبة والكامل في الأدب واللغة للمبرد والعقد الفريد لأبن عبد ربه والأمالي لأبي علي القالي والأغاني لأبي فرج صبهاني والموشح للمرزباني والوساطة للقاضي الجرجاني

فاخبار الرواة تثير الدهشة والاعجاب لكثرة ما حفظوا إذ ان ما حفظوا من شعر الجاهلية وحدها يربى أضعافاً على ما ذكر للامم الأخرى[٣٥٣].

فقد روي ان الأصمعي كان يحفظ ست عشرة ألف أرجوزة[٣٥٤] وأنه قال: ما بلغت الحلم حتى رويت اثنتي عشرة ألف أرجوزة للأعراب.[٣٥٥]

ويروى أن أبا تمّام الطائي يحفظ من اشعار الجاهليين اربع عشرة ألف أرجوزة غير القصائد والمقطعات.[٣٥٦]

ومع اننا نحتاط من مبالغة الرواة في محفوظاتهم إلاّ أننا لا نستطيع ان ننكر وفرة وغزارة ما يحفظون وأن هذه الكثرة الكاثرة من الشعر تدل على اهتمام العرب بالشعر وتقديسهم إيّاه.[٣٥٧]

ونخلص من هذا إلى أن رواية الشعر لم تقتصر على عصر ما قبل الإسلام ولم تنقطع بل ظلت مستمرة في عصر صدر الإسلام ونشطت وازدهرت في عصر بني أمية حتى رست في القرن الثاني عند العلماء والرواة المحترفين الذين نهضوا بالرواية وعلوم العربية نهضة زاهرة، كان من شأنها ان جمعت الشعر ودونته وألفت فيه شتى المؤلفات.

السرقات الشعرية:

تعد السرقات الشعرية من أهم القضايا النقدية القديمة في أدبنا العربي وقد عني بهاا لعرب قديماً وحديثاً وأفردوا لها مؤلفات كثيرة[٣٥٨].

ومما لا ريب فيها انها قد شغلت بال الكثيرين من شعراء العربية ونقادها وعلمائها حتى لا يكاد يخلو من ذكرهاأي كتاب أدبي أونقدي وقدتنوعت السرقات وتعددت معانيها والفاظهامنها : الاصطراف، والاجتلاب أو الاستلحاف أو الانتحال والادعاء والاغارة، والغصب والمرافدة والاسترفاد والاهتدام أو النسخ، والنظر والملاحظة والالمام والاختلاس والنقل، والموازنة والعكس والمواردة ..إلى ما هنالك[٣٥٩].

فهذه المصطلحات ألقاب جاء بها الحاتمي وفيما يروي صاحب العمدة إنها إذا حققت لم تجد لها محصولاً لقرب بعضها من بعض واستعمال بعضها مكان بعض[٣٦٠].

والصناعتين لأبي هلال العسكري .والأمتاع والمؤانسة لأبيحيان التوحيدي وأمالي المرتضى، للسيد الشريف المرتضى ، والعمدة لابن رشيق ودلائل الإعجاز ،واسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني ومؤلفات اخرى اعتمدت على الطبقات والموازنات والاختيارات

(٦)ينظر: الإسلام الشعر ،د. الجبوري ٢٥.

(١) وفيات الاعيان ١/ ١٨٨.

(٢) العقد الفريد ١٠٧/٣.

(٣)وفيات الأعيان ١٢١/١.

(٤) ينظر : الإسلام والشعر ٢٦.

(٥) منها سرقات الكميت من القرآن وغيره لأبن كناسه (ت٢٠٧) وكتاب سرقات الشعراء وما أتفقوا عليه لأبن السكيت (ت ٢٤٠هـ) وكتاب اغارة كثير على الشعراء للزبير بن بكاري القرشي (ت ٢٥٦هـ) وكتاب سرقات الشعراء لأبن طيفور (ت ٢٨٠هـ) .

(٦) ينظر : العمدة ٢٨١/٢.

(١) ينظر : العمدة ٢٨٢/٢.

وقد عرّف صاحب الطراز مفهوم السرقة العام وهو ((ان يسبق بعض الشعراء إلى تقرير معنى من المعاني واستنباطه ثم يأتي شاعر أخر يأخذ ذلك المعنى و يكسوه عبارة أخرى ثم يختلف حال الأخذ فتارة يكون جيداً مليحاً وتارة يكون رديئاً قبيحاً))[٣٦١].

وقد حظي هذا المفهوم بقبول منامع إدراكنا أن لمفهوم السرقات آراء متباينة.

إن إبن سلاّم لم يفرد باباً في كتابه (طبقات فحول الشعراء) للسرقات إلاّ أن ما عرضه من إشارات تفي الموضوع، والأنبل من هذا أنه فرّق بين الاقتباس والتضمين وبين السرقة فإذا استزاد الشاعر بيتاً من الشعر لشاعر آخر وجاء به كالمثل لا مجتلباً له، فإن ذلك لا يعدُّ سرقة وانّما هو اقتباس وتضمين، فهو يروي عن خلف أنّهُ سمع أهل البادية يروون بيت النابغة للزبرقان وهو:

تعَدو الـذئّابُ عَلَـى مـن لا كِـلاَبَ لَـهُ ... وَتَتَّقِـي مَـرْبِضَ المُستـشفِرِ الحـامي

وأكدَ يونس أن هذا البيت للنابغة غير أن الزبرقان ضمّنه في شعره على سبيل المثل[٣٦٢] ويرى إبن سلام أن العرب تفعل ذلك ولا يريدون به السرقة[٣٦٣]. وتلك إشارة وجيهة وهي التي يستخدمها الشعراء في عصرنا هذا عندما يلجأون إلى تضمين بيت من القديم ويجعلونه بين علامتي الحصر مع الإشارة إليه وإذا كانت السرقة قد أشار إليها النقاد فأن هناك من وضع المبرر لها فالجاحظ يقول ((لم يدع الأو ل للآخر معنى شريفاً ولا لفظاً بهّياً إلا أخذه))[٣٦٤].

وقد سوّغ بعض النقاد العرب ذلك الأمر فعدّه اتباعاً لشاعرٍ من شاعر وعدّ أخر الأمر على أنه من قبيل المشترك اللفظي، فقد جاء في كتاب طبقات فحول الشعراء (أن امرأ القيس سبق العرب إلى اشياء ابتدعها، استحسنتها العرب وأتبعه الشعراء[٣٦٥]، وقد يكون هذا من قبيل اتباع قول يونس بن حبيب ((وقد تفعل ذلك العرب ولا يريد به السرقة كما نبّه إلى المشترك اللفظي والإبتداع والإتباع))[٣٦٦].

وكان ابن قتيبة قد نبّه على السرقة الخافية، إذ أورد مصطلحات جديدة للسرقة مثل ((الأخذ والاستلاب))[٣٦٧]. في حين نبّه ابن طباطبا على ضرورة تدقيق النظر في إستعارة المعاني وإستعمالها في غير الجنس الذي أخذت منه كما تحدث عن عكس المعاني وإستعمالها في الأبواب التي تحتاج اليها، وكذلك تحدث عن عكس المعاني وإستعمالها عندما يأخذ من المنثور إلى المنظوم وبالعكس كي يكون قد صاغ مما أخذه

---

(٢) الطراز ١٨٨/٣- ١٨٩ للاستزادة ينظر : الشعر والشعراء ٧٣/١، ١٢٩ وأخبار أبيتمام ٩، والموازنة ٥٨/١، وحلية المحاضرة ٢٨/١- ٩٨، ٢٨١٢، والوساطة ١٨٣، وكتاب الصناعتين ٢١٨.

(٣) ينظر: طبقات فحول الشعراء ١/ ٥٨ والبيت في ديوان النابغة ٢٢٢.

(٤) ينظر : م.ن ٥٨/١ .

(٥) البيان والتبيين ٣٢٦/٣، للأستزادة ينظر :عيار الشعر ١١٢- ١١٥وفيه التمس ابن طباطبا العذر للمحدثين في أقتدائهم بالأوائل .

(١) ينظر:طبقات فحول الشعراء ٥٥/١.

(٢) م. ن ٤٩.

(٣) ينظر : الشعر والشعراء ٧٥/١- ١٨٠.

نصّاً خرج من أسر النص السابق ومعانيه ((فيكون ذلك كالصائغ))[٣٦٨] الذي يذيب الذهب والفضّة المصوغين فيعيد صياغتها بأحسن مما كانا.

وللجاحظ نظرات نقدية موضوعية في هذا الباب، إذ يقول: ((لا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصيب أو في معنى غريب عجيب، أو في معنى شريف كريم أو في بديع مخترع الاّ وكل من جاء بعده من الشعراء أو معه لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره))[٣٦٩] وفي ذلك إشارة ضمنية إلى مواطن السرقة ولكنه يبرر ذلك مشيراً إلى توارد الخواطر عاملاً لتبرير بعض التوافق بين الشعراء، إذ يقول: ((فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكاً فيه كالمعنى الذي تنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم وأعاريض أشعارهم، ولا يكون أحد منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه، أو لعله يجحد أن سمع بذلك المعنى قط، وقال: إنه خطر على بالي من غير ساع كما خطر على بال الأول))[٣٧٠].

وقد أفاد إبن قتيبة من سابقيه في موضوع السرقات فقد أشار إلى سرقات الشعراء الذين تحدث عنهم وأن كان قد استعمل مصطلح الأخذ بدل السرقة[٣٧١] وتمثل مشكلة السرقة محوراً نقديّاً واسعاً في كتاب الموازنة غير أن السرقة عند الآمدي ليست من مساو ئ الشعراء وخاصة المتأخرين، إذ كأن هذا باباً ما تعرّى منه متقدم ولا متأخر))[٣٧٢].

ومثل الجاحظ فعل المرزباني، إذ طلب من المبدع الذي يبني نصّه على نصوص أخرى ان يبتكره في إخراجها ويلبسها حلّة جديدة قشيبة بعيدة كل البعد عن النص السابق، إذ قال ((فحق من أخذ معنى وقد سبق إليه أن يضعها أجود من صنعة السابق إليه أو يزيد فيه حتى يستحقه، فإمّا إذا قصر عنه فأنه مسيء معيب بالسرقة مذموم في التقصير))[٣٧٣].

أمّا القاضي الجرجاني فقد نظر إلى ذلك نظرة أخرى فلربما جاء الشاعر المحدث ببيت أو شعر وافق بعض ما قيل ((أو اجتاز منه بأبعد طرق قيل: سرق بيت فلان وأغار على قول فلان.ولعل ذلك البيت لم يقرع قط سمعه ولا مر بخلده، كأن التوارد عندهم ممتع واتفاق الهواجس غير ممكن))[٣٧٤] فهو بذلك لا يعدّ سرقة، وأجدني اتلمس من نصّه أنه يعني في ذلك توارد الخواطر فلا يعرف الناس ما قال الأو ل إلاّ أنه يقوله. وكثر حديث السرقات عند الآمدي وأبي هلال العسكري وابن رشيق القيرواني وعبد

---

(٤) ينظر: عيار الشعر ١١٣- ١١٤.
(٥) الحيوان ١١١/٣.
(١)الحيوان ١١١/٣.
(٢) ينظر : الشعر والشعراء ١/١، ١٣١، ١٣٠، ١٢٩، / ٧٣.
(٣) الموازنة ٢٩١/١.
(٤) الموشح ٢٩٣.
(٥) الوساطة بين المتنبي وخصومة ٥٢.

القاهر الجرجاني وابن الأثير وحازم القرطاجني[٣٧٥]، ويبدو أن عبد القاهر الجرجاني قد تمكن أن يضع حدّاً فاصلاً بين ما هو مسروق وما هو متناص بآرائه النقدية المهمة فقد هاجم من سبقوه في إطلاق السرقة على وجه العموم بما في ذلك التشابه والتماثل والتفاعل النصّي ويرجع السبب في ذلك إلى أن هؤلاء اعتمدوا على (اللفظ والمعنى) فيما نبّه عبد القاهر إلى النظم ورآى أن العملية الإبداعية والمفاضلة تكمن فيه، وبوساطته يكون الخطاب وينتظم التصوير[٣٧٦] فالجرجاني بآرائه المهمة نفى السرقة عن كثير ممن يعد سرقة لدى من سبقوه ويبدو أن آراءه تكاد تطابق الآراء الحديثة في التناص وقد كان له اثر واضح في لاحقيه. فابن الأثير يناقش السرقات، وغير تسمية مصطلحاتها ولكنه وصل إلى نتيجة مهمّة تتلخص في مسألة إتخاذ الطريق وإختلاف المقصد ((وهو أن يسلك الشاعران طريقاً واحداً فتخرج بهما إلى موردين وهناك يتبيّن فضل أحدهما على الآخر))[٣٧٧] فهو بذلك حدد مفهوم تداخل النصوص وعلاقة التأثير ونبّه إلى المقصدية وجعلها أساساً إلى المفاضلة فهو يرتقي بها إلى مفهوم التناص المتشعب وطريقة الانحراف، فالتناص قد يأتي بشكل قصدي أي أن المبدع يقصد نصوصاً معينة ويعيها يجاريها أو يخالفها فتتداخل أو تتقاطع مع نصّه، وقد يأتي التناص عفوياً .

وقد ذهب حازم إلى أن مقدرة الشاعر الإبداعية تتجلى في قدرته على التصرف أو التغيير أو القلب أو النقل.[٣٧٨]

فهذه النصوص تجعلنا نقر أن السرقات الأدبية المحمودة في النقد القديم تعد ركيزة رئيسة من ركائز الثقافة الأدبية للشعراء وقد أفاد النقاد العرب المحدثون من تلك النصوص فحمد مفتاح يعّرف التناص على أنّه ((تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيّات مختلفة))[٣٧٩] ورأى أنه أي التناص - أصبح ضرورة للشاعر لا يستطيع الإفلات منه.[٣٨٠]

فيما يرى طه عبد الرحمن ان التناص هو المحاورة البعيدة وهي ((تعالق النصوص بعضها ببعض))[٣٨١] فهذه الآراء يمكننا ان نرجعها إلى النقد العربي القديم وقد اعتمدت على آراء عبد القاهر في مصطلح النظم وقد قضى على ثنائية اللفظ والمعنى وهذا هو الأساس الذي أقام عليه السابقون تصوراتهم في المعاني والسرقات الشعرية، وحاول أن ينظر : إلى السرقات من زاو ية النظم والعلاقات ورأى ان السرقة لا تكمن في اللفظ

---

(١)ينظر:الموازنة ٧ – ٥٥والصناعتين ٢١٧- ٢٥٧ ، وحلية المحاضرة في صناعة الشعر ١/ ٦٨ والعمدة ٢٨٦-٢٩٤، ودلائل الإعجاز ٣٨٨، ٣٦٨، والمثال السائر ٣/ ٢٢١ ، ومنهاج البلغاء ١٣٠، ١٩٢- ١٩٤، ١٩٦، ٢٠١-٢٠٢.

(٢) اسرار البلاغة ٣٨٢.

(٣) المثل السائر ٣/ ٢٢١.

(٤) منهاج البلغاء ١٣١.

(١)تحليل الخطاب الشعري ١٢١.

(٢)م.ن ١٢٥

(١)في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ٤١. للأستزادة ينظر : ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ٢٥٦والخطيئة والتفكير ٣٥ وما بعدها .

والمعنى وإنما هي ذات صلة وثيقة بتأليف الكلام ونسقه وتركيبه وصوره، وقد مال إلى استخدام الفاظ مألوفة منها الاستمداد والاستعانة أو النظر[٣٨٢] وغير ذلك.

فعبد القاهر ـ فيما يبدو ـ الغى في مصطلح النظم قضية السرقات، ونبّه الإذهان على أن الصياغة أو النظم في الكلام والإعجاز ناب مناب مصطلح السرقات ((ويبدو أن مصطلح النظم الذي قدّمه الجرجاني للنقد العربي القديم ينوب مناب مصطلح السرقات، وان كان عبد القاهر لا يريد أن يحل مشكلة السرقات وإنما كان في طريقه إلى نظرية تحل قضية الإعجاز وأرى ان مصطلح الإعجاز خير من هذا كله))[٣٨٣].

وإذا أنعمنا النظر نجد هذه النصوص لا تخرج عن (آليات التناص) أو (التعالق النصّي)، وان لم تصل إلى فاعليته الاجرائية التي عرفت في النقد الغربي والنقد العربي الحديث إلاّ أنها الحجر الأساس لظهور هذه الآلية.

السرقة في النقد العربي القديم لم يكن عيباً بدليل ان هناك سرقات ان مصطلح

ذلك كله سواءٌ اتحدثنا عن السرقة أم التناص، أم تداخل محمودة. ومع النصوص وتشابهها أم اشتراكها أم التأثير والتأثر، فأن هذه المصطلحات مترادفة، ولا ريب في أن كل واحد منها ينوب عنها جميعاً. وإذا كانت السرقات قد شغلت نقادنا قديماً فان التناص قد شغل النقد العربي الحديث. مع علمنا ان التناص لا يقف عند حدود نصوص جيل أوعصر معين وهو قدر كل نص وفي كل زمن وإذا كان شعر عصر ما قبل الإسلام مرتجلاً يعتمد على الرواية فأنه ظلّ على هذا النسيج حتى عصر التدوين وهذه مرحلة زمنية طويلة.

وكان ابن سلام أول من اشار إلى سرقات شعر عصر ما قبل الإسلام على الرغم مما عرف عن أصالة شعراء هذا العصر واعتزازهم بشعرهم وقوة قريحتهم، إلاّ أن قسماً من أو لئك الشعراء قد انغمسوا فيما يسمى بالسرقات الشعرية وربما اعتمدوا عليها كثيراً، واشاروا بذلك وقد قال ابن سلام ((كان قراد بن حنش من شعراء غطفان وكان جيد الشعر قليله. وكانت شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذ منه وتدعيه منهم زهير بن أبي سلمى ادّعى هذه الأبيات:

إنّ الرَّزِيّة لا رَزِيّة مثلُها ... ما تَبْتغِي غَطَفَانُ يومَ أَضلّتِ
ان الرّكاب لتبْتغي ذاَ مرّةٍ ... بجُنُوب نَخْلٍ ذا الشهورُ أحلّتِ
وَلَنِعْم حَشْوُ الدِّرْع أنت إذا ... نَهَلَتْ مِن العَلَق الرِّماح وعَلّتِ
يبغون خير الناس عند كريهةٍ ... عَظُمتْ مُصيبتُهم هُناك وحِلّت

لقد أعجب زهير بهذه الأبيات وأغار عليها حتى ضمنها شعره))[٣٨٤]

وقد سجّل ابن قتيبة على طرفة بن العبد ما أخذه عن امرئ القيس في قوله:

---

(٣٨٢) ينظر : دلائل الاعجاز ٢٦٩ـ٢٧٤ للاستزادة ينظر: اسرار البلاغة ٢٦٦، ٢٧٠.

(٣٨٣) مشكلات المصطلح البلاغي مقال (غير منشور) د. علي كاظم اسد ٣٣.

(٣٨٤) طبقات فحول الشعراء ١٣٣/٢ والأبيات في ديوان زهير ٣٣٤- ٣٣٥ وصدر البيت الأخير (يَنْعَيْنَ خير الناس عند شديدةٍ) .

وُقُوفــاً بهـــا صـــحبي علـــيّ مطــيّهم يقولونَ لا تَهْلِك أسىً وتجمَّلِ

فقد قال طرفة:

وُقُوفــاً بهـــا صَـــحْبي علـــي مَطِــيّهم يقولون لا تهلك اسىً وتجـــلّد[385]

([385]) الشعر والشعراء ١٤٩/١ والبيتان في ديوان أمرئ القيس ٩ وديوان طرفة بن العبد ٣٨.

فيما جعل أبو الأصبع المصري ذلك في باب المواردة ((وهي توارد الشاعرين المتعاصرين اللذين تجمعهما طبقة واحدة على معنى واحد))[٣٨٦].

ويقال ان وصف امرئ القيس لفرسه لم يفت النابغة الجعدي، إذ كان امرؤ القيس قد قال:

ويخطو على صمٍّ صلابٍ كأنها حجارةُ غيلٍ وارساتٍ بطحلبِ

في حين قال النابغة الجعدي:

كأن حواميه مدبراً خضبن وإن كان لم يخضبِ[٣٨٧]

وكذلك فعل أو س بن حجر، فقد وصف امرؤ القيس فرساً بقوله في قصيدةٍ أخرى.

فقال أو س بن حجر:

يزول قتودُ الرّحلِ عن دأياتِها كما زل عن عظم الشجيج المحارفُ[٣٨٨]

ويبدو أن من تبع أمرأ القيس كثيرون فقد أخذ منه عدد كبير من الشعراء منهم كعب بن زهير وزيد الخيل والشماخ وطرفه. فقد قال امرؤ القيس:

فلأياً بلأيٍ ما حملنا وليدنا على ظهر محبوكٍ السرّاة محنّبِ

فأخذه زهير بن أبي سلمى قائلاً:

فلأياً بلأي ما حملنا غلامنا على ظهر محبوكٍ ظماءٍ مفاصلة[٣٨٩]

وكان امرؤ القيس قد قال يصف امرأة:

نظرت إليكَ بعين جازئةٍ حوراءَ حانيةٍ على طفلِ[٦]

وقد أخذ المسيب هذا القول فقال:

نظرتْ اليكَ بعين جازية في ظلِّ باردةٍ من السِّدْر[٣٩٠]

ويقال ان حسان بن ثابت قد أخذ من امرئ القيس قوله:

مِن القاصرات الطرف لودبّ محولاً مَن الذَّر فوق اِلأتْبِ منها لأثرا

وقيل ان حسّاناً قد أسرف في الأخذ في قوله:

يا لقومٍ هل يَقتُلُ المرءَ مثلي واهنُ البطشِ والعظامِ سؤومُ

شأنها العِطر والفراش ويعلو هالجينٌ ولُؤلؤٌ منظومُ

لو يدِبُّ الحوليُّ من ولدِ ألذَّ رِّ عليها لاندبتها الكُلُومُ[٣٩١]

وجاء في كتاب البديع في نقد الشعر ان حسان بن ثابت في قوله:

فنشرَبُها فتتركنا مُلوكاً وأسْداً ما يُنَهْنِهنا اللقاء

---

(٣٨٦) تحرير التحبير ١/ ٤٠٠.
(٣٨٧) الشعر والشعراء ١٤٩/١. والبيتان في ديوان امرئ القيس٤٧ وديوان النابغة الجعدي.
(٣٨٨) الشعر والشعراء ١٣٠/١ والبيتان في ديوان امرئ القيس ٢٠ وديوان أو س بن حجر ٦٦
(٣٨٩) ينظر : م.ن ١٣٠/١-١٣٢ والبيتان في ديوان امرئ القيس ٥٠، وشرح ديوان زهير ١٣٣
(٥) ديوان امرئ القيس.
(٦) الشعر والشعراء ١٣١/١ والبيت في ديوان المسيب.
(٣٩١) كتاب الزهرة ٨١ والأبيات في ديوان أمرئ القيس ٦٨، وديوان حسان ٨١.

كان قد تبع عنترة في قوله:

فـــإذا ســـكرت فـــإنني مُـــستهلكٌ　　مـــاليٌ وعرضـــي وافـــرٌ لـــم يُكلـــم

وإذا صحوت فما اقـصر عـن نـدىً　　وكمـا علمـتِ شـمائلي وَتكَرمـي

إذ رأى أسامة بن منقذ أن حساناً قد قصر في شعره عن عنترة. [٣٩٢]

ورأى الحصري القيرواني أن النابغة الذبياني أخذ بعض معانيه من شاعر قديم من كندة من ذلك قوله:

الـم تـرَ ان الله أعطـاكَ سُـورةً　　ترَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَها يَتَذبْذبُ

فإنـك شـمسٌ والملـوكُ كواكِـبٌ　　إذا طلَعْتَ لم يبدِ مِنْهُنّ كوكبُ

إذ يرى أن هذا الشعر مأخوذ من:

تكـادُ تميـد الأرض بالنـاس ان رأوا　　لعمرو بن هندٍ غضبة وهو عاتبُ

هو الشمس راقت يوم سعداً فافضلت　　علـى كـل ضـوءٍ والملـوك كواكـبُ[٣]

وامّا قوله:

إذا مـا غـزوا بـالجيش حلّـق فـوقهم　　عصائب طيرٍ تهتدي بعصـائبِ

جوانح قد ايقن أنّ قبيـلـهُ　　إذا ماالتقى الجمعان أول غالـبِ

فهو من قول الأفوة الأو دي كما يرى الصولي من قصيدته التي أو لها:

يـا بنـي هـاجر سـاءت خِطّـة　　أنْ ترمـوا النـصف مِنّـا وَنجـارُ

قال فيها:

وتـرى الطيـر علـى أثارنـا　　رأيَ عـين ثقـةً إن سـتنارُ [٣٩٣]

ويميل ابن طباطبا العلوي للنابغة، إذ يرى أن في هذ القول حسن الإبتداء،فيحس السامع بما ينقاد إليه إلى قول :قبل استتمامه[٣٩٤] ولم يشر إلى قول الافواه الأودي ويتبعة في ذلك الحاتمي إذا أنكر ان يكون للأفوة الأودي ذلك فقال: ((فمن أين للأفوة ألأو دي هذا الابتداء)) [٣] وبذلك فهو يقرُّ لهُ بعدم قدرته أي الأفوة ـ على استهلاك مثل ذلك، ويقر للنابغة بذلك، إذ يرى ان ميزة النابغة انه ((زاد في المعنى وحسن في اللفظ فكانت له هذه الفضيلة)) [٤]

---

(٣٩٢) البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ ٢٠٤ـ ٢٠٥. والأبيات في ديوان حسان بن ثابت ٧٣ وديوان عنترة بن الشداد ص٦٢ وفيه فإذا شربت

(٣) زهر الآداب ٦٧٢/٢ـ ٦٧٣، وينظر : كتاب الصناعتين ٢١٨ والبيتان في ديوان النابغة ٧٨.

(٣٩٣) ينظر : اخبار أبي تمام ١٦٦ والأبيات في ديوان النابغة ٥٧ و ديوان الافوة الأودي ٧٥ـ٧٦

(٢) ينظر : عيار الشعر ٦٩

(٣) حلية المحاضرة ٦٩/١.

(٤) منهاج البلغاء ١٩٦.

(٥) ينظر : قراضة الذهب في نقد أشعار العرب ٣١ والعمدة ٢٩٠/١ـ ٩٤ وكتاب الصناعتين ٢٠٣ والشعر والشعراء ٢٠٦/١ على الترتيب .

(٦) الحيوان ٢٨٠/٦ والبيت في ديوان الأفوة ٧٥.

على أن ذلك لا يمنعنا من القول أن النابغة كان قد أخذ من غيره كثيراً من الشعر فقد أخذ من امرئ القيس ووهب بن حارثة وأو س بن حجر وطرفة بن العبد(٥).وقد تساءل الجاحظ عن قول الأفوة :

كشهاب القذف يرميكم به   فارس في كفه للحرب نار

فقال ((فمن أين يعلم الأفوه أن الشهب التي يراها إنما هي قذف ورجم وهو جاهلي ولم يدع هذا قط إلا المسلمون)) (٦)

ويبدو أن شاعر عصر ما قبل الإسلام قد أو لع بشعره وشعر غيره إعجاباً قاده إلى ان يدخل في فضاءِ غيره وإذا كان شعر الشاعر نفسه يتكرر في أكثر من قصيدة فهذا دليل على أن القضية ليست سرقة، وإذا اخذنا امرأ القيس مثالاً فأننا نجد ان مطالع بعض قصائده، أو أبيات أخرى منها قد تكررت في أكثر من قصيدة منها قوله.

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلِ   بسقط اللوى بين الدخولِ فحوملِ(٣٩٥)

قفا نبك من ذكرى حبيب و عرفان   ورسم عفت أثارها منذ ازمان(٣٩٦)

وفي تداخل آخر يقول امرؤ القيس:

وقد أغتدى والطير في وكناتها   بمنجرد قيد الأو ابد هيكلِ(٣٩٧)

وقد اغتدى والطير في وكناتها   لغيثٍ من الوسمي رائده خالي(٣٩٨)

وقد اغتدى والطير في وكناتها   وماء الندى يجري على كل مذهب(٣٩٩)

وقد تكرر مثل هذا التداخل في قصائد أخرى للشاعر(٤٠٠) وقد يكون هذا التداخل سبب رواية الشعر التي كانت تدخل شعراً لشاعر وتدخل أيضاً شعره في بعض شعره أيضاً.

وقد تنبه الشعراء والنقاد القدماء على تلك الظاهرة ويبدو أنه كان للجاحظ قصب السبق والريادة في ذلك، إذ يقول: ((فلا بد ان يكون لأي شاعر قد نهج وألف الفاظاً بأعيانها ليديرها في كلامه، وان كان واسع العلم غزير المعاني كثير اللفظ))(٤٠١) ولا ريب في أن الشاعر كثيراً ما يعجب ببيت أو أبيات له أو لغيره وهذا الاعجاب هو الذي يدفعه إلى نظمه في عدد من قصائده وقد وفق ابن طباطبا العلوي في قوله: ((ربما أحسن الشاعر في معنى يبدعه فيكرِّرُه في شعره على عبارات مختلفة، وإذا انقلبت الحالة التي يصف فيها ما يصف، قلب ذلك المعنى ولم يخرج عن حدّ الإصابة كما قال عبد الصمد بن المعذّل في مدح سعيد بن َسلْم الباهلي:

---

(٣٩٥) ديوان امرئ القيس ٨٠.
(٣٩٦) م. ن ٨٩.
(٣٩٧) ديوان امرئ القيس ١٩.
(٣٩٨) م.ن ٣٦.
(٣٩٩) م.ن ٤٦.
(٤٠٠) ينظر : م. ن (٢٢،٣٨،٥٢) و (١٩،٨٧) و (٤٠،٤٦).
(٤٠١) الحيوان ٣٦٦/١.

ألا قل لساري الليلِ لا تخشَ ضلّةً سعيد بنُ سلمٍ ضوء كلِّ بلادِ

فلمّا مات رثاه فقال:

يا سارياً حَيّره ضَلالهُ ضوء البلاد قد خَبا ذُبالهُ(٤٠٢)

غير أن الشعراء في عصر ما قبل الإسلام قد درأوا عن أنفسهم تلك التهمة فقد أدركوا ما يعني هذا المصطلح من انحطاط منزلتهم وحبو ضوء شهرتهم بين القبائل ووصفهم بالسرقة فهذا حسان بن ثابت يدافع عن نفسه مفتخراً:

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري

إنّي أبى لي ذلك حسبي ومقاطعٌ كمقاطع الصخرِ(٤٠٣)

وكان طرفة بن العبد قد ذم السرقة الشعرية وردَّ عن نفسه ذلك بقوله:

ولا أغيرُ على الأشعار أسرقُها عَنها غَنيتُ وشرُّ الناس من سرقا(٤٠٤)

وقد تبعه الأعشى على ذلك بقوله:

فما أنا أم مانتحالي القوا ف بَعْدَ المشيبِ؟ كفى ذاك عارا(٤٠٥)

ففي هذه الأبيات اشارات كثيرة إلى قضيتين رئيستين من قضايا النقد العربي القديم وهما السرقات الأدبية وقضية الإنتحال.

ومن النقاد من يعد المرافدة نوعاً من السرقات وهي أن يعين الشاعر صاحبه بأبيات يهبها له(٤٠٦) إلاّ أنها ليست عيباً.

ومما لا ريب فيه ان الشاعر كان يحيل عقله ويقلّب رأيه لتمكين نفسه من انتقى المعنى الذي يرضي ممدوحه ومتلقيه في ان معاً متخذاً لذلك الفاظاً منتقاه توصل معناه غير أن الشاعر في بعض الاحيان لم يوفق ولم يصل إلى المعنى المراد وهذا يقوده إلى متلقٍ حاذق يرفده.

ولعل موقف النعمان بن المنذر من بيت النابغة ما يؤكد ذلك، إذ ان ((النابغة الذبياني قال للنعمان بن المنذر:

تراك الأرضُ إمّا متَّ خفّاً وتحيي إن حييت بهَا ثقِلاً

فقال النعمان هذا بيت إذا أنت لم اتبعتهُ بما يوضح معناه كان إلى الهجاء أقرب منه إلى المديح))(٤٠٧)فلك مائةٌ من العصافير نجائب؛ والاّ فضربة بالسيف آخذت منك ما

---

(٤٠٢) عيار الشعر ١١٧ ونسبها ابن قتيبة للكميت في عيون الآخبار ٣٢١/٣. والشاعر هو أبو القاسم عبد الصمد المعذّل بن غيلان من شعراء العباسيين بصري النشأة توفي في حدود سنة ٢٤٠ وكان معاصراً الاخفش سعيد بن مسعدة. والبيت الأول في ديوان عبد الصمد بن المعذل ١٠١. ولم أعثر على البيت الثاني في الديوان ينظر : فوات الوفيات ٣٥٣/١ والأغاني ٥٤/١٢.

(٤٠٣) شرح ديوان حسان ١٨٩.

(٤٠٤) ديوان طرفة بن العبد ١٠٣.

(٤٠٥) ديوان الأعشى ومطلعه ٥٣.

(٤٠٦) حلية المحاضرة ٤٩/٢-٥٠.

(٤٠٧) الموشح ٥٨ وفي رواية أخرى ان زهيراً قال بيتاً ونصف ثم أكدى أي تعثر ثم مر به النابغة فسأله زهير ان يرفده وتعثر النابغة حتى جاء كعب فاكمل عجز البيت ولعل اختلاف الرواية واحداثها التي دارت فمرة زهير يكدى

أخذت[٤٠٨] فامهله ثلاثة ليوضح معناه ويبدو أن النابغة لم يتم له ذلك فأتى زهيراً واخبره بذلك، فقال زهير ((أخرج بنا إلى البرية فان الشعر بَرِّيٌّ... فتبعهما كعب فقال: ياعم اردفني.. فأردفه فاتجاولا البيت مليّا فلم يأتهما ما يريدان. فقال كعب ما يمنعك ان تقول:

وذاكَ بـــأن قَلَلْـــتَ العـــزَّ منهـــا فتمنـــــع جانبيهـــا أن يـــــزولا

فقال النابغة: جاء بها ورب الكعبة لسنا والله في شيء قد جعلت لك يا ابن اخي ما جعل لي))[٤٠٩] وسواء كانت الرواية صحيحة أم غير صحيحة فان وقوف أي شاعر كان في لحظة مالا يستطيع ان يقول بيتاً فذلك ما يعاني منه الشعراء في كل عصر وقد قال الفرزدق في ذلك ((إنّي تمر علي الساعة وقلع ضرس من أضراسي أهون علي من قول الشعر))[٤١٠] وهذا لا يقلل من الشاعر وإذا ما رفده شاعر آخر فان هذا لا يعيبه.

والاشتراك اللفظي في الشعر القديم كثير ولكنه لا يعد سرقة في رأي صاحب العمدة الذي مثل له بقول عنترة

وخيـــلٍ قَـــدَ دلَفْـــتُ لهـــا بخيـــلٍ عليهـــا الأُســـدُ تَهتْـــصِرُ اهتـــصاراً

وقول عمر بن معد يكرب:

وخيـــل قـــد دلفـــت لـــه بخيـــلٍ تحيـــة بيـــنهم ضـــرب وجيـــعُ

وقول الخنساء:

وخيـــل قـــد دلفـــت لهـــا بخيـــلٍ فـــدارت بـــين كبـــشيها رحاهـــا[٤١١]

إذ يرى ان عبارة (وخيل قد دلفت لها بخيل التي شكلت صدر البيت عند الشعراء الثلاثة متداولة ومتعارف عليها وجاءت على سبيل الموارده من دون سرقة.

وتعد دراسة صاحب العمدة للسرقة وأنواعها من أهم الدراسات في النقد العربي القديم، لأنه استوعب كل الأفكار التي سبقته وجمعها، وأكدها بالشواهد المختلفة واهتم بمصطلحاتها اهتماماً كبيراً، وهي تبدو مجتمعة عنده اكثر من سابقيه فقد عمد إلى لم شتاتها. حتى أستقرت وثبتت في زمانه ولم تعد قابلة للتبديل والتعديل، فضلاً عن وضعه بعض مفاهيمها وتسمية بعض أنواعها.

وورد في الشعر والشعراء ذكر لعدد من الأبيات التي أخذها الشعراء من سابقيهم في القول منها:

قول النابغة:

ولـــو كَفّـــى اليمـــينُ بفتـــك خوفـــاً لأفـــردت اليمـــينَ مـــن الـــشمّالِ

فقد أخذه المثقّب العبدي فقال:

وآخرى النابغة يثير للشك فضلاً عن ان كعباً هو الرافد في المرتين. والبيت في ديوان النابغة وديوان كعب ٢٤٢ مع أختلاف يسيير في الرواية .

(٤٠٨) م.ن ٥٨.

(٤٠٩) م.ن ٨.

(٤١٠) العمدة ٢٠٤/١.

(٤١١) ينظر : العمدة ٢٩٢/٢. والابيات في ديوان عنترة ١٨٤ وديوان معد يكرب الزبيدي ١٣٧ وديوان الخنساء ٢٢٥.

فـــانّي لـــو تخـــالفني شـــمالي بنـــصرٍ لـــم تـــصاحبها يمينـــي[٤١٢]

ويبدو أن المثقّب لم يضف معنى جديداً لا على المبنى ولا على المعنى،وهذا يقودنا إلى أن المثقب هو الذي سبق النابغة في هذا القول ، ودليلنا أن النابغة هو الذي أخذ قول المثقب لأن تاريخ الوفاة لكلٍ منهما يبين السابق من اللاحق ولا ريب في أن النابغة قد تفوق على المثقب في جودة هذا البيت.مع إدراكنا أن قصيدة المثقب مستجادة عند الأغلب الأعم من النقاد.

اما قول النابغة في العفّة:

رفـــاق النعـــالِ طيّـــب حجـــزاتهم يحيـــون بالريحـــان يـــوم الـــسباسبِ

فقد أخذه عدي بن زيدٍ فقال:

اجـــــلّ ان الله قـــــد فـــــضلكم فـوقَ مـن أحكـي بـصُلبٍ وإزار[٤١٣]

فالأخذ كما يبدو هو أحد انواع السرقات، وقد ارتأينا ان نأتي بهذه النماذج لكي نبيّن ذلك الأخذ مع ان وجهة نظرنا تنظر إلى ذلك بعدّهِ تداخلاً نصيّاً أو تأثيراً وتأثراً أو أي شيء يرد من هذا القبيل.

اما قول طرفة بن العبد الذي ذكر فيه السفينة:

يَـشُقُّ حَبَـابَ المـاءِ حَيْزُومُهـا بهـا كَمَا قسَمَ التُّربَ المُقابلُ باليَدِ

فقد أخذه لبيد فقال:

تَـــشُقُّ خَمَائِـــلَ الـــدّهْنَا يَـــداهُ كمـــا لَعِـــبَ المُقـــامِرُ بالفَيَـــالِ[٤١٤]

وأخذه الطرماح فقال:

وَغَـدَا تَـشُقُّ يـداه أو سـاط الرُّبـا قسْمَ الفَيَـالِ تَـشُقُّ أو سَـطهُ اليدُ[٤١٥]

وقد أخذ لبيد في أكثر من موضعُ، كما أخذ من شعر طرفة عدد من الشعراء منهم عدي بن زيد[٤١٦]. وهذا الأخذ هو نفسه يؤكد قراءة الشاعر العربي واطلاعه على شعر غيره من الشعراء وعندما يعجب ببيت أو أبيات أو فكرة

---

(٤١٢) الشعر والشعراء ١٦١/١ والبيتان في ديوان النابغه ١٣٩ وديوان المثقب: ٥٧. وعجز البيت: خلافك ما وصلت به يميني.

(٤١٣) الشعر والشعراء ١٦٣/١ والبيتان في ديوان النابغة ٦٣ وديوان عدي بن زيد.

(٤١٤) ينظر: الشعر والشعراء ١٩٠/١. ووالأبيات في ديوان طرفة بن العبد : ٢٣٩ وديوان لبيد:٨٨

(٤١٥) ينظر: م.ن ١٩١/١ والبيت في ديوان الطرماح ١٥٠.

(٤١٦) ينظر : الشعر والشعراء ١٩١/١-١٩٤.

بعينهـا سـرعان مـا يـضمنها فـي شـعره، وهـذا التـضمين يعـضّد قـصيدة الـشاعر اللاحق. وهذا يؤكد ان نظرة القدماء إلى هذا الأمر لهو موقف نقدي دقيق يبيّن مدى بصرهم المبني على ثقافتهم في ما يأخذ هذا الشاعر وما يدع، فهو من ناحية دليل على ثقافة الشاعر وبصره بشعر غيره وموقفه النقدي من شعر غيره بحيث يأخذ أجود ما قاله الشعراء. ومن ناحية أخرى يدل على عيب وقصور في طاقته الانشائية والابتداعية فيكون تابعاً لغيره ومهما يكن فانه دليل على أن العرب كانت تنظر في أجراء القصيدة لا القصيدة كلها، لأن هذا النظر النقدي لما يزل جريئاً ويدل على بدايات النظر النقدي عندهم.

ولا ريب في أن هذه المآخذ كان لها اثرها في الدراسات فقد يكون الأخذ دليل اعجاب الشاعر بشعر غيره وقد يكون الأخذ في الألفاظ وتشابهها في المعنى أو أخذ البيت كاملاً وقد تتلاقى قوافي وأخيلة الشعراء وتتوارد المعاني من غير تأثير ومن ذلك قال أسامة بن منقذ: موضحاً التوارد: ((أن يقول الشاعر بيتاً فيقول شاعراً آخر من غير أن يسمعه))[٤١٧] ولا نستبعد أن يحصل ذلك بدليل ما روي عن الأصمعي ((قال: قلت لأبي عمرو بن العلاء: أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ ؟ لم يلق أحد منهما صاحبه ولا سمع بشعره فقال لي: تلك عقول رجال توافت ألسنتها))[٤١٨] ويقال إن المتنبي سُئلَ عن فكرة التوارد فقال: الشعر جادة، وربما وقَعَ الحافر على موضع الحافر))[٤١٩] . وربما يكون للموروث الأدبي وروايته في الإنتقاء بمن سبقوه أو عاصروه يظهر في نتاجه ذلك الأثر من دون أن يعي ذلك أما أن يكون شاعراً جاهلياً متأثراً ، وقد يعمد إلى إنشاد أبيات لشاعر أخر إعجابا بقافيته ، فأن هو عارضها بقافية أخرى فأنه من دون شك يبقى الأثر الأدبي واضحاً في كثير من معاني قصيدته وألفاظها وقد لا يدرك ذلك حينها فباب التأثير مفتوح ولا يمكن إغلاقه .

ويرى أبو هلال العسكري ان الأخذ الذي لم يزد فيه شيئاً هو ((ما أخذ بلفظه ومعناه وأدّعى آخذه.. إنه لم يأخذه ولكن وقع له كما وقع للأول))[٤٢٠].

ان ما كتب عن السرقات الأدبية كفيل بنا، وأن رجوعنا إليه يفتح آفاقاً رحبة لدراسات نقدية جديرة أن تقرأ النص الأدبي قراءات كثيرة ولكن لا نجعل من هذه الدراسات مفتاحاً للأهواء والتهكم، فالموضوعية هي السبيل الآمل للبحث.

وقد ارتأينا لانفسنا في هذا البحث أن نحرص على تناول الموضوع بهذه التسمية كما جاءت في الدراسات النقدية القديمة ولم نثبت التسمية التي توافق وجهة نظرنا وهي (التناص Entertextuality) أو التعالق النصي والتي تشكل المحور المضموني لموضوعنا وان كان قد شغلت قضية السرقات حيزاً كبيراً في الدراسات النقدية القديمة

---

(٤١٧) البديع في نقد الشعراء ٢١٧ وينظر : العمدة ١٨٩/٢.
(٤١٨) حلية المحاضرة ٤٥/٢.
(٤١٩) كتاب الصناعتين٢٠٢ وينظر : العمدة ٢٨٩/٢
(٤٢٠)العمدة:٢/ ٢٤٩.

سرت في اسماء كثيرة، إلاّ أن الباحث يرى أن الأمر لا يعد سرقة وبهذا سيكون متتبعاً قول الأقدمين أو بعضهم ممن أكدوا ان هناك تماثلاً قد يحصل وقولاً قد يقال مثله في مكان لم يسمعه عنه الآخرين، فيكفينا ان نتصفح أي كتاب نقدي قديم، تناول هذه المسألة كالموازنة وعيار الشعر والوساطة وحلية المحاضرة لنقف عند تلك الاهتمامات النقدية، فالباقلاني، أشار بقوله ((يتقارب سبك نفر من شعراء عصره وتتدانى وسائل كتاب دهر حتى تشتبه اشتباهاً شديداً وتتماثل تماثلاً قريباً فيغمض الأصل وقد يتشاكل الفرع والأصل))[٤٢١] فالناقد القديم تنبه إلى تلك التداخلات النصيّة وان كان يفسّدها بالسرقات الأدبية التي لم يسلم منها شاعر واحد وقد اشار النقاد إلى ذلك فقد قال أحمد بن طاهر ((كلام العرب ملتبس بعضه ببعض وآخذ أواخره من أوائله والمبتدع منه والمخترع قليل إذا تصفحته وامتحنته والمحترس المتحفظ المطبوع بلاغةً وشعراً من المتقدمين والمتأخرين لا يسلم أن يكون كلامه آخذاً من كلام غيره، وإن اجتهد في الاحتراس وتخلل طريق الكلام وباعد في المعنى وأقرب في اللفظ وأفلت من شباك التداخل، فكيف يكون ذلك مع المتكلف المتصنّع والمتعمد القاصد))[٤٢٢] وقد أكد وجوب الأخذ بقوله:

((ومن ظن أن كلامه لا يلتبس بكلام غيره، فقد كذب ظنّه وفضحه امتحانه.. ولو نظرنا في معاني الشعر والبلاغة، حتى يخلص لكل شاعر وبليغ ما انفرد بهِ من قول، تقدم فيه من معنى لم يشركه فيه أحد من قبله ولا بعده لالفى ذلك قليلاً معدوداً ونزراً محدوداً))[٤٢٣] وهناك من يرى أنهباب متسع جداً ((لا يقدر أحد من الشعراء ان يدعي السلامة منه))[٤٢٤] ويرى القاضي الجرجاني ان هذا الباب ((يحتاج إلى انعام الفكر وشده حتى يخفى البحث وحسن النظر، والتحرز من الاقدام قبل التبيّن والحكم الا بعد الثقة وقد يغمض(٤) ولا ريب في ان الشاعر لا يصير شاعراً مالم يحفظ قدر استطاعته من شعر سابقيه أو معاصريه لان مثل هذه القراءات تنمي توارد الخواطر وتحوير المعاني فضلاً عما يخزنه في لوح الحافظة حصيلة نتاج أمته أو غيرها لذلك ظهرت دراسات تداخل النصوص.

وقد سئل أن رؤبة بن العجاج عن الفحل فقال ((هو الراوية يريد انه إذا روى استفحل))[٤٢٥] وأكد ذلك الأصمعي حين سئل قال: ((لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب ويسمع الأخبار ويعرف المعاني وتدور في مسامعه الألفاظ لأن ((الفحولة هم الرواة))[٤٢٦] وهي من الدراسات الموضوعية التي أتجهت إلى النص الأدبي ونزهته من كثير من العيوب ووجهته توجيهاً فنياً سليماً. ومما يسعفنا في تراثنا النقدي القديم ما يجعلنا لنطمئن إليه ونعدّه ريادة حقيقية لنظرية تداخل

---

(٤٢١) اعجاز القرآن ١٢٢.
(٤٢٢) حلية المحاضرة ٢٨/٢.
(٤٢٣) م. ن ٢٨/٢.
(٤٢٤) العمدة في محاسن الشعر ٢٨٠/٢.
(٤٢٥)الوساطة٢٠٨.
(٤٢٦) البيان والتبيين ٩/٢ والعمدة ١/ ١٩٧ وفية ان هذا القول لرؤبة.

النصوص وتوليد المعاني بعضها لبعض، يقول ابن رشيف ((وقد علمنا ان الكلام مأخوذ، وبه متعلق والحذف في الأخذ على ضروب))[٤٢٧].

ولا ريب في أن يأتي النقد الحديث فوصّلا كثيراً من المفهومات النقدية الموروثة محاولاً إيجاد السبل المشترك مع مرتكزات الدرس النقدي الحديث ومنهجه الذي يعمد إلى إظهار العلاقات القائمة بين النص والنصوص الأخرى عن طريق صوغ (آليات) التناص التي تدرس تلك العلاقات والإفادة من تتبع قراءة الشعراء للنصوص الغائبة، فضلاً عن النظرة المسبقة للنقد الحديث إزاء قضية السرقة الأدبية التي نسميها الآن. (تداخل النصوص) على أنها تؤلف خزيناً ثقافياً وسبيلاً من سبل الإبداع والتفرّد التي يسعى إليها الشاعر اعتماداً على أن الأخذ من النصوص السابقة هو أمر يتعلق بالذاكرة الشعرية لدى أي شاعر وقد تصدر عن وعي أو غير وعي))[٤٢٨]. أو قد يعمد إليها الشاعرقاصداً، ونقصد من ذلك إلى إظهار التشكيل باقتفاء الشاعر زميله في بيتٍ أو عدّة أبيات داخل البناء النصّي الذي يسير على وفق التداخل مع النصوص الشعرية ومدى فاعلية ذلك التشكيل، وأثره في النص الحاضر لدى الشاعر التابع ومدى أثره في هذا الإستلهام وإذا كان التناص لدى جوليا كرستيفا هو ((أحد مميزات النص الاساسية والتي تحيل على نصوص أخرى سابقة أو معاصرة لها))[٤٢٩] فأن النص الشعري الذي نعالجه لا يصل في حقيقته، وأخذه من النص السابق إلى درجة التماهي ليدخل في ضمن التركيب النصي الجديد وفي الوقت نفسه لم يكن في حقيقته امتداداً لنص آخر وتحوّلاً وإنما هو تداخلٌ أو تضمينٌ لبيت أو بيتين أوعدّة أبيات تكتنف النص الأدبي وتغريه وتكمن الأهمية في قدرة الشاعر على الاستلهام والتوظيف.

وإذا تأملنا هذه النصوص نجد فيها تواشجاً وتماشجاً وهذا يدل على عملية التأثير والتأثر الذي اطلقنا عليها بـ (التعالق النصي) الذي ينصرف نقده إلى اكتشاف الرؤية الجديدة الذي أضافها النص الجديد إلى النص المتعالق معه،من

دون أن يعني ذلك بالضرورة أن يتجاوز- (وقد لايتجاوز) - اللاحق السابق في المستوى الابداعي والفني. ذلك ان من دواعي التعالق بين النصوص: الاعجاب والاشباع النفسي والفني، والتفاعل والمجاراة والمغايرة والموازاة والتواصل في التجربة. وهذا التعالق النصّي هو المعيار النقدي الذي يمكن النظر من خلاله إلى علاقة النصوص المتعالقة[٤٣٠] وإن كان حديثنا عن السرقات، فأننا ارتأينا ان تكون جزءاً لا ينفصم من مظاهر التعالق النصّي.

---

(٤٢٧) قراضة الذهب، ٢٩.

(٤٢٨) ينظر: الخطيئة والتكفير من البنوية إلى التشريحية.. قراءة نقدية لنموذج انساني معاصر، ٣٢١.

(٤٢٩) مشكلة التناص في النقد الأدبي المعاصر (مقال) محمد (دبوان)، مجلة الاقلام، العدد (٤،٥،٦) ١٩٩٥م، ٤٤.

(٤٣٠) ينظر: ظاهرة التعالق النصي، د. علوي الهاشمي ٢٩-٣١.

ونخلص من هذا كلّه إلى أن ما يسمى في أدبنا العربي من سرقات أدبية قد بدأت تتقلص في كثير من الدراسات الحديثة، ولا ريب في أن نأخذ بهذا الرأي الصادر عن قناعتنا التامة ونلح في ان نجعل من هذه الدراسات التي ارتأت أن تدرس ذلك الأثر أن توحد مصطلحاً لذلك ، ولعل مصطلح (تداخل النصوص) أو (التعالق النصي) أو (التناص) المتعارف هو المصطلح الذي يمكن أن يحل محل قضية (السرقات الأدبية)، ولكن لا يعني أن أدبنا العربي لا يعرف السرقات أو الإنتحال ، بل أن هذا الأمر لم يتعلق بالشاعر نفسه، فقد كان للرواة ضلع كبير في هذا الخلط، لأن هناك قصائد كثيرة وأبياتاً نسبت لأكثر من شاعر، ولم يحسم هذا الأمر حتى يومنا هذا، وذلك لأن هناك تقارباً وتجانساً بين الشعراء وهذا الأمر بيّنُ في مدرسة الصنعة أو مدرسة زهير على سبيل التمثيل.

مع ادراكنا ان تداخل النصوص تشكل نظرية واسعة الجنبات، متعددة الأطراف فهي تضع النص في محيط ثقافي واسع، قد يشمل ثقافات متعددة قديمة وحديثة))[٤٣١].

ولعل انتشار قضية السرقة في هذا العصر أمرٌ مهم لدارس النقد الأدبي ويبدو أن هناك دوافع اجتماعية قبلية نتيجة للصراعات التي تنشب بين القبائل، ولكن هذا الموضوع لم ينتشر بشكل كبير في صفوف الشعراء، وإن كان حصل فانه لا يتجاوز البيت أو البيتين ومع ذلك ادرك الشعراء تلك المسألة ولعل قدرتهم وذوقهم الفني وموهبتهم الشعرية من ضمن العوامل التي قادتهم إلى هذا المسلك وهذا ما يؤكد ان فكرة ((السرقات في النقد العربي لم تخرج عن إطار المعاني الجزئية))[٤٣٢] فضلاً عن الخزين الثقافي العالق بلوح الحافظة لدى الشاعر وكان كثيراً ما يدور الحوار بين الشاعرين القافي والمقتفي، وقد يصل الأمر إلى أخذ ما يسمى ببيت القصيد ومن هذا يصل الأمر إلى الشكوى وقد يصل إلى التهديد والوعيد في التنازل عن المعنى ولكن هذا لم نعهده لدى شعراء ما قبل الإسلام، ولكنه شاع في العصر الإموي ولعل الفرزدق البارع الوحيد في هذا الإتجاه.

---

(٤٣١) مفهوم السرقة الشعرية وتطوره في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب (مقال) د. ناصر حلاو ي مجلة الورد مج (٢٦) العدد الأو ل ١٩٩٨م، ٣٤.

(٤٣٢) مفهوم السرقة الشعرية وتطوره في الخطاب النقدي والبلاغي (مقال) ص٣٥.

نحل الشعر وصحته:

النحل من القضايا النقدية التي شغلت بعض النقاد في القديم والحديث، وهي قضية مهمة لها أسبابها وقد أخذت هذه القضية أبعاداً مختلفة في تاريخ النقد الأدبي وما أثير حول هذه القضية ((إنما كان وليد الرغبة في تنقية التراث الشعري من الشوائب التي لحقته سواء كانت معقودة أم محض الصدف فقد اجتمعت له أسباب احالته عن وجهه الصحيح نتيجة ظروف معينة، ربما ساعدت وقتها على تغطية المتزيدين والمتكسبين بهذا الشعر))[٤٣٣].

وقد عرف عرب ما قبل الإسلام قضية النحل والإنتحال، وادركوا معناها اللغوي. ويكشف الحوار الذي دار بين النعمان بن المنذر والأعشى حين جاءه مادحاً. فقال له النعمان:((لعلّك تستعين على شعرك هذا؟ فقال له الأعشى: أحبسني في بيت [عندك] حتى أقول: فحبسه (في بيتٍ) فقال قصيدته التي أو لها:

أأزمعـــت مـــن آلِ ليلـــى ابتكِـــاراً　　　وشـطّتْ علـى ذي هَـوى أن تُـزارا

وفيها يقول:

وَقيّـــدني الـــشعرُ فـــي بيتِـــهِ　　　كمـــا قيّـد الآســراتُ الحِمَـــارا[٤٣٤]

فظاهرة النحل ـ كما يبدو ـ قديمة وعرف بها الشاعر والمتلقي على حدٍ سواء. أما الناقد الذواقة فهو يشمها ولو بحرف أو بلفظة فذوقهم شكل عبئاً اضافياً على ممن يرد الشروع في هذا الباب فالقصيدة والقصة مؤشران مهمّان يدلاّن بعمق على مدى تصدي الشعراء لظاهرة الإنتحال التي كان الناس والملك معاً يقللون من وجودها متأكدين بأنفسهم من نفيها فيساهم الأعشى في هذا النفي ليحقق الاطمئنان والشعور بالأمانة الأدبية بين أهل الصنعة))[٤٣٥].

وقد جاء في كتاب الزينة ان الرواة يختلقون في الشعر ((ويزيدون وينقصون وينحلون الشاعر غير شعره، لقدرتهم على اللغة وتمكنهم من كلام العرب ومعرفتهم بمذاهب الشعراء، ولقرب ذلك الزمّان من أيّامهم وموافقة طباع بعضهم لبعض)). [٣]

فهذه الإشارة وما تلتها من إشارات ووقفات نقدية مهمة اعتمدت على مقاييس متباينة لاثبات النحل في شعر ما أو نفيه عن شعر آخر. ويبدو أن الأصمعي أو ل من تنبّه عليها من النقاد فقد استبعد المهلهل من الفحول بقوله ((ليس بفحل وأكثر شعره مَحمول عليه))[٤٣٧]. ويقول عن متمم بن نويره ((كان ولده يزيدون في شعره حتى أفسدوه))[٤٣٨] وقال عن حسان بن ثابت ((أحد فحول الشعراء فقال له: أبو حاتم تأتى له

([٤٣٣]) النقد عن اللغويين في القرن الثاني ١٠٣.
(٤٣٤) الشعر والشعراء ٢٥٩/١ للاستزادة ينظر: مصادر الشعر الجاهلي ٣٢٤ والقصيدة في الديوان ٤٥-٥٣.
(٤٣٥) تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ٧٥ ـ كتاب الزينة ص١٢٥.
(٤٣٦) الزينة ١٢٥
(٤٣٧) فحولة الشعراء ١٢.
(٤٣٨) م.ن ١٣.

أشعار لينة. فقال له الأصمعي: تنسب له أشياء لا تصح عنه))[٤٣٩] فهذه الآراء لها قيمتها في أدراك القدماء الوضع الذي رافق الشعر منذ وقت مبكر والشعراء أنفسهم يدركون ذلك ـ غير أن مجيء ابن سلام عمق الرؤية في هذهِ القضية ورأى أن شعر ما قبل الإسلام ليس خالصاً كله، وإنما فيه الكثير من الشعر الموضوع الذي لايعتد بهِ، إذ يقول: ((وفي الشعر مصنوعُ مفتعل موضوع كثير لا خير فيه))[٤٤٠] مما يدل على انتباه العلماء على الشعر المصنوع وقد جمع الدكتور ناصر الدين الأسد آراء مهمة تقودنا توّاً إلى معرفة انهم كانوا يؤكدون ما يروونه بعبارات تبرهن على مدى توثقهم بما يروون مثل: "الشعر الثابت الذي لا يرد" و "ثبت قديمه" وقد قالها الواقدي واصفاً شعراً لحسان، ويطمئن الجاحظ إلى ان يستشهد على بعض الأخبار (بالشاهد الصادق) و (بالأشعار الصحيحة وأشعارهم المعروفة وأخبارهم الصحيحةإلى ما هنالك من أوصاف[٤٤١].

أما ابن سلام فهو رجل عالم لا ريب فيه فهو ((رجل صادق أمينٌ روى عنه مسلم ثلاثة عشر حديثاً))[٤٤٢] وقد نظر لقضية الإنتحال نظرة علمية ودعا العلماء ((الاّ يتركوا للخلف إلاّ الثابت والصحيح، وأراد ان يشعر الآتين بما يجب عليهم من الحذر والتبصر فيما يسند إلى الجاهلين، بل أراد أبعد من هذا: أراد خدمة الروح العلمية بأسناد كل قول إلى صاحبه وكل شعر إلى شعره..))[٤٤٣].

وقد وفق ابن سلاّم في مسعاه هذا، إذ نلمس أسباب المصنوع والموضوع في شعر ما قبل الإسلام وأشار إلى البواعث التي حملت الرواة وغيرهم من الناس إلى أن يضيفوا إلى بعض شعراء ما قبل الإسلام على وجه الخصوص مالم يقولوه ، بل وضعه رواة وشعراء محترفون ومقتدرون على التزييف ، إذ رأى ابن سلام ((ان الرواة زادوا في الاشعار التي قيلت))[٤٤٤] ويقصد بذلك الرواة الوضاعين غير الموثوق بهم وقد أشار إليهم: ابن أبي اسحاق وحمّاد الراوية بدليل قوله وكان ممن أفسد الشعر وهجّنه وحمل كل غثّاء منه محمد بن أبي اسحاق٠٠٠(الذي) كتب في السير اشعاراً لرجالٍ لم يقولوا شعراً قط، وأشعارا لنساء، فضلاً عن الرجال ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود فكتب لهم أشعاراً كثيرة افلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر؟ ومن آدّاه منذ آلاف السنين))[٤٤٥].

ومما احتكم إليه ابن سلام من القرآن الكريم قوله:﴿وانه اهلك عاداً الأولى وثموداً فما أبقى﴾ [٣] وقوله:﴿ الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم

---

(٤٣٩) طبقات فحول الشعراء ٤/١.

(٤٤٠) م.ن ٤/١.

(٤٤١) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي ٤٧٠ .

(٤٤٢) طبقات فحول الشعراء ٣٧/١ مقدمة الأستاذ محمود محمد شاكر وينظر : تهذيب التهذيب ١٩٢/٦.

(٤٤٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه ابراهيم ٧٦.

(٤٤٤) طبقات فحولة الشعراء ٤٦/١.

(٤٤٥) ينظر: طبقات فحول الشعراء ٧/١-٨.

(٤٤٦) سورة النجم :٥٠-٥١

لا يعلمهم الاّ الله﴾ (٤).. وهذا الدليل كاف لابن سلام الذي رفض هذا الشعر، إذ يقول ((فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن أسحاق، ومثل ما رَوَى الصُّحُفِيون ،ما كانت إليه حاجة، ولا فيه دليل على علم))[٤٤٨]، وهناك أدّلة لغوية أخرى ذهب اليها ابن سلام ليعزز نظريته[٤٤٩].

أما حماد الراوية فقد قال فيه ابن سلام: ((كان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية، وكان غير موثوق به ،وكان ينحل شعر الرجل غيره وينحله غير شعره ، ويزيد في الأشعار))[٤٥٠] فابن سلام يرى ان اثنين من علماء العرب (ابن اسحاق وحمّاد الراوية) قد زاد على الأشعار ربما لان ابن أبي إسحاق من علماء السير والأخبار ويأتي بالأشعار بما يتناسب وأحداث التاريخ، بينما حمّاد فقد زاد على الاشعار كي يظهر تفوقه على غيره من الرواة[٤٥١].. إذن نسأل ونقول هل قلّل هذان العالمان من قيمة الشعر ومن عدد قصائده.

وإننا أن اتفقنا وشاطرنا رأي ابن سلاّم في عدم الوثوق براويتهما فان هناك رتلاً كبيراً من العلماء ، والرواة الموثوق بهم قد اكدوا صحة شعر ما قبل الإسلام في أغلبه الأعم، وابن سلام كذلك. والسؤال الذي يطرح نفسه هو أين يكمن السبب الذي أدّى إلى ضياع الشعر؟ والذي أشار إليه العلماء فهذا أبو عمرو بن العلاء يقول: ((ما انتهى اليكم مما قالتِ العرب الاّ أقلّه، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علمٌ وشعر كثير))[٤٥٢].

والحق أن السبب الرئيسي الذي أدى إلى ضياع الشعر وقلته هو انشغال العرب بالدعوة الإسلامية الجديدة، ومالها من تأثير في العقول مما صرفهم عن قول الشعر وروايته إلى الاهتمام بالحروب التي كانوا يخوضونها ((فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزوا فارس والروم ، ولهت [العرب] عن الشعر وروايته))[٤٥٣].. ولا ريب في أن هذه المرحلة قد شهدت معارك كثيرة أدّت فيما ادّت إلى قتل عددٍ من الروّاة والحفاظ. ولكن العرب بعد أن اطمأنوا في مواطنهم، وراجعوا ما بين أيديهم من الشعر، وجدوا أن كثيراً من الشعراء والرواة قد هلكوا.((فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح وأطمأنت العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر فلم يؤُولُوا إلى ديوان مدوّن ولا كتاب مكتوب وألفَوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير[٤٥٤].

ويرى الدكتور عناد غزوان أن ابن سلام قد أدرك ((ان نقد الشعر وتحديد أهميته وقيمته التاريخية والأدبية يعتمد تحقيق النص الشعري المنقود وصحة نسبته إلى قائله

---

(٤٤٧) سورة ابرهيم :٩
(٤٤٨) طبقات فحول الشعراء ١١/١.
(٤٤٩) ينظر: م.ن ٩/١، ١١، ٢٦، ٤٧.
(٤٥٠) طبقات الفحول الشعراء ٤٨/١.
(٤٥١) ينظر : خلف الاحمر مقدمة المحقق ٢٥.
(٤٥٢) طبقات فحول الشعراء ٢٥/١.
(٤٥٣) م.ن ٢٥/١ والقول منسوب لعمرو بن الخطاب وضي الله عنه ينظرالمزهر ١٥٨/١.
(٤٥٤)طبقات فحول الشعراء ٢٥/١.

وتوثيقه، قاعدة أساسية من قواعده في التحليل والتقويم وإصدار الرأي السليم في بيت من الشعر أو نتفة من نتفه أو مقطوعة من مقطوعاته، أو قصيدة من قصائده))[٤٥٥].

ويبدو أن هذه القضية لم تحظ بأي أهمية عند النقاد المتأخرين حتى جاء أبو الفرج الأصفهاني الذي وقف أمام هذه القضية وعرض لأسباب نحل الشعر ودواعيه عرضاً تطبيقياً واسعاً ، لأنه من دون شك أطلع على آراء ابن سلام حول أسباب نحل الشعر، لأنه أعتمد على كتابه وجعله مصدراً مهماً من مصادر تأليف الأغاني، ورأى الأصفهاني أن من أهم أسباب الإنتحال هم الرواة الذين لازالوا يصنعون الأشعار ويختلقون الاخبار تكسباً أو تغرباً أو تباهياً أو إدعاءً [٤٥٦] ولم تفته أسباب سبقه إليها بن سلام وأخذ بها المحدثون فيما بعد وهي العصبية القبلية ، سواء التعصب للنسب أم التعصب للمذهب والعقيدة ، والصراع السياسي والتنافس بين الأدباء [٤٥٧]وقد يقف التحامل والحنق وراء بعض الاخبار الموضوعه ، وكذلك إغارة الشعراء بعضهم على بعضهم ، [٤٥٨] ورأى أن هناك أسباب منها الغناء وشهرة الشاعر [٤٥٩] ثم جاء بن خلدون وناقش هذه القضية في حديثه عن الإسلام وقضية الشعر[٤٦٠]. غير أن قضية النحل قد أثيرت في العصر الحديث وفي كتاب الدكتور طه حسين والمستشرقين فقد سعوا إلى معالجة هذه القضية بآراء متباينة وراحوا يتتبعون النصوص والروايات، ويقارنون فيما بين الأقوال والآراء ، ويقفون صفين متناقضين في المذهب ، منهم من يرفض الشعر الجاهلي جملةً على انه منحول. ومنهم من يرى غير ذلك.

لقد اهتم المستشرقون بقضية النحل وأثروها نقاشاً وخاضوا غمارها، فقد عرض بلاشير ـ في كتابه تاريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي ـ قضية النحل ورأى أن المستشرق نولدكه أول من تناول الموضوع سنة ١٨٨٤م، وبعد ثماني سنوات تناول القضية اهلوارد[٤٦١] الذي نشر دواوين الشعراء الستة امرئ القيس والنابغة وزهير، وطرفة، وعلقمة وعنترة فأعاد ما ذكره الأول من الشكوك التي تحوم حول صحة شعر ما قبل الإسلام ورأى: ((أن القصائد المروّية غير موثوق بصحتها سواء من ناحية المؤلف أو ظروف النظم أو ترتيب الأبيات))[٤٦٢] وتابع هذين المستشرقين في آرائهما مستشرقون آخرون طوال ثلاثين سنة هم ((سوير وباسية وليال وبروكلمان))، ويبدو أن ليال كان اكثرهم حماسة في شكه حتى في القصائد المعترف بصحتها[٤٦٣] ومن ثم في أهمية النصوص المعترف بجاهليتها، ويظهر الموقف نفسه نحو ١٩٠٤م عند المستشرق

---

(٤٥٥) تاريخ النقد الأدبي ٦٣.
(٤٥٦) ينظر:ينظر الأغاني (دار الكتب) ٢٦٦/١٥، ٤/٢، ١٨/ ٢٥٥.
(٤٥٧) ينظر: م.ن ٢/٧، ٤٤/٢٢.
(٤٥٨) ينظر: م.ن ١٤٩/١٠، ٦٨/٢، ٨٣/١٠.
(٤٥٩) ينظر: م.ن ٩٢/٤- ٩٣، ٢٧٧/١١، ١١٥/٦، ٢٥٥/٢. .
(٤٦٠) ينظر: مقدمة العلامة ابن خلدون.
(٤٦١) ينظر: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي بلاشير. ١٩٧.
(٤٦٢) ينظر: م.ن.
(٤٦٣) ينظر: م.ن ١٩٨.

(كليمان هوار) ولكن هؤلاء جميعاً لم يبلغوا في نظرية الإنتحال من الشك والاسراف ما بلغه المستشرق الانجليزي (مرجليوث) الذي أثار عاصفة هوجاء عن هذه وذهب إلى رفض الشعر الجاهلي جملة وتفصيلاً ، بعد أن ذهب يتخبط تائها في اراء جزئية متضاربه وأعتمد فيما أعتمد على الروايات الضعيفة الخيالية سعياً لتحقيق مرامه (الشك في شعر ما قبل الإسلام) ففي سنة ١٩١٦م نشر بحثاً عن شعر ما قبل الإسلام.

في المجلة الآسيوية الملكية، وكان قبل ذلك قد تحدّث عن وضع الشعر في دائرة معارف الأديان والأخلاق عن الكلام عن مادة محمد ، وتحدث عن القضية في كتابه محمد ﷺ وظهور الإسلام[٤٦٤]، ثم ذهب ورفض شعر ما قبل الإسلام جملة في بحث مفصّلٍ نشره في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية بعدد يوليو ١٩٢٥م بعنوان (أصول الشعر العربي) وقد ساق مرجليوث نوعين من الأدلة في ادعائه إثبات بطلان شعر ما قبل الإسلام، أدلة خارجية وأخرى داخلية وقد كان لهذه الأدلة صدى في كتابات النقاد العرب، وللفائدة والإيضاح نعرض بحذر ايجاز مضمون اراء مرحليوث في النقاط الآتية:

١ـ انه بدأ مقالته بالحديث عن وجود الشعر في عصر ما قبل الإسلام فقال((إن وجود الشعر في شبة الجزيرة العربية قبل الإسلام أمرٌ شهد به القرآن حيث تحمل سورة منه أسمه ، وأحياناً يشير القرآن إليهم في مواضع أخرى)) [٤٦٥] وما لبث أن ذهب مشككاً في أمر هذا الشعر، حينما بدأ يذكر الأوصاف التي أطلقها المشركون في حق الرسول ﷺ ، وقال ((نحن نستدل من هنا بأن الشعر كان غامضاً مبهماً))[٤٦٦] وأشار هذا المستشرق إلى بداية الشعر العربي ويقرر أنّها أمرٌ في غاية الغموض، إذ عزا بعضهم شعراً عربيّاً لآدم، بينما أورد آخرون قصائد غنائية عربية منذ عهد اسماعيل[٤٦٧].

٢ـ يشكك مرجليوث في حفظ شعر ما قبل الإسلام فيقول: ((لنفترض أن هذا الأدب حقيقي فكيف حفظ ؟ لابد أن يكون قد حفظ عن طريق الرواية الشفاهية وأما عن طريق الكتابة)) [٤٦٨] وذهب يشكك في الرواة: أمثال حمّاد وجنّاد وخلف وأبي عمرو بن العلاء ، وأبي عمرو الشيباني وأبي إسحاق والأصمعي والمبرد ، متخذاً من طعن بعضهم على بعض دليلاً لشكه زاعماً أن الوضع في هذا الشعر كان مستمراً [٤٦٩]ويرى ان القرآن كان يحّث المسلمين على نسيان الشعر فهو من دون شك يقلل من قيمة الرواية الشفوية للشعر ويقول ((ليس لدينا سبب للتفكير بأن مثل هذه المهنة [أي الرواية] كانت موجودة وإنما يمكن أن تزدهر في العقود الأولى من الإسلام)) [٤٧٠]

---

(٤٦٤) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي هامش ٣٥٢.
(٤٦٥) أصول الشعر العربي ٥٣.
(٤٦٦) أصول الشعر العربي : م.ن٣٥ ومصادر الشعر الجاهلي ٣٥٣ـ٣٥٥.
(٤٦٧) أصول الشعر العربي ٥٤- ٥٦ ومصادر الشعر الجاهلي ٣٥٣ـ٣٥٥.
(٤٦٨) ينظر: اصول الشعر العربي ٦١ .
(٤٦٩) ينظر: م.ن٦٣ .
(٤٧٠) ينظر: اصول الشعر العربي ٦٠ .

٣ـ ولا يسلّم بأن الشعر قد حفظ بالكتابة، لأن القرآن نفى ان يكون للعرب كتبٌ مدللاً بذلك بقوله تعالى: ﴿أم لكم كتابٌ فيه تدرسون﴾ [٤٧١]. وينهي القول أن هذا الشعر الموجود بين أيدينا واضحٌ انّه وضع بعد نزول القرآن لأنهُ متأثرٌ بأسلوب القرآن[٤٧٢].
٤ـ يرى أن شعر ما قبل الإسلام لا يمثل حياة عصر ما قبل الإسلام الوثنية ولا من تنصر منهم فأصحابه مسلمون لا يعرفون التثليث المسيحي ولا الآلهة المتعددة وإنما يعرفون التوحيد والقصص القرآني. وما في الإسلام من تعاليم مثل الحساب ويوم القيامة وبعض صفات الله سبحانه وتعالى. فشعر ما قبل الإسلام حسب وجهة نظره لا يمثل الديانات المتعددة. و إنما يمثل الإسلام فقط[٤٧٣].
٥ـ يقول مرجليوث: ((لو أن هذا الشعر صحيح لمثل لنا لهجات العرب المتعددة في عصر ما قبل الإسلام كما مثل لنا الاختلافات بين لغة القبائل الشمالية العدنانية واللغة الحميرية في الجنوب))[٤٧٤] ويقرر أن هذا كله غير ممثل في شعر ما قبل الإسلام مما يدل على أن هذا الشعر قد وضع بعد نزول القرآن[٤٧٥].
٦ـويرى مرجليوث أن النقوش المكتشفة للممالك (المتحضرة) في عصر ما قبل الإسلام ولاسيما اليمنية لا تدل على وجود أي نشاط شعر فيها فكيف اتيح لبدو غير متحضرين أن ينظموا هذا الشعر بينما لم ينظمه من تحضر من أهل هذه الممالك وقد كانوا على درجة عاليه من التمدن .[٤٧٦]

وإذا كنا قد استعرضنا مكرهين ماذهب إليه مرجليوث ، فإنه يتحتم علينا أن نذكر بإيجاز آراء تابعي من النقاد من عرب ومستشرقين عن طريق نظراتهم المتفاوته لقضية الإنتحال الذي أثارها هذا المستشرق ، الذي يبدو وكأنه قد تناسى تماماً قضية المعجزة لكل نبي في هذه الدنيا ، وأن معجزة الأنبياء تأتي لتنافس أفضل ما يعرف الأقوام عنهم وما توصلوا إليه من علم وطب ومهنه إلى ما هنالك

لقد كانت آراء ((مرجليوث حافزاً لكتابات كثيرة، لما حوته من آراء جريئة ومزاعم وتصورات تخطئ الواقع التاريخي وحقيقة حياة ما قبل الإسلام فكان المستشرقون أنفسهم هم الذين ردوا عليه وناقشوا نظرياته وحاجوا مزاعمه ولعله لم يتح للعرب ان يطلعوا على أفكاره و لم يكن لمن اطلع عليها ثقافة قديمة بالشعر تمكنه من مناقشته والرد عليه))[٤٧٧].

ولاغروفقد كان للمتسشرقين عصا السبق في الرد علىآراء مرجليوث يتقدمهم كل من : تشارلس جيمس لايل الذي يرى أن صحة شعرماقبل الإسلام قد تأكدت له من

---

(٤٧١) سورة القلم /٣٧.
(٤٧٢) ينظر : أصول الشعر العربي ٦٠.
(٤٧٣) ينظر: م.ن ٧١. وينظر : مصادر الشعر الجاهلي ٣٥٦.
(٤٧٤) اصول الشعر العربي ٧٧.
(٤٧٥)ينظر : م.ن ٧٨.
(٤٧٦) ينظر: اصول الشعر العربي ٨٤-٨٥.
(٤٧٧) ينظر: الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه ١٦٤ومصادر الشعر الجاهلي ٣٦٧.

خلال أسباب وصفات أكتسبها الشعر معتمداً على الأدلة الداخلية (اللغوية ومضمون القصائد وإشارات الدين في الشعر ثم تبعه بروبيتش ولايل وجورجي ولا فيدا الذي أصّل الرواية الشعرية لما قبل الإسلام ورد على مرجليوث ودحض نظرياته(٤٧٨).

غير أن هناك من وقف من المستشرقين موقف الاعجاب بقدرة العرب في مجال الرواية وقوّة الحافظة، يقول نولدكه: ((ان الشعر العربي نقل بواسطة الرواية الشفوية والتواتر السماعي ولا غرابة في هذا بالنسبة للمقطوعات والقصائد القصيرة، اما المطوّلات فقد كان من التوثيق في حفظها وتداولها وجود فريق من الرجال اختصوا بالحفظ فوعوا اشعار واحدٍ أو جملة شعراء كما كان للشعراء أنفسهم رواة يروون أشعارهم فكان لكل شاعر راويته وقد يكون ابنه أو ربيبه أو نسيبه أو حبيبه))(٤٧٩).

فإذا كان هذا هو رأي أحد المستشرقين فأين نحن من رأي بعض نقادنا الذين استهوتهم شطحات الخيال؟. وإذا عدنا إلى آراء النقاد القدامى فان هدفهم التأكد من دراسة النص وفحصه وتحقيقه والتأكد ((من سلامة مبناه ومن سلامة نسبته إلى صاحبه حتى تكون أحكامنا في النقد سليمة مبنية على أسس سليمة))(٤٨٠) والناقد الحصيف قادر على أن يميز الصحيح من الزائف وقد استخدم الناقد القديم(٤٨١) ذلك.

فنحن كما أسلفنا لا ننكر وجود هذه القضية وكنا نأمل من النقاد أن يلتزموا في مناقشتها بشيء من العلمية والموضوعية التي حاد ـ عنها ـ بعضهم ووصل
به الأمر إلى الإسراف والإفراط والغلو والمتتبع الدقيق لما كتبه هؤلاء لوجد الحجج على صحة شعر ما قبل الإسلام في كتاباتهم.

وقد وقف النقاد العرب أمام قضية الإنتحال ويعد مصطفى صادق الرافعي أول من بحث في هذا الموضوع إذ عرض هذه القضية عرضاً مفصّلاً في كتابه (تاريخ آداب العرب) الذي نشره سنة ١٩١١م غير أنه كان يدور في فلك آراء القدماء وآراء ابن سلام على وجه الخصوص.

ثم جاء الدكتور طه حسين فدرس قضية النحل دراسة مستفيضة في كتابه (في الشعر الجاهلي) سنة ١٩٢٦م فاحدث هزّة قوية في بناء هذا الصرح ((أثارت كثيرين من المحافظين والباحثين فتصدوا للرد عليه ،ولم يلبث أن ألفّ مصنفه (في الأدب الجاهلي) الذي نشره في سنة ١٩٢٧م وفيه بسط القول في القضية بسطاً أكثر سعةً وتفصيلاً، إذ زوّدها ببراهين جديدة..))(٤٨٢) وصياغة جديدة لآراء مرجليوث وتوصل إلى نتيجة مفادها: ((إن الكثرة المطلقة مما نسميّه أدباً جاهليّاً ليست من الجاهلية في شيء، وإنما هي منتحلة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين، وأكاد لا أشكّ في ان ما بقى من الأدب الجاهلي الصحيح قليل جدّاً، لا يمثل شيئاً ولا يدل على

---

(٤٧٨) ينظر : مصادر الشعر الجاهلي ص ٣٧٦.
(٤٧٩) ينظر : م.ن٣٧١-٣٧٤.
(٤٨٠) اسس النقد الأدبي عند العرب ٢٩٤.
(٤٨١) ينظر : الوساطة ١٥٩.
(٤٨٢) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ٦٥.

شـيء ولا ينبغـي الاعتمـاد عليـه فـي اسـتخراج الـصورة الأدبيـة الـصحيحة لهـذا العـصر الجـاهلي))[٤٨٣] ورأى أن شـعر مـا قبـل الإسـلام لا يمثـل الحيـاة الدينيـة والعقليـة والـسياسية والاقتصادية لعصر مـا قبـل الإسلام[٤٨٤] وان هذا الشعر بعيد كل البعد عن ان يمثل اللغة العربية في ذلك العصر لأن هناك خلافاً قوياً بين لغة عدنان ولغة حمير.

وفي حديثه عن أسباب النحل في شعر ماقبل الإسلام فقد ارجعها الدكتور طه حسين إلى سياسية ودينية وقصصية وشعوبية وأدبيـة (المتعلقة بـالرواة) [٤٨٥] أمّا مسألة الشك فقد ارتآه في شعر مجموعة من شعراء ما قبل الإسلام الذين تناولهم مثل امرئ القيس وعلقمة الفحل وعبيد بن الأبرص وعمرو بن قميئة والمهلهل وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وطرفة والمتلمس والأعشى[٤٨٦].

أما الشعر المضري المتمثل بأوس بن حجر وزهير وكعب والحطيئة. فقد حاول الدكتور أن يجعله مقياساً فنياً لصحة الشعر[٤٨٧] وقد وصل به الشك إلى الطعن في الرواة وعلى وجه الخصوص تشكيكه في رواية أبي عمرو الشيباني والذي كان من أكثر الرواة ثقة [٤٨٨].

وقد ألهب كتاب الدكتور طه حسين معركة أدبية شديدة لايشق لها غبار في النقد العربي الحديث. ولم تقف المسألة عند هجوم الكتاب على شعر ما قبل الإسلام، بل نظر لفيف من الباحثين على أنه هجوم على القرآن وتشكيك فيه، لأن الكتاب ورد فيه ما يتعارض مع الحقائق القرآنية الثابتة مثل قول الدكتور طه: ((للتوراة ان تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن ان يحدثنا ايضاً ولكن ورود هذين الأسمين في التوراة والقرآن لا يكفي وجودهما التاريخي..))[٤٨٩].

ولا ريب في أن ذلك يحدث جدلاً عنيفاً شغل الحياة الأدبية والفكرية برمتها. وقد تصدى النقاد العرب له منهم مصطفى صادق الرافعي في كتابه (تحت راية القرآن) ومحمد فريد وجدي (نقد كتاب الشعر الجاهلي) ومحمد خضير حسين (نقض كتاب في الشعر الجاهلي) ومحمد الغمراوي في كتابه (النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي) الذي وقف امام ما حذفه الدكتور طه حسين في كتابه (الأدب الجاهلي) ورأى الغمراوي أن ((صاحب الكتاب حذف من غير أن يذكر اسباب الحذف. وهذه نقطة لها خطرها سواء انظرت إليها من ناحية البحث وعلميته أم من ناحية التكفير عن الأساءة التي كانت من صاحب الكتاب إلى الدين وأهله..)).[٤٩٠]

---

(٤٨٣) في الأدب الجاهلي . ٦٥.
(٤٨٤) ينظر: في الأدب الجاهلي ٧٢-٧٣
(٤٨٥) ينظر: في الأدب الجاهلي ٧٢-٧٣
(٤٨٦) ينظر: في الأدب الجاهلي (١١٩-١٣١)، (١٣٢-١٤٧) (١٤٧-١٥٨) (١٥٩-١٦٦)(١٦٧-١٧٣).
(٤٨٧) ينظر: م.ن ٢٩٦-٢٩٧.
(٤٨٨) ينظر: م.ن ١٦٠.
(٤٨٩) في كتاب الشعر الجاهلي ٢٦ وينظر: تحت راية القرآن ١٤٥-١٦١.
(٤٩٠) النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي ١٣.

ثم يمضي في انتقاد الآراء المبثوثة في كتاب طه حسين حول جميع الموضوعات التي تناول ها شعر ما قبل الإسلام واللغة، والسياسة وانتحال الشعر، القصص والرواة والشعوبية وشعراء ما قبل الإسلام ويفندها جميعها تفنيد الناقد العلمي بطريقة علمية تحليلية.[491]

وقد قدم الأمير شكيب ارسلان (كتاب النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي) أجاب عن السؤال: الشعر الجاهلي أمنحول أم صحيح النسبة؟ ((وكان في منتهى الرصانة والتعقل والموضوعية، إذ بيّن ان الدكتور طه متأثر بآراء نفر من المستشرقين الذين لا يملكون أن يحكموافي نسبة شعر عربي لقائله أو لمنتحله))[492]. لذلك لا يمكن ان نعتمد على آراء المستشرقين في مثل هذه القضية لان دعواهم كانت باطلة وهناك شكٌّ واضح في نيّاتهم، ولا سيما حين يظهر انحيازهم لليهود في تناول شؤون ثقافية شرقية. ومرجليوث((معروف بانحيازه لليهود))[493].

كما وضع محمد لطفي جمعة كتابه (الشهاب الراصد) بين في مقدمته انه كتاب ((بحث اقتصادي تحليلي لكتاب الشعر الجاهلي الذي وضعه الدكتور طه حسين))[494] وكان له رد على من يشكك في الرواة وقال : ((وإن كان بعض المتعاصرين والأنداد من الرواة طعن بعضهم في بعض ، فليس في الطعن حجة أو دليل على صحة التهمة ، لأن إتحاد الحرفة والمنافسة في الشهرة والمزاحمة على نيل الحظوه قد تدفع ببعض الرواة إلى الحسد والغيرة لهذا قال الاقدمون أن المعاصرة حجاب)) [495]

وكما اشرنا فان كتاب الدكتور طه حسين ((قد أثار جدلاً عنيفاً شغل الحياة الفكرية بالدفاع عن الحرية وقد حملت السياسة الاسبوعية لواء الدفاع عالياً)) [496]... أدّى الأمر إلى مناقشته في جهات أعلى أدّى ذلك إلى سحب الكتاب من السوق وإعادة النظر فيه. ولا ريب في أن الدارسين من الجيل الثاني لم يكفّوا عن تناول الموضوع في بحوثٍ جادة هادئة توجّه عنايتها إلى معالجة القضايا علاجاً علميّاً بعيداً عن جوّ المعارك وملابستها ومثّل هؤلاء الدكتور أحمد الحوفي في كتابه(الحياة العربية من الشعر الجاهلي) والدكتور علي الجندي في كتابه (تاريخ الأدب الجاهلي) ويتبعهما كثيرون منهم الدكتور شوقي ضيف والدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور يحيى الجبوري.وانجلى غبار المعركة ((عن تأصيل قويم في دراسة الشعر القديم.. ولم تؤصل هذه الدراسة القيّمة في الأدب الجاهلي وحده، فقد أصّلت البحث في الأدب العربي بعامة إذ دعت إلى حرّية التفكير))[497].

وبعد أن تشعبت المعركة واتسعت في وجه الدكتور طه حسين الذي لم يكن بمقدوره أن يقاومها وجّه إلى مدير الجامعة المصرية آنذاك ـ أحمد لطفي السيد ـ رسالة يقول فيها: ((كثر الغلط حول الكتاب الذي اصدرته منذ حين باسم في الشعر الجاهلي وقيل إني تعمّدت فيه إهانة

---

(٤٩١) ينظر : معارك أدبية قديمة ومعاصرة ٢٥٧.

(٤٩٢) م.ن ٢٠٦ .وينظر النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي ١٦٦-٢٢٢،١٩٣-٢٥١، ٢٦٤-٢٦٩

(٤٩٣) معارك أدبية قديمة ومعاصرة، ٢٥٦.

(٤٩٤) معارك أدبية قديمة ومعاصرة ٢٥٦.

(٤٩٥) مصادر الشعر الجاهلي ٤٢٨.

(٤٩٦) معارك أدبية قديمة ومعاصرة: ٢٥٦.

(٤٩٧) طه حسين كما يعرفة كتاب عصره ١٦١.

الدين والخروج عليه، وإني أعلمُ الإلحاد في الجامعة، وأنا أؤكد لعزتكم أني لم أرد أهانة الدين ولم أخرج عليه، وما كان لي أن أفعل ذلك وأنا مسلم أؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأنا ارجو ان تتفضلوا فتبلّغوا هذا البيان من تشاؤون وتنشروه حين تشاؤون))[٤٩٨].

فقد جاءت مؤلفاته من بعد على هامش السيرة لتسدل ستاراً على الماضي. كما ان الدكتور طه حسين قد حذف من كتابه أكثر تلك الأجزاء التي ثارت من أجلها ثائرة الناس في مصر عليه غير أنه لم يبين أسباب الحذف.

ونخلص من هذا أن الحديث، عن هذه القضية قد تجاوز حدّه وربما اتيح للموضوعية بعض الشيء من الحديث، ومماﻻريب فيه أن شعر ما قبل الإسلام فيه الصحيح الموثوق به ويشكل نسبة كبيرة منه وفيه الموضوع والمنتحل ويشكلان نسبة ضئيلة جداً وليس بوسعنا أن نذكر كل ما قيل من حجج، أو تفنيدها لأن ذلك الأمر معروف للدارسين. والتزاماً بمنهجنا ارتأينا أن نضع هذه الصفحات محوراً لهذه القضية. ولا ريب في أن المشككين في صحة شعر ما قبل الإسلام اعتمدوا على آراء جزئية تبدو وكأنها وجيهة غير أن تعميمهم إياها على شعر ما قبل الإسلام قد اغرقهم في دوّامة الأوهام والغفلة، وتبعاً لذلك يرى الباحث ان شعر ما قبل الإسلام له أصوله وجذوره الراسخة في القدم وان العرب حفظوه في صدورهم كابراً عن كابر ((فكانت القصيدة العربية ما ان تنطلق من ركن بعيد من أركان بلاد العرب حتى تجد صداها في الركن الآخر قاهرة الصحارى.. مجتازة الجبال.. عابرة المياه مخترقة اسوار المدن.. أسرع من بروق السهم))[٤٩٩].

ولم نجد تفاوتاً في اللهجات فكان الشعر المحور الرئيس لوحدتهم وقد كانوا يعدونه ديوانهم الذي يمثل مآثرهم وشجاعتهم وسجاياهم وخلالهم الكريمة.

وإذا انعمنا النظر فيه فقد كان فعلاً كذلك وقد اعتنى به وبروايته الجّم الكبير من العرب قادة وعلماء وفي الوقت نفسه انبرى جماعة من الرواة الثقات منهم أبو عمرو بن العلاء والمفضّل الضبي والأصمعي وابن سلام وابن هشام وغيرهم كثير وقد خصصت مدرستا الكوفة والبصرة لهذه المهمة واجمع الرواة على الصحيح وهذّبوه ونقحوه ودوّنوه بعد جهد وعناء كبيرين وقد وصل إلينا عن طريقهم كما هو في مظان أمات مصادر الأدب العربي لذلك فلا داعي ثانية للتشكيك في شيء اجمع عليه العلماء وهم أولى بهذه القضية منّا وأقرب إلى ذلك العصر ولديهم المقومات والمقدرات للتصديق والتكذيب، ويستحسن ان يقلق هذا الباب حتى لا تصطدم الأجيال القادمة باخطبوط وأهواء المستشرقين ومن تبعهم من المشككين العرب.

ومهما يكن الرأي في هذا الحديث ومقدار صحته ومصداقيته، فاننا نعتقد بان الرواة الذين اتهموا بنحل قصائد كثيرة ووضعها على ألسنة شعراء لديهم من الموهبة العالية وغزارة العلم والمعرفة ما يجعلهم بصيرين بالشعر ويطرح الدكتور مفيد قميحة عدداً من الاسئلة ردّاً على المتهمين والمشككين في صحة شعر ما قبل الإسلام وهي ((لماذا يضع حماد وأمثاله مثل ذلك الشعر؟ ولماذا ينسبونه إلى غيره من الشعراء؟ وما الأسباب المجهولة إلى نظم ذلك الشعر

---

(٤٩٨) معارك أدبية قديمة ومعاصرة : ٢٥٩.

(٤٩٩)الشعر ونضال الوحدة في صدر الإسلام (مقال) د.عادل جاسم البياتي ،ضمن كتاب دور الأدب في الوعي القومي العربي ١٠٣.

والحاقه بغير ذواتهم؟))[٥٠٠] وهذه الاسئلة تجيب عن نفسها لأنها اسئلة مشروعة ولكنه يرى أن ((الإجابة عليها تقتضي كثيراً من الحذر في قبول الاعذار والتعليلات التي لا يقرّها منطق الطبيعة الإنسانية فهل بلغ التواضع عند هؤلاء الرواة إلى هذه الدرجة من الايثار الذي يسحق النفس ويميت العبقرية والذات من أجل احياء شخصيات بائدة؟ ان ذلك في رأينا امرٌ لا يتصوره العقل ولا يتقبله المنطق السليم وخصوصاً إذا ما نحن نظرنا إلى أهمية الشاعر ومكانته التي لا تتسامى في ذلك العصر))[٥٠١] ويضيف الدكتور قميحة شيئاً مهماً بقوله: ((ولو كان ذلك الشعر لغير الذي نسب إليهم أو لأناسٍ مجهولين؟ أو مختلفين، لما تردد حمّاد وخلف وأضرابهما قيد لحظة من نسبته إلى أنفسهم، لأن ذلك يرفع من شأنهم، ويؤكد موهبتهم ويعزز مكانتهم الاجتماعية والفكرية على السواء))[٥٠٢].

ويرى الدكتور طه حسين أن ((كثرة الحروب استوجبت موت العديدين من الرواة والحفاظ فضاع بذلك الكثير من الشعر فاستكثر العرب في أميّة من الشعر الجديد المختلق ونحلوه إلى الجاهلين..)) فهل موت بعض الحفاظ والرواة يؤدي إلى النحل؟ ((وإذا فرضنا جدلاً موت الحفاظ والرواة في أو ائل ملك بني أميّة، فانه يكون قد بقي التابعون وكلهم في حكم الحفّظ لضرب العهد بهم، فهل ذهب الحياء من الشعراء يومئذ لحد أن يختلقوا الشعر ويزوروه على الجاهليين وهم يعلمون وجود المعاصرين لرواة الشعر الجاهلي)).[٥٠٣]

لقد افضنا في الحديث عن قضية النحل وما يتعلق بها ونخلص من هذا إلى أن شعر ما قبل الإسلام صحيح في الأغلب الأعم موثوق به يمكن الإطمئنان إليه لان علماء العربية قد تثبتوا في روايته وفحصوه فحصاً دقيقاً ولم يقبلوا منه إلا ما ثبت صحته لديهم وهذا هو الشعر الذي حملته إلينا مصادر الأدب العربي ونقده.

وقد بذلنا جهوداً آملين الحصول على شذرات من نقد النص النثري في عصر ما قبل الإسلام إلاّ أننا لم نجد شيئاً من هذا القبيل مع علمنا ان هناك نصوصاً نثرية وجدت في هذا العصر موزّعة على الخطب والوصايا والأمثال وسجع الكهان ولا ريب في ((ان الشعر استبد بجهود أكثر النقاد، ولم يخلص للنثر من عنايتهم الا القليل))[٥٠٤].

ويرى الدكتور محمد مندور أن: ((النقد الأدبي عند العرب قد ابتدأ بنقد الشعر عندما كانت القبّة الحمراء تضرب للنابغة الذبياني في سوق عكاظ ليحكم فيها بين الشعراء، وكان الشعر عندئذ هو الصورة الوحيدة للآدب تقريباً، بل وكان شعراً من نوع واحد هو الذي يسميه الغربيون الآن بالشعر الغنائي، أي شعر القصائد والمقطوعات))[٥٠٥].

ويرى أن النثر لم يظهر الاهتمام بنقده إلا بعد نزول القرآن الكريم[٥٠٦] ولاريب في ان هذا النقد قد ركز بدرجة رئيسة في علوم الإعجاز القرآني.

ونخلص من تلك الملاحظات النقدية أنها تؤكد ان النقد في أغلبه كان مبنياً على الذوق والفطرة بما تسمع من قول فتصدر الحكم عليه غير معلل أو غير مشفوع بحيثيّات. وإذا كانت

---

(٥٠٠) شرح المعلقات العشر ٣١.
(٥٠١) م.ن ٣١-٣٢.
(٥٠٢)شرح المعلقات العشر ٣٢.
(٥٠٣) الشعر الجاهلي.
(٥٠٤) النثر الفني ١٨/١.
(٥٠٥) قضايا جديدة في الأدب العربي ٢٢.
(٥٠٦) ينظر : م.ن ٢٢.

الذاتية أهم هذه الصفات الصادرة عن حس الناقد وشعوره تجاه النص الشعري، فأننا قد لمحنا في بعض الملاحظات أثر الموضوعية الذي تنوّع بين نقد يمكن ان نعدّه لغوياً، وهو الذي اتجه إلى الالفاظ والمعاني والصور الشعرية والعروض وغير ذلك وبهذا الاتجاه نجد النقدَ قد اتخذ شطره الأو ل ميدان الحكم على الشعر.

وقد يتجه النقد بشقه الآخر إلى الشعراء والمفاضلة بينهم وخلع الألقاب والتسميات الخاصة على بعضهم، أو على بعض من قصائدهم وقد يحكم للشاعر بالشاعرية أو الحكم بتفضيله على غيره أو الحكم بجودة قصيدة وتلقيبها بلقب خاص ((فالناقد إذا ما استساغ بذوقه الفطري قصيدة أو جزءاً من قصيدة أو بيتاً أو حتى نصف بيت منها، فما أسرع ما يتأثر ويندفع إلى التعميم في الحكم ويجعل من الشاعر أشعر الناس وقد علق بعضهم على هذا الاتجاه في النقد بقوله الناس اشعر الناس))[٥٠٧] غير اننا قد أوضحنا ما تخفيه هذه المقولة من عمق الدلالات والصور مع الدقة والتحديد.

ولا نطالب من هذه الأحكام ان تلم بحياة الشاعر وما يكتنفها أو تتبع ((لذلك الشاعر في كل ما يعرف له أو أكثر ما آثر عنه لاستخلاص اتجاهاته العامة ومنهجه الذي يسير عليه وبيان ما إذا كان ذلك المنهج أو المعنى أو الأسلوب جديداً مبتكراً يعد به إماماً أو أستاذاً تقليديّاً يحسب به مقتدياً وتابعاً))[٥٠٨]. فكل هذا بعيد عن نقد عصر ما قبل الإسلام الذي مال إلى الإرتجال في الأغلب الأعم؛ وذلك لأن الشعر المرتجل يفضل المنقح المحكك والمقدم بالثقاف لأن الأول يصوّر الفاظه كما هي من دون ترو لاحق وإعادة نظر.

ونخلص من هذا كله وفي ضوء تلك النماذج النقدية التي وقفنا عليها وتأملنا في محتواها وغصنا على أعماقها وبعد هذه الرحلة.

ثبت لدينا ان هذه النماذج تستند إلى نضج في التفكير واستواءٍ في المذهب الشعري والمام بمقدرات لغوية وعلمية، ارتأت ان يكون ذلك العصر جديداً وان يخلف لنا هذا الحصاد النقدي الضخم مع إدراكنا أن الكثير منه لم يصل الينا لاسباب كثيرة أبرزها عدم تدوين ذلك التراث. وتأسيساً على هذا فقد تخطّى الشعر العربي في عصر ما قبل الإسلام مرحلة الطفولة إذ قصّدت القصائد، وثبتت الأوزان واستقر نظام القوافي وأحكم بناء القصيدة وسادت قيم فنيّة عامة تمثل (عمود الشعر) ذلك كلّه والنقد ـ بعد ـ يحبو، ويتعثر في إذيال الطفولة وغير معقول أن يخطو الشعر خطواته تلك في طريق النضج الاّ في ظل نقد موضوع واع، فهذا النقد ـ على ما يبدو ـ هو نتاج عصره وجدير أن يكون كذلك، بل انه اقلّ مما نرجو من عصر بلغت فيه التقاليد الشعرية حدّاً من الثبات أثرّت معها في الشعر على اختلاف العصور حتى عصرنا الحديث.

ولا ريب في أن نقد عصر ما قبل الإسلام في مجمله قد ارتبط بالشعر بعدّه الأنموذج الأدبي المتميز لحياة ما قبل الإسلام لذلك فان الأحكام النقدية التي سادت في هذا العصر لم تكن وليدة عصرها فحسب بل امتدت شامخة في العصور كلها حتى يومنا هذا، إذ انها تصدرت مصادر الأدب العربي ونقده ومراجعهما قديماً وحديثاً وأن تباينت المعالجات لها إلاّ أنها البذرة الرئيسة التي انطلقت منها نظرية النقد العربية فقد غذت العصور الأخرى وفتحت آفاقاً لتطور النقد العربي وما زالت معيناً ثرّاً ترفده إلى يومنا هذا.

---

(٥٠٧) تاريخ النقد الأدبي عند العرب د. عتيق. ٣٤.

(٥٠٨) دراسات في نقد الأدب العربي، حتى غاية القرن الثالث الهجري ٧٧.

الفصل الثاني

نقد النص الأدبي
في عصر صدر الإسلام

- الإسلام والشعر
- موقف الرسول ﷺ من الشعر والشعراء
- نقد النص الأدبي في عهد الخلفاء الراشدين
- أبو بكر الصديق ﷺ
- عمر بن الخطاب ﷺ
- عثمان بن عفان ﷺ
- علي بن أبي طالب ﷺ
- قضية ضعف الشعر في عصر صدر الإسلام
- المفاضلات بين الشعراء

الفصل الثاني
نقد النص الأدبي في عصر صدر الإسلام

الإسلام والشعر:

مَثّل النقد في عصر ماقبل الإسلام بنواحيهِ كافة صورةً مُثلى للشعر ومتلقيه، إذ لمسنا تجاوزه الذوق البسيط في أغلب الأحيان وهو أمرٌ مكننا من الوقوف عند نماذج النقد المعللة التي كانت البذرة الأولى للنظرية النقدية عند العرب.

وقد جاء الإسلام وقد كان في حسبانه تخفيف غلواء العاطفة التي كانت تدفع الشعراء إلى الحماسة والفخر والتطاول والتكاثر بالأموال والأوّلاد والانساب والوقوف بوجه العبث واللهو وماهنالك فأحدث ((انقلاباً ثورياً في الحياة العربية والجاهلية وخطوة تقدمية في سبيل تغييرها وتطويرها إلى الأفضل والاصلح))[٥٠٩] فقد أرسى دعائم الوحدة الدينية التي جمعت العرب في كلمة الإيمان، وكان الإسلام ظاهرة متميزة في المستويات كلها، ((وقد امتاز بعصر الدعوة والرسالة الإسلامية التي بشّر بها رسولُ البشرية محمد ﷺ ويكفينا دليلاً ان يكون عصر الدعوة الإسلامية عصر نهضة اللغة العربية أداةً والعرب جنساً وشبه الجزيرة أرضاً وأن يكون تاريخها تراثاً وثقافةً لهذه الصيغة العقائدية المتطورة التي أو حى بها الله تعالى إلى رسوله لتكون منهاج عمل طويل المدى، للتحرر من واقع اجتذبته ظروف وضغوط عديدة من عوامل القهر والاستلاب سواء من داخل النفس العربية أم من تسلط خارجي))[٥١٠] غير أن هذه الدعوة لم تكن موجهة إلى العرب وحدهم بل كانت دعوة إلى الناس كافة، وقد كرم الله أمّة محمد ﷺ بهذا القرآن الذي نزل بلسان عربي مُبين ليكون معجزة الرسول ﷺ الكبرى التي تحدّى بها الناس وأخرس ألسنة المعاندين من قريش ولاريب في((أن يكون القرآنُ في الحقيقة كتاباً معجزاً ومنزهاً ومنزلاً وحجةً دامغة لكل من تحداه فهو الكتاب العربي المبين المحكم الآيات الذي كان ومازال مصدر إيحاء واشعاع ايماني للبشرية ودعوة إيمانية دينية قبل كل شيء لامتداد أثرهُ وارتباطه بمرحلة زمنية تحددت ببعثة النبي ﷺ وظل هذا الأمتداد يشمل هذه الحياة إلى ماشاء الله.))[1] وقد جاء الشعر (ديوان العرب) ومجمع مكارمهم ومنبع مفاخرهم، ومظهر نبلهم وموضع فصاحتهم وموضع الاكبار من نفوسهم، فبهرهم بيانه وإذهلهم افتنانه فأسلم له من استضاءت بصائرهم ونزع الله الغشاو ة من قلوبهم وصد عنه غيرهم و ((قد ظهر الإسلام والبلاغة العربية في ذروتها، ولكن لم يكد العرب يستمعون إلى القرآن حتى اعتراهم الانبهار امام بلاغته التي تتحدى العقول والافهام، ومن ثُم لم يكن عجباً ان تعجز قريشٌ عن معارضته، وان يسجد لبلاغته

---

(٥٠٩) الإسلام والشعر: ٣.

(٥١٠) الشعر ونضال الوحدة في صدر الإسلام (مقال)، د. عادل البياتي، فن كتاب دور الأدب في الوعي القومي، ٩٩.

[1] المضامين الدينية والتراثية في شعر اليمن الحديث ٣.

وللايمان به من سجد منهم لـه))[٥١١]. ولاريب في أن يكون القرآن الكريم باعثاً مهمّاً ((من بواعث نشوء النقد الأدبي عند العرب، فقد حظيت النصوص القرآنية بعناية كبيرة وفي وقت مبكر. وحظيت الأحاديث النبوية باهتمامهم وعنايتهم ايضاً وقد أُعتبرا -فيما بعد- الباعث المباشر لنشأة العلوم اللغوية كلها))[٥١٢]. ولاغرو في أن يكون الشعر من تلك العلوم. وقد كان الرسول ﷺ يستحسن الشعر وينشد أصحابه ويمدح ويثيب وعليه ويقول هو ((ديوان العرب))[٥١٣].

وفضلاً عمّا ذكرنا نرى ان الذي حد من انتشار الشعر المكي هو تحريم الرسول ﷺ روايته بل محض انشاده فنسي أو تناساه الناس لما فيه من هجاء للرسول وللدعوة ولاصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام فضلاً عن ان الذين انشاؤه كانوا قد اسلموا تباعاً فتبرأوا منه ومن ان ينسب اليهم، ثم تشاغل الناس بالدعوة، وذهبت بالناس المذاهب فضاع ماضاع منه، كما ان الذي حد من انتشار الشعر أيضاً ماكان ينقضه حسّان وشعراء الدعوة فتناساه الشعراء الذين قالوه ايّما تناسٍ لانه منقوض فنيّاً وموضوعيّاً. فضلاً عن ان شعراء مكّة لم يكونوا مشهورين شهرة شعراء العرب الآخرين. لان مكة كانت ناقدة اكثر منها شاعرة.

وإذا ماتابعنا النماذج الشعرية لشعراء كفار قريش وغيرهم ممن آزرهم نجدها وقد وقفت في وجه الإسلام وشكلت مكّة مدرسة فنيّة هجائية ((تدافع عن الوثنية التي تؤمن بها وتهاجم الدين الجديد الذي يدعو إليه النبي ﷺ وتحاول ان تنال منه لينفض العرب من حوله))[٥١٤] ومما يلاحظ ان مأو صل الينا من الشعر المنسوب لمكة قليل إذا ماقورن بزمن الصراع وعدد الشعراء الذين شاركوا فيه. ولاريب في أن تكون هناك عوامل عملت على الحدّ منه وطمسه وضياعه. ولا غرو في أن يتصدر الإسلام العامل الرئيس منها فقد عمل على وجوب نسيان تلك الأشعار لما فيها من إثارة للأحقاد وتجديد الضغائن ولاسيما ان قسماً كبيراً من الشعر قد تطاو ل على الإسلام وهاجمه وفي الوقت نفسه تناول الرسول ﷺ بالطعن، ولابد من ان الرواة المسلمين قد تحرّجوا من أن ينقلوا، ويقيدوا شعراً حمل هذا المعنى[٥١٥] لذلك فلابد من أن يضيع معظم هذا الشعر لسقوط روايته.

والحق أن ظهور الإسلام كان أحد اسباب استيقاظ شاعرية الشعراء الذين لم يألوا جهداً في تحدّي القرآن الكريم فما من وسيلة الاّ اتبعت، إذ وقفت قريش واشهرت اسلحتها كلها بوجه الإسلام ومنها الشعر، يقف إلى جانبها اليهود وقبائل متفرقة[٥١٦]، أفصحت قصائدشعرائهم عن حقد على الإسلام والمسلمين، وقد كان لهذا الشعر أثره في نفس

---

(٥١١) تاريخ النقد الأدبي ، عند العرب: ٤٢.
(٥١٢) النظرية النقدية عند العرب: ٥٦.
(٥١٣) جمهرة اشعار العرب ١٤/١.
(٥١٤) تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي: ١٧.
(٥١٥) ينظر: دراسات في الأدب العربي: ٧٣.
(٥١٦) الإسلام والشعر،د. العاني:٥.

الرسولﷺ، إذ شارك في إعاقة الدعوة إلى الإسلام والتنفير منه في وقتٍ ((لم تكن القبائل خارج المدينة تسمع عن الإسلام أو تعرف عنه شيئاً الاّ بوساطة مايصل إليها من الشعر))[٥١٧].

ولمّا كانت المعركة والسجال الكلامي أشد وقعاً في النفوس، وأبلغ أثراً في العقول بحث الإسلام عن سبيل يطفئ نار الأعداء ((فقرر أن يفلّ من هذا السلاح الذي أراد المشركون أن يتخذوا منه سلاحاً ماضياً يشهرونه في وجه الدعوة الإسلامية ، ويهدمون به كل ما يحاول أن يبنيه الرسول ﷺ ليفوّت على المشركين غرضهم الذي كانوا يرمون إليه، ويوجههُ إلى غير ماستعمله المشركون))[٥١٨].

ومما عزز من سلاح المسلمين آي من الذكر الحكيم في سورة الشعراء ذكرت الشعراء المضلين الضالين ﴿والشعراء يتبعهم الغاو ون ألم ترَ انهم في كل وادٍ يهيمون، وأنهم يقولون مالايفعلون الاّ الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ماظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون﴾[٥١٩]، فقد استثنت الآية الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يعملون الصالحات ويذكرون الله كثيراً، وإذا قالوا شعراً قالوه في توحيدالله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنه ويدعون إلى الصلاح والإسلام في قصائدهم. فالقرآن الكريم حدد مهمّة الشعراء المسلمين وليس الحدّ من قوة الشعراء الكفار فقط، فهو هنا يكلف الشعراء بمهمة الدفاع عن الدعوة المقدّسة.

ولبلاغة القرآن وفصاحته راح الكفّار يتخبطون في وصفه فتارة (أضغاث أحلام) وتارة (افتراءات) وتارة (اساطير الأوّلين) ويتخبطون في وصف الرسول الكريم ﷺ فهو (شاعر) والقرآن (شعر)، ومنهم من أتهمه بـ (شاعر مجنون) –حاشا للقرآن وللرسول مما نسب إليهما من افتراء وقول متخبط مجنون وقد ذكر القرآن الكريم تخبطهم هذا حينما قال: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال...﴾[٥٢٠] ونزّه آياته ورسوله مما وصفا به في قوله تعالى: ﴿وما علّمناه الشعر وماينبغي له* ان هو الاّ ذكر وقرآن مبين﴾[٥٢١] وقوله سبحانه: ﴿بل قالوا أضغاث أحلام* بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآيةٍ كما أرسل الأوّلون﴾[٥٢٢] وقوله تعالى: ﴿فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون ويقولون اننا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون﴾[٥٢٣]. وقوله : ﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين﴾[٥٢٤]. وقوله: ﴿إنّه لقول رسولٍ كريم وماهو بقول شاعر قليلاً ماتؤمنون ولا بقول كاهناً قليلا ما تذكرون﴾[٥٢٥].

---

(٥١٧) م.ن: ١٤.
(٥١٨) الإسلام والشعر، العاني، ١٤-١٥.
(٥١٩) سورة الشعراء ٢٢٤-٢٢٧.
(٥٢٠) سورة الاسراء /٤٨.
(٥٢١) ينظر : الكشاف ٣٣٣/٣ والآيتان في سورة يس ٦٩ - ٧٠.
(٥٢٢) سورة الانبياء/٥.
(٥٢٣) سورة الصافات/٣٦.
(٥٢٤) سورة الطور/٢٩ - ٣١.
(٥٢٥) سورة الحاقة/٤١ – ٤٢.

لذا كان القرآن يوم نزل على الرسول الكريم ﷺ متميزاً من جميع الفنون الأدبية المعروفة عند العرب، وقد اعترفوا هم انفسهم بهذا التميز، ويروى ان عتبة بن ربيعة قال حين سمع القرآن: ((ياقوم، قد علمتم أني لم أترك شيئاً الاّ وقد علمته وقرأته وقلته والله، لقد سمعت قولاً ماسمعت مثله قط،والله ماهو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة))[٥٢٦] وقال الوليد بن المغيرة: ((والله ماهو بكاهن،لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه..وماهوبمجنون،لقد رأينا الجنون وعرفناه،فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوستة..وما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله: رجزه وهزجه، وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر)) [٥٢٧]وقال ((ماهو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم)) [٥٢٨] ولما سمع من النبيﷺ: ﴿ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾[٥٢٩] قال: ((والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً، ماهو من كلام الأنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة ، وإن عليه طلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وان اسفله لمغدق، وإنّه يعلو ومايعلى))[٥٣٠].

كما إن لنا في وصف عمر بن الخطاب ﷺ القرآن قبل إسلامه دليلاً بليغاً آخر. فقد قال عمر ﷺ بعد أن قرأ في سورة طه: ((ماأحسن هذا الكلام وأكرمه))[٥٣١] وفي رواية أخرى أنه قال ((فلما سمعت القرآن رقّ له قلبي، فبكيت ودخلني الإسلام))[٥٣٢].

ويروى انه قال ﷺ: ((خرجت اتعرض رسول الله ﷺ قبل إن اسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقةفجعلت اتعجب من تأليف القرآن. قال: قلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، فقرأ إنه لقول رسول كريم، وماهو بقول شاعر قليلاً ماتؤمنون، قال: قلت: كاهن علم مافي نفسي. فقال: ولابقول كاهن قليلاً ماتذكرون إلى آخر السورة. قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع))[٥٣٣].

ويروى ايضاً ان النبي ﷺ دعا قيس بن الخطيم إلى الإسلام وتلا عليه القرآن، فقال: ((إني لأسمع كلاماً عجباً، فدعني انظر في امري هذه السنة ثم اعود إليك فمات قبل الحول))[٥٣٤].

واخرج البيهقي عن المغيرة بن شعبة قال: ان أو ل يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ اني أمشي أنا وأبو جهل في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل: ياابا الحكم هلم إلى رسول أدعوك إلى الله فقال أبو جهل: يامحمد هل أنت منته عن

---

(٥٢٦) البداية والنهاية ٥١/٣ وينظر : السيرة النبوية ٢٢٤/١-٢٢٥، ودلائل الإعجاز/٥٨٤، والروض الانف ٣٥/٢.
(٥٢٧) السيرة النبوية ٢٠٩/١وينظر دلائل الإعجاز/٥٨٢.
(٥٢٨) م.ن ٢٠٩/١.
(٥٢٩) سورة النحل/٩٠.
(٥٣٠) الكشاف٦٣٦/٤ ينظر : م.ن ٢٠٩/١ ودلائل الإعجاز/٥٨٥ ونهاية الارب ٥/٧.
(٥٣١) السيرة النبوية ٢٦٣/١.
(٥٣٢) م.ن ٢٦٤/١.
(٥٣٣) الروض الأنف ٩٩/٢-١٠٠.
(٥٣٤) الإصابة ٤٥٣/٤ والأغاني ١٥٤/٢.

سب آلهتنا؟ هل تريد إلاّ أن نشهد أنك قد بلغت؟ فنحن نشهد إن قد بلغت، فوالله لو أني اعلم أن ماتقول حق لاتبعتك فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل علي. فقال: والله اني لاعلم ان مايقول حق ولكن يمنعني شيء(ويقصد بهذا الشيء)ان بني قصي قالوا: ((فينا الحجابة قلنا نعم. ثم قالوا فينا السقاية. قلنا: نعم، ثم قالوا فينا الندوة قلنا نعم. ثم قالوا فينا اللواء فقلنا نعم، ثم اطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منّا نبي والله لاأفعل))[٥٣٥].

فهذه هي شهادة الخصوم في هذا الباب لها وزنها الكبير على مبلغ الثقة، التي كان يتمتع بها رسول الله ﷺ عند الجميع ولكن بعض الناس استغرب واستكبر فأنكر دون وجود مسوغ لهذا الإنكار ولا ريب في أن هذه الشواهد أكدت ماتقول.

ويروى عن معاوية أنه قال: ((خرج أبو سفيان إلى بادية له مردفاً هنداً أسير أمامهما وأنا غلام على حمارة لي، إذ سمعنا رسول الله ﷺ فقال أبو سفيان: انزل يامعاوية حتى يركب محمد فنزلت عن الحمارة وركبها رسول الله ﷺ فسار أمامنا هنيهة ثم التفت إلينا فقال: ياأبا سفيان بن حرب ويا هند بنت عتبة والله لتموتنَّ ثم لتبعثنّ، ثم ليدخلنّ المحسن الجنة والمسيء النار. أنا أقول لكم بحق وإنكم لأول من أُنذرتم. ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم.. حتى بلغ- قالتا أتينا طائعين﴾ فقال له: أبو سفيان: افرغت يامحمّد؟ قال نعم ونزل رسول الله ﷺ عن الحمارة وركبتها وأقبلت هند على أبي سفيان: ألهذا الساحر أنزلت أبني قال:((لا والله ماهو بساحر ولا كذّاب))[٥٣٦].

واخرج الترمذي عن علي أن أبا جهل قال للنبي ﷺ انّا لانكذبك ولكن نكذّب ماجئت به فأنزل الله تعالى ﴿فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ [٥٣٧]

وسمع أعرابي رجلاً يقرأ ﴿فلمّا استيأسوا خلصوا نجيّا﴾ يوسف. فقال: اشهد ان مخلوقاً لايقدر على مثل هذا الكلام، وقال أبو ذر Λ موضح سبب أسلامه:((قال لي أخي أنيس: إن لي حاجة إلى مكة فانطلق فراث، فقلت ما حبسك؟ قال لقيت رجلاً {يقصد النبي ﷺ} يقول إن الله ارسل. فقلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون شاعرٌ، ساحرٌ، كاهنٌ. قال أبو ذر: وكان أنيس أحد الشعراء قال: والله لقد وضعت قوله على اقراء الشعر، فلم يلتئم على لسان أحد، ولقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، والله انه لصادق وانهم لكاذبون))[٥٣٨] والظاهر أن القرآن عندما نزل على العرب اشتبه أمره على كثيرٍ منهم، فقد وجدوا تأثيراً عميقاً في نفوسهم، حسبوه سحراً، ورأوه يثير عواطفهم كما يثير الشعر هذه العواطف، فظنّوه شعراً، ولكنهم عرضوه على أوزان الشعر فلم يستقم فنفوا أن يكون شعراً، ورأوه ذا فواصل تتفق في الحرف الأخير وكان ذلك دأب الكهّان في سجعهم فظنوا آيات القرآن كسجع الكهان، ((ولكنهم لم يلبثوا ان هناك فرقاً شاسعاً بين المنهجين))[٥٣٩].

ولاريب في أن يكون القرآن وحياً من الله سبحانه وتعالى تنزّل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ وجاءت هذه الآيات مكيّة للدلالة على انها نزلت جميعاً في المرحلة الأوّلى من مراحل الدعوة الإسلامية ، عندما شُغل النبي ﷺ والمسلمون بمجادلة الكفّار بشأن النبوة وحقيقة القرآن. وإذا

---

(٥٣٥) الرسول: ٢٨.
(٥٣٦) كتاب الرسول ٢٦ والأية القرآنية سورة فصلت ١١.
(٥٣٧) سورة الانعام ٣٣.
(٥٣٨) دلائل الإعجاز/٥٨٤ وأقراء الشعر يعني بحوره وطرائق وأنواعه.
(٥٣٩) أسس النقد الأدبي عند العرب: ٦٠٨.

تأملنا الآيات مرّة أُخرى نجد ان القرآن لم يتحدث عن الشعر فنيّاً الا في سورة الشعراء (آية ٢٢٤-٢٢٧) ولم ينفِ الشعر عن أهل الإيمان والحكمة الذين يذودون به عن الإسلام هذا هو موقف القرآن الكريم من الشعر[٥٤٠]. ولاريب في أن ينطلق الرسول ﷺ من هذا الموقف بدليل قوله ﷺ (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من ان يمتلئ شعراً) ويقال ان السيدة عائشة رضي الله عنها رفضت هذه الرواية وارتاعت لها عندما سمعتها وقالت: ((لم يحفظ أبو هريرة الحديث إنما قال رسول الله ﷺ: (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من ان يمتلئ شعراً هجوت به)[٥٤١].

وإذا تأملنا الروايتين كلتيهما، فأن الرسول ﷺ يقصد بذلك من غلب الشعر على قلبه وملك نفسه حتى شغله عن دينه واقامة فروضه ومنعه من ذكر الله وتلاوة القرآن والشعر وغيرها مما جرى هذا المجرى من لهو وعبث وعبرة سواء وأمّا غير ذلك من يتخذ الشعر أدباً وفكاهة ومروءة فلا جناح عليه[٥٤٢].

والحق أن رواية الحديث عن السيدة عائشة يتطابق مع الموقف القرآني من الشعر حسبما ذكرنا. ولعل الدراسات قد أثرتْ هذا الموضوع سعة ونقاشاً وبحثاً وحددت بعمق موقف العرب من القرآن الكريم، ولذلك فأني أرى ((أن ايمان العرب بالقرآن وبالإسلام موقف نقدي أولاً تعدّى إلى العقيدة لأنهم تأثروا بأسلوبه الفني فأسلموا ولاسيما أن الآيات الأوّلى مكية كانت لها تأثيرها الفني الخاص))[٥٤٣].

موقف الرسول ﷺ من الشعر و الشعراء :

ولو أنعمنا النظر في أحاديث الرسول ﷺ وتوجيهه للشعر لرأيناه يحب الشعر ويحثّ على الجيد الكريم منه، ويأبى الفاحش القبيح والرفث منه. فهو يرى أن الشعر كلام يقبل ويرفض على وفق قربه من الحق ودعوته له ((إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق فهو حسن، ومالم يوافق الحق منه فلا خير فيه))[٥٤٤] ويقول ﷺ: ((والشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام))[٥٤٥]. وقد كان الرسول ﷺ يدعو إلى مكارم الأخلاق ((ان هذا الشعر سجع من كلام العرب به يعطي السائل وبه يكظم الغيظ وبه يؤتى القوم في ناديهم))[٥٤٦] وكان ﷺ عالما بالشعر ويرتاح له[٥٤٧] ولم يزل يعجبه الشعر ويمدح به فيثيب عليه ويقول: ((الشعر ديوان العرب))[٥٤٨]وقال ﷺ ((إن

---

(٥٤٠) صحيح البخاري:٥/ ٢٢٧٩وصحيح مسلم ١٧٦٩/٤ وسنن أبي داؤد ٣٠٢/٤
(٥٤١) الكشاف: ٦٧.
(٥٤٢) ينظر : العمدة ٣٢/١.
(٥٤٣) التقدير النحوي في كتب التفسير، (بحث غير منشور) د. علي كاظم أسد، ١١٣.
(٥٤٤) سنن البيهقي الكبرى ٦٨/٥ .
(٥٤٥) م.ن ٦٨/٥.
(٥٤٦) طبقات الشافعية ٣٤/١.
(٥٤٧) ينظر: دلائل الاعجاز: ٢٧-٣١.
(٥٤٨) جمهرة اشعار العرب: ١/ ٣٠.والحديث موقوف عن ابن عباس،ينظر: المستدرك على الصحيحين ٥٤٢/٢ وسنن البهيقي الكبرى ٢٤١/١٠

من الشعر حكمه وإذا التبس عليكم شيئ من القرآن فالتمسوه من الشعر فانه عربي)) (٥٤٩)

وفي ضوء ذلك التوجّه وتلك النظرة كان الشعر يخوض معركته فكانت أبيات الشعر تدك حصون المشركين وتثير غبار المعركة وتعلو بها أصوات متوحدة بالله أكبر وتعلي صليل السيوف حتى قال الرسول ﷺ في جنود الكلمة هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل))(٥٥٠) ومنهم حسّان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك، وقد كانوا يمثلون تياراً إسلاميّاً لايستهان بشأنه حتى ان الرسول ﷺ قال لحسان بن ثابت ((لشعرك أجزل عند قريش من سبعين رجلاً مقاتلاً ولشعر كعب بن مالك أشد على قريش من رشق السهام))(٥٥١). وقال ﷺ يحث حساناً على هجاء المشركين ((اهجهم -يعني قريشاً- فوالله لشعرك أشدّ عليهم من وقع السهام في غلس الظلام))(٥٥٢)، وقد قال في شعر عبد الله بن رواحة الذي دافع عن أعراض المسلمين ((انّك محسن الشعر))(٥٥٣) وقال العبارة نفسها لكعب بن مالك(٥٥٤) وكان ﷺ يوزع الشعراء حسب المعصية والميول والاجادة في اساليب الهجاء المختلفة فقد قال لكعب: أنت تحسن صفة الحرب وحسان للهجاء بالمثالب والانساب وأما ابن رواحة للهجاء بالكفر والشرك(٥٥٥).

وكان لتوجه الرسول ﷺ هذا أثره في الخلفاء الذين جاءوا بعده. لذلك اتسمت اغراض شعراء الرسول ﷺ بصبغ اسلامي خالص في معانيه وتعبيراته وألفاظه تجلّت بصورة أكثر وضوحاً فيما حاول شعراء الأنصار الذين تعمقوا روح الإسلام من محاكاة الصيغة الإسلامية والتعاليم الدينية وآيات الكتاب الحكيم.

وقد كان الرسول ﷺ يحث الشعراء المسلمين على تأييده ويقول للأنصار ((مايمنع القوم الذين نصروا رسول الله ﷺ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم))(٥٥٦). وقال ﷺ ((ان المؤمن يجاهد بسيفهِ ولسانه، والذي نفس محمد بيده لكإنما تنصحونهم بالنّبل))(٥٥٧) ويروى: ((لهذا اشد عليهم من وقع النبل))(٥٥٨) فهذه الأحاديث لها قيمتها ومنزلتها المعنوية لأنها كانت توجيهاً من الرسول ﷺ لشعراء الأنصار بالرد على خصومهم لادراكه قيمة الشعر وأبعادها. وفي الوقت نفسه أدرك الرسول ﷺ أن الأغراض الشعرية التي طرقها العرب لن يهجروها بالأمر والنهي، ولذلك ترك للشاعر الحريّة المطلقة في عصره، وإن كان قد عاقب على الهجاء وأثاب على المديح فإن

---

(٥٤٩) سنن البيهقي الكبرى ٢٤١/١٠.
(٥٥٠) المعجم الكبير ٣٨/٤ ،وينظر : العمدة ٣١/١.
(٥٥١) كتاب الزينة: ١١١.
(٥٥٢) العقد الفريد ٢٧٧/٥، وينظر : العمدة ١٠٢/١.
(٥٥٣) الأغاني ٢٣٢/١٦.
(٥٥٤) طبقات فحول الشعراء ٢١٧/١، وينظر : الأغاني ٢٤٦/١٦.
(٥٥٥) ينظرالأغاني ٢٤٥/١٦.
(٥٥٦)الإستيعاب ٤٠٠/١-٤٠١ ،أسد الغابة ٦/٢.
(٥٥٧) صحيح ابن حيّان ١٣/١١،١٠٢/٥ ،وينظر : مسند احمد ٣٨٧/٦.
(٥٥٨) العمدة ٢٧/١.

الرسول ﷺ أمر جماعة من الأنصار بقتل كعب بن الأشرف لانه ((بكى قتلى بدر وشبب بنساء رسول الله ﷺ))[٥٥٩] وقد أراد من وراء ذلك أن يوجّه الشعر إلى مضمونه الديني والأخلاقي وأن يلتزم بالقيم الإسلامية ، لذا لم يعد من حق الشاعر أن يستسلم لدعاوي الغواية والضلال، إذ تناقض الأقوال والأفعال، بل يجنّد موهبته لتواكب التحرّك الاصلاحي الشامل في طريق الهداية الإسلامية فإلى جانب ((الحجة والسيف كان الشعر سلاحاً من أمضى الأسلحة في النيل من الأعداء والمعاندين وأخذ يشق نفسه طريقاً جديداً فيصبح لسان الدعوة الجديدة يشيع بانتصاراتها ويشيع بمبادئها في تطهير العقيدة ، وفي اصلاح المجتمع والعمل للدنيا والآخرة كما أصبح لسان المشركين يعلنون اصرارهم على قديمهم ويدعون به إلى الاستبسال في مقاومة الهدى والهداة))[٥٦٠].

وتأسيساً على هذا تأخذ المعركة طريقها فإذا ماقال شاعر من المسلمين قصيدة في الفخر بما كتب الله لهم من النصر، تصدى له شاعر من المشركين يحاول هدم فخره ونقض قوله وكان هذا يسوء الرسول ﷺ ،إذ لايرد هذا النوع من العدوان والافتراء الاّ الشعراء الذين اسلموا وكان يقول ﷺ (اللهمَّ مَنْ هجاني فالعنهُ مكان كلِّ هجاءٍ هجانيه لعنة)[٥٦١].

ولم يكن الرسول ﷺ يغضب لنفسه ولكنه كان يغضب لله، ولهذا حضّ شعراء المسلمين على رد هذا الهجاء مع علمنا ان هذا الغرض من الشعر مذموم في الإسلام وفي ذلك قال ﷺ ((من احدث هجاءً في الإسلام فاقطعوا لسانه)) [٥٦٢] ((من قال في الإسلام هجاء مقذعاً فلسانه هذر))[٥٦٣] ولكن هذا لايعني ان الإسلام يمنع أهله من حق الدفاع عن أنفسهم، فهجاء المسلمين المشركين في سبيل الانتصار منهم إنما هو على اساس قوله تعالى ﴿لايحب الله الجهر بالسوء من القول الاّ من ظلم وكان الله سميعا عليما﴾[٥٦٤] وتأسيساً على هذا فقد أحلّ الرسول ﷺ الشعراء مكاناً بارزاً في الإعلام الإسلامي، فادَّى الشعراء الرسالة المناطة التي أنيطت بهم، فتصدوا الشعراء المعسكرات المناوئة للدعوة آنذاك، من مشركين ويهود ومنافقين وغيرهم.

وتأسيساً على هذا فقد استطاع الرسول الكريم ﷺ أن يرد على المشركين بأسلحتهم بالأنساب الشعر وقد روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كان رسول الله ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً، يفاخر عن رسول الله ﷺ وينافح عنه ورسول الله ﷺ يقول: ((إن الله يؤيد حسّاناً بروح القدس مانافح أو فاخر عن رسول الله ﷺ))[٥٦٥]وفي رواية أنه قال ((اللهم ايدهٌ بروح القدس لمناضلته عن المسلمين))

---

(٥٥٩) الزينة:١١٢.

(٥٦٠) دراسات في نقد الأدب العربي. د. طبانة ٧٩.

(٥٦١) جمهرة اشعار العرب:٥١/١ وينظر : طبقات الشافعية ٢٢٤/١.

(٥٦٢)المعجم الكبير ٩٢/٨،و٢٦٤/١٨،والجامع لاحكام القرآن ١٥٣/١٣

(٥٦٣) العمدة ١٦٢/١.

(٥٦٤) سورة النساء/١٤٨

(٥٦٥) المستدرك على الصحيحين ٥٥٤/٣ وينظر : المعجم الكبير ٣٨/٤ وأسد الغابة ٦/٢والإصابة ٤٨٩/١.

[٥٦٦]ولم يكن حسّان وحده هو الذي يرد غائلة المشركين من الشعراء، بل كان يقف إلى جانبه عدد كبير من الشعراء الذين صحَّ إسلامهم، فكانوا يذودون عن الإسلام بأشعارهم ويذيعون مدائحهم في الرسول ﷺ وينشرون لواء دعوته، ويضل بنا القصد لو اننا عددنا الشعراء الذين مدحوا الرسول وانشدوه شعرهم أو هجوه أيضاً فكتب الشعر وطبقات الصحابة مليئة بذكرهم[٥٦٧].

فقد كان شعراء الإسلام يدافعون عن حياض الدين بأسس الدين فهذا حسّان المؤيد بروح القدس، وقد جعل من لسانه سيفاً ورمحاً يطعن المشركين ويهجوهم ويرد هجاءهم فكان المرآة العاكسة لميادين الجهاد والغزوات، فما من غزوة أو معركة الاّ وكان لحسان ورفاقه صوت عالٍ مغير على قلوب الأعداء.

غير أن شهرة حسّان قد شاعت وساعد المسلمون على إذاعة هذه الشهرة وغدا هذا الشاعر داعيةً ومؤرخاً وربما كانت تلك الشهرة على حساب الجانب الفني الذي يبدو أنه كان فاتراً ولينا ذلك لغلبة التقريرية والتفصيل (وهي من سمات النثر) على السياق الشعري، وهذا من موجبات الدفاع عن الإسلام الذي استجد في الظرف الجديد.

وقيل إن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يارسول الله ان أبا سفيان بن [الحارث] يهجوك. فقال الرسول ﷺ (اللهم انّه هجاني واني لاأقول الشعر، فاهجه عني)[٥٦٨]. ويروى انه قال لشعراء الانصار: اهجوا قريشاً فانه أشد عليها من رشق بالنبل[٥٦٩]. فقام له عبد الله بن رواحة فسألهُ النبي ﷺ (اخبرني ماالشعر ياعبد الله؟ قال: شيء يختلج في صدري فينطق به لساني، قال: فانشدني فانشده شعره الذي يقول فيه:

فثبت الله مأأتاك من حسنٍ   قفوت عيسى بإذن الله والقدر

فقال النبي ﷺ وإياك ثبت الله))[٥٧٠] مرتين ((وإياك ياسيد الشعراء))[٥٧١]. ثم قام إليه كعب بن مالك فقال ﷺ ياكعب أنت القائل: (همّت سخينة)؟ قال نعم يارسول الله. فقال اما ان الله لم ينس لك ذلك[٥٧٢] لست لهم ثم أرسل إلى حسّان بن ثابت فلمّا

---

(٥٦٦) صحيح البخاري ١٢٣،٨/١/ ٤٥وصحيح مسلم ٥٣٢/٤ ومسند احمد ٢٢٢/٥.

(٥٦٧) ينظر: م.ن ٣١٣/١ وقد أحصى ابن عبد البر الشعراء الذين كانت لهم رواية عن الرسول ﷺ وهم: حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وعدي بن حاتم الطائي، وعباس بن مرداس السلمي وأبو سفيان الحارث بن عبد المطلب، وحميد بن ثور الهلالي وأبو الطفيل عامر بن وائلة وأيمن بن خزيم الأسدي، وأعشى بن مازن، والاسود بن سريع والحارث ابن هشام، وعمرو بن شاس، وضرار بن الأزور وخفاف بن ندبه والأسود بن أبي الاسود، والاسود الهندي، والاسود بن مسعود الثقفي وأو س بن مغراء القريعي وبجير ابن بجرة وبجير بن زهير بن أبي سلمى ومزرد بن ضرار للاستزادة ينظر: الإصابة ٧٧/١، ١٠٨. اما الشعراء الذين هاجموا الإسلام قبل اسلامهم فقد كانت لهم صحبة ولم تكن لهم رواية فهم: ضرار بن الخطاب وابن الزبعري وأبو ذويب الهذلي والشماخ بن ضرار ينظر : الإستيعاب ٣١٣/١. وقد احصى وليد الأعظمي شعراء الرسول مائة وثلاثة عشر شاعراً في كتابه شعراء الرسول بدأهم بشعراء الأنصار حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ثم بالخلفاء الراشدين ليصل إلى محطته الاخيرة والتي حصرت الشواعر من النساء.

(٥٦٨) صحيح البخاري ٣٦/٨.

(٥٦٩)صحيح مسلم ٩٣٥/٤-٩٣٧

(٥٧٠) العقد الفريد ٢٧٨/٥.

(٥٧١) شرح شواهد المغني ٢٨٠/١ والبيت في ديوان عبد الله بن رواحه٤٦.

دخل حسّان قال((قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم دلع لسانه فجعل يحركه فقال: يارسول الله والذي بعثك بالحق لافرينهم فري الأديم))[٥٧٣] وقيل انه قال: ((والله يارسول الله إنّهُ ليخيّل لي أني لو وضعته على حجر لفلقه أو على

شعر لحلّقه))[٥٧٤] فقال ﷺ: ((اهجهم وروح القدس معك واستعن بأبي بكر، فانه علاّمة قريش بأنساب العرب، فقال أتأذن أن اهجوهم يارسول الله))[٥٧٥] فقال النبي ﷺ فكيف تصنع بي فلا تعجل فان أبا بكر أعلم قريش بأنسابها وان لي فيهم نسباً حتى يلخص لك نسبي فأتاه حسان ثم رجع فقال: يارسول الله لقد لخص لي نسبك والذي بعثك بالحق ((لاسُلّنّكَ منهم كما تسل الشّعرة من العجين))[٥٧٦]
وقالت عائشة فسمعت الرسول ﷺ يقول لحسان: ((ان روح القدس لايزال يؤيدك مانافحت عن الله ورسوله))[٥٧٧] وعندما ((سمعت قريش شعر حسان قالو أن هذا الشعرما غاب عن أبي قحافة أو من شعرابن أبي قحافة)) [٥٧٨]ولذلك سخّر شعراء الأنصار شعرهم لخدمة الإسلام والدفاع عنه ومحاربة المشركين والرد على دعواهم. والعمل على نشر الإسلام ومبادئه وتمجيد الرسول ﷺ ومعالم دعوته الشريفة، فكان الشاعر قد عبّر أصدق تعبير عن ظروف المرحلة الجديدة ومعالمها الروحية والدينية. إذ جاءت قصائدهم بألفاظٍ ومعان وأساليب وأغراض تنسجم وتنطبق مع الحياة الجديدة في الإسلام .

---

(٥٧٢) الأغاني ٢٨/١٥ والبيت في ديوان كعب بن مالك ١٨٢:

جاءت سخينة كي تغالب ربِّها فليغلبنّ مغالب الغلاّبِ

والسخينة في الإصل طعام حار يتخذ من دقيق وسمن أو تمر وسمن وكانت قريش تكثر من اكله فكنيت به، ينظر لسان العرب مادة غثّ.

(٥٧٣) المعجم الكبير ٣٨/٤ وينظر : الاغاني١٤٤/٤.

(٥٧٤) العقد الفريد ٢٧٨/٥.

(٥٧٥) جمهرة اشعار العرب ٥٢/١.

(٥٧٦) ينظر : العقد الفريد: ٢٧٨/٥، ٢٩٥ والأغاني ١٣٨/٤ والإستيعاب ٤٠١/١.

(٥٧٧)صحيح مسلم ١٩٣٥/٤-١٩٣٧ وسنس البيهقي الكبرى ٢٣٨/١٠ العقد الفريد ٢٩٥/٥ وجمهرة اشعار العرب ٥٢/١ والأغاني ١٣٨/٤ والإستيعاب ٤٠٠/١ واسد الغابة ٤/٢والإصابة ٤٨٩/١ وكنز العمال من سنن الاقوال والافعال ٦٧٢/١١

(٥٧٨)الا ستيعاب ٤٠١/١.

وقد أورَدَ أبوالفرج الاصفهاني رواية عن محمد بن سيرين مفادها أن شعراء الأنصار كانوا يردّون على شعراء قريش، إذ قال: ((فكان يهجوهم ثلاثة من الانصار: حسّان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه. فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والايّام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب وكان عبد الله بن رواحه يعيرهم بالكفر. قال: فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب. وأهون القول عليهم قول ابن رواحه. فلما اسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة))[٥٧٩].

ويبدو أن هذا الرأي غير دقيق لأن حسان قد هجا قريشاً بالكفر اكثر مما هجاهم به ابن رواحه عدداً وأجع أثراً بدليل ان المصطلحات الدينية التي اعتمدها حسان في غرض الهجاء فقط بلغت أكثر من خمسة وثمانين مصطلحاً[٥٨٠] والدليل المهم الآخر أحاديث الرسول ﷺ في حسان.

والأمر الذي يجب أن ننوه به هو أن هجاء حسّان للمشركين وشعرائهم استجابة لرسوله الكريم ﷺ الذي ((كان يستأنس بشعر حسان ويرى فيه وهج الأخلاص ودفء الإيمان، فكان يعجبه ويستمع إليه بنشاط وكان يجيب بعض أبياته بالاستحسان ويعقّب عليها بالدعاء))[٥٨١] وقد مرّ معنا انه قال له ﷺ: ((اهجهم أو هاجهم وروح القدس معك))[٥٨٢] ((فاخرج حسان لسانه وضرب به على صدره وقال: والله يارسول الله ماالحبّ ان لي به مقولاً في العرب فصبّ على قريش منهم شآبيب شر((فقال الرسول ﷺ اهجهم كأنك تنضحهم بالنبل))[٥٨٣]. فتأثر حسّان بقيم الإسلام وتعاليمه ومكارم أخلاقه وحمل الأمانة وشرف التكليف وسارع يذود عن رسوله ودعوته المباركة.

وذهب حسّان ينفذ مهمته الموكلة إليه وهي مقارعة أعداء الإسلام فقد وقف في وجههم وسطوتهم ورماهم بأهاجيه التي كانت عليهم اشد من وقع النبل. ويرى الأستاذ طه ابراهيم ((ان المسلمين كانوا يعتمدون اعتماداً حقيقيّاً على حسّان في هذا الضرب من النضال لم ذلك؟ لأنهم كانوا يرون الملكة الشعرية في حسّان انضج منها في سواه، لانهم كانوا يرون معانيه من الأسلحة الماضية التي تجرّعت منها قريش))[٥٨٤]. ويرى الدكتور احسان النص ان حساناً ((شاعر هجاء وفخر لايشق له غبار))[٥٨٥] فيما يرى بطرس البستاني ((وكان هجو حسّان على مرارته صادقاً لاتكلف فيه لم يندفع الشاعر إليه حبّاً

---

(٥٧٩) الإستيعاب ٤٠٢/١

(٥٨٠) توزعت هذه المصطلحات على قصائد حسّان فقد وردت مفردة الكفر خمس مرّات والضلالة والبغي والاشتراك والجحود في اثنين وثلاثين مورداً في ست وعشرين قصيدة.

(٥٨١) شعراء الرسول: ٢١.

(٥٨٢)الإصابة ٤٨٩/١ وينظروالعقد الفريد ٢٧٨/٥.

(٥٨٣) الأغاني ١٣٨/٤، والإستيعاب ٣٤٢/١.

(٥٨٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٢٧.

(٥٨٥) حسان بن ثابت: ٢١٧.

للتكسب والاستجداء))[٥٨٦]. لهذا كان هجاء حسّان أشد وقعاً على الكفار من هجاء الآخرين.

فعندما هجا أبوسفيان الحارث النبي محمداً ﷺ ردّ عليه حسان قائلاً:

هجـــوت محمّـــداً فأجبـــتُ عنـــهُ   وَعِنـــــدَ اللهِ فِـــــي ذاكَ الجـــــزاءُ

فقال له الرسول ﷺ ((جزاؤك عند الله الجنّة ياحسّان))

فلمّا قال:

فـــإن أبـــى ووالـــده وعرضـــي   لعـــرض محمّـــدٍ مـــنكم وقـــاءُ

قال له: ((وقاك الله حرَّ النار. فقضى له بالجنّة مرّتين في ساعة واحدة وسبب ذلك شعره))[٥٨٧] وروى مسلم عن عائشة قالت: ((سمعت رسول الله ﷺ يقول: هجاهم حسّان فشفى واشتفى))[٥٨٨] يعني المشركين وشعراءهم.

ولما قال :

أتهجـــوه ولـــست لـــه يكـــف   فـــشركما لخيـــر كمـــا الفـــداء

قال من حضر : هذا أنصف بيت قالته العرب [٥٨٩]وقد كان للنساء اسهام في المعارك الشعرية فشاركت مشاركة بكائية رثائية أو بالتحريض على رد العدوان وكان منهنّ من وقفت مع قريش في معاركها ضد الرسول وتأتي هند بنت عتبة بن ربيعة في مقدمتهن ومنهن من كانت في صف اليهود مثل قتيلة بنت الحارث. ولاريب في أن يكون في الصف المقابل لهم بالمرصاد من الشواعر المسلمات ميمونة بنت عبد الله وصفية بنت عبد المطلب[٥٩٠].

ويبدو أن دواعي النزاع ووجود طرفين متعارضين قد ألهبت حماسة شعراء الطرفين المتنازعين فيسرف شعراء المشركين وبايعاز من زعمائهم في النيل من الإسلام والمسلمين. ويرد شعراء الإسلام محاولين الذود ونصرة الحق من غير فحش، فما ان ثار زعماء الطائف ومكة شعراءهم ضد الرسالة الإسلامية حتى ثار شعراء الأنصار مجلّين ردّاً دفاعياً للإسلام ذلك الدين الجديد[٥٩١].

---

(٥٨٦) ادباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام : ٢٧٧-٢٧٨.

(٥٨٧) العمدة ٥٣/١،والبيتان في ديوان حسان ٧٦.

(٥٨٨) صحيح مسلم ١٩٣٥/٤-١٩٣٧ والمعجم الكبير ٣٨/٤ والأغاني ٤/ ١٤٦وزهر الآداب ١١٦١/٤.

(٥٨٩) ينظر زهر الآداب ١١٦١/٤.

(٥٩٠) ينظر : السيرة النبوية ٢٨٢/٢-٢٨٧، ١٠٥/٣-١٠٧.

(٥٩١) ينظر: تاريخ النقد الأدبي ، د. (عتيق) ٤٥.

ويبدو أن تلك المعركةقد أرهفت قرائح شعراء المشركين ((ونهضت بالشعر إلى حدٍّ ما، كما أظهرت على كلا الجانبين شعراء جدداً، كانوا مغمورين ولم يعرفوا بالشعر من قبل))[٥٩٢].

وكان ذلك الشعر امتداداً أصيلاً لشعر ماقبل الإسلام في صورته ومعانيه وروحه وخصائصه كلها. إلاّ أن هذا الأمر لايعطي دليلاً على أن شعراء المسلمين قد تأثروا تأثراً جذريّاً بمعاني الدين الجديد كلها. فقد كان من الطبيعي ((أن يتحرك هجاء حسان وصحبه من شعراء المسلمين في اطار الهجاء الجاهلي، وأن يقوم على معانيه القديمة التي تنال من نفوس العرب ماتناله السهام من الأجسام والتي كانت لاتزال متمكنة من نفوس أو لئك الشعراء رغم اسلامهم))[٥٩٣].

ويبدو أن تلك المناوشات الكلامية والأهاجي كانت ملامحاً مبكرة لقضية النقائض في تاريخ الشعر العربي، إذ تعد ((أول عهد حقيقي للنقائض في الشعر العربي ولعل تلك الروح هي التي نهضت هذا الفن في القول فازدهر في العصر الأموي ازدهاراً تامّاً في هذه المناقضات بين مكة والمدينة كانت تدعو إلى النقد وإلى الحكم وإلى الإقرار والإذعان، وكان العرب يقدرون هذه التهاجي ويؤمنون بما فيه من ثورة ويفصحون عمّا فيه من فزع وإيلام))[٥٩٤].

ولم تكن تلك الملامح الأولى للنقائض هي الشغل الشاغل لشعراء المسلمين فقط، بل كانت لهم أشعار في كل ميدان وجدوا فيه منفذاً للدفاع عن عقيدتهم ونشر دينهم فمدحوا وفخروا ورثوا[٥٩٥].

والحق أن تلك المساجلات الكلامية والمقابلات الشعرية كثيراً ماكانت تحدث امام الرسول ﷺ فمما يروى أن وفداً من عرب بني تميم المعادين للإسلام ولرسوله قدموا في السنة التاسعة للهجرة وهي المعروفة بعام الوفود وكان عددهم سبعين أو ثمانين رجلاً فيهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعطاء بن حاجب. فقدموا المدينة فدخلوا المسجد، فوقفوا عند الحجرات فنادوا بصوت عالٍ جافٍ ((اخرج إلينا يامحمّد، فقد جئناك لنفاخرك، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا فخرج عليهم رسول الله ﷺ فجلس فقام الاقرع بن حابس فقال: والله إن مدحي لزين وإن ذمي لشين! فقال النبي ﷺ:)) ذلك الله((ثم قال لرسول الله ائذن لشاعرنا وخطيبنا)) فأذنَ لهم، فقام عطارد بن حاجب خطيب بني تميم فتكلم بكلام فخر فيه بأموالهم وأعمالهم[٥٩٦] إذ قال: ((الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن وهو أهله الذي جعلنا ملوكاً وجعلنا اعزّ أهل المشرق ووهب لنا اموالاً عظاماً نفعل فيها المعروف، وجعلنا اعزّ اهل المشرق، وأكثره عدداً فمن مثلنا في الناس... فمن فاخرنا فليقدُدْ مثل ماعددنا، وإنّا لو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكنا نحيا من الأكثار فيما

---

(٥٩٢) م.ن: ٤٦.

(٥٩٣) م.ن:٤٧

(٥٩٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه ابراهيم ٣١.

(٥٩٥) ينظر: السيرة النبوية ٢/٢٨٢-٢٩٣، ٣/٩-١٤، ٣٠-١٧٣،٣١-١٨٩، ٤/١٦٣-١٦٦.والأغاني ٤/١٤٤-١٤٩

(٥٩٦) ينظر: م.ن٤/١٦٢-١٦٥ ، الأغاني ٤/١٥٣.

أعطانا وانا نعرف بذلك. أقول هذا، لأن تأتوا بمثل قولنا وأمر افضل من أمرنا ثم جلس))[٥٩٧].

فقام ثابت بن قيس بن شمّاس فقال: الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه، ولم يقض شيئاً الاّ من فضله وقدرته وكان من قدرته أن اصطفى من خلقهِ لنا رسولاً، اكرمهم حسباً وأصدقهم حديثاً، وأحسنهم رأيا، فأنزل عليه كتاباً وأتمنه على خلقه، وكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا رسول الله ﷺ إلى الإيمان، فأجابه من قومه وذوي رحمه المهاجرون، أكرم الناس أنساباً وأصبح الناس وجوهاً، وأفضل الناس فعالاً ثم كان أول من اتبع رسول الله ﷺ من العرب واستجاب له نحن معشر الأنصار، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، فقاتل الناس حتى يؤمنوا، ويقولوا لا إله الاّ الله، فمن آمن بالله ورسوله منع منّا ماله ودمه، ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه في الله وكان جهاده علينا يسيراً، أقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات))[٥٩٨].

ولمّا جاء دور الشعراء قام (الزبرقان بن بدر) منشداً قصيدته ومفتخراً فيها بقومه مثنياً عليهم فقال:

نحن الملوك فلا حيٌّ يقاربنا … منّا الملوك وفينا يؤخذ الربع
تلك المكارمُ حزناها مُقارعةً … إذا الكرام على أمثالها اقترعوا
كم قد نشدنا من الاحياء كلهم … عند النهابِ وفضل العزّ يتّبعُ
وننحر الكوم عبطاً في منازلنا … للنازلين إذا مااستطعموا شبعوا
وننصر الناس تأتينا سراتهم … من كلِّ أو بٍ فتمضي، ثم تتبعُ[٥٩٩]

فما كان من الرسول ﷺ إلاّ أن ارسل إلى حسّان بن ثابت. فلمّا جاء أمره بالإجابة فرد عليه رداً بليغاً قائلاً:

إن الذوائبَ من فهرٍ واخوتهم … قد بينوا سنّة للناس تتبعُ
يرضى بها كل من كانت سريرتهُ … تقوى الاله وبالامر الذي شرعوا
قوم إذا حاربوا ضرّوا عدوّهمُ … أو حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا
سجيّة تلك منهم غيرُ محدثةٍ … ان الخلائق فاعلم شرُّها البدع[٦٠٠]

فلمّا فرغ حسّان، قال الاقرع بن ثابت: ((وأبي إن هذا الرجل لمؤتّى لهُ! والله لشاعره أشعر من شاعرنا، ولخطيبه أخطب من خطيبنا ولأصواتهم أفضل من اصواتنا أعطني يامحمد، فقال، اللهم إنّه سيد العرب فنزلت فيهم: ﴿ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون﴾. فلمّا فرغ القوم اسلموا، وجوزهم رسول الله ﷺ فاحسن

---

(٥٩٧) السيرة النبوية ١٦٢/٤-١٦٣ ، للاستزادة ينظر : الأغاني ١٥٣/٤-١٥٤.
(٥٩٨) الأغاني ١٥٤/٤ وينظر : السيرة النبوية ١٦٣/٤.
(٥٩٩) ينظر السيرة النبوية ١٦٤/٤ والابيات في ديوان الزبرقان.
(٦٠٠)ديوان حسان بن ثابت ٢٣٦-٢٣٨.

جوائزهم. فلما أرادوا الخروج إلى قومهم اعطاهم الرسولﷺ وكساهم: وقد اسلموا جميعاً[٦٠١].

ونخلص من هذه المنافرة التي حملت الينا شذرات نقدية مهمة في تلك المرحلة وفي ذلك العصر إلى أنّ وظيفة الشعر ووسائله الفنية والموضوعية لم تتغير عمّا كانت عليه في عصر ماقبل الإسلام في هذه المرحلة المتأخرة من ظهور الإسلام وقد كان الرسولﷺ على نحو مارأينا يعرض لهذا الفن خطره ودوره في مثل هذه المواقف فهو بذلك يستمع لخطيب وشاعر بني تميم، ويستمع لخطيبه ثابت بن قيس ويأمر شاعره (حسّان بن ثابت) بالرد عليهم. وإذا أنعمنّا النظر في قصيدة حسّان فاننا نستشف أنها لاتختلف كثيراً من حيث معانيها عمّا جاء به الزبرقان في قصيدته فكلا الشاعرين يقف عند عزّة قومه ومنعتهم واصفاً مايتحلّون به من الشجاعة والكرم والثراء، أو قل ان كّلاً منهما راح ينافر الآخر على طريقه الجاهليين ولكن هذا لايعني ان حسّاناً قد اغفل المعاني الإسلامية ففي قصيدته مايؤكد ذلك وإن كان في بيتين فقط كما يبدو، إذ يقول:

ان الذوائب من فهرٍ وأخوتهم قد بيّنوا سنة للناس تتبعُ
يرضي به كل من كانت سريرته تقوى الاله وبالأمر الذي شرعوا[٦٠٢]

فهذه المناقضة ((هي من أروع شعر حسان وتدل دلالة قاطعة على شاعريته القويّة في الإسلام ، إذ التزم ببحر وروي بعينهما وأجاب على البديهة بأبيات قريبة صادقة))[٦٠٣].

ولكن هذه المعاني مقارنة بفخر حسان الجاهلي في هذه القصيدة قليل جداً ويبدو أن الإسلام لم يغير ((من طبيعة هذا الشاعر الفخور، فقد فخر بنفسه وبقومه في ست ثلاثين قطعة من شعره الإسلامي، وان غير من طابع هذا الفخر بعض التغيير فبعد أن كان يفخر بآبائه وقومه فخراً جاهليّاً خالصاً، نراه في اسلامه يفخر بفعال قومه في الإسلام وحسن بلائهم في نصرته والدفاع عنه وماقدموا الله ورسوله في ست عشرة قصيدة))[٦٠٤].

ولم يكتف بذلك بل ((تراه يخلط بهذا الفخر فخراً بقومه وآبائه ومالهم من مجد مؤثل ونسب عريق مشيداً بمفاخر نفسه ومواهب قلبه ولسانه ويده في أحدى عشرة قصيدة أخرى ثم يفرد التسع الباقية للتغني بالأنساب والأحساب ومفاخر اسلافه من الكرم

---

(٦٠١) ينظرالسيرة النبوية ١٦٥/٤-١٦٧. الأغاني ١٥٤/٤-١٥٧ والإستيعاب ٤٠٥/١ والمغازي ٩٧٧/٣.

(٦٠٢) ديوان حسان بن ثابت، ٢٣٨.

(٦٠٣) دراسات ونصوص في الأدب العربي: ٩٧. (٣)حسان بن ثابت٣٣٧-٣٣٨.

(٦٠٤) حسان بن ثابت (درويش)، ٣٣٧ – ٣٣٨ وارقام القصائد في الديوان ٣، ١١، ١٥، ١٦، ١٩، ٢٢، ٣٦، ٤٤، ٥٦، ٦١، ٦٣، ٧٦، ٩٥، ١٣١، ١٣٢، ١٣٧.

والسيادة وحمل المغارم والديات والملك العريض على غرار ماكان منه في جاهليته)) [٦٠٥].

ولو أنعمنا النظر في خطبة عطارد بن حاجب نجدها لاتخرج عن المعاني التي كانت في عصر ماقبل الإسلام في الوقت الذي كانت خطبة قيس بن ثابت في منتهى البلاغة والصدق والإيمان فقد كانت حافلة بالوعظ والإرشاد الديني وافصحت عن معانٍ اسلامية، ذكر فيها فضل الله تعالى الذي من عليهم بالإيمان وأنقذهم برسوله الكريم ﷺ الذي اخرجهم من الظلمات إلى النور.

ويروى أن الرسول ﷺ كان قد استعان بحسان حين بلغه ((ان قوماً نالوا أبا بكر رضي الله عنه بألسنتهم، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ليس أحد منكم آمن علي في ذات يده ونفسه من أبي بكر. كلكم قد قال لي كذبت وقال لي [أبوبكر] صدقت فلو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ثم التفت إلى حسان فقال هات ماقلت في أبي بكر فانشد حسان قائلاً:

إذا تـذكرت شـجواً مـن أخـي ثقـةٍ	**فـاذكر أخـاك أبـا بكـر بمـا فعـلا**
والتـالي الثـاني المحمـود شـيمتهُ	**وأول النـاس طـرّاً أصـدق الرسـلا**
والثـاني اثنـين فـي الغـار المنيـق وَقـد	**طـاف العـدو بـه إذ صـعد الجـبلا**
وكـان حـب رسـول الله قـد عَلمـوا	**مـن البريّـة لـم يعـدل بـه رجـلا**
خيـر البريّـة اتقاهـا وارأمهـا	**بعـد النبـي وادناهـا بمـا حمـلا**

فقال ﷺ صدقت ياحسان. دعوا لي صاحبي قالها ثلاثاً)) [٦٠٦] ان هذه الاستغاثة تؤكد مكانة حسّان الذي سخّر مابوسعه من امكانات جهادية لنصرة الدين الإسلامي الحنيف.

ومما لاريب فيه فقد كان ((الرسول ﷺ محاوراً مؤثراً للنص الأدبي وموجهاً دينياً واخلاقياً للبنية المضمونة للنص الشعري خاصة وللشكلية من حيث الحرص على البساطة والوضوح عامة ومما ساعد في ذلك كون هذه المرحلة من تاريخ النص وتلقيه مرحلة انتقال ومن شأن عصور الانتقال هذا عدم الاستقرار ولمّا يعني هي كذلك فهذا يعني فاعلية التوجيه وتحقق الاستجابة النصية وخاصة لمّا يكون الموجه ممتلكاً قوة التأثير الديني أو الاجتماعي أو الأدبي)) [٦٠٧]. وقد تمثلت تلك القوة بالرسول الكريم محمد ﷺ وبالخلفاء الراشدين من بعده وقد صارت قوة التوجيه في هذه المرحلة أدبية، إذ دفعت بالشعراء إلى الدفاع عن العقيدة الإسلامية واستمد شعرهم القوة من الرسالة الإسلامية وأخذ يذود عنها ولاغرو أن يكون الصوت الواعي لروح الدين الجديد، تغنّى به المجاهدون واستمدوا من معانيه زاداً الهمهم الصبر والثبات وغرس في نفوسهم الإيمان والشجاعة ودفعهم إلى البذل والعطاء.

---

(٤) م.ن/٣٣٨ والارقام في الديوان ١،٥، ٩، ١٧، ٢٥، ٧٩، ٨٠، ١٤٣، ١٦١، ١٦٦، ١٧٥ وارقام التسع الاخرى في الديوان ٦،٧، ٢٣، ٢٧، ٧٨، ١٢٢، ١٢٨، ١٤٠، ١٧٣.

(٦٠٦) ينظر : جمهرة اشعار العرب: ٥٣/١-٥٤ والأبيات في الديوان اربعة فقط مع خلاف يسير ٢١٢.

(٦٠٧) الذوق وأنماط التذوق الشعري في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، ٦٣.

وتحفل كتب السيرة والمغازي وكتب تاريخ الأدب العربي القديم ونقده باخبار تبيّن مواقف الرسول ﷺ من الشعر والشعراء، وتسجل ملامح نقدية. من ذلك عندما سمع كعب بن مالك الانصاري ينشد:

الاّ هـل أتـى غـسان عنّـا ودوننـا	**مـن الأرض خـرق غولـه متـصنعُ**
مجالـدنا عـن جـذمنا كـل فخمـةٍ	**مدرّبـةٍ فيهـا الفـوانس تلمـعُ**

فقال رسول الله ﷺ ((لاتقل عن جذمنا وقل عن ديننا))[٦٠٨] وهذا تقويم للكلام عن الرسول ﷺ للشعراء وحثهم على إستيعاب معاني الإسلام وألفاظه وكان الرسولﷺ يهذب شعر الملسمين من ألفاظ الجاهلية كما فعل القرآن الكريم.

وروى ان النابغة الجعدي جاء إلى رسول الله ﷺ هل معك من الشعر ماعفا الله عنه قال: نعم. قال: انشدني منه فأنشده

وانّـا لقـومُ مـانعودّ خيلنـا	**إذا ماالتقينـا ان تحيـدا وتنفـرا**
وتنكـر يـوم الـروع ألـوان خيلنـا	**من الطعن حتى تحسب الجون الشقرا**
ولـيس بمعـروفٍ لنـا ان نردّهـا	**صـحاحاً ولامـستكراً ان تعقّـرا**
بلغنـا الـسماء مجـدنا وسـناؤنا	**وانـا لنبقـي فـوق ذلـك مظهـرا**

فقال له الرسول ﷺ: إلى أين ياأبا ليلى؟ فقال: إلى الجنّة. فقال الرسول ﷺ إلى الجنّة ان شاء الله))[٦٠٩].

فهنا نجد ان الرسول ﷺ استمع إلى فخر الشاعر يقومه وقبيلته ومن ثم ذكره القيم الإسلامية ثم استمر النابغة على قصيدته قائلاً:

ولاخيـر فـي حلـمٍ إذا لـم يكـن لـهُ	**بـوادر تحمـي صـفوه أن يكـدّرا**
ولاخيـر فـي جهـلٍ إذا لـم يكـن لـهُ	**حلـيمٌ إذا مـاأو رد الأمـر أصـدرا**

فقال له ﷺ: ((اجدت لايفضض الله فاك))[٦١٠].

وعندما قال العباس بن عبد المطلب:((يا رسول الله أريد أن امدحك فقال له النبيﷺ هات لايفضض الله فاك)) [٦١١]

---

(٦٠٨) الفاضل: ١٢ للاستزادة ينظر : معجم الشعراء: ١٩٠والبيتان في ديوان كعب بن مالك ٢٢٢-٢٢٣ وفيهما خرُّ(وعن ديننا)والخرق: الفلاة الواسعه التي تنخرق فيها الريح

(٦٠٩) العقد الفريد ٢٧٦/٥.وينظر : رسائل الجاحظ ٣٦٤/١ والأبيات في شعر النابغة الجعدي ٦٧ مع تغيير يسير في الرواية وترتيب الابيات وشطر البيت الأول في الديوان: ونحن أناسُ لا نعوِّد خيلنا.

(٦١٠) الأغاني ٢٧١/٤. وينظر: العقد الفريد ٢٧٦/٥.وينظر : الرواية مع بعض الاختلاف في الشعر والشعراء ٢٨٩/١ واما لي المرتضى ١/ ٢٦٦ والبيتان في شعر النابغة الجعدي ٦٩

(٦١١) الجامع لأحكام القرآن ١٤٦/١٣ الأغاني ٢٧١/٤. وينظر: العقد الفريد ٢٧٦/٥.وينظر : الرواية مع بعض الاختلاف في الشعر والشعراء ٢٨٩/١ واما لي المرتضى ١/ ٢٦٦ والبيتان في شعر النابغة الجعدي ٦٨

والرسول ﷺ أنما كان يشجع بذلك عن مكارم الأخلاق ويستحسن مافي الشعر من دعوة إلى التعفف والنخوة والعزة والبطولة ومراعاة هذه الفضائل وهذا ماأكّده القرآن الكريم، وحرص على نشره الرسول الكريم ﷺ ويروى أن الرسول ﷺ لما سمع قول عنترة:

ولقد أبيتُ على الطّوى، وأظلُّهُ　　حتى أنالَ بهِ كريمَ المأكَلِ

قال ﷺ (ماوصف لي أعرابي قط فاحببت ان أراه الاّ عنترة)[٦١٢] ويروى أن قتيلة بنت النضر بن الحارث بعد مقتل أبيها تعرضت للنبي ﷺ وهو يطوف فاستوقفته منشدة:

أمحمدٌ ولدتك خير نجيبةٍ　　في قومها والفحل فحل معرقُ
ماكان ضرك لو مننت وربما　　منّ الفتى وهو المغيظ المحنقُ
فالنضر أقرب من قتلت قرابةً　　وأحقهم ان كان عتقٌ يعتقُ

فلما سمع الرسول ﷺ شعرها رق لها حتى دمعت عيناه[٦١٣] وقال: ((لو بلغني هذا-اي شعرها- قبل قتله لمننت عليه))[٦١٤] وروي انه قال ﷺ ((لو كنت سمعت شعرها هذا ماقتلته)).

ويذكر ((ان شعر قتيلة أكرم شعر موتور وأعفه وأكفه وأحلمه))[٦١٥].

وهذا يسجل لنا خلقاً عظيماً باستماع الرسول الكريم ﷺ الشعر حتى من الذين يرثون الذين حاربوا الإسلام وماتوا كفّاراً وهو إدراك كبير لقيمة الشعر ومكانته عند العرب وسحر تأثيره في النفوس حتى بلغ من تأثر الرسول ﷺ بأن تدمع عيناه على الرغم من أن النضر بن الحارث كان من أشد الأعداء عدأوة وهو من الذين جاهروا بعدائهم وبالغوا في إيذائهم للرسول ﷺ الإسلام . وهو من الذين اتهموا القرآن بكونه من الأساطير[٦١٦] فانزل الله فية ﴿وقالو اساطير الأو لين اكتتبها فهي تملى علية بكرة وأصيلا﴾ [٦١٧] وقال سبحانه وتعالى ﴿ اذتتلى عليهم اياتنا قالوا أساطير الأو لين﴾[٦١٨] ونزل فيه أيضاً ﴿ويلٌ لكل افاكٍ اثيم ﴾[٦١٩]

---

(٦١٢) الشعر والشعراء ٢٠٥/١. وينظر : الأغاني ٢٤٠/٨. والبيت في ديوان عنترة: ٧٧.
(٦١٣)السيرة النبوية ٣١٤/٢ وفية ان قتيلة اخت الحارث ينظر : الأغاني ٣١/١. وينظر : العقد الفريد ٢٧٩/٥.

(٦١٤)البيان والتبيين ٢٠٥/٣.
(٦١٥) الأغاني ٣١/١ وينظر : العمدة ٥٦/١ وموتورة مفجوعة والمقتول من قتل له قتيل فلم يدرك دمه.
(٦١٦) ينظر : السيرة النبوية ٢/٨-٩ والكامل لابن الاثير ٩١/٢.
(٦١٧)سورة الفرقان :٥
(٦١٨)سورة القلم :١٥
(٦١٩)سورة الجاشية:٧

وكان ﷺ يستأنس بقصائد الشعراء وإشارتهم، وكان يستمع إلى الخنساء الشاعرة، ويستطيب شعرها ويستحسنه ويقول لها هيه ياخناس(٦٢٠).

وقصّة الرسول الكريم ﷺ مع كعب بن زهير مشهورة فقد تهدده وأهدر دمه ولمّا أتاه تائباً أنشده قصيدته التي يقول فيها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ متيّمٌ اثرها لم يفد مكبولُ

ويقال انه لمّا وصل إلى قوله:

ان الرسولَ لنورٌ يستضاء بهِ مهنّدٌ من سيوف الله مسلولُ

أشار الرسول ﷺ بكمه إلى من حواإليه من أصحابه أن يسمعوا، ويروى أن كعباً انشد من (سيوف الهند) فقال النبي ﷺ قل (من سيوف الله) وكان إن أخذ بها ولما بلغ قوله:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوم على آلةٍ حَدباءَ محمولُ
أُنبئت أن رسولَ الله أو عدني والعفو عند رسول الله مأمولُ(٦٢١)

ويروى أن النبي ﷺ قال من منطلق عقائدي العفو عند الله مأمول. ولاريب في ان هذه القصيدة قد نجحت في مرامها، إذ كانت من أحسن وسائل الشفاعة وأوثق الذرائع إلى الصفح عنه، ويبدو أن التشبب بسعاد خرج عن المألوف الذي اعتاده الشعراء. والذين كانوا يتغزلون بمحبوباتهم، ففي هذه القصيدة بدأ يظهر الحب المعتاد وسرعان ماتهكم على محبوبته هذا التهكم الذي لم نعهده من قبل. ويبدو أنه رمز لسعاد بحياة ماقبل الإسلام التي كانت حلوة في نظر الشاعر قبل إسلامه ولكنها بعد أن جاء الإسلام رأى الشاعر إن قيمتها ضلال وضياع ويروى أيضاً ان النبي ﷺ حينما سمع بيت كعب:

قنواء في حرتيها للبصير بها عتقٌ وفي الخدين تسهيلُ

سأل من منطلق تعليمي ماحرتاها؟ فقال بعضهم العينان. وسكت بعضهم. فقال الرسول ﷺ هما أذناها نسبهما إلى الكرم والنبي ﷺ كان يساعد صحابته الكرام في فهم الشعر وتذوقه(٦٢٢). فبعد الإنتهاء من إنشاد كعب القصيدة بلغ من

إعجاب الرسول الكريم ﷺ بها إن صفح عن كعب وخلع عليه بردته(٦٢٣) ويبدو أن خلع

---

(٦٢٠) ينظر: الإستيعاب ٣٨٧/٤
(٦٢١) ينظر: كتاب الزينة ١١٣-١١٥ والأبيات في ديوان كعب بن زهير ٢٦-٣٧.
(٦٢٢) ينظر : طبقات فحول الشعراء ٩٦/١ والأغاني ٣٤٥/١٥ والعمدة ٢٤/١ والبيت في الديوان: ٣٣.
(٦٢٣) ينظر : طبقات فحول الشعراء ٩٩/١-١٠٣ والشعر والشعراء ١٥٥/١-١٥٦.

البردة لم يكن لإعجاب الرسول بهذه القصيدة بدليل ماجاء في الشعر والشعراء ان كعباً لما ((بلغ قوله:

ان الرسولَ لنورٌ يُستضاء بهِ وصارمٌ من سيوف الله مسلولٌ
في عصبةٍ من قريشٍ قال قائلهم ببطن مكّة لمّا اسلموا زولوا
زالوا فما زال انكاس ولاكشفٌ يوم اللقاء ولا سود معازيل

فنظر رسول الله ﷺ إلى من عنده من قريش كأنه يومئ إليهم أن يسمعوا، حتى قال:

يمشون مشي الجمال البهم يعصمهم ضَرْبٌ إذا عرّد السود التنابيلُ

يعرض بالأنصار لغلظتهم عليه فأنكرت قريش عليه وقالوا لم تمدحنا إذا هجوتهم، فقال:

من سرّه شرف الحياةِ فلا يزل في مقتبٍ من صالحي الأنصار
الباذلين نفوسهم لنبيهم يوم الهياج وسطوة الجبّار
ورثو السيادةَ كابراًعن كابرٍ ان الكرام هم بنوا الاخيار
يتطهرون كأنه نسكٌ لهم بدماء من علقوا من الكفّار

فكساه النبي ﷺ بردة اشتراها معاوية بعد ذلك بعشرين ألف درهم وهي التي يلبسها الخلفاء في العيدين))[٦٢٤]،

والحق أن كتب الحديث والصحاح المعتمدة لاتشير إلى خلع البردة على كعب إلاّ أن ذلك لايلغي القصة. وان كان هذا الأمر يدل على رفع الحرج عن الشعراء ((الذين هجوا الإسلام ، فقد كانوا منقسمين على أنفسهم وكان لابد من علاجهم نفسيّاً يرفع عنهم الندم ومايحدثه في النفس هذا الندم))[٦٢٥]. فضلاً عن ذلك فان تلك القصّة ((تدل دلالة واضحة على ذوق الرسول ﷺ الفني في الأدب ونقده كما تدل على حسّه المرهف وطبعه الموهوب واعجابه بالشعر الجيد))[٦٢٦].

وقد وفق كعب في هذا المديح الذي تحسن به النسغ الأكثر ميلاً نحو قيم الفضيلة ومن هذه الفضائل تتكون القيم الإسلامية.

---

(٦٢٤) الشعر والشعراء: ١٥٥/١-١٥٦، والرازي يرى ان كعباً عندما عرّض بالانصار أنكر عليه النبي والمهاجرون ماقال: وقالوا ما مدحتنا اذا هجوتهم وامره النبي ﷺ ان يمدح الانصار ينظر: كتاب الزينة ١١٥ وينظر : الإستيعاب ٣٧٣/٣-٣٧٤ والأبيات في الديوان (٤٠-٤٢)، (٤٣-٤٤). مع تغييرطفيف (٤٢-٤٧) والتنابيل جمع تنبال وهوالقصير.وكابرا عن كبير:كبيرا شريفا عن كبير شريف.

(٦٢٥) الشعر والشعراء ١٥٦/١.

(٦٢٦) النظرية النقدية عند العرب: ٦٥.

والحق أن هذا الطريق الذي فتحه كعب سار فيه شعراء كثيرون عفا عنهم الرسول ﷺ منهم أنس بن زنيم الذي مدح الرسول بقصيدة[٦٢٧] غلب عليها الاسلوب البدوي. وعفا عن اسيد بن أياس الذي اسلم عام الفتح وكان قد أهدر دمه لأنه لم يأمن مع قومه فتبرأوا منه ويقال إنه رثا أهل بدر فأ هدر النبيﷺ دمه ويقال إنّه ذكر قصة بدر ثم قال في آخرها :

في كل مجمع غاية اخزاكم جذع يفوق على المذاكي الفرح
هذا ابن فاطمة الذي أفناكم ذبحاً وقتلاً بعضه لم يرتح
لله دركم ألم تتذكروا قد يذكر الحر الكريم ويستحي

لكنه اسلم وصحب النبيﷺ فعفا عنة وأمنّه[٦٢٨]
وهذا العفو يدلّ على ذوق فني راقٍ ونظرة نقدية -بتغييره بعض الألفاظ- تدل على حسن مرهف وطبع موهوب[٦٢٩] ونظرة إلى ماضي الشعر عن حكمة وجمال فضلاً عن كونه ((سلاحاً بتّاراً في محاربة المشركين، ونوعاً من أنواع الجهاد في سبيل الله فاستخدمه أداة من أدوات الإسلام السياسية في حربه مع أعداءه فأجرى ماأجرى السيف ونال منهم ماشاء الله أن ينال، وكان موقفه هذا من الشعر سبباً في حفظه وروايته والعناية بآثارهِ بعد الإسلام))[٦٣٠] وقد ظلّ الرسول الكريم ﷺ مستنشداً وموجهاً ايّاه ومستمعاً له ومما يروى انه ﷺ في مرضه الذي توفي منه جعلت فاطمة (عليها السلام) تبكي وتقول: بأبي وأمي انت والله كما قال القائل:

وابيض يستقي الغمام بوجههِ ثمال اليتامى عصمة للأراملِ

فأفاق صلوات الله عليه فقال هذا عمي أبوطالب[٦٣١].

وقد أورد ابن قتيبة خبراً عن ابن الكلبي أنه قال ((أقبل قوم من اليمن يريدون النبي ﷺ فضلّوا ووقعوا على غير ماء، فمكثوا ثلاثاً لايقدرون على الماء.. فأقبل راكب على بعير فأنشد بعض القوم بيتين من شعر امرئ القيس.. فقال الراكب من يقول هذا الشعر؟ قالوا: امرؤ القيس، قال والله ماكذب هذا ضارج عندكم وأشار لهم اليه، فأتوه فإذا ماء غَدِق وإذا عليه العرمض والظل يضيء عليه، فشربوا منه وارتووا حتى بلغوا النبي ﷺ فاخبروه وقالوا: أحيانا بيتان من شعر امرئ القيس، فقال النبي ﷺ: (ذاك رجل

---

(٦٢٧) الإصابة: ١٠٨/١ ومطلع قصيدتة
فما حملت من ناقةٍ فوق رحلها ابرٌ وافي ذمّة من محمد

(٦٢٨) ينظر : الإصابة: ٧٧/١.
(٦٢٩) ينظر: النظرية النقدية عند العرب: ٦٤.
(٦٣٠) حسان بن ثابت درويش: ٤٢.
(٦٣١) ينظر: انساب الاشراف ٥٥٣/١ والبيت في ديوان أبي طالب:٧٥.

مذكور في الدنيا منسيّ في الآخرة شريف في الدنياخاملٌ فيها يجيء يوم القيامة بيدة لواء الشعراءيقودهم إلى النار)[٦٣٢] ويقال إنه ﷺ قال: (أما اني لوأدركته لنفعتة..) [٦٣٣]

وروي ان الرسول ﷺ عندما سمع بيت امرئ القيس (قفا نبك) قال: ((قاتل الله الملك الضليل، وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب ومنزله في مصرع واحد))[٦٣٤] فيبدوأن للرسول ﷺ نظرة نقدية إلى مطلع القصيدة فوصف ببراعة امرئ القيس فيه وقد امتاز امرئ القيس من الشعراء من الناحية الفنية في امور كثيرة منها الوقوف على الأطلال والقدرة على الإستهلال وغير ذلك لذلك حصل على عدد من الألقاب و((الرسول الكريم ﷺ هو أو ل من أعطى للشاعر امرئ القيس مكانته بين الشعراء وحدد له مرتبته بينهم، وجعله رأسهم وأعطاه قيادتهم وتبعه النقاد وساروا على هداة))[٦٣٥].

والحق أن الرسول ﷺ كان يستحسن الشعر، وإن كان الشاعر مشركاً أو من زمن قبل الإسلام ، فهاهو ﷺ يقول: ((استعينوا على كل صنعة بصالحي أهلها والأعشى هو امام هذه الصناعة في الجاهلية، وقد قال:

وكـــاسٍ شــــربتُ علـــى لــــذّةٍ وأخـرى تـداو يـت منهـا بهـا))[٦٣٦]

وروي أن رجلاً قال: ردفت وراء النبي ﷺ فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيئاً. قلت نعم قال هيه، فأنشدته بيتاً فقال هيه، حتى أنشدته مائة بيتاً فقال:(لقد كاد يسلم في شعره) [٢] فلم يمنع كفره الرسولَ من إستحسان شعره واستنشاده. ويقال إن الشريد بن عمرو أنشده قول أمية بن أبي الصلت:

رجــلٌ وثــور تحــت رجــل يمينـــهِ والنـــسر للاخـــرى وليـــث يرصـــدُ

فقال ﷺ صدق هكذا حملة العرش، وصح عن الشريد من ان النبي ﷺ استنشده من شعر أمية فقال: (آمن شعره وكذب قلبه)[٦٣٨].

وقد قا ل الرسول ﷺ((إن أصدق كلمة قالتها العرب قول لبيد إلا كل شيء ما خلا الله باطل))[٦٣٩] ولم يكن الرسول ﷺ يكمل بيتا، وان اكمله كان لايذكره تامّاً على

---

(٦٣٢) المعجم الكبير ٩٩/١٨، ١٠٠ للاستزادة ينظر : :الشعر والشعراء ١٢٦/١ ،وعيون الاخبار ١٤٣/١. وجمهرة اشعار العرب٦٢/١-٦٣ ووردت القصه في مصادر اخرى. ينظر : مسند أحمد ٢٢٨/٢ من حديث أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ وهو حديث ضعيف جداً وقال الحافظ بن حجر ان هذا الخبر باطل ينظر : لسان الميزان ٢٤٩/٣-٢٥٠ و٢٤٩/٦

(٦٣٣) جمهرة اشعار العرب ٦٣/١

(٦٣٤) التلخيص في علوم البلاغة للامام الغزويني بشرح البرقوقي: ٤٢٩.

(٦٣٥) النظرية النقدية عند العرب: ٦٤.

(٦٣٦) حلية الكميت: ٢٤.و البيت في ديوان الأعشى ٣٣.

(٦٣٧) صحيح مسلم ١٧٦٧/٤ .

(٦٣٨) العقد الفريد ٢٧٧/٥ وينظر: الشعر والشعراء ٤٥٩/١، والبيت في ديوان أمية بن أبي الصلت ٥٠.

(٦٣٩)صحيح البخاري ٤٣/٨ ومسند احمد ٣٣٩/٢ والإستيعاب في معرفة الاصحاب ٣٩٢/٣، تفسير القرطبي ١٤٨/٣.

وزنه وإنما كان ينشد الصدر، أو العجز، فان قال البيت تاماً كسره ولم يتهدَّ إلى اقامة وزنه[٦٤٠] وقالت عائشة(رضي الله عنها) كان النبي ﷺ يتمثل من الشعر بيت طرفة العبدي فيقول:

ستُبدي لك الأيامُ ماكنتَ جاهِلاً ويأتيكَ من لم تزود بالأخبار

فقال أبوبكر ﵁ ليس هكذا يارسول الله، فقال: ((إني لست بشاعر ولاينبغي لي))[٦٤١] وقال معلقاً على البيت ((هذا من كلام النبوة))[٦٤٢] وقال ﷺ: ليس من بيت إلاّ وفيه لطاعن مطعن إلاّ قول طرفة بن العبد))[٦٤٣].

وقد أدرك المسلمون تقد ير الرسولﷺ للشعر فكانوايفاتحونه بالسماح لهم بقول الشعر، فقد جاء رجل إلى النبي وبادر با لقول: انشدك يا رسول الله؟

قال:نعم، فانشده:

تركت القيان وعرق القيان وأدمنت تصلهة وابتهالا
وكي المشقر في حومةٍ وشني على المشركين القتالا
فيارب لاغبنن صفقتي فقد مالي وأهلي بدالا

فقال النبي:ربح البيع :ربح البيع[٦٤٤]

ومن جانب آخر،فان بعض الروايات تظهر أن الرسول حافظ لكثير من الشعر يتفحص روايته : فقد جاء في المصادر أن الرسول سمع رجلا ينشد:

يا أيها الرجل المحول رحله إلاّ نزلت بآل عبد الدار
هبلتك أمك لونزلت برحلهم منعوك من عدم ومن إقتار

عندها التفت الرسولﷺ إلى أبي أبكر قائلا:أهكذا قال الشاعر ؟ قال: لا والذي بعثك بالحق: لكنه قال:

ياأيها الرجل المحول رحله آلا نزلت بال عبد منافِ
هبلتك أمك لو نزلت بحلهم منعوك من عدم ومن إقرافِ

فتبسم الرسول :وقال:هكذا سمعت الرواة ينشدونه[٦٤٥]

---

(٦٤٠) ينظر أبجد العلوم: ٢٠٠ والبيت في الديوان ١٢٣ وعجزه: (وكل نعيم لامحالة زائل).

(٦٤١) السراج المنير ٢٩٤/٣.

(٦٤٢) زهر الآداب ١٠٩٣/١، صبح الأعشى ٢٩٨/١ والبيت في الديوان ٥٦ وعجزه (ويأتيك بالأخبار مَن لم تزوّد).

(٦٤٣) م.ن ١٠٩٣/١.

(٦٤٤) ينظرالعقد الفريد٢٧٦/٥.

(٦٤٥) ينظر الآمالي٤١/١ ٢-٢٤٢ ينظرانساب الآشراف٦٣/١ وقائل هذه الابيات هو مطرود بن كعب الخزاعي يرثي بها عبد المطلب جد الرسولﷺ ينظر لسان العرب مادة رجف.

ويروى أن الشاعر عباس بن مرداس جاء رسول الله ﷺ فقال له: أنت القائل:

فاصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعُيَيْنَة

فقال أبوبكر ﷺ أشهد إنك كما قال الله ((وماعلّمناه الشعر ومايبنغي له))[٦٤٦].

وروى الحسن ﷺ ان النبي ﷺ كان يتمثل بصدر هذا البيت: على هذه الصورة: ((كفى بالشيب والإسلام للمرء ناهيا((. فقال عمر ﷺ أشهد انّك رسول الله. يقول الله ﴿وماعلّمناه الشعر ومابنبغي له﴾[٦٤٧] وروي عن الرسول ﷺ أنه لما سمع قول عدي بن زيد ((ان القرين بالمقارن يقتدي قال ﷺ كلمة نبي ألقيت على لسان شاعر))[٦٤٨] وللرسول ﷺ مواقف كثيرة من هذا القبيل[٦٤٩].

ومن جولتنا هذه يتضح أن نقد النص الشعري في عصر صدر الإسلام قد طغى على بحثنا. إذ لم نجد ملامح نقدية للنص النثري إلاّ أن ذلك لايعني عدم وجود نصوص نثرية في ذلك العصر. إذ إن صاحب الأغاني كان قد أورد خبراً ان خطيب العرب وحكيمها قس بن ساعدة وهو من قبيلة أياد. وكان قد وفد منها وقد قدم على الرسول الكريم ﷺ فسألهم عن قس بن ساعدة الأيادي فذكروا له. أنّه قد مات. فترحم عليه الرسول الكريم ﷺ بقوله ((يرحم الله قساً إني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمّة وحده))[٦٥٠].

وروى الجاحظ أن ((لإياد وتميم في الخطب خصلة ليست لأحد من العرب لأن (الرسول ﷺ) هو الذي روى كلام قس بن ساعدة وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته وهو الذي روّاهُ لقريش والعرب وهو الذي تعجَّبَ من حسنهِ، وأظهر من تصويبه. وهذا إسناد تعجز عنه الأماني وتنقطع دونه الآمال، وإنما وفّق الله ذلك لقس بن ساعدة لاحتياجة للتوحيد لإظهار معنى الإخلاص وإيمانه بالبعث ولذلك كان خطيب العرب قاطبة))[٦٥١]و كانﷺ يقول ((لقد شهدته يوم بسوق عكاظ على جمل أحمر يتكلم بكلام معجب مونغ لاأجدني أحفظه فقام إليه أعربي فقال أنا أحفظه يا رسول الله فسر النبي ﷺ بذالك))[٦٥٢]

ويروى أن الرسول ﷺ كان من المعجبين بأدب زهير بدليل قوله ((إننا قد سمعنا كلام الخطباء والبلغاء وكلام ابن أبي سلمى فما سمعنا مثل كلامه من أحد))[٦٥٣].

---

(٦٤٦) السيرة النبوية ١٣٧/٤ والبيت في الديوان ١٦ وعجز البيت هو (بين عُيَيْنَة والأقرع).

(٦٤٧) السراج المنير ٢٩٤/٣.

(٦٤٨) خمس رسائل كتاب والقول من رسالة الثعالبي الإيجاز والإعجاز: ٣٩ والبيت في ديوان الشاعر ١٠٦ وصدره: ((عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه)) ويرى الثعالبي أن هذا البيت من امثاله السائرة على وجه الدهر ينظر المصدر نفسه ٣٨.

(٦٤٩) ينظر: السيرة النبوية ١٤١/٢، ٢٢٧-٢٢٨، ٣٤٢/٤، والكشاف ٢٩٢/٣، واما لي القالي ٢٤١/١-٢٤٢

(٦٥٠) ينظر: الأغاني ٢٤٦/١٥-٢٤٧.

(٦٥١) البيان والتبيين ٥٢/١ للاستزادة ينظر : العقد الفريد ٢٧٣/٥.

(٦٥٢)البداية والنهاية ١٨٣/٢

(٦٥٣) زهر الآداب ٩٠/١.

ففي قوله هذا إشارة صريحة إلى تفوق كلام زهير على الخطباء والبلغاء. وربما هذا التفوق يعود إلى مابتدعه زهير من المعاني التي اتسمت الحكمة في شعره.

ونخلص مما تقدم إلى أن الرسول ﷺ قد أكد على مهمة الشعر وأهميته في أكثر من موضع وبيّن قيمته الفنية ، إذ قال ((إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا))[٦٥٤] وذلك عندما وفد عليه عمرو بن الأهتم والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم. فسأل النبي ﷺ عمرو بن الأهتم عن الزبرقان. فقال ((إنه لمانع لحوزته مطاع في أذنيه. شديد العارضة. مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان إنه: يارسول الله ليعلم مني أكثر مما قال ولكن حسدني شرفي فقال عمر: هو والله زَمِر المروءة ضيّق العَطَن لئيم الخال. فنظر النبي ﷺ في عينيه، فقال يارسول الله رضيت فقلت احسن ماعلمت، وغضبت فقلت أقبح ماعلمت، وماكذبت في الأولى ولقد صدقت في الأخرى، فقال ﷺ إن من البيان لسحرا أو إن بعض البيان لسحرا ً))[٦٥٥] أي ان في النثر سحراً كما للشعر وأن في الشعر حكمة كما في النثر ويبدو أن هذا الموقف هو الذي جعل معاوية يقول ((لقد أو تيت تميم الحكمة مع رقة حواشي الكلم))[٦٥٦]. وهذه المواقف كلها جاءت لتؤكد قدرة العربي على الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب وهذا يدل على أن العربي لم يطرق في هذا العصر الفن الشعري فحسب بل تجاوزه إلى فنون الأدب الأخرى. بدليل ان عمر بن عبد العزيز سمع رجلاً يتكلم بكلام بليغ أحسن في طلب حاجته وأوجز، فقال فيه ((هذا والله- السحر الحلال))[٦٥٧]. ويقال إن الرسول ﷺ قال الحديث (إن من الشعر حكماً ومن البيان لسحراً في شعر عمرو بن الأهتم الذي مدح به قيس بن عاصم ثم ذمّه في قوله:

ذريني فان البخل ياأم هيثمٍ — لصالح أخلاق الرجال سروق
ذريني فإني ذو فعال تهمّني — نوائب يغشى رزؤما وحقوقُ[٦٥٨]

ونخلص من هذا كلّه إلى أن الشعر في عهد الرسول ﷺ لم يخرج كثيراً عمّا كان عليه شعر ماقبل الإسلام في موضوعاته ومعانيه وروحه إلاّ أن الأغراض في عصر ماقبل الإسلام متعددة فيما انحسرت أو كادت في المدح والهجاء بين الفريقين في عصر صدر الإسلام.

وأمّا النقد في عهد الرسول ﷺ فهو أيضاً لم يبتعد عن سابقه فقد كان نقداً فطرياً إلاّ أن الإسلام دخل عاملاً موضوعياً وفكرياً في نقد الشعر ولاريب في أنّه تميّز بعدول الرسول ﷺ بالشعر عن طريقه إلى طريق اسلامي واتجاه ديني يحمل قيم الدين الجديدة ومقاييسه فتوجيه الرسول ﷺ للشعراء وتدخله أحياناً في اصلاح بعض الأبيات كانت لها مكانتها في نقد النص الأدبي فضلاً عن أهم القضايا النقدية التي استوقفتنا مثل القرآن والشعر فهذه قضية مهمة ورئيسة لدارس النقد الأدبي عند المجدين في صدر الإسلام .

---

(٦٥٤) صحيح البخاري ٤٢/٨.
(٦٥٥) صحيح البخاري ٢١٧٦/٥ وسنن أبي داؤد ٣٠٢/٤ البيان والتبيين ٣٤٩/١.
(٦٥٦) ينظر:رسالة التربيع والتدوير، ٩٤ والفاضل: ٩ للاستزادة ينظر : البيان والتبيين ٥٣/١.
(٦٥٧) البيان والتبيين ٢٥٤/١.
(٦٥٨) البيان والتبيين ٢٥٥/١. ومعجم الشعراء:٢١.

النقد في عصر الخلفاء الراشدين:

حذا الشعر في عهد الخلفاء الراشدين حذو ماانتهجه الرسول الكريم ﷺ فقد كان الخلفاء (رضي الله عنهم) يشجعون الشعر والشعراء ولهم لمسات نقدية وآراء في الشعر سارت نحو النضج والموضوع إلى جانب الفطرة الخالصة والذوق السليم، فقد حرص الخلفاء والصحابة على أن يكون الشعر في خدمة الرسالة الإسلامية المبنية على قيم الدين الجديد وتعاليمه المستترة إلى التوحيد والمساواة والتزام مكارم الأخلاق وإتباع الحكمة في بليغ القول.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه ونقد الشعر:

والحق أن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لم تشهد وقفات في هذا المجال كثيرة، وذلك بسبب حروب الردة، وعدم الإستقرار وإنشغال الخليفة في استتباب الأمن ووضع أسس دولة الإسلام. إلاّ أن هناك نظرات لم تخرج عن مألوف النقد في عصر ماقبل الإسلام عدا أن حسّاً نقدياً وذوقاً فنياً نجده في مفاضلة أبي بكر رضي الله عنه بين الشعراء، إذ فضّل النابغة على غيره من الشعراء وحكم له بأنّه ((أحسنهم شعراً وأعذبهم بحراً وأبعدهم غوراً))[٦٥٩]

إذ إن النابغة في نظره ((يستقي معانيه من معين عذب سائغ، فتقبلها النفوس تقبّلاً حسناً، كما أنّه في معانيه بعيد العمق والغور وأنّه يظل يروي فيما يغمض منه حتى يستخرجها استخراجاً واضحاً))[٦٦٠]. فالمفاضلة عند أبي بكر وغيره من الشعراء جاءت معللة مبنيّة على حيثيات وأسس أخذت بالحسبان المعاني الشعرية.

وهذا يدل على دراية بالشعر، وهناك من أنشده قول زهير:

والستر دون الفاحشاتِ وما   يلقاكَ دون الخير من ستر

قال ((هكذا كان رسول الله ﷺ، ثم قال أشعر شعرائكم زهير))[٦٦١] فضلاً عن ذلك فقد كانت له مداخلات وآراء في عهد الرسول الكريم ﷺ توجه الشعر وتصلحه. وذلك لأن أبا بكر رضي الله عنه كان ((كثير الحفظ، واسع الإطلاع، غزير المعرفة، كثير التمثل بأشعار الجاهلية.. وإذا أراد النبي ذكر أبيات من الشعر سأل أبا بكر: كيف قال ياأبا بكر))[٦٦٢].

ومما لاريب فيه أن أبا بكر لم يحيد عن الموقف العام من الشعر الذي ظلّ كما كان عليه في حياة الرسول ﷺ. فأبو بكر رضي الله عنه أحبّ الشعر وتمثل به في كثير من المواقف[٦٦٣].

الخليفة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ونقد الشعر:

شهد عهد الخليفة عمر بن الخطّاب نوعاً من الإستقرار ورسخت الدولة بكيان متكامل لحياة إسلامية أضاءت العالم بنورها شيئاً من الإستقرار ((بفضل سياسة عمر

---

(٦٥٩) العمدة ٩٥/١ .

(٦٦٠) تاريخ النقد الأدبي عند العرب:٨١.

(٦٦١) ينظر الفاضل٤والبيت في ديوان زهير: ٩٥.

(٦٦٢) الإسلام والشعر، الجبوري ٧٩.

(٦٦٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٤٧/١٣.

الحريصة الحازمة. وبدأت الفتوح تأتي أكلها والدولة تنشر ظلها وعزّها وقد أتيح للشعراء في هذا العهد أن يعبّروا عن عواطفهم سواء في الفتوح أم في أو قات السلم والإطمئنان))[٦٦٤].

ومعروف أن استقرار الأمور يترك للمواهب مجالاً لتظهر وبلغت لها الأنظار ويصغي لها إلاسماع وبهذا ازدهر الشعر. فضلاً عن ذلك فقد كان لذوق عمر وتوجيهه أثر في تسخير الشعر لخدمة الدين. وكان كثير الحفظ للشعر حتى انه ((لايكاد يعرض له أمر إلاّ أن شد فيه بيت شعر))[٦٦٥]. وكان يحب الاستماع إلى الشعر ويستنشده، وقد روي أنه كان أعلم الناس بالشعر. فضلاً عن أنه ((واسع الثقافة الأدبية وكانت معرفته بالحياة الأدبية معرفة دقيقة وقد كان –كما نعلم- أحد النسّابين المعروفين كما كان أبوه وجدّه كذلك. ودلالة هذا على مانحن فيه واضحة وكان رأو ية للشعر جيد الاستحضار))[٦٦٦]. ويروى أنه قال لابنه عبد الرحمن: ((احفظ محاسن الشعر يحسن أدبك))[٦٦٧] وقال: ((أرووا من الشعر أعفّه ومن الحديث أحسنه))[٦٦٨]. فالشعر عند عمر ﷺ هو ذلك الذي يدخل بالمتعة إلى النفس ويحض على مكارم الأخلاق ويلتقي مع تعاليم الإسلام وقيمه، إذ شهد عصره اهتماماً بالشعر والنظر فيه وروايته، فكان يفاضل بين الشعراء في نفسه وهو استثمار ذلك السلاح في ترسيخ قيم الإسلام وغرس مكارم الأخلاق، ونشر الفضائل، فقد كتب إلى أبي موسى الأشعري يوصيه بأنه يأمر ((بتعلم الشعر فأنه يدل على معاني الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب..))[٦٦٩].

وكان لدى الخليفة ﷺ ذوق يعينه على إنتقاء الشعر، فكان يشجع على ماكان يدلّ على العفّة ويدعو إلى الفضيلة فقال: ((محاسن الشعر تدلّ على مكارم الأخلاق وتنهى عن مساو يها))[٦٧٠].

ومن الشواهد التي تدلّ على خوضه وكثرة حفظه وآرائه النقدية أنّه قال لوفد غطفان حين وفد عليه ((من الذي يقول:

حلفتُ فلم اترك لنفسِك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مذهبُ

قالوا نابغة بن ذبيان، قال ومن الذي يقول:

فألقيت الأمانة لم تخنها ... كذلك كان نوحٌ لايخونُ

قالوا: هو النابغة. قال هو أشعر شعرائكم))[٦٧١].

---

(٦٦٤) الإسلام والشعر، د. يحيى الجبوري ٢٤٦.
(٦٦٥) البيان والتبيين ٢٤١/١.
(٦٦٦) في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية : ٥٧.
(٦٦٧) جمهرة اشعار العرب:١/ ٥٩.
(٦٦٨) م.ن ٥٩/١.
(٦٦٩) العمدة ٢٨/١.
(٦٧٠) جمهرة اشعار العرب ٥٩/١.

ويذكر أنه قال لوفد غطفان كذلك يسأل عن الشاعر الذي قال:

ولست بمستبقٍ أخاً لاتلمّهُ ... على شعثٍ أي الرجال المهذّبُ؟

فأجابوه: إنه النابغة. فقال: هو أشعرهم[٦٧٢] وبهذا يكون النابغة في رأي عمر أشعر شعراء غطفان، أي أنّه أشعر شعراء عبس وذبيان ومنهم عنترة وعروة بن الورد والشماخ بن ضرار. وقد جاء في كتاب الأغاني أن عمر سأل عن أشعر الناس فلم يجبه أحد فأنشد الأبيات المذكورة آنفاً فقيل له: إنّها للنابغة. فقال: هو أشعر العرب[٦٧٣].

هذا رأي بلا تعليل ولا تفسير ولكن في بعض الأحيان يعلل، يفسّر ويقف إلى جانب حكمه إعجابه وإحساسه بشعر النابغة جعلاه يضعه في مقدمة الشعراء شعراء غطفان مرّة وشعراء العرب أخرى. وقد جاء في الأخبار أن ابن عباس سأل ابن الخطّاب يوماً عن الشعراء فأجاب ((امرؤ القيس سابقهم خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معانٍ عُورٍ أصح بصر أي أنبطها وأغرزها لهم من قولهم خسف البئر إذا حضرها في حجارة فتبعث بماء كثير، ويريد أنّه ذللّ لهم الطريق إليه وبصرهم بمعانيه، وفنن أنواعه وقصده فاحتذى الشعراء على مثاله فاستعار العين لذلك))[٦٧٤]. وكان سبق أن قال: ((الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه))[٦٧٥]. وذكر أن ((من خير صناعات العرب الأبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته يستميل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم))[٦٧٦]. وهذا يؤكد اهتمام عمر بالشعر بل عدّه صناعة تؤثر في النفس فتستميل وتشجع وتحفّز وتثير وتعطف وما لذلك من أهمية في وضعهِ الشعر في مكان خاص لما يبلغه مالايبلغه السيف في بعض الأحيان.

وقد روى عن ابن عباس إنه قال ((قال لي عمر: انشدني لشاعر الشعراء قلت ومن هو ياأمير المؤمنين؟ قال: ابن سُلمى قلت وبما صار كذلك؟ قال: لإنه لايتبع حوشي الكلام، ولايعاظل من المنطق ولايقول الاّ مايعرف، ولايمدح الرجل الاّ بما يكون فيه))[٦٧٧] وقال ((وما ذاك الاّ لتقبيحه شعره وترداد نظره في كلامه))[٦٧٨] أليس الذي يقول:

إذا ابتدرت قيسُ بنُ عَيْلاَن غايةً ... من المجد مَنْ يَسْبقْ إليها يُسوّدِ
سَبَقْتَ إليها كلُّ طلقٍ مُبرّزٍ ... سبوقٍ إلى الغايات غير مزنّدِ
كفضْلِ جَوَادٍ يَسْبقُ الخيل عَفْوُه الـ ... سراع وان يجهد يجهدن ويبعدِ

---

(٦٧١) العقد الفريد ٢٧٠/٥ للاستزادة ينظر طبقات فحول الشعراء ٦٠/١والبيتان في الديوان ٧٦، ٢٦٥.

(٦٧٢) ينظر طبقات فحول الشعراء ٥٦/١ والبيت في الديوان: ٧٨.

(٦٧٣) ينظر الأغاني ١٢/١١(ط دار الكتب)

(٦٧٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٩٤/١ ووردت الكلمة في الشعر والشعراء "سابق الشعراء خسف لهم عين الشعر" ١٢٧/١ للاستزادة ينظر الأغاني ١٢٣/٧ والعمدة ٩٤/١.

(٦٧٥) العمدة ٢٧/١.

(٦٧٦) البيان والتبيين ٣٢٠/٢ والعقد الفريد ١٥/٣.

(٦٧٧) الأغاني ٢٣٩/١٠ للاستزادة ينظر العمدة ٩٨/١ ودلائل الإعجاز ٥٩٤ المذاكرة في ألقاب الشعراء: ٥٥.

(٦٧٨) تحرير التحبير:٤٠٢.

ولـو كـان حمـدٌ يخلـد النـاس لـم يمـت   ولكـــن حمـــد النــــاس لـــيس بمخلـــدِ

قال ابن عباس فأنشدته حتى برق الفجر. فقال: حسبك الآن. اقرأ القرآن. قلت وماأقرأ؟ قال: ((اقرأ الواقعة، فقرأتها ونزل فأذن وصلّى))[٦٧٩].

إن تأكيد عمر أهمية الصدق في الشعر هو تأكيد قيمة من قيم الإسلام، ومارأيه النقدي الذي فضّل به زهيراً وهو أنّه لايتبع حوشي الكلام الاّ تأكيد أهمية كون الشعر سلساً سهلاً ممتنعاً يفهمه السامع ولاسيما في تلك المرحلة التي أريد من الشعر أن يكون معلّماً للأخلاق ناشداً للقيم.

ومن نظرات عمر النقدية قد نجد تعارضاً في حكمين قالهما: فالنابغة أشعر غطفان ثم أشعر العرب وزهير أشعر الشعراء. إلاّ أن التمعن في الأمر يمنحنا فرصة الدفاع والبتّ انه لاتعارض في القولين، ولاسيما إذا ماصدرا عن حكم ذوقي تأثري.

والنقد العربي القديم اعتمد في مجمله على التأثر الخاص والخبرة. والحق أن حياة ((عمر بن الخطاب الجاهلية ووصوله إلى فترة النضج والرجولة فيها قادته إلى تعرف علـــى كثيـــر مـــن تـــراث الجاهليـــة والـــسماع لنـــصوصها الكثيـــرة، ولذلك فقد كان له مقياسه الخاص في تذوق أساليب الشعراء وكان يميل إلى اللغة السهلة والأسلوب اللين والمفردة الواضحة))[٦٨٠].

أما الأثر الإسلامي فقد ظهر في ميل عمر ((إلى الصدق والتعامل الأخلاقي إذ جعل من الأدب اداة سياسية وأخلاقية وبهذا يكون موقف عمر إسلامياً ومتكاملاً.

ومما لاريب فيه أن كثيراً من النقاد (علماء ورواة) قد تبعوا أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) في تفضيلهما للنابغة فإذا كان الخليفة عمر قد جعل كلاً منهما أشعر العرب أو الناس فان عمرو بن العلاء قد فاضل بين النابغة وزهير وقدم النابغة في هذه المفاضلة بقوله ((كان زهير يمدح ولو ضرب أسفل قدميه مئة مرّة على أن يقول مثل قول النابغة:

فإنـــك كالليـــل الـــذي هـــو مـــدركي   وإنْ خلْـــتُ ان المنتـــأى عنـــك واســـعُ

ماقاله فما لايقول مثله زهير كان غيره أبعد منه))[٦٨١].

وإذا كان إعجاب الصحابة ينطلق من المعيار الديني فأن إعجاب أبي عمرو ابن العلاء ببيت النابغة انطلق من قدرة النابغة على صياغة البيت ولكن في هذا التفضيل مبالغة، فإذا كان بيت واحد يفوق ماقاله زهير في المديح فإن هذه المفاضلة على مبالغتها قد نجحت في اعتمادها الغرض الواحد معياراً للمفاضلة.

---

(٦٧٩) الأغاني ٢٩٠/١٠ والأبيات في ديوان زهير ٢٣٥-٢٣٦ وفي البيت الأخير فلو كان.

(٦٨٠) مقالات في تاريخ النقد العربي: ٤٠.

(٦٨١) إعجاز القرآن للباقلاني: ١١٥.والبيت في الديوان ٧٦.

وتبع أبا عمرو بن العلاء في ذلك الخليل والأصمعي. فالخليل يقدم النابغة على زهير ((لأنه حسب وجهة نظره أعذب على أفواه الملوك وأبسط قوافي شعر كأن الشعر ثمرات يدانين من خلده فهو يجتنيهن اختياراً له سهولة السبك وبراعة اللسان وثقافة لايتوعر عليه الكلام لعذوبة مخرجه وسهولة مطلبه))[٦٨٢] وقد شفع هذه المقولة بشواهد شعرية للنابغة تهلل لها وجه النعمان بهجة وسروراً[٦٨٣] وارتاح لها الخليل وقال: ((أفيحسن زهير أن يقول مثل هذا))[٦٨٤].

اما الأصمعي فقد كانت له آراء نقدية رجحت تفضيل النابغة فقد جعله أول الفحول[٦٨٥] وأفضل الشعراء[٦٨٦] واشعر الناس[٦٨٧] ولكنه في موضع آخر يجعل ((زهيراً والنابغة من عبيد الشعر))[٦٨٨] ولكنه مالبث ان عاد مرّة أخرى يفضل النابغة، إذ قال: ((إن قلت ألين (أي شعره) من الحرير صدقتُ ، وان قلت اشد من الحديد صدقت))[٦٨٩] ويبدو أن الأصمعي في هذه المقولة قد اعتمد على رأي أبي عبيدة في النابغة الذي قال: ((ولشعره ديباجة إن شئت ليس بشعر مؤلف من تأنيثه ولينه، وان شئت قلت: صفحةٌ لو رُدِيَت بها الجبال لازالتها))[٦٩٠] وظل ذلك المقياس النقدي حتى اثراه ابن سلاّم القائل ((من احتج للنابغة كان أحسنهم ديباجة شعرٍ، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتاً، كان شعره كلاماً ليس فيه تكلف))[٦٩١].

فالنابغة نال هذه المنزلة لدى النقاد القدامى منذ عصر الخلافة الإسلامية. وفي رأي الخليفتين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) خاصة فهما خير من أعطاه هذه المكانة وتبعهما النقاد حتى يوم الناس هذا.

وكان ابن سلام قد علّق على قول الخليفة عن زهير أنه (لايمدح الرجل الا بما فيه) يقوله((قال أهل النظر:كان زهير أحصفهم شعراً وأبعدهم من سخف وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من المنطق وأشدهم مبالغه في المدح))[٦٩٢] اما ألآمدي فقد رأى كانت نظرة موحية للنقاد فذكر في الموازنة وقالوا في معنى قوله ((وكان لايمدح الرجل الاّ بما يكون في الرجّال، أراد أنه لايمدح السوقه بما يمدح به الملوك، ولايمدح التجّار وأصحاب الصناعات بما يمدح به الصعاليك والأبطال وحملة السلاح، فأن الشاعر إذا فعل ذلك فقد وصف فريق بما ليس فيه، فذكروا هذه الجمل ثم

---

(٦٨٢) ديوان المعاني ٢٠/١.
(٦٨٣) ديوان المعاني : م.ن ١٩/١-٢٠.
(٦٨٤) م.ن ٢٠/١.
(٦٨٥) فحولة الشعراء: ٩،٥.
(٦٨٦) م.ن.
(٦٨٧) م.ن: ٥، ٩.
(٦٨٨) العمدة ١٣٣/١.
(٦٨٩) العقد الفريد ١٦٥/١.
(٦٩٠) الشعر والشعراء ١٦٨/١.
(٦٩١) طبقات فحول الشعراء ٥٦/١.
(٦٩٢)طبقات فحول الشعراء ٩٨/١.

مثلوا لها أمثلة تزيد ماقاله عمر وضوحاً وبياناً))[٦٩٣]. بيما يرى الدكتور عز الدين إسماعيل أن هذه العبارة قد فسّرت تفسيراً بعيداً عمّا كان يريد بها الخليفة، فقد فسّرت تفسيراً ((أبعدها عن الهدف الأخلاقي الذي ربما كان عمر قد هدف إليه فتحوّرت لكي تخضع للوضع الاجتماعي الذي تمثّلت فيه الطبقية والعنصرية بعد عمر بوقت قصير. وخضع الشاعر لهذا التفسير، وخضع له الناقد، فتعاونا بذلك على تكييف شكل بذاته للقصيدة، بل تعاونَ المجتمع كلّه على تكييف الاعتبارات الخاصة بهذه القصيدة))[٦٩٤].

وإذا ماأنعمنا النظر في قول الخليفة وجدناه مدركاً الجانب الموضوعي، فضلاً عن الفنيّ، إذ رأى أن العرب لاتفضّل حوشي الكلام ولاتميل إلى الاستهجان ولاتعاظل في الكلام، وهذا متوافر في شعر زهير المفضّل هذا جانب. أمّا مالم يكتفِ به الخليفة فهو أنه أدخل الجانب الأخلاقي في تلك النظرة النقدية عندما ذكر أنه لايمدح الرجل الاّ بما فيه، وفي ذلك صدق وفيه تعفّف وفي ذلك كبرياء وهذا موجود عند زهير. أليس هو من قال:

يُـؤخَّرْ فيُوضَـعْ فـي كتـابٍ فيُـدَّخَرُ ليـوم الحـسابِ أو يُعَجَّـل فيْـنقمِ[٦٩٥]

وبذلك نجد الخليفة قد اتبع نهج الرسول الكريم ﷺ في قوله (إن أحسن الشعر ماوافق الحق ومالم يوافق الحق فلا خير فيه) وبذلك كان عمر ينطلق من رؤية دينية تلتحم بها نظرة نقدية مبنيّة على جيّد الشعر وبهذا كان يمثل النظرة الإسلامية التي تعامل في ضوء ((موقفهم من العقيدة وعلى مدى تمثلهم لقيمها))[٦٩٦] السامية التي جاء بها الإسلام ودعا إلى تثبيتها، إذ يرى أن الشعر وسيلة من وسائل التهذيب الخلقي والسمو النفسي. وترجع عناية الخليفة واهتمامه بشعر عصر ماقبل الإسلام بعدّه مصدراً من مصادر اللغة العربية الذي يعين على تفسير القرآن الكريم.

والحق أن تفسير تفضيل زهير يحقق نضجاً في نقد الشعر، وإن كنّا قد لمحنا خطة في تفسير عمر رضي الله عنه وتفضيله النابغة وعدّه إيّاه أشعر شعراء غطفان ثم أشعر العرب. وبهذا يكون الخليفه عمر رضي الله عنه ((قد ادرك سر صناعة الشعر العربي وميز فية المعنى واللفظ والغرض،بالإضافة إلى الحس ومهمة الشعر الأخلاقية و وبهذا يكون أول ناقد أقام أحكاماً نقديةً على اصول متميزة))[٦٩٧]فضلاً عن أنه ((أشهر الصحابة نيلا للشعر، ونقداً له، وحكماً عليه وتمثل به وكان له ذوق وبصر وحفظ كثير))[٦٩٨]، ومع هذا كله يعد أول من تعرض للصياغة والمعاني وعدد خصائص لهذه وتلك ويعد ((أعظم من أسهم في تطوير النقد الأدبي فهو بحق الناقد الأو ل في هذه الفترة))[٦٩٩] ((ونستطيع أن

(٦٩٣) الموازنة: ٢١١. ينظر: طبقات فحول الشعراء ٩٨/١
(٦٩٤) الأسس الجمالية في النقد الأدبي : ١٩٧.
(٦٩٥) ديوان زهير ١٨.
(٦٩٦) قضية الإسلام والشعر: ٣٦.
(٦٩٧) في الشعر والنقد ٥٠-٥١
(٦٩٨) الإسلام والشعر، الجبوري ٨٥.
(٦٩٩) في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب: ٦٥.

نقول إنه أول من أقام أحكاماً في النقد قائمة على أصول متميزة وأسباب واضحة))[٧٠٠] وهذه الروح سرت إلى الأدب فيما بعد.

لقد كان قوي التمحيص في كل مايخوض فيه، صحيح الإستنباط موفقاً في استخراج الأحكام الشرعية، وهذه الروح سرت إلى الأدب كذلك فاسند رأيه في زهير إلى أمور محسسة وأسباب قائمة((ومهمة في نقد النص الأدبي لأنها تضع مقاييس صالحة يقاسُ بها الأدب ، فقد تناولت أهم أركان الشعر وهي أساليبه ومعانيه وظلت تلك المقاييس نواة النقد الأدبي في عصور الأدب العربي حتى عصرنا الحاضر))[٧٠١].

ومما يدل على معرفة الخليفة بدقائق الشعر وتفصيلاته مارواه الجاحظ عن العائشي قوله ((انشدوا عمر شعراً لزهير، وكان شعره مقدمّاً فلمّا انتهوا إلى قوله:

وإن الحـــقَّ مقطعـــهُ ثـــلاثٌ يمـــينٌ أو نفـــارٌ أو جـــلاءُ

أخذ يردد هذا البيت إعجاباً))[٧٠٢] ،إذ كان يتعجب من صحة هذه القسمة، ويقول ((لو أدركت زهيراً لوليته القضاء لمعرفته))[٧٠٣]. فهذا التقسيم يدل على استيفاء المتكلم أقسام المعنى ويدل على معرفة الحكم معرفة دقيقة باللغة، وربطه ذلك بتعاليم الدين الجديد.

وكان من علمه باللغة أنّه كان يعجب بتقسيم الكلام وجودة ذلك التقسيم، إذ بلغ به الإعجاب بتقسيم الشاعر عبده بن الطبيب انه كان كثيراً مايردد العجز من أبياتـهِ لما فيها من تقسيم وجودة. من ذلك قوله.

والمـرءُ سـاعٍ لـشيءٍ لـيس يدركـه والعـيش شـحٌّ وإشـفاقٌ وتأميـلُ

إذ كان عمر يردد متعجباً ((والعيشُ شحٌ وأشفاق وتأميلُ))[٧٠٤]. ومثل ذلك فعل مع قصيدة قيس بن الأسلت التي جاء فيها:

الكـيس والقـوّة خيـر مـن الــ اشـــفاق والفهّـــةِ والهـــاع

((فقد جعل يردد البيت ويتعجب منه))[٧٠٥].

---

(٧٠٠) النظرية النقدية عند العرب:٦٩.
(٧٠١) دراسات في نقد الأدب العربي، د. طبانه: ٩٩.
(٧٠٢) البيان والتبيين ٢٤٠/١-٢٤١ والبيت في الديوان ٧٥.
(٧٠٣) ينظر: كتاب الصناعتين: ٣٧٦.
(٧٠٤) البيان والتبيين ٢٤١/١. والبيت في ديوان عبده بن الطبيب ٧٥.
(٧٠٥) م.ن ٢٤١/١. والبيت في ديوان قيس بن الأسلت ٥٢.

وهذه اللمحات التي يتوقف عندها عمر مردداً معجباً إنما تفصح عن ذوقه الأدبي وعلمه بالعناصر البلاغية التي تكسب الكلام حسناً، ((كما أنّه يرى في هذا التقسيم تحقق مبدأ من مبادئه في النقد، وهو أن يصدر الشاعر فيما يقول عن علم وتجربة))[٧٠٦].

ويبدو أن إعجاب الخليفة عمر بشعر زهير جاء من تروي زهير وحرصه على الإجادة والتأني في قول الشعر، وتنقيحه وتخليصه مما قد يغضّ من جماله فضلاً عن تأثره بالثقافة الدينية التي شاعت في عهده، وجاء شعره ينم عن ذلك بما فيه من حكمة ودعوة إلى الخير. وقد أكسبته حياته الطويلة خبرة وتجربة ومعرفة بطبائع الناس وقدرة على استخلاص الحقائق، وقد انتفع بمحاولات من سبقوه في الأدب ، إذ كان لنشأته أثر في أدبه وفنّه، فقد نشأ في بيت عريق في الشعر فأبوه ربيعة، واختاه سلمى والخنساء، وخاله بشامة وأبناه كعب وبجير. وقد تربى على يد بشامة وتأثر به ولعل شيئاً من ميله إلى الأناة، والدعة والحكمة، يرجع إلى هذه التربية، ولم يفت الحديث عن روايته، فقد كان راوية لأوس بن حجر، وأوس من الشعراء المعدودين الذين عرفوا بجودة الوصف والتشبيه والبراعة في تصوير بيئته وربما كانت براعة زهير في هذه النواحي راجعة إلى هذه الصلة.

ويبدو أن اعجاب عمر بشعر زهير لما في شعره من حكمة وموعظة ودعوة للخير والخلق الرفيع وتحدي الصدق ومجانبة الغلو في الاسراف في المديح والهجاء وتلك شمائل يحبّها الإسلام، ولاريب في أن شعر زهير كان جامعاً للقيم الاخلاقية التي يعبّر عنها بالصدق والقيم الفنية في الأداء الجيد المتقن حتى وإن كان هذا الشعر جاهلياً إلاّ أن فيه روحاً من الإيمان أو قبساً من تعاليم التوحيد ويروى عن عبد الله بن عباس أنه قال: ((قال لي عمر بن الخطاب أنشدني قول زهير، فأنشدته قوله في هرم بن سنان بن حارثة حيث يقول:

قـوم أبـوهم سـنانٌ حـيَن تَنْـسُبُهُم ... طـابُوا وطـابَ مـن الإفـلاذ مـا ولـدوا
لـو كـان يقعد فوق الشمس من كرمٍ ... قـوم بـأولهم أو مجـدهم قعـدوا
جِـنٌّ إذا فزعـوا إنْـسٌ إذا أمنـوا ... مُـرزّؤونَ لهـا ليـلٌ إذا احتـشدوا
مُحَـسّدُونَ عَلَـى ماكـان مـن نعـمٍ ... لايَنْـزِعُ اللهُ مـنهم مـالهم حُـسِدوا

فقال له عمر: ماكان أحب إليّ لو كان هذا الشعر في أهل بيت رسول الله ﷺ[٧٠٧]

فعمر يعجبه هذا الذي يتغنى بالفضائل بشكل هادئ محبب حتى أن عمر ليضن بهذا الضرب من الشعر على الناس فيتمناه لأهل بيت رسول الله ﷺ فهم أهل لذلك وتلك أوصاف توافق خصائصهم الكريمه وشمائلهم النبيلة

وقد روي أن واحداً من أبناء زهير بن أبي سلمى جاء إلى المدينة، فسأله عمر: مافعلت الحلل التي كساها هرم أباك؟ فقال أبلاها الدهر. قال: لكن الحلل التي كساها أبوك

---

(٧٠٦) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. عتيق ٨٠.
(٧٠٧) العقد الفريد ٢٩١/٥والأبيات في ديوان زهير٢٨٢ بخلاف يسير في الرواية .

هرماً، لم يبلها الدهر ويقال إن عمر سأل بعض ولد هرم بن سنان، قال أنشدني بعض مدح زهير أباك فأنشده، فقال عمر، إنه كان ليحسن فيكم المدح، قال: ونحن كنا نحسن إليه العطية، قال: قد ذهب مااعطيتموه وبقي ماأعطاكم [٧٠٨].

وقد شكلت هند بنت عتبة خطراً على الإسلام والمسلمين مما دفع عمر بن الخطاب إلى أن يقول لحسان بن ثابت بعد معركة أحد ((يا ابن الفريعة لو سمعت ماتقول هند، ورأيت أشرها قائمة على صخرة ترتجز وتذكر ماصنعتْ بحمزة عم رسول الله ﷺ.)) فقال له حسّان: ((والله اني لأنظر الحربة تهوي وأنا على رأس فارع؛ -يعني أطمه-: فقلت: والله، إن هذه لسلاحٌ ماهي من سلاح العرب، وكأنها إنما تهوي إلى حمزة ولا أدري، ولكن أسمعني بعض قولها اكفيكمُوها.. فانشده عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض ماقالت فقال حسّان:

أشِرَتْ لكاع وكانّ عادتُها لُؤماً إذا أشِرَتْ مع الكفر)) [٧٠٩]

فموقف عمر يتأتى من تعجبه من الشعر الذي يدافع عن الإسلام ويصون مبادئه ولاريب في أن الشعر الذي أعجبه كان صدىً لتعاليم الدين وقبساً من هدايته فمواقف عمر هذه ماهي إلاّ امتداد وإقتداء بمواقف الرسول ﷺ والتزام بخط الدعوة وهدى الإسلام.

وقد جاء في الشعر والشعراء أن متمم بن نويرة رثى أخاه مالكاً الذي يقال عنه إنه قتل في صفوف المرتدين- بقصيدة طويلة يقول فيها:

لعمري ومادهري بتأبين هالكٍ ولاجزع مما أصاب فيّ وجعا

وجاء أنه ((لمّا استشهد زيد بن الخطاب يوم سيلمة، دخل متمم على عمر بن الخطاب فقال له: انشدني بعض ماقلت في أخيك فأنشده شعره الذي يقول فيه:

وكنّا كندماني جذيمة حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلمّا تفرّقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلةً معا

---

(٧٠٨) ينظر : خزانة الأدب ٢٩٢/٢، للاستزادة ينظر العمدة ٨١/١.

(٧٠٩) السيرة النبوية ٤٩/٣ والأغاني ١٩٨/١٥ والبيت من ديوان حسان: ٣٥٠ والاشر معناه البطر. والكاع: اللئيمة الدنيئة.

فقال له عمر: يامتمم لو كنت أقول الشعر لسرني أن أقول في زيد ابن أبي الخطاب ماقلت في أخيك. قال متمم: ياأمير المؤمنين، لو قتل أخي قتلة أخيك ماقلت فيه شعراً أبداً، فقال عمر: يامتمم ماعزاني أحد في أخي بأحسن مما عزيتني به)) [710]، ويقال إن عمر قال: ((هذا والله التآبين)) [711] ويرى اليعقوبي أن مالكاً لم يقتل مرتداً وقد كان قتله خطأ بدليل أن أبا بكر ﷺ وأصحابه جزعوا عليه جزعاً شديداً [712]. وهذا القول ذهب إليه ابن أبي حديد الذي رأى أن أبا بكر أمر برد السبي وودّى مالكاً [713]. امّا ابن عبد البر فقد رأى في ذلك خلافاً وتضارباً هل قتل مسلماً أم مرتداً [714]. ويبدو أن بكاء متمم على مالك انه قتل ظلماً وهذا هو الرأي المرجح.

ويروى أن عمر بن الخطاب مرّ بحسّان وهو ينشد الشعر في مسجد الرسول ﷺ وقال ((رغاء كرغاء البعير فقال حسّان: دعني عنك ياعمر، فوالله انّكَ لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك، فما يغير علي ذلك: فقال عمر صدقت)) [715]. وقيل إن حساناً ألتفت إلى أبي هريرة فقال: انشدك الله! هل سمعت النبي ﷺ يقول: ياحسان أجب عن رسول الله اللهم ايّده بروح القدس((قال اللهم: نعم)) [716].

والحق أن الدافع الذي جعل عمر يقاطع حسّاناً وهو ينشد الشعر الخوف من العصبية، لأن عمر سبق أن نهى الناس عن ان ينشدوا شيئاً من مناقضة الأنصار ومشركي قريش وقال في ذلك شتم الحي بالميت وتجديد الضغائن. وهذا يعني تقدير عمر لقوة الشعر وقدرته على إدارة المجتمع حتى في أيام الإسلام، ولاريب في أن حسّاناً في إنشاده لم يستطع التخلي عن الفخر ويخشى أن يسبب فخره بآبائه وبالانصار إذى للأنصار والمهاجرين معاً، فضلاً عن الذين هجاهم قبل اسلامهم وهذه كما تبدو نزعة جاهلية لأنها تثير أحقاد الماضي وذكرياته الدامية وهذا لايرضي عمر، غير أن إجابة حسّان ، وإن كان فيها شيء من القسوة قد اقنعت عمر فقال عندما سمع (صدقت) ولأبي هريرة قال نعم.

ويروي أن عمر بن الخطاب ((كتب.. إلى المغيرة بن شعبة وهو وإليه على الكوفة: ان استنشد من قبلك من شعراء مصرك، ما قالوه في الإسلام؟ فارسل إلى الأغلب العجلي الراجز فقال له: انشدني، فقال:

ارجــــزاً تُريــــد أم قــــصيدا لقــــد طلبــــتَ هيّنــــاً موجــــودا

---

(٧١٠)الشعر والشعراء ٣٣٨/١، والأبيات في ديوان مالك ومتم ابنا نويرة ١٠٦ - ١١٢.

(٧١١) جمهرة اشعار العرب ٤٧/٢.

(٧١٢) ينظر: تاريخ اليعقوبي ١٤٨/٢. الشعر والشعراء ٣٣٨/١.

(٧١٣) ينظر شرح نهج البلاغة ١٥٣/٥.

(٧١٤) ينظر الإستيعاب٤١٧/٣. للاستزادة ينظر الأغاني ٦٥/١٤، تاريخ الطبري ٢٤٣/٣، الكامل لابن الاثير ٢٤٣/٢.

(٧١٥) العمدة ٢٨/١، الإصابة٤٨٨/١، الأغاني ٦/٤ للاستزادة ينظر الإستيعاب ٤٠٣/١.

(٧١٦) السنن الكبرى ٤٤٨/٢ والمستدرك ٢٣٥/٣ والإصابة ٤٨٨/١

ثم ارسل إلى لبيد فقال: انشدني، فقال: ان شئت ماعفا عنه(يعني الجاهلية) فقال: لا أنشدني ماقلت في الإسلام، فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها، وقال: ((ابدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر فكتب بذلك المغيرة إلى عمر، فنقّص من عطاء الأغلب خمسمائة، وجعلها في عطاء لبيد، فكان عطاؤه الفين وخمسمائة))(٧١٧) فيما روي أن عمر بن الخطاب هو الذي قال للبيد ((انشدني من شعرك فقرأ سورة البقرة، وقال: ماكنت لأقول الشعر بعد أن علمني الله سورة البقرة))(٧١٨) وقد جاء في كتاب الأمالي ((ان عُمّرَ كتب في جواب ذلك أنه لم يعرف أحد من المسلمين شعر الإسلام غير لبيد))(٧١٩) ويقال إن لبيداً لم يقل في الإسلام الاّ بيتاً واحداً وهو:

ماعاتب الحر الكريم لنفسه والمرء يصلحه الجليسُ الصالح(٧٢٠)

وقيل هو:

الحمد لله الذي لم يأتني أجلي حتى اكتسبت من الإسلام سربالا(٧٢١)

مع علمنا ومن استقرائنا شعر لبيد نجد أنه كتب بعد الإسلام شعراً بدليل البيت الذي اعجب به الرسول ﷺ،و القصيدة نفسها تحمل معاني إسلامية والأثر الإسلامي واضح فيها ومن مطلعها:

الا تسألان المرءَ ماذا يحاول أنحَب فيقضى أم ضلال وباطل

فاسئلة المرء والضلال والباطل أليس هي مصطلحات إسلامية محضة. لأنه أدرك القيمة المثلى للإسلام متمثلة في آي القرآن الكريم ومن قصائده التي قالها في إسلامه التي يقول فيها:

أن تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ريثي وعجل
أحمد اللهَ فلا بدّ لهُ بيديهِ الخير ماشاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

---

(٧١٧) الأغاني ٩٤/١٤، والبيت في ديوان العجلي ١٥٥ ضمن كتاب شعراء امويون
(٧١٨) الشعر والشعراء ٢٧٤/١.
(٧١٩) الشعر والشعراء: ٨٨/١.
(٧٢٠) م.ن ٧٥/١و البيت الثاني في الديوان ٣٥٧.
(٧٢١) الأغاني ٩٤/١٤ والبيت في الديوان .٢٥٤

فأكــــذب الـــــنفس إذا حــــــدثتُها ان صــدق الــنفس يــزري بالأمــل[722]

وهناك قصائد وأبيات تدل على آثار اسلامية عميقة في شعر لبيد [723]علماً ان ثمة أمراً يجب أن يشار إليه وهو أن لبيداً قبل الإسلام كان من الحنفاء الذين يدينون بدين إبراهيم الخليل [B] وهؤلاء يؤمنون بالله واليوم الآخر واقتربت أشعارهم من شعر الإسلام.

ويروى أيضاً ان لبيداً قد أوصى ابن أخيه حين حضرته الوفاة بثلاثة أبيات[724] وانه رثى نفسه قبل موته وأوصى ابنتيه بأربعة أبيات[725] فضلاً عن مراثيه في اخيه أربد[726]ونفحاته التي صور فيها اثار الإسلام فهي على الرغم من قلتها نجد كثيراً من الألفاظ والمعاني والأساليب التي كان الأثر الإسلامي واضحاً فيها مع علمنا أن لبيداً من المعمرين، وإذا كانت تلك الأبيات التي أو صى بها قبل مماته، وقد أصبح شيخاً كبيراً فان هذا هو دليلنا أن الشاعر لم يتوقف عن قول الشعر في عهد صدر الإسلام؛ لأن العاطفة والقريحة سيهيجان، ولم يكن بمقدور الشاعر ان يكبحهما غير أن الأمر الآخر الذي لابدّ من ذكره هو أن لبيداً قد قال شعراً في العصر الإسلامي، ولكنّه قليل جداً، وهذه القلّة يفسرها أمران. إيمان الرجل وشغله بالعبادات والقرآن وكبر سنه التي بلغت الأربعين ومائة كما يروى.

وقد أكد ذالك أبو عمرو بن العلاء في قوله: ((ما أحب الي شعراً من لبيد لذكره الله عز وجل ،ولإسلامه ولذكره الدين والخير ، ولكن شعره رحى بزر)) [727]

ومما يؤكد اهتمام عمر بالشعر لمعرفته بأثره في نشر مكارم الأخلاق انّه وقف للشعراء الذين ظلّوا متمسكين بقيم عصر ماقبل الإسلام التي رفضها الإسلام المراد بها تفرقة المسلمين والإباحية وهتك الحُرمات ومن هؤلاء الحطيئة والنجاشي. فقد عالج أمر

---

(٧٢٢) الشعر والشعراء ٣٣٨/١ والأبيات في الديوان: ١٧٤

(٧٢٣) ينظر ديوان لبيد ٣٤٦ و ٢٥٤.

(٧٢٤) الأغاني ٩٧/١٤.

(٧٢٥) م.ن ٩٨/١٤.

(٧٢٦) يروى أن أربد بن قيس (اخا لبيد لامه) صحب عامر بن الطفيل فقدما يريدان شراً بالرسول، فعصمه الله منهما ودعا عليهما،فكان أن أصيب عامر بالطاعون وأحرقت اربد صاعقة، فحزن عليه لبيد حزناً شديداً وبكاه بكاءً حاراً وموجعاً في كثير من قصائده.ينظر الشعر والشعراء ٢٧٧-٢٧٨.

(٧٢٧) الموشح ١٠٠.

أولهما عندما شكاه الزبرقان بن بدر وذكر أنّه هجاه فسأله الخليفة عن ذلك. قال هجاني في قوله:

ماكـان ذنـبُ بغـيضٍ أن رأى رجُـلاً ... ذا حاجـة عـاش فـي مُـستوعرٍ شـاسِ
جـاراً لقـومٍ أطـالوا هُـون منزلـه ... وغـادروهُ مقيمـاً بـين أرمـاسِ
ملُّـو قِـراهُ وهرّتـه كلابُهُـم ... وجرّحـوه بأنيـابٍ وأضـراسِ
دع المكـارمَ لاترحـلْ لبغيتهـا ... واقعـد فإنّـك أنـتَ الطـاعِم الكاسـي

فقال الخليفة ماأعلمه هجاك أما ترضى أن تكون طاعماً وكاسياً وقيل إنه قال: ((ماسمع هجاءً ولكن عتاباً. فقال الزبرقان وما تبلغ مرؤتي إلاّ أن أكل وألبس))[٧٢٨] وقيل إنه قال: ((إنه لايكون في الهجاء أشد من في هذا[٧٢٩] فالزبرقان شاعر وعالم بأساليب الهجاء ويبدو أنه أشار على عمر ﷺ أن يستدعي حساناً لأنه ذكر أن الخليفة سأل حسّاناً فقال))ماتقول؟ أهجاه؟ وعمر ﷺ يعلم من ذلك مايعلمه حسان، ولكنه أراد الحجّة على الحطيئة[٧٣٠]. ((فقال حسان نعم هجاه وسلح عليه فحبسه عمر)).

((وألقاه في حفرةٍ اتخذها محبساً))[٧٣١]. وذكر أن حساناً قال: لم يهجه ولكن سلح عليه[٧٣٢] أي أفحش في هجائه، وهذا يدل على أن مهمة نقد الشعر ترتبط بالشاعر وقد قيل إن الخليفة سأل لبيداً فأجابه: مايسرني ان الحقني من هذا الشعر مالحقه وأنّ لي حمر النعم[٧٣٣].

والحق أن عمر بن الخطاب ﷺ لم يجهل موضع الهجاء، ولكنه شد رأيه برأي شاعرين من فحول الشعراء الذين عاصروه، ولم يتردد الخليفة في إقامة الحجة على الحطيئة فحكم عليه بالسجن وذكر ان الحطيئة توسل إلى عمر بأبيات من الشعر

مـاذا تقـولُ لأفـراخٍ بـذي مـرخٍ ... زغـبِ الحواصـلِ لامـاءٌ ولاشـجرُ
ألقيـتَ كاسـبهم فـي قعـر مُظْلِمـةٍ ... فـاغفر عليـكَ سـلاّم الله يـاعُمَرُ
أنـت الإمـام الـذي مـن بعـد صـاحبهِ ... ألقت إليك مقاليد النهى البشرُ[٧٣٤]

فرق لة عمر واخلى سبيله وأخذ عليه الآيهجو أحد من المسلمين

---

(٧٢٨) ينظر: الشعر والشعراء ٣٢٨/١والأغاني ١٧٨/٢ والأبيات في ديوان الحطيئة١١٧/١١
(٧٢٩) ينظر: العقد الفريد ٣١٨/٥.
(٧٣٠) م.ن. ٢١٨/٥
(٧٣١) ينظر نضرة الاغريض في نصرة القريض: ٣٠١.
(٧٣٢) الشعر والشعراء ٣٢٨/١.
(٧٣٣) ينظر: الأغاني ١٨٩/٢.
(٧٣٤) الشعر والشعراء ٣٢٨/١للاستزادة عن نقد عمر لشعر الحطيئة ينظر:طبقات فحول الشعراء ١١٦/١ العقد الفريد ٢٧١/٥، وديوان المعاني ٣٨/١-٣٩، زهر الآداب ٩٠٧/٢، في نهاية الأرب ٢١٨/٣، نضرة الاغريض في نصرة القريض: ٣٠١والأبيات في ديوان الحطيئة وفي الديوان: مطلع البيت الاخير انت الامين

ويروى أن عمر ﷺ أخرجه ((وأجلسه على كرسي وأخذ شفرة وأوهمه أنه يريد قطع لسانه عملاً بقول الرسول (ص) ((من قال في الإسلام هجاءً فلسانه هدر فضجّ وقال: إني والله ياأمير المؤمنين، قد هجوت أمي وأبي ونفسي فتبسّم عمر وقال: ما الذي قلت؟ فأنشده أبياتاً)) ويبدو أن ذلك أغضب الخليفة عمر ﷺ ولكنه أخلّى سبيله ((وأخذ عليه الاّ يهجو أحد وجعل له ثلاثة الاف درهم اشترى بها من أعراض المسلمين))(٧٣٥) وفي رواية أن عمر قال ((إياك والهجاء المقدع ، قال وما المقدع يا أمير المؤمنين قال المقدع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء، وأشرف وتبني شعراً على مدح لقوم وذم لمن تعاديهم فقال أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم مني بمذاهب الشعر))(٧٣٦) وإن كنت أرى أن كف الحطيئة عن قول الهجاء إنما جاء من حزم الخليفة، وعدم قبوله الفحش وزرع العدأوه. وهذا يدل على إدراك عمر قوة الشعر وهذا جانب نقدي. ومما لاريب فيه أن عمر رق قلبه للأبيات التي استعطفه بها الحطيئة وكان لها أثرٌ في إطلاق سراحه.

اما النجاشي فقد كان ان هجا الحارث بن العجلان، فاستعدوا عليه عمر رضي الله عنه فسألهم ماقال فيكم فانشدوه:

إذا الله عـــادى أهـــل لـــؤمٍ ورقـــةٍ فعـادى بـن العجـلان رهـط بـن مقبـلِ

فأجاب الخليفة: إنما دعاء، فان كان مظلوماً استجيب له، وان كان ظالماً لم يستجب له.

قالوا: وقال أيضاً:

قبيِّلـــــة لايغـــــدرون بذمّـــــةٍ ولايظلمـــون النـــاس حبّـــة خـــردلِ

فقال الخليفة ((ليتني من هؤلاء. أو قال: ليت آل الخطاب كذلك. قالوا: فإنه كان قد قال:

ولايـــــردون المـــــاء إلاّ عَـــشيّة إذا صـــدر الـــورّاد عـــن كـــل منهـــلِ

قال عمر: ذلك أقل للسكاك (الزحام). قالوا: وقد قال:

تعـــاف الكـــلابُ الـــضاريأت لحـــومهم وتآكـل مـــن كعــبٍ بــن عــون ونهــشلِ

قال: أجنّ القوم موتاهم فلم يضيعوهم. وفي رواية أنه قال كفى ضياعاً بمن تأكل الكلاب لحمه.

---

(٧٣٥) ديوان المعاني: ٤٠.
(٧٣٦) طبقات فحول الشعراء ١١٦.

قالوا: ثم قال:

ومـــا ســـميّ العجـــلان إلاّ لقـــولهم　　خـذ القَعْبَ واحلـب أيهـا العبـد واعجـلِ

فقال عمر ﷺ: سيد القوم خادمهم. وكلنا عبيد الله. فقالوا: يأمير المؤمنين هجانا. فقال: ماسمع ذلك. قالوا: اسأل حسّاناً: فسأله فقال: سلح عليهم. فسجن النجاشي وهدده الخليفة بقطع لسانه إن عاد إلى هجائهم وقيل إنه حدّه(٧٣٧).

والحق أن الخليفة لم يغفل هجاء النجاشي، إلاّ أنه أراد بذلك زرع روح التسامح والعفو والتقوى ،وتحقيق وقع الشعر وتمكن من أن يظهر الهجاء على أنه مدح لكي يثبت للناس نظرة الإسلام للسلوك، مستبعداً التفسير العصبي لما قبل الإسلام، إذ ان شعر الهجاء أكثر أنواع الشعر ((اتصالاً بالجاهلية وطواعية لها واستمداداً منها وأجدرها إثارة لروحها وانبعاثاً لصورها))(٧٣٨).

ولاريب في أن تلك النظرة كانت ومازالت متمكنة من نفوس القوم والنجاشي واحد منهم، إذ جعل بني العجلان سبّة وألصق بهم العار بعد أن كانوا يتباهون بالفخر وباللقب وبالجد، وهو عبد الله بن كعب العجلان الذي سميّ كذلك لتعجيله القرى للأضياف -فصار ذلك اللقب سبه وموقع خزي لهم. ولذا نجد الخليفة لم يرد إثارة تلك النوازع مع معرفته بالشعر وفهمه لما كان يريد النجاشي. ولاتدل استعانة عمر ﷺ بحسّان عن عجز ولكنه كان يستعين ((في حكمه بأهل الخبرة المختصين سنّاً لتلك الشرعة المحمودة في الرجوع إلى أهل الذكر في كل فن من رجاله المنقطعين له قبل القضاء فيه حتى لايحكم بعلمه وحده، وليكون ذلك أصحّ للرأي وأكد في صواب الحكم، وأشد إقناعاً للمختصين اليه))(٧٣٩) ((وهكذا كان يريد ذلك الشعر بالنصح والإشارة على وجوهه الطيبة المحتملة ليضعف من غائله الغضب لذي الشاكين ويطامن من غلوائهم في طلب العقوبة تهويناً عليهم، وتهدئة لخواطرهم وبثاً لاسباب الرضا والعفو والتسامح بين الناس))(٧٤٠).

وقد روى العائشي كما جاء في البيان والتبيين ان سيدنا عمر ﷺ،((إذ ابتلى بالحكم بين النجاشي والعجلاني وبين الحطيئة والزبرقان، كره أن يتعرض للشعراء واستشهد للفريقين رجالاً، مثل حسّان بن ثابت وغيره، ممن تهون عليه سبالهم، فإذا سمع كلامهم حكم بما يعلم، وكان الذي ظهر من حكم ذلك الشاعر مقنعاً للفريقين، ويكون هو قد تخلص بعرضه سليماً، فلمّا رآه من لاعلم له يسأل هذا وهذا ظنّ ان هذا لجهله بما يعرف غيره))(٧٤١) وكان يهدف من ذلك -كما أشرنا- إلى توجيهِ الهجاء بأسلوب تربويّ

---

(٧٣٧) ينظر: الشعر والشعراء ٣٣٠/١-٣٣١ للاستزادة: ينظر: العمدة ٥٢/١-٣٨ والإصابة ١١٥/١، ٢٦٤/٦ وخزانة الأدب ٢٣٠/١-٢٣١. وينظر القصة كاملة في نضرة الاغريض في نصرة القريض ولكنه اعتمد الحطيئة هو الذي هجا بني العجلان والأبيات في ديوان البخاشي .

(٧٣٨) تاريخ النقد والمذاهب الأدبية : ٥١.

(٧٣٩) النقد الأدبي عند العرب، د. درويش ٨٦.

(٧٤٠) م.ن: ٨٦.

(٧٤١) البيان والتبيين ٢٣٩/١-٢٤٠. ينظر: العمدة ٥٩/١-٦٠.

تمكن من أن يفرض الموقف الإسلامي بعدّه حاكماً اللدولة الإسلامية. وقد وفق في أحكامه على هؤلاءِ الشعراء وقد بلغ تشدده مع متعاطي الشعر ورواته أنه جَلَد أبا محجن الثقفي وكان مولعاً بالشراب مشتهراً به ونفاه من المدينة لقوله:

إذا مُــتّ فــادفني إلــى أصــل كرمــةٍ   تُرَوّي عظامي بعد موتي عروقها(٧٤٢)

وعزل عاملهُ على ميسان لأبياتٍ قالها ترفيهاً عن نفسه(٧٤٣) وامر بقتل الشاعر عبد بني الحسحاس لتعهّره(٧٤٤) وفي الوقت نفسه كان عمر يثيب الشعراء على شعرهم الذي يعجب به، وأنه انشده الشاعر سُحيم المعروف بعبد بني الحسحاس شعره الذي يقول فيه:

عُميرةَ وَدِّعْ، إنْ تجهّزْتَ غادِياً   كفى الشّيبُ والإسلام للمرءِ ناهيا

فقال له عمر لو قلت شعرك كله مثل هذا لأعطيتك عليه(٧٤٥) وذكر الجاحظ أن عمر قال له لو قدّمت الإسلام على الشيب لأجزتك فقال سحيم: ماسَعرتَ يريد ماشعرت جعل الشين سيناً(٧٤٦). ونراه حين انشده رجلٌ قول طرفة بن العبد:

((فلولا ثلاثٌ هَنّ مِنْ عيشةِ الفتى   وَجَدّكَ لم أحفلْ متى قامَ عُوَّدِي

قال ﷺ: لولا أن أسير في سبيل الله، واضع جبهتي لله وأُجالسُ أقواماً ينتقون أطايب الحديثِ، كما ينتقون أطايب التمر لم أبال أن أكون قدْ مِتُّ))(٧٤٧).

ومن المعروف أن عمر ﷺ قد أدرك تِلْكَ الخصال التي كان يتميز بها طرفة ولايبارحها، إذ أصبحت جزءاً لاينفصم من حياته ومصدر عيشه والمتأمل في قول طرفة الآنف الذكر يدرك((مدى تفصيله لهذه الخصال وهي: مباكرته الشّراب قبل انتباه العواذل وإغاثة المستغيث والتمتع بالنساء. غير أن عمر ﷺ قابلها بخصالٍ ثلاث وهذه هي: السير في سبيل الله والصلاة ومجالسة أهل الأدب المنتقى وهنا نشعر بأن عمر أمين مع نفسه ودينه فهو ينكر من القيم الجاهلية مايتعارض والدين ويحاول أن يبّدلها ويحل محلها قيماً مستوحاة من الإسلام))(٧٤٨).

---

(٧٤٢) الشعر والشعراء ٢٤٨/١ والبيت في ديوان أبي محجن الثقفي: ٢٣.
(٧٤٣) الإسلام والشعر:٩٦-٩٧.
(٧٤٤)الإسلام والشعر: ٤٠٩٣/١.
(٧٤٥) طبقات فحول الشعراء ١٨٧/١ والبيت في ديوانه: ١٦.
(٧٤٦) البيان والتبيين ٧١/١-٧٢.
(٧٤٧) م.ن ١٩٥/٢والبيت في ديوان طرفه ٤٩
(٧٤٨) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٧٠.

الخليفة عثمان بن عفّان ﷺ ونقد الشعر:

تبيّن دراستنا حياة عثمان قلّة أمثال الخليفة على الشعر، إذ لم تسجلْ لَهُ مواقف لأحكام نقدية الاّ فيما ندر، إلاّ أن هذا لايعني أنه لم يستنشد الشعر بدليل أنه قالَ في شعر زهير:

((ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ وإن خَالَها نخفي على الناسِ تعلمِ

أحسن زهير وصدق ولو أن رجلاً دخَل بيتاً في جوف بيت لتحدث به الناس)) [٧٤٩]. فالصدق الذي أعجب به عثمان في بيت زهير يعتمد على الصدق في القول، وهذا هو المقياس الديني الذي ارتآه عثمان ﷺ والذي اتبع نهج أسلافه الذين تأثروا بنهج الرسول الكريم ﷺ المستمد من تعاليم الإسلام ،والذين حاولوا بمقتضاه أن يتجهوا بالشعر اتجاهاً اسلاميّاً يعبّر عمّا هو حق وصدق.

ودليل آخر يقال ان أبا زيد الطائي دخل على عثمان يوماً وقد كان من المقربين منه ومن مجلسه، ووجد عنده جماعة من المهاجرين والأنصار فتذكروا مآثر العرب وأخبارها وأشعارها[٧٥٠].

وهناك أخبار ذكرت أن عثمان لم يكن يستنشد أحداً من الشعراء[٧٥١] ومع قلّة ماورد إلينا من نصوص تدلُ على انشاد الخليفة عثمان ﷺ الشعر وتذوقه وتحريك الشعراء، إلاّ أنه قد اقتدى خط رسول الله ﷺ في اعتماد الشعر في صالح تعاليم الدين ومصلحة المسلمين والدفاع عن عرضهم. ولاريب في أن ينهج نهج عمر ويتتبع خطاه، وإن كانت محاولات عثمان محدودة في ذلك.

لقد كان لعثمان بن عفان ﷺ في خلافته موقف مشابه لما فعله عمر ﷺ مع الحطيئة والنجاشي، فقد كان ضابئ بن الحارث البرجمي شاعراً هجّاءً خبيثاً ويقال إنه استعار كلباً من بعض بني جرول بن نهشل فطال مكثه عنده فطلبوه فامتنع عليهم، فعرضوا له فأخذوه فغضب عليهم وهجاهم أفحش هجاءً وأقبحه ورمى أمهم بالكلب واسمه قرحان فاستعدوا عليه عثمان فحبسهُ حولاً بعد أن استمع إلى تلك الأبيات:

تجشمَ دوني وفد قرحانَ خطّة تطل لها الوجناء وهي حسيرُ
فاردفتهم كلباً فراحوا كأنهم حياهم بتاج المُرزبانِ أميرُ

---

(٧٤٩) الأغاني ١٠/٣٥٥-٣٥٦ والبيت في ديوان زهير: ٣٢.
(٧٥٠) انظر: مروج الذهب ٢/٣٤٥..
(٧٥١) انظر: الأغاني ٢/٨٠، ط بولاق.

وقيل إنه لمّا سمع عثمان هذه الأبيات، حبسه وقال: ((والله لو أن رسول الله حيٌّ لأحسبنه نزل فيك قرآن))[٧٥٢]. وقال: ((مارأيت أحداً رمى قوماً بكلبٍ مثلك))[٧٥٣]. ((ولو كان أحد قبلي قطع لسان شاعر في هجاء لقطعت لسانك))[٧٥٤] فحبسه ولم يزل في حبس عثمان ﷺ حتى مات.

لقد كان عثمان ﷺ يعاقب الشعراء الذين لايسيرون على خطى التوجيه القرآني لهم[٧٥٥].

الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ ونقد الشعر:

حفلت خلافة الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ بأحداث مهمّة، وكان الشعر أحد أسلحتها- وكان للخليفة نفاذ بصر في الشعر ونقده وروي أنّه قال ((الشعر ميزان القول)) أو ((الشعر ميزان القوم))[٧٥٦]. ولاريب في أن تلك المقولة تعطي منزلة كريمة للشعر والشعراء وتبيّن قيمة الشعر وادراك الخليفة ذلك. وقد سار الخليفة في نهج من سبقه باخضاعهِ الشعر لسلطة القيم الإسلامية وفضائل الأخلاق، وقد كان الخليفة ﷺ عارفاً بأساليب أو البلاغة،و معروفاً ببلاغته بارعاً في الخطابة، وكان يكرم من أجاد من الشعراء غير أن عهده ((لم يكن عهد استقرار، حتى نتمكن ان نجد أحداثاً له مع الشعراء. ولكن هذا لايعني ان عليّاً كان يعرض عن الشعر كما فعل عثمان، فلو صح ذلك الغرض لمنع غالب بن صعصعة من تعليم ابنه الشعر وقد كان ﷺ يناقش في مجلسه العلماء والأشراف والشعراء، وإنه كان يفطر الناس في شهر رمضان، ثم يجلس لهم بعد العشاء ليتكلم معهم، وفي ليلة من الليالي حدث اختلاف بين رجاله وارتفعت أصواتهم في أشعر الناس وكان أبو الأسود الدؤلي حاضراً فقال له الإمام عليه السلام، قل من أشعر الناس، وكان أبو الأسود يتعصب لأبي داؤد الأيادي، فقال أشعرهم الذي يقول:

وقد اغتدى يدافع عن ركني احوذيّ ذي ميعةٍ أضريجُ

فقال الإمام علي موجهاً كلامه إلى الناس ((كل شعرائكم محسن، لو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة في القول، لعلمنا أيهم أسبق إلى ذلك، وكلهم قد أصاب الذي أراد وأحسن فيه، وان يكن أحد فضلهم ليس به، قالوا فمن ياأمير المؤمنين فقال لو رفعت للقوم غاية فجروا إليها معاً علمنا من السابق منها ولكن إن لم يكن فالذي لم يقل لرغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر فانه كان أصحّهم بادرة وأجودهم نادرة))[٧٥٧].

---

(٧٥٢) الشعر والشعراء ٣٥٠/١.
(٧٥٣) م.ن ٣٥٠/١.
(٧٥٤) م.ن ٣٥٠/١.
(٧٥٥) ينظر: تاريخ الطبري ٣٠١١/٢.
(٧٥٦) الإسلام والشعر، د. الجبوري: ١١٦.
(٧٥٧) الأغاني ٣٩٧/١٦ وينظر: العمدة ٤١/١والاضريج الواسع اللبان أو الفرس الجواد الشديد العدو والميعة إذل جري الفرس وانشطه والاحوذي السريع في كل مأأخذ فيه والبيت في ديوان أبي دؤاد ٢٩٧. للاستزادة ينظر: مقالات في تاريخ النقد الأدبي : ٤٣، النظرية النقدية عند العرب: ٧٦.

وإذا انعمنا النظر في النص وجدنا نضجاً نقدياً يسجل في تاريخ النقد الأدبي، ، إذ ان تعبير ((كل شعرائكم محسن هو كسر لطوق العصبية غير المرغوب بها في الإسلام))[٧٥٨]. ولاريب في أن الخليفة ﷺ قد حدد أسساً ومعايير للنقد في الغرض الواحد مع توافر الحريّة، فقد اشترط للجودة ((حريّة الشاعر سلباً أو ايجابيّاً واستقلال ضميره ووجدانه وبعد انفعاله عن الخوف والطمع))[٧٥٩] فالإمام علي ﷺ وضع بهذه المقولة مبدأ مهماً لمصطلح المفاضلة بين الشعراء وهو الزمان والغاية والمذهب، فعن طريق تقارب الشعراء في هذة الأمور يمكن الحكم في أيهم أشعر، إذ إن تلك الأسس كان لها أثر في توجيه خط النقد الأدبي تشهد بذلك كتابات الجاحظ[٧٦٠].

وهناك أساس آخر ذكره الخليفة في نظرته النقدية التي نستطيع ان نحكم عليها بالنضج، إذ بيّن صعوبة المفاضلة حتى كانت الثقافة التي عليها الناقد، إذ ان ((لكل شاعر عالمه الخاص الذي لايشاركه فيه الآخرون الاّ بمقدار وكل يخلق صورة لعالمه الخاص بما يناسب قواه الشعرية وقدرته على التعبير عن تلك القوى تعبيراً جميلاً موفّقاً، وأهم سمات الشاعر العظيم تفرده أو أصالته، وهذا يعني فيما يعني اختلافه عن الشعراء الآخرين اختلافاً ينبع من هذا التفرد والأصالة))[٧٦١].

ويبدو أن تلك الجلسات التي لم يكن الشعر والشعراء غائبين عنها لها أثرها الكبير ووقعها النافذ في أسس النقد الأدبي عند العرب. إذ ان سؤال الخليفة عن أشعر الشعراء وجواب أبي الأسود الدؤلي أنه أبو داؤد، ماهو الاّ وقفة نقدية مهمة لذلك الشاعر وغيره نتيجة اعجاب أبي الأسود بوصف أبي داؤد الخيل والجواد، إذ كان ذلك هو معياره الفني الذي فضّل به إلاّ أن رأي الخليفة أعطى لنا منحى نقديّاً آخر غير متأثر بموقف واحدٍ، فلم يجعل شعراً معيناً ((في موضوع معين أساساً لتبريز صاحبه على الشعراء من غير مقارنة شاملة أو في الأقل هذا الموضوع المعين. وهنا ينتقل الإمام علي ﷺ إلى معيار آخر في المفاضلة وهي المفاضلة على اساس المباراة في غرض معيّن، فيقدّم كل شاعر أجود مايستطيع نظمه في ذلك الغرض))[٧٦٢].

وهناك معيار نقدي آخر نستنتجه من تلك الجلسة وهو تفضيل الخليفة امرأ القيس وعدّه أشعر الشعراء، إذ إنّه قال الشعر للشعر ليس لرغبة أو عن رهبة، وتلك صورة للشاعر الأصيل الذي يصدر عنه مايشعر به ويقول بصدق مايحسه. وهذا أصل من الأصول التي باتت تؤخذ بالحسبان في النقد. ويرى الدكتور عبد العزيز عتيق أن ((أسباب الحكم التي قضى بها لأمرئ القيس على غيره من الشعراء المتقدمين تتمثل في

(٧٥٨) مقالات في تاريخ النقد الأدبي : ٣٣-٣٤.
(٧٥٩) دراسات في الأدب المقارن التطبيقي: ٣٣٣.
(٧٦٠) ينظر: الحيوان ١٣٠/٢.
(٧٦١) الشعراء نقاداً: ٧٣-٧٤.
(٧٦٢) م.ن: ٧٤.

أنه أحسنهم نادرة، وأسبقهم بادرة، أي أنه أحسنهم التقاطاً لجواهر المعاني وأسبقهم بديهة وابتكاراً في طرائق الشعر))(٧٦٣).

وهو بذلك استند إلى مقولة ابن رشيق التي ذكر فيها أن العلماء وقفوا إزاء مقولة الخليفة علي ﷺ وفسروها ورأوا ((ان امرأ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال مالم يقولوا، ولكنه سبق إلى أشياء، فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها، لأنه -قيل- أومن لطّف المعاني واستوقف على الطلول، ووصف النساء بالظباء والمهاء والبيض وشبّه الخيل بالعقبان والعصي وفرّق بين النسيب وماسواه من القصيد، وقرّب مآخذ الكلام، فقيّد الأوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه))(٧٦٤). وتلك اللمحات النقدية أرست لنا دعائم أفضل الشعراء، ودرجات الشعراء ونوهت بطبقاتهم، فالخطوة التي نالها شعر امرئ القيس جعلته أشعر الشعراء وقائدهم فقد خسف لهم عين الشعر، وكان أسبقهم بادرة فهو كبير الشعراء ((وشيخهم الذي يعترفون بفضلهِ، وقائدهم الذي يأتموّن به وأمامهم الذي يرجعون إليه)). وبذلك يكون الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ قد أقر مقياساً للنقد أوجزه الدكتور داو د سلوم بالآتي:

١) كال شاعر يجيد في شيء من شعره فقد يجيد في فن أو في موضوع، أو في قصيدة أو في بيت.

٢) عدم المفاضلة بين شاعر وشاعر مادام العامل الزمني اختلف بينهما.

٣) المفاضلة لاتقوم بينهما مادام الموضوع الذي عالجاه لم يكن واحداً.

٤) إلاجادة تتاح حين تتوافر الحريّة التي لايعيقها الخوف ولا يقف في سبيلها الطمع وأجود أنموذج لهؤلاء الشعراء امرؤ القيس(٧٦٥).

وهذا يفصح عن حس فني وذوق نقدي عال عند الخليفة علي ﷺ الذي لم يكن كثير التشدد في أمر الشعر والشعراء فليس في رأيه أن يؤخذ الشاعر بما يقول. والشاعر عند الخليفة من أحسن وصف الشيء واتقن عبارته وأجاد ضم كلمة بعضه إلى بعض وقال الحق.

فمما يروى أن عمر بن الخطّاب ﷺ كان يفضل أبياتاً لأبي محجن منها:

لاتسألي الناس عن مالي وكثرته وسائلي القوم عن ديني وعن خلقي
واهجرُ الفعلَ ذا حَوبٍ ومنقصةٍ واتركُ القولَ يُدنيني من الرّهق(٧٦٦)

وقد سأل عليّاً بن أبي طالب ﷺ عن أشعر الناس فأجابه ((الذي أحسّ الوصف وأحكم الرصف وقال الحق. قال: ومن هو؟ قال: أبو محجن في قوله: (لاتسأل الناس عن مالي وكثرته...))قال: ((أيّدتني ياأبا الحسن أيّدك الله، فمازلت مؤيدا في كل خير))(٧٦٧).

---

(٧٦٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٨٣.
(٧٦٤) العمدة ٩٤/١.
(٧٦٥) النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف: ٣٢.
(٧٦٦) ديوان أبي محجن: ١٥-٢٢.
(٧٦٧) ديوان أبي محجن م.ن ٢٢٧.

وفي موقف آخر للشاعر أبي محجن اختلف حكم الخليفتين فيه وهو قوله ((ولست عن الصهباء يوماً بصابر)) قال له عمر: ((قد أبديت مافي نفسك ولأزيدنك عقوبة لإصرارك على شرب الخمر)).

فقال له علي (كرم الله وجهه): ((ماذلك لك ومايجوز أن تعاقب رجلاً قال: لأفعلن وهو لم يفعل وقد قال الله تعالى: ﴿وانهم يقولون مالايفعلون﴾))[٧٦٨].

فالخليفة عمر ﷺ كان يريد دفع الشعراء دفعاً إلى أن يقصّروا نتاجهم الشعري على ماتجيزه الشريعة الإسلامية.

وكان الخليفة علي ﷺ يشجع الشعر والشعراء، ويشجع القول الحسن والأدب اللطيف، ومن ذلك ماجاء في كتاب العمدة ((أن أعرابيّاً وقف على علي بن أبي طالب ﷺ فقال: إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعَها إليك، فإن أنت قضيتها حمدت الله تعالى وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله تعالى، وعذرتك، فقال له عليٌّ خط حاجتك في الأرض فأني أرى الضرّ عليك، فكتب الأعرابي على الأرض (إني فقير) فقال علي ياقنبر ادفع إليه حُلتي الفلانية، فلما أخذها مثل بين يديه فقال:

كسوتني حُلَّةً تبلى محاسنُها ... فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
ان الثناء ليحيي ذكر صاحبهِ ... كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لاتزهد الدهر في عُرفٍ بدأت بهِ ... فكل عبدٍ سيجزى بالذي فعلا

وقال علي: ياقنبر، اعطه خمسين ديناراً، أما الحلّة فلمسألتك وأما الدنانير فلأدبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (انزلوا الناس منازلهم)[٧٦٩] وقال الإمام على ﷺ (الشعرميزان القول ورواة بعضهم الشعر ميزان القوم) [٧٧٠].فهذا دليل على ذوق فنيّ ونبل أخلاقي جعل للأدب مهمتين اجتماعية وأخلاقية دارساهما.

ولعائشة (رضي الله عنها) مواقف نقدية في الشعر والشعراء ويروى أنها قالت ((الشعر كلام حسن وقبيح، فخذ الحسن واترك القبيح))[٧٧١] ويروى عنها انها كانت كثيرة الرواية للشعر وروي ان الرسول ﷺ سمعها وهي تمثل بشعر زهير بن جناب:

ارفع ضعيفك لايحربك ضعفهُ ... يوماً فتدركه عواقب ماجنى
يجزيك أو يثنى عليك وإن من ... أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فقال لها ﷺ كيف الشعر الذي كنتِ تتمثلين به؟ ((فإذا انشدته إيّاه، قال: ياعائشة انه لايشكر الله من لايشكر الناس))[٧٧٢].

---

(٧٦٨) الأغاني ١٦/١٩.
(٧٦٩) العمدة ٢٩/١.
(٧٧٠) م.ن ٢٨/١ .وكان رضى الله عنه يقول : (ما رأيت بليغاً قط إلاّ وله في القول إيجاز ، وفي المعاني إطالة) ، الصناعتين ١٥٤.
(٧٧١) م.ن ٢٧/١

ويقال إنها كانت تروي ألف بيت للبيد، وانه أقل مما ترويه[٧٧٣]وفي رواية((أنها كانت تروي جميع شعر لبيد)) [٧٧٤]لغيره وروى عنها انها قالت: رحم الله لبيداً، ماأشعره في قوله:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقين في خلق لجلد الأجربِ
لاينفعون ولايرجى خيرهم ويعاب قائلهم وان لم يشغبِ

ثم قالت: كيف لو رآه لبيد خلفنا هذا[٧٧٥].

ومما يروى عن أسماء بنت أبي بكر قالت: مرّ الزبير بن العوّام لأصحاب النبي ﷺ وحسّان ينشدهم وهم غير آذنين لما يسمعون من شعر فقال: ((مالي أراكم غير إذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة؟ لقد كان ينشد رسول الله ﷺ فيحسن استماعه ويجزل عليه ثوابه ولايشتغل عنه إذا انشده))[٧٧٦].

ونستنتج من هذا مدى مكانة حسّان لدى الرسول ﷺ وحرص الرسول ﷺ على الاستماع إلى شعر حسّان وتكريمه إيّاه بالجوائز والعطايا والثناء. وكان عمر يستهجي شعر حسّان في المسجد بعد وفاة الرسول ﷺ لأن شعر حسان كان له مهمّة في وقت معين فلما انقضت تلك المهمّة انطفأ حسّان وشعره.

ويقودنا نص ابن العوّام إلى أن شيئاً مهمّاً وهو اما ضعف شعر حسّان أو أن المتلقي لم يعر أي اهتمام بعد وفاة الرسول ﷺ.

---

(٧٧٢) الشعروالشعراء: ٣٨١، الاغاني: ١٣/٢. والحديث صحيح رواه أحمد في المسند ٢١١/٥-٢١٢والبيتان في ديوان زهير بن جناب الكلبي ١٢٠-١٢١.
(٧٧٣) العقد الفريد ١٢٥/٦.
(٧٧٤)العمدة ٣٠/١
(٧٧٥) ينظر :الجمهرة: ٣٨٠ والبيتان في ديوان لبيد ١٥٣ وصدر البيت الثاني (يتأكلون مغالة وخيانة).
(٧٧٦) العمدة ٢٨/١.

قضية ضعف الشعر في صدر الإسلام :

أولى النقد العربي قضية ضعف الشعر في صدر الإسلام اهتماماً خاصّاً، إذ تلقفتها الدراسات النقدية قديماً وحديثاً فأغنتها وأفاضت في نقاش تباينت فيه الآراء، فهناك من زعم انها ظهرت أو ل ظهورها نتيجة موقف الإسلام (المعادي) للشعر والشعراء. ونجد أن هذا زعمٌ خطيرٌ، فمعروف لدينا ان الإسلام لم يعاد الشعر بوصفه فنّاً من فنون الأدب ، ولكنه عادى استغلال الشعر في محاربة الدين الإسلامي وتعاليمه. والحق أن قضية ضعف الشعر وهبوط مستواه وانصراف الناس عنه هي في الاساس من قضايا النقد المهمة لاننا وجدنا لها اصلا في عصر صدر الإسلام فهناك نصوص إسلامية تؤكد تاصيلها منها قول عمر بن الخطاب ﷺ ((كان الشعر علم قوم لم يكن لهم أصح منه))[٧٧٧] وقال ﷺ ((جاء الإسلام تشاغلت عنه أي الشعر العربُ وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار وراجعوا رواية الشعر فلم يؤلوا إلى ديوانٍ مدوّن ولا كتاب مكتوب وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منهم كثير))[٧٧٨].

والدليل الاخر الذي نعتمد عليه في هذه القضية قول حسان لقد روي ان قائلاً قد قال لحسّان: ((لان شعرك أو هرم في الإسلام يأبا الحسام، فقال: ياابن أخيٌ إن الإسلام يحجِز عن الكذب أو يمنع من الكذب، وإن الشعر يزينه الكذب))[٧٧٩]. ويبدو أن الأصمعي قد اعتمد في حكمه على مقولة حسّان إذ قال ((طريق الشعر إذا ادخلته في باب الخير لان، ألا ترى أنّ حسان بن ثابت كان عَلا في الجاهلية والإسلام ، فلما دخل شعره في باب الخمر -من مراثي النبي ﷺ وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم- لاَنَ شعره. وطريقُ الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس، وزهير، والنابغة، من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الحمر والخيل والحرب والافتخار فإذا دخلته في باب الخير لان))[٧٨٠].

ولعل مقولة عمر التي ذكرناها هي التي جعلت ابن سلاّم يستند إلى ذلك في ظاهرة إلابتعاد عن قول الشعر وضعفه في صدر الإسلام[٧٨١].

إلاّ أننا نرى أن بلاغة القرآن وأسلوبه المعجز أذهل الشعراء وأخرسهم وهو أمرٌ ادّى إلى الإنصراف عن الشعر وهذا المذهب هو الذي أرتآه ابن خلدون بقوله ((بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي مما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في

---

(٧٧٧) طبقات فحول الشعراء: ١٢/١.
(٧٧٨) المزهر ١٥٨/١.
(٧٧٩) الإستيعاب:٤٠٤/١. وينظر : اسد الغابة ٩/٢.
(٧٨٠) الموشح: ٨٥.
(٧٨١) ينظر طبقات فحول الشعراء ٢٥/١.

النظم والنثر زماناً ثم استقر ذلك وأوسد الرشد من الملّة ولم ينزل الوحي من تحريم للشعر وحظره، وسمعه النبي ﷺ وأثاب عليه فرجعوا حينئذ إلى ديدنهم منه...))(٧٨٢).

وحينما نتمعن فيما ذهب إليه ابن خلدون فاننا نجد القرآن الكريم كان عاملاً قوياً مساعداً على قول الشعر،وهو على هذا المستوى الرفيع المعجز من البلاغة ولاغرو من أن يفيد الشعراء من معانيه وأسلوبه ويتبارون في الوصول إلى حدٍّ معيّنٍ من مستواه البلاغي والفني. ((وإذا صح ان العرب اعترتهم الدهشة من النظر في أسلوب القرآن الكريم ونظمه، فسكتوا عن قول الشعر، وصرفوا اهتمامهم عنه فمن أين جاءنا هذا الشعر الكثير الذي قيل في الفترة نفسها))(٧٨٣) وهذا الكلام الذي نقول أيّده ابن خلدون نفسه بقوله ان ((كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهليين في منثورهم ومنظومهم. فاننا نجد شعر حسّان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والحطيئة وجرير والفرزدق ونصيب... ارفع طبقة في البلاغة بكثير من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم، وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد))(٧٨٤).

ويذكر السبب في ذلك ((ان هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن إلاتيان بمثليهما، لكونهما ولجت في قلوبهم ونشأت على أساليبها نفوسهم فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة عن ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة، ولانشأ عليها فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة، وأصفى رونقاً من أولئك، وأوصف مبنى وأعدل تثقيفاً مما استفادوه من الكلام العالي الطبقة))(٧٨٥).

فابن خلدون الذي بدأ كأنه متناقض، يؤكد أن أدب عصر صدر الإسلام قد ارتقى وتفوق عن شعر ماقبل الإسلام ، وهو يرى أن مستوى شعر صدر الإسلام لم يضعف ولم يهبط. ولكنه يقول بتوقفه وانصراف العرب عنه(٧٨٦) ويقصد من ذلك الفترة المبكرة للإسلام حين وجه العرب اهتمامهم برواية أخبار الدعوة الإسلامية والفتوح ومن ثم سكوتهم عن النظم في الاغراض التي اعتادوا عليها ردحاً من الزمن.

ونخلص من هذا إلى أن ماقيل لم يمس موقف الإسلام من الشعر ويبدو أن ابن خلدون قد وفق فيما ذهب إليه، وكان أكثر قرباً من الحقيقة، فيرى الانبهار بأسلوب القرآن الكريم أدّى إلى ركود الشعر وحالته التي آلت إليه من الوصف، فالأسلوب القرآني هو معجزة النبي ﷺ يتحدى بها أرباب البيان من قومه الشعراء وغيرهم وليدعوا من شاءوا من دون الله ليعينهم على مواجهة التحدي. قال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾(٧٨٧)

---

(٧٨٢) مقدمة العلامة ابن خلدون: ٣٦٠.

(٧٨٣) م.ن : ٣٦٠.

(٧٨٤) مقد مةالعلامة ابن خلدون ٣٦٠.

(٧٨٥)مقد مةالعلامة ابن خلدون ٣٦٠

(٧٨٦) في أدب الإسلام : ١١٣.

(٧٨٧) سورة الاسراء/٤٨

ويقول: ﴿أم يقولون افتراه، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين﴾[788] وقال جل شأنه: ﴿وإن كنتم في ريبٍ مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين﴾[789].

إذن فلابد للمسلمين من أن يتأملوا في هذا الأسلوب، والتأمل يشمل ذلك الانقلاب الفوري الذي شمل الحياة كلها. وقد أدى ذلك إلى أن يخرس الشعر لبعض الوقت ويترتب على هذا ضعف أو ركود الشعر بسبب توقف الرواية. ولم يفت ابن خلدون المقارنة بين ازدهار الشعر في عصر ماقبل الإسلام وما آل أمره في صدر الإسلام ، فقد قادته تلك المقارنة إلى تلك النتيجة.

والحق أن المسلمين شُغِلُوا بنشر الدعوة الإسلامية والدفاع عن العقيدة. وابن سلاّم لم يشر إلى موقف الإسلام من الشعر إلاّ أنه حاول ان يجد مسوّغاً لضعف الشعر وقلته فبيّن أن ترسيخ دعائم الدين الجديد هو الذي صرفهم عن النظم ورواية الشعر مع علمنا أن الرواية هي المصدر الرئيس لنقل الشعر القديم.

والحقيقة الواضحة أن الإسلام لم يصادر الشعر ولم يعجز عن النفاذ إلى أعماق نفوس العرب، وان مكة لم تخلُ من الشعراء وان الإسلام لم يحمل العرب على الانشغال عن الشعر وروايته، بل أن الجهاد نفسه، الذي يرد إليه هذا الانشغال، كان من أهم عوامل إذكاء جذوة الشعر على ألسنة المجاهدين سواء في الغزوات أو في الفتوح ويمثل ذلك شعر الفتوح وما نطالعه في السيرة النبوية وكذلك في وقائع الفرق الإسلامية على اختلاف مذاهبها واتجاهاتها.

وقد يكون قتل عدد كبير من رواة الشعر وحافظيه أيام الفتح سبباً في تدني مستوى الشعر فضلاً عن ضياع نصوص شعرية. وهذا لاريب فيه إذ شكل أزمة فنية وموضوعية للشعر الذي لم يبق من رواته وحفظته كثيرون ومن ثم ذهب جلّه ولم يبق إلاّ اقلّه[790].

فهذا النص يفصح على أن الناس لم ينصرفوا عن قول الشعر وإنما كان انصرافهم عن روايته. ولاريب في أنه يفصح عن قلة شعر عصر صدر الإسلام وعلى الرغم من كثرة ماقيل فيه ضاع معظمه ولم يحفظ العرب الاّ القليل منه، ويرى ان شعر صدر الإسلام انحسر بسبب الجهاد والدعوة للإسلام وتشاغل العرب عن سماع الشعر وحفظه.

ويبدو أن ضعف الشعر في صدر الإسلام كان يعني ذهاب دوافعه وهي كانت بالجاهلية أثرى، وذهاب مضامينه أيضاً ومعانيه وسمو خياله، وقوة ادائه وصدق تجاربه، ولم يعنِ -بالطبع- اندثاره أو قلة المروي منه أو عجزه عن المشاركة في الأحداث الخطيرة الدائرة. وإذا تتبعنا الاشعار التي وردت في السيرة بأجزائها الاربعة

---

(٧٨٨) سورة هود: ١٣.
(٧٨٩) سورقة البقرة:٤٣.
(٧٩٠) الشعر الأموي، ٣٣-٣٤.

وفي الأغاني وفي دواوين الشعراء الإسلاميين وكتب التراجم والتاريخ نجد سرعة الانفعال وهي السمة الغالبة عليها وهذا أمرٌ يفضي إلى لون الخطابية والتقريرية المباشرة، وإذا نظرنا إلى الدراسات النقدية الحديثة فأننا نجدها -فعلاً- قد اتكأت على الآراء القديمة التي ذكرناها، واتخذت منها مادة ثرية للنقاش والجدل، فتعددت آراؤهم وتباينت، فمنهم من يرى أن الشعر الإسلامي قد ضعف ويرجع الدكتور يحيى الجبوري ذلك إلى ((أسبابٍ خارجة عن أمر الدين، وأن الشعر بقي في أكثر أحواله بعيداً عن أمور الدين))(٧٩١) و أكد أن الإسلام كان بريئاً مما نسب إليه من وقوفه بوجه الشعر والشعراء ،بل كان سلاحاً قوياً من أسلحة الجهاد شهره الإسلام بوجه خصومه، وإن الشعراء كانوا في طبيعة المجاهدين في سبيل الله بسيوفهم وأشعارهم (٧٩٢).

وهذا فيما يبدو أدّى إلى ازدهار الشعر في الأغراض ألتي اتيحت له أن يعبّر عنها وهي بلا شك الأغراض التي تخرج عن المضمون الديني، لذلك كان ((الشعر سلاحاً من أمضى الأسلحة في المعركة الوثنية والتوحيد، وأنه ظل محتفظاً بكل سلطانه على وجدان العرب لم يعطله انشغالهم بالفتوحات ولم يفقد البيان سحره في قوم آمنوا بدين معجزاته بيانية باهرة))(٧٩٣).

وهناك فريق آخر يفسّر الركود والضعف الذي أصاب الشعر الإسلامي ويرى أن الدين سببٌ مباشراً في ذلك. ويبدو أن محمد نجيب البهبيتي خير من يمثل ذلك، فقد نشر كتابه تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري وعرض فيه بايجاز لضعف الشعر في عصر صدر الإسلام على انه منطوق صحيح(٧٩٤) ويعزو ذلك إلى أن العرب كانت تبهرهم الكلمة الجميلة،فقد أخذهم القرآن بجماله فشغلوا به وسكت الشعراء يستمعون إلى كلمة الله(٧٩٥). ولأن الرسول ﷺ اتهم بأنه شاعر، وان القرآن هو نتاج هذا الشاعر، صارت نظرة المسلمين إلى الشعر والشعراء نظرة تأمل وتريّث. فأصاب الشعر من ذلك ((مأصاب جميع التقاليد الجاهلية التي حاربها الإسلام))(٧٩٦) فلمّا قوي الإسلام بقيت واحة الشعر قويّة في نفوس القوم فتناسوه وامتنعوا عن رواية الشعر ماكان منه في هذا القبيل(٧٩٧) وهذا في نظر البهبيتي أدّى إلى انحدار مستوى الشعر فنيّاً. ويرى أن ((الشعر يذهب هذا المذهب الضعيف في طور شيخوخته فأرخصه في ذلك وحطّ من مستواه القديم))(٧٩٨).

ويرى البهبيتي أن ((ضعف الشعر في صدر الإسلام نظرية صحيحة والعرب قوم ذو لسن وذوق قولي ممتاز فلم يلبثوا أن أخذهم بجماله، كما أخذتهم الدهشة تلك

---

(٧٩١) ينظر : الإسلام والشعر، (الجبوري) ، ٢٨-٢٩.
(٧٩٢) ينظر :م.ن:١١
(٧٩٣) قيم جديدة للأدب العربي: ٦٧.
(٧٩٤) تاريخ الشعر العربي: ١١٣.
(٧٩٥) م.ن: ١١٣.
(٧٩٦) م.ن: ١١٣.
(٧٩٧) م.ن: ١١٣.
(٧٩٨) م.ن: ١١٤.

الشريعة الكاملة المبرأة من النقائض التي كانت تصيب الشرائع الأخرى، فشغلوا بالقرآن، [٧٩٩].

وعلى الرغم من أن البهبيتي أكد ضعف الشعر في صدر الإسلام ذيّل حديثه بان العرب قد شغلوا عن الشعر وسكت الشعراء ليستمعوا إلى قول الله وحشا مابين البداية والنهاية بكلام لم يصل إلى مدارك العرب((فقال لا ريب في أن هذه الاسباب تشير إلى ضعف مستوى الشعر من الناحية الفنية. غير أن البهبيتي، قد أكد ضعف الشعر في صدر الإسلام وتطرق إلى أحداث ذلك العصر فجعلها أسباباً لاتهيء على قول الشعر ويرى أن الأحداث سلبت الشعر من فحوله بسبب التقلقل السائد في عصر صدر الإسلام وموازنة بكبار شعراء عصر ماقبل الإسلام [٨٠٠]. ويؤيده في ذلك الدكتور عبد القادر القط الذي ذهب إلى أبعد من ذلك لأنه مع تأكيده ضعف المستوى الفني لشعر صدر الإسلام يرى أن هذا الضعف بدأ على حد قوله قبيل الإسلام ، إذ يقول: ((إن الضعف الذي لاحظناه على الشعر الإسلامي كان قد بدأ في الحقيقة قبيل الإسلام - كان قد انقضى عصر الفحول، ولم يبقَ منهم إلاّ الأعشى الذي مات -كما تقول الرواية- وهو في طريقه إلى النبي ﷺ ليمدحه ويعلن إسلامه، ولبيد الذي كان قد بلغ الستين وأوشك أن يكفّ عن قول الشعر. ولم يبق عند ظهور الإسلام إلاّ شعراء مقلّون بعضهم مجيد في قصائد مفردة ولكنهم لايبلغون شأن هؤلاء الفحول))[٨٠١] فالقط يسقط في قوله هذا جميع الشعراء المخضرمين من قائمة الفحول، ويؤكد ضعف شعرهم وهو بهذا يخالف جل النقاد والمحققين العرب. والحق أن الكلام حول غياب الفحول في عصر صدر الإسلام لنا عليه تعليق آخر وهو أن الفحول الكبار قد عاصروا الدعوة منهم حسان بن ثابت و كعب بن زهير والحطيئة، ولبيد والأعشى وغيرهم فضلاً عن فحول ذكرهم الأصمعي في كتابه فحولة الشعراء. ولذلك لانعتقد أن من أسباب ضعف الشعر غياب الفحول عن الساحة الأدبية . بل إن الحدث الإسلامي حدث نوعي بدّل البيئة والفكر وطبيعة التعايش الانساني في الجزيرة. فسكت الفحول انتظاراً للدافع الذي يدفعهم، إلى قول الشعر، وقد كان في عصر بني أميّة، إذ عادت القبيلة العربية والعصبية القبلية فظهر الفحول مرّة أخرى كالفرزدق وجرير والأخطل وغيرهم. إذن فالذي غاب في عصر صدر الإسلام أصوات الفحول فقط ،لأننا لو تفحصنا أصوات شعراء صدر الإسلام -المعارض والمؤيد- لما وجدنا مايرقى منه إلى شعر شعراء الطبقة الأولى من عصر ماقبل الإسلام من حيث الشاعرية والموهبة والإبداع ورسم الصور الشعرية، إذ ان حسّاناً الذي كان يعد من الفحول متهم بضعف الشعر عند بعض النقاد، وذلك لأن الأغراض التي اعتاد الخوض فيها قيّد الإسلام قسماً منها فقد ((أخضع الشعر لعدّة قيود وأصبح الشاعر ملزماً بتمجيد الدعوة الجديدة والسير في ركابها وحين حاولت فئة من الشعراء الخروج من هذا

---

(٧٩٩) تاريخ الشعر العربي: ١١٣.

(٨٠٠) ينظر: تاريخ الشعر العربي ١١٤.

(٨٠١) في الشعر الإسلامي والاموي: ١٣.

الصمت الذي اختطه الإسلام وباعدت الطريق الذي رسمه للشعراء تعرضت للعقاب من قتل وسجنٍ وتهديد))[٨٠٢]. إلاّ أن هذا لم يمنع أن يكون حسّان من فحول الشعراء فقد كان ((سمح القريحة عظيم الإعتداد بنفسه وبشاعريته، فكان يرسل الشعر حين تدعوه دواعيه إرسالاً ولايبالي معه، أن يكون ماقد يؤخذ عليه، كان الشعر حقلاً هو صاحبه أو جواداً هو راكبه وأنه سبق الشعراء إلى مناهج الإسلام)) [٨٠٣] أمّا قول الأصمعي بلين شعر حسان ((لدخوله في باب الخير والرثاء) فهو مردود، الاّ إذا قصد بالليونة والضعف البعد عن المبالغة والغلو والجنوح إلى الكذب وترك الإفتنان في القول والإتجاه إلى المعاني الجاهلية، وتزيين الباطل وتحسين اللذات كما كانت عادة الشعراء، وكما عرف عندهم من أن أعذب الشعر أكذبه وهو عندئذ إدّى إلى الحق والصوّاب))[٨٠٤] مع علمنا أن العمل الفني عالم قائم بذاته يجب الحكم عليه من داخله وليس من خلال معايير أخلاقية خارجة عنه. فضلاً عن أن الإبداع الشعري لايحصر بموضوع ما. كما أنه لادخل البتة للاعتبارات الأخلاقية والدينية بقوته أو ضعفه. فالقوة والضعف ((مردّهما إلى طبيعة الشاعر وموهبته أو صدق عاطفته، وكما تنفعل النفوس بعوامل الشر تنفعل بعوامل الخير. وقد يصل انفعالها بأسباب الخير أقصى درجاته فيرتفع شعرها إلى اسمى ذورته))[٨٠٥].وفي هذا القول نظرة صائبة ووجيهة تؤدي الموهبة الدور المهم في تحقيقها.

ويرى أحمد الشائب أن ضعف شعر صدر الإسلام سببه ((الارتجال أو الإنتحال، أو الضعف الأصيل في طبيعة الشاعر أو كذب عاطفته))[٨٠٦]. وقد يعود الضعف إلى قول المغمورين الذين أقبلوا على إنشاد الشعر في هذا العصر[٨٠٧]. وإذا أخذنا بالضعف الفني لشعر حسّان الإسلامي فا نما يحمد له أنه شاعر نذر نفسه وشعره للإسلام، ونهض بدور إيجابي فقال في إعلاء كلمة الحق والإسهام في انتصاره على الباطل، وبهذا نال بجدارة لقب شاعر الرسول ﷺ وفي هذا اللقب منحى نقدي مهم نال به حسان شهرة على معاصريه فقد كان يقدّم انتصاره ، على الباطل على سائر الشعراء فينتدب لهجاء المشركين وردّهم والذود عن أعراض المسلمين، وقد كان الحكم الفصل بين الشعراء في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه وقد ((فضل حسّان على الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي ﷺ في ايام النبوة ،وشاعر اليمن كلها في الإسلام))[٨٠٨].

وقد اجمع كثيرون على أنّه لو قال شاعر العرب كلها في الإسلام لأصاب[٨٠٩].

---

(٨٠٢) ينظر: الأغاني ٣/٤.

(٨٠٣) م.ن ٣٢٧/٩.

(٨٠٤) حسان بن ثابت، (درويش) ٥٠٩.

(٨٠٥) حسان بن ثابت:٩٠.

(٨٠٦) تاريخ الشعر السياسي: ٩٠.

(٨٠٧) الأدب العربي في الجاهلية والإسلام : ٦٩.

(٨٠٨) اسد الغابة ٩/٢ والإصابة ٤٨٨/١ الإستيعاب ٤٠٢/١

(٨٠٩) الشعر والشعراء ٦١ والأغاني ١٦٦/٢، ٣/٤، ٣٢٧/٩ وبلوغ الأرب ٢٥/١ وتهذيب التهذيب ٤٧٢/١-٤٧٣.

والحق أن مقولة الأصمعي قد كان لها صداها في دراسات المحدثين مع اتفاقهم أن هناك ضعفاً وليناً في بعض إسلامياته ولكنهم يعزون ذلك إلى ماوضع فيه من نحل. فهذا الأستاذمحمد إبراهيم جمعة يرى أن((من يتعمق في ديوان حسّان يجد أن فحولة الشعراء لم تفارقه في جاهليته وإسلامه وفي فخامته وعذوبته، ولاشك في أن مايظهر من لين وضعف في بعض إسلامياته ليس أصيلاً في فنّه وإنما هو عارض ساقته ظروف طارئة أو منحول دُسَّ عليه لغرض ديني أو فكاهي))(٨١٠) في حين ذهب الدكتور شوقي ضيف إلى أن شعر حسّان الإسلامي ((كثر الوضع فيه وهذا هو السبب فيما يشيع في بعض الأشعار المنسوبة إليه من ركاكة وهلهلة لا لأن شعره لان وضعف في الإسلام كما زعم الأصمعي، ولكن لأنه دخله كثير من الوضع والإنتحال))(٨١١) وهذا رأي نراه وجيهاً غير أن الدكتور عبد القادر القط يرى أن حساناً ((لايمكن بحالٍ أن يعد من هؤلاء الفحول، فهو دونهم في الموهبة والقدرة اللغوية وسعة التجربة وصدق الملاحظة))(٨١٢).

والحق أنه قد أثبت عكس ذلك في الجاهلية، وإن كان دون فحولها. المهم أنه قد كان رائد التعبير الفني عن الحياة الإسلامية الجديدة، وانه فتح أبواب القول لشعراء الإسلام .

أما في عصر صدر الإسلام فقد كادت الدراسات تجمع على أنه شاعر العصر الإسلامي من دون منازع وفي كل الأغراض والميادين وحتى في الناحية الفنية. استحق أن يكون شاعر الرسول ﷺ والحكَم بين الشعراء في العصر الراشدي ومستشار الخلفاء (رضي الله عنهم) لذلك فقد فاق معاصريه مع مابدا عليه من لين لفتور الشعر في هذه المرحلة وغياب أصوات الفحول الذين يناهزون بمواهبهم وقدراتهم الشعرية ماتفتقت عليه.

ولعل اهتمام الرسول ﷺ بحسان وشعره به حاجة إلى دراسة متأنية وموضوعية لأن مثل هذا الاهتمام قضية نقدية مهمة في ذلك العصر. وعلينا أن نميز بين الناحية الفنية والموضوعية لأن شعر صدر الإسلام من الناحية الفنية قد
اختلف نوعاً -كما يبدو- ولم يرقَ إلى المستوى الفني الذي وصل إليه شعر ماقبل الإسلام .

فيما ذهب محمد عبد العزيز الكفراوي إلى أن هناك دواعي لقول الشعر منها الخمر والغزل والهجاء والفخر إلى ماهنالك وهذه دواع نهى الإسلام عنها ومن ثم زال الشعر الجيد عن المسرح الأدبي ((ولعل ذلك كان سبباً في ضعف الشعر العربي

---

(٨١٠) حسان بن ثابت ٣٧
(٢) تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي): ٨١. (١)حسان بن ثابت٣٧؟
(٨١٢) في الشعر الإسلامي والاموي ٣٣

بضعف الدواعي إليه))[٨١٣] وذهب إلى أن الشعر انتهت الحاجة إليه باستقرار الإسلام [٨١٤].

ويرى الدكتور علي كاظم أسد ((أن ضعف شعر حسان في الإسلام فيه نظر لأن الضعف مصطلح ابتدعه الأصمعي ولم يحدد مفهومه فما معنى (الضعف) ثم أن حسّاناً قد واجه حياة جديدة فلابد من أن يتغيّر شعره ولم يلن ولم يضعف))[٨١٥].

وهذا هو الصواب لأننا لم نجد مايشير إلى موقف الإسلام من الشعر فما بين أيدينا رأي في قوة الشعر وضعفه، فضلاً عن ملامح موازنة بين شعر ماقبل الإسلام وشعر صدر الإسلام . فقد سمّي شعر ماقبل الإسلام شعر الفحول.

ويبدو من دراستنا أن الإتجاه الأول الذي برّأ الدين من ضعف الشعر هو الصواب. وإذا انعمنا النظر في هذه الدراسات –وهي من دون شك كثيرة ومتنوعة- فإن الأمر قد يدخلنا في معمعة الخلافات ويطول بنا الحديث وتجنّباً للحشو والتكرار، فأننا نلحظ أن الإسلام لم يقف في وجه الشعر بدليل ماجاء في القرآن الكريم ﴿والشعراء يتبعهم الغاو ون الم ترَ انهم في كل وادٍ يهيمون الاّ الذين آمنوا وذكروا الله كثيراً..﴾ [٨١٦]

وجاء في تفسير ابن كثير أنه بعد أن نزلت هذه الآية توجه شعراء الأنصار: حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك إلى الرسول ﷺ وهم يبكون قالوا: ((قد علم الله حين أنزل هذه الآية إنا شعراء فتلا النبي ﷺ ﴿الاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قال: أنتم و ﴿ذكروا الله كثيراً﴾ قال: أنتم و ﴿انتصروا بعدما ظلموا﴾ قال: أنتم)) [٨١٧]. إذن القرآن الكريم لم يناصب الشعر العداء ولكنه أراد استثمار الشعر ليكون سلاحاً مسخّراً في سبيل الدعوة الإسلامية . وهذا الموقف القرآني هو نفسه الذي انطلق منه الرسول الكريم ﷺ ومن بعده الخلفاء الراشدون. وتشير الاحاديث النبوية التي قيلت في الشعر والشعراء إلى استحسان الرسول ﷺ الشعر واجازته سماعه موجّهاً إيّاه لخدمة تعاليم الإسلام .

فالرسول ﷺ أراد توجيه كل شيء ورثه الإسلام من الجاهلية توجيهاً صحيحاً سواء أفاد الإسلام أو لم يفده. المهم انه وجّهَ العادات والتقاليد توجيهاً سليماً وجردها مما علق بها من أوضار. والشعر عادة جاهلية جرّدها من كثير ولكن العرب كانت تتحرج بعد الإسلام من الانطلاق انطلاقاً فنياً، فضعف الشعر تقريباً والا فان القرآن الكريم لم يقل لهم لاتقولوا شعراً.

---

(٨١٣) الشعر العربي بين التطور والجمود: ٤٠.
(٨١٤) م.ن: ٤١ واستقرار الإسلام بدأ في عهد الخليفة عمر غير أن البهبيتي رأى ان مستوى الشعر الفني عاد فارتفع في عهد الاستقرار الحضاري عصر الدولة الاموية وينظر: تاريخ الشعر العربي: ١١٥.
(٨١٥) التقدير النحوي في كتب التفسير: ١٧.
(٨١٦) سورة الشعراء ٢٢٤-٢٢٧
(٨١٧) تفسير ابن كثير ٤٧٢/٢ ومختصر ابن كثير ٦٦٤/٢.

أمّا كون الشعر محظوراً على الرسول ﷺ فهذا أمرٌ يخص الرسول ومكانته الخاصة ووضعه وبيئته وشبهة اشتباك الظن على أنه هو مؤلف القرآن الكريم، إذ قال شعراً أو تمثل به حتى ان روى البيت أو تمثل به رواه مكسوراً فقال أبو بكر ﷺ في ذلك. أشهد أنّك كما قال الله﴿ وما علمناه الشعر وماينبغي له ان هو الاّ ذكر وقرآن مبين ﴾ (٨١٨) فلا يجوز للرسول أن يقول شعراً أو يتمثل به لئلا تتقول الكفّار على القرآن الكريم وتستفيد فرصة لهذا فان شهر عنه هذا أو ان الكفّار بالغت به فانه قد يبعث الناس على تصديقهم في أنّه شاعر ويستطيع ان يقول الشعر والنثر وغيرهما فهو مع امتناعه عن قول الشعر ونهي الله عنه لم يسلم ان قيل عنه إنه شاعر وأن القرآن شعر. فكيف إذا قاله أو تمثل به؟! فهذا كله أيضاً يخص الرسول والرسالة ولاشأن لهذا بإضعاف الشعر.

وهناك دليل آخر يؤكد أن الإسلام قد وقف موقفاً مؤيداً للشعر وهو قول الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) للشعر. فقد قال سعيد بن المسيب ((كان أبو بكر ﷺ شاعراً وعمر ﷺ شاعراً وعلي ﷺ أشعر الثلاثة))(٨١٩) وقد كانت مجالسهم عامرة بالشعراء والنقاد وكانوا (رضي الله عنهم) ينشدون الشعر سواء جاهلياً كان أم اسلاميّاً الذي يتضمن آراء وأفكاراً وحكماً وصوراً أدبية لاتتعارض مع المضمون الديني. فضلاً عن حثهم شعراء الدعوة الإسلامية على قول الشعر والرد على خصومهم من الشعراء المشركين.

ولاننسى ماللظرف الجديد من أثر في ازدهار الخطابة فأثر هذا في الشعر حينما عظم شأنها، فهي المنفذ المناسب لمقتضيات المرحلة الجديدة ، لأنها تحتاج إلى أبسط الحقائق، ولها القدرة على الإقناع وتقديم الحجج والبراهين. لذا نجدها دبّت في حياة الإسلام وتعاليم الدين الجديد، وَسَرَتْ في مظاهرها ونواحيها كافّة، فقد كان هناك تأثير كمي ونوعي شمل الألفاظ والمعاني، والأساليب وطرائق الإقناع والبراهين، إذ ان الخطابة أسهل وأسرع وقعاً لخلوها من الوزن والقافية اللذين يقيّدان الشاعر، ومن هنا كانت سلاحاً من أسلحة الرسول ﷺ والصحابة (رضي الله عنهم) أجمعين.

وقد كانت رسل النبي ﷺ وبعض خلفائه وعماله خطباء لما للخطابة من إسهام في استنهاض ألهمم وجمع الاشتات، وغرس القيم الجديدة والتنفير من القيم البالية العصبية المرفوضة. والحق أن الشعر ذهل عنه بعد فتح مكة، وبعد أن أسلم كثير من الشعراء فتشاغلوا بأمور الإسلام .

فأصبحت بذلك الخطابة منفذ السياسة والمفصح عن رؤية الدولة الإسلامية الجديدة.

وقد اعتمد المسلمون الخطابة لأن الظرف الجديد هو الذي اقتضاها لكثرة المقتضيات والاّ هل كان الشعر أكثر وضوحاً وأقدر على التحليل من الخطابة قبل الإسلام ، ومع علمنا أن النثر عامة أقدر

---

(٨١٨) ينظر : السيرة النبوية ٣٠٩/٤ والآية في سورة يس ٦٩.

(٨١٩) العقد الفريد ٢٨٣/٥، للاستزادة عن قولهم الشعر انظر: العقد الفريد ٢٨٣/٥، والفرج بعد الشدة ٤٣٥/١ ومعجم الشعراء: ٢٥٤ وزهر الآداب ٣٤/١، ٤٠، ٤٦، والعمدة ٣٣/١-٣٥، والروض الأنف ٢١٨/١. والبداية والنهاية ٤١٣/٤ .

على الخوض بالتفصيلات وبسط الحقائق من الشعر، لأن للشعر ظرفاً خاصاً وللنثر ظرفاً خاصاً، ومن وضع النثر موضع الشعر اخطأ وجانب الصواب، ومن وضع الشعر في موضع الاقناع والتحليل والتفصيل لم يبن. وهناك من يذهب إلى ان للخطابة مكاناً لايستطيع الشعر ان يسد مسده، بعد أن كان الشاعر في عصر ماقبل الإسلام ((يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيّد عليهم مآثرهم ويفخّم شأنهم، ويهوّل على عدوّهم ومن غزاهم ويخوّف من كثرة عددهم ويهابهم شاعرُ غيرهم فيراقب شاعرهم، فلمّا كثر الشعر والشعراء، واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوقة وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ولذلك قال الأول: الشعر أدنى مروءة السري وأسرى مروءة الدني))[٨٢٠].

فهذه مقولة أبي عمرو بن العلاء اغفلتها الدراسات ولم تعطِ أثر الخطابة والخطيب ولم تأتِ على ذكرهما في مصادرها، إذ اغفلت الإشارات النقدية التي ذكرت آنفاً في رأي أبي عمرو بن العلاء.

ويبدو أن الفتوحات ساعدت على نهضة الخطابة وتأخر الشعر، إلاّ أن ذلك لايعني ولايسجل موقفاً سلبيّاً للإسلام من الشعر وفي ذلك يقول الدكتور محمود الجادر يخيل لي ان الشواهد القرآنية نفسها ظلّت تسجل موقفاً أقرب إلى السلبية من الشعراء بوجه عام وذلك مايمكن أن نقرره دون حذر، إذا تأملنا قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ألمْ ترَ أنهم في كل وادٍ يهيمون... الاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾..فليس يخلو تقديم الآية للموقف السلبي من الشعراء على الموقف الإيجابي من ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[٨٢١] بل يوضح الدكتور الجادر قائلاً ((لم يرد الاّ من باب الاستثناء ولايمثل المستثنى معادلاً مكافئاً للمستثنى منه بأيّة حال ولعل الحقيقة التي تكمن وراء هذا الموقف تمثل في أن الإسلام نظر إلى الشعراء وإلى الشعر على أنهما يمثلان الذخيرة الثقافية التي غرسها العصر الجاهلي في العقول والنفوس، وهو كان على بيّنة من أن هذه الذخيرة كانت تضم خليطاً من القيم والمعارف والأعراف))[٨٢٢].

إلاّ أن الأمر الذي نريد أن يصل إلى الذهن هو ان الهوّة بين الشعر والخطابة لم تكن كبيرة كما يتصور، فقد كان هناك قسمٌ كبيرٌ من الشعراء الذين كانوا يذودون عن الإسلام وينشدون لدعوته ويدعون في فخرهم ومدحهم وهجائهم وفي فنون شعرهم كلها ((على أسس المباديء الإسلامية والقيم الأخلاقية التي استحثها الدين في المجتمع وعلى دعامة من الفضائل والمكارم العربية التي أقرّها الإسلام كالكرم والشجاعة والنجدة وحفظ الجوار إلى ماستحث من فضائل أخرى كالتسامح والتواضع والعدل والاحسان والخلق الحسن، وصارت هذه الأسس معايير جديدة لنقد الشعر والحكم عليه))[٨٢٣].

ولم تكن تلك القصائد بعيدة عن تشجيع الرسول ﷺ الشعراء وتوجيههم وهو أمر دفع إلى تطور النظرات النقدية ووضوح معالمها، إذ خطت خطوات واسعة استقت

---

(٨٢٠) البيان والتبيين ٢٤١/١.
(٨٢١) ملامح تراث العرب النقدي: ٨٥.
(٨٢٢) م.ن : ٨٥.
(٨٢٣) النقد الأدبي عند العرب: ٧٨.

أسلوبها ومعانيها من تعاليم الدين الجديد. وقد كان تشجيع الرسول ﷺ الشعر ((والشعراء باعثاً على ازدهار الشعر وتجويده وبالتالي [كذا] نشوء النقد الأدبي والاهتمام به))[٨٢٤].

وخلاصة القول أن شأن الشعر في صدر الإسلام لم يكن كشأنه الذي كان عليه في عصر ماقبل الإسلام وإن كَثُرَ شعراؤه وغزرت مادته وتعددت موضوعاته.

لقد أراد الإسلام أن يغير مظاهر الحياة العربية جميعها، ومنها الشعر فحدد له قيماً وغاية ومهمّة تتفق ومثله وتعاليمه، ولكنه لم يستطع مواكبتها دفعة واحدة، فخفت صوته يتأتّى لذلك إلى حين، حتى كانت الفتوح فأطلقت الألسنة وأودت بالحرج ووضعتهم في مواقف يمارسون فيها ألواناً من الشعر كانت محظورة عليهم وفتحت لهم آفاقاً واسعة وتجارب حافلة بألوان من العواطف والمشاعر. والحق أن الالتزام بفكرة معينة في اثناء كتابة الشعر توقف الدهشة أو تبعدها، وتحد من قدرة الشاعر على بلوغ ذروة فنية ساحقة وتكون بمثابة سد يحول بين القصيدة وبين الترف الفني[٨٢٥].

ويمكننا أن نضيف إلى عوامل ضعف هذا الشعر هو نتيجة لعجزهِ آنذاك عن أن يقدم للناس ماوجدوه في القرآن الكريم، إذ أدّى انبهار الشعراء وغيرهم بالمعجزة القرآنية فضلاً عن النظر إلى الشعر على انه أحد تقاليد الجاهلية وكراهة الشعر والشعراء بعد اتهام الرسول ﷺ بأنه شاعر مختلط العقل ودفع القرآن الكريم هذه التهمة عنه، والرقابة الصارمة على أغراض الشعر، وتبدل المثل الأعلى للبيان وتحوله عن الشعر إلى الخطابة ويمكننا أن نضيف إلى هذه العوامل الالتزام الذي فرضه الشعراء على أنفسهم مؤمنين ومشركين وهو أمرٌ جعل كلا الفريقين يسارع بتسجيل الصراع بينهما حتى خلفوا لنا من النقائض شيئاً كثيراً فغلب على شعرهم روح المناسبات، ومثل هذا الشعر يتسم بلون من التكرار والسرد والتسجيل وضياع صورة الشاعر، وانغلاق دائرة فنه وفرض موضوعه، إذ كرر الشعراء طرائقهم ومناهجهم في قصائدهم كما تتسم أغلب القصائد بلون التفكك[٨٢٦]. ولاشك في أن المسارعة بالنظم من دون تغيير في الشعور تبدي حدّة هذا الشعور، هذه الحدّة التي تقف حائلاً أمام الوعي والخيال وهما من الأعمدة التي يقوم عليها فن الشعر خاصة، ونخلص من هذا إلى أن الإسلام لم يناصب الشعر العداء بل إنه -اي الإسلام- قد ارتأى الشعر ليكون سيفاً مسلطاً في سبيل الدفاع عن الدعوة الإسلامية والدين الجديد.

وقد ذهب الباحثون إلى أن الشعر ضعف ولم يناقش معنى الكلمة (الضعف) التي اصبحت قضية مثارة للنقاش، لذلك يجب أن نعرف مامعنى الضعف؟ هل هو مصطلح له مفهوم محدد أم هو سمة؟ فما تعني؟ وهل هو تبدل المضامين؟ وهل هذه المضامين أدّت إلى تغير وجه الشعر؟ ولم تكن لجد تها باعثة على الشعر أم كانت تقريرية وهل فشل الشعر في تصوير عصر صدر الإسلام فالإجابة على هذه الاسئلة تقودنا توّاً لمعنى الضعف وعندي ان الضعف يتمّثل في هبوط الشعر وانخفاض مستواه من الناحية الفنية بشكل ملحوظ ((على الرغم من الأحداث الجسام والأفكار الروحية، والسامية السائدة ،والأو ضاع الاجتماعية والاقتصادية التي انقلبت رأساً على عقب في ذلك العصر، ورغم كل هذا لم ينظم شعر المسلمين في عصر صدر الإسلام شيئاً يفتخر به من حيث القيمة الجمالية))[٨٢٧] وهذه الأزمة هي التي

---

(٨٢٤) النظرية النقدية عند العرب: ٦٠.

(٨٢٥) مجلة الفصول الاربعة، مارس ١٩٨٠م، عذاب الركابي، ٥٥-٥٦.

(٨٢٦) ينظر: السرد الشعري، مقال محيي الدين محمد، مجلة الشهر، ١٩٦٥م.

(٨٢٧) العمدة ٢٧/١.

عاناها الشعراء في زمن صدر الإسلام . فضلاً عن الأسلوب القرآني المعجز المنبثق من نظم ألفاظه وهو الذي شده الشعراء وزعزع قيمهم الجمالية، وقد كان هذا النظم معجزاً بيانياً لايجارى إلى أبد الدهر. وعلى الرغم من حكمنا بالضعف الفني لمعظم الشعر الذي نصر الدعوة ايام الرسول(ﷺ) فإنما يحمد أصحابه على أي حال أثرهم الفعال في وقوفهم إلى جانب الحق والاسهام في انتصاره على الباطل وتعبيرهم على نحو ما عن مبادئ الاسم وتعاليمه، وعذرهم في هذا الضعف ان طبيعة الدور الاعلامي الذي انيط بهم اقتضا منهم سهولة الاداء وتقريرية المعاني.

المفاضلة بين الشعراء:

استوقفنا مصطلحات نقدية في عصر ماقبل الإسلام وعصر صدر الإسلام وهي (أشعر الشعراء) و (اشعر الناس) و (أشعر العرب) وقد اختلفت في المعنى من عصر إلى آخر ومما لاريب فيه ان الذوق قد اختلف عمّا كان عليه، والنظرة إلى الشعر اختلفت. ولاريب في أن حصول ذلك التغير هو سبب تغير الحياة وتغير الفكر والمفاهيم تبعاً لما جاء بهِ الإسلام من فكر عقيدي وإيمان راسخ أضاء للبشرية وأخرجها من الظلمات إلى النور.

وقد تغيرت تبعاً لذلك نظرة المسلمين إلى الأدب ، وتطورت عما كانت عليه في الجاهلية، ويبدو أننا قد وقفنا ازاء ذلك في صفحات هذا الفصل. ويهمّنا من ذلك المفهوم النقدي للمفاضلة بين الشعراء وبالموقف الدقيق الذي نريد معالجته مصطلح ((أشعر الشعراء)).

وإذا تتبعنا الأمر وجدنا أن الرسول الكريم ﷺ هو أو ل من أطلق عبارة (اشعر الشعراء) في عصر صدر الإسلام عند حديثه عن امرئ القيس، إذ قال: ((أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار)) وقال ((قائد الشعراء إلى النار)) وهذا الرأي نابع من تعاليم دينية إسلامية. ومع معرفة الرسول ﷺ بأشعر الشعراء إلاّ أننا نجد مناقشات أدبية بينه ﷺ وبين حسّان بن ثابت، إذ جاء في نهج البلاغة انه قد ((حدّث عوانته عن الحسن ان رسول الله ﷺ قال لحسّان بن ثابت من أشعر الناس؟ قال الزرق العيون من بني قيس، قال لست أسألك عن القبيلة، إنما أسألك عن رجلٍ واحد، فقال حسان: يارسول الله ان مثل الشعراء والشعر كمثل ناقة نحرت، فجاء امرؤ القيس بن حجر فأخذ سنامها وأطايبها، ثم جاء المتجأو ران من الأو س والخزرج فأخذوا ما وإلى ذلك منها، ثم جعلت العرب تمزّعها، حتى إذا بقي الفرث والدم جاء عمرو بن تميم والنمر بن قاسط فأخذاه، فقال الرسول ﷺ ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها، خامل يوم القيامة، معه لواء الشعراء إلى النار))[٨٢٨] وقد قصد امرأ القيس.

وقد جاء في طبقات فحول الشعراء إن حساناً سئل من أشعر الناس؟ فقال ((أشعر الناس حيّاً هذيل، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب))[٨٢٩].

ويروى أن لبيداً حينما مرّ بالكوفة في بني فهد سألوه عن أشعر الناس فقال: (الملك الضليل (يعني امرأ القيس) ثم الغلام القتيل (يخص طرفة بن العبد)ثم أبو (عقيل) ويعني نفسه[٨٣٠].

فالنص يوضح ثلاث نقاط كلها تدور في فلك الأشعر ولكنها جاءت متسلسلة من حيث المرتبة ولاغرو في أن يكون امرؤ القيس أشعر الناس في المرتبة الأولى وبهذا يكون افضلهم مكانة ومنزلة، إذ هو قمة الشعراء في نظر لبيد ويبدو أن هذا الحكم يقترب

---

(٨٢٨) شرح نهج البلاغة ١٦٩/٢، للاستزادة ينظر العمدة ٩٤/١.
(٨٢٩) طبقات فحول الشعراء: ١٣١/١ وينظر الاغاني٢٦٤/٦والعمدة٩٥/١
(٨٣٠) ينظر: الأغاني ٣٧١/١٥.

من حكم جمهور الأدباء ، ثم يأتي طرفة في المرتبة الثانية وقد وضع نفسه -اي لبيد- في المرتبة الثالثة تواضعاً ولكنه في الوقت نفسه أفضل من الشعراء الذين لم يذكرهم -ويبدو أن ذوقه الفطري ودربته وثقافته ومكانته قد أهلته إلى اصدار مثل هذا الحكم.

وكان الحطيئة ممن يفاضلون بين الشعراء. فقد سئل عن أشعر الناس. فقال: الذي قال:

ومن يجعل المعروف من دون عرضهِ يَفِرّهُ ومن لايتق الشتم يشتمِ

يعني زهيراً. ثم سئل. ثم من؟ قال: الذي قال:

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لايخيبُ

يعني عبيد بن الأبرص[٨٣١].

ويبدو أن ذلك كان حكماً ذاتيّاً نابعاً من إعجاب واستحسان الحطيئة لشعر شاعرين يشهد لهما بأنهما أشعر الناس.

فلا يخفى مدى إعجاب الحطيئة بشعر زهير إذ قال فيه ((مارأيت مثله في تكفيّه على أكتاف القوافي وأخذه بأعنتها حيث شاء من اختلاف معانيها امتداحاً وذمّاً))[٨٣٢].

وقد سأل ابن عباس الحطيئة عن أشعر الناس فأجاب ((انه الذي قال:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يَفرْهُ ومن لايتق الشتم يشتمِ

وليس الذي يقول:

ولست بمستبق اخاً لاتلمه على شعث أي الرجال المهذّب؟

((بدونه، ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرولاً، والله لولا الجشع لكنت أشعر الماضيين، وأمّا الباقون فلا شك أني أشعرهم. قال ابن عباس كذلك أنت ياأبا مليكة))[٨٣٣].

فالحطيئة أصدر حكماً نقدياً يعدَ زهير أشعر الناس وليس النابغة بدونه لولا التكسب الذي افقده ميزة أنه يقول الشعر لا عن رغبة أو رهبة. تلك الضراعة التي تفسد الشعراء ومنهم جرول فيقولون مالاصدق فيه والتي لولاها لكان الحطيئة (اشعر الماضيين)، وهو بذلك يرى أن الطمع يفقد الشعر صدقه ويقلل من مكان قائله.

---

(٨٣١) الشعر والشعراء ٣٧٣/١ والبيتان في ديوان زهير: ٣٠ وعبيد بن الابرص ٢٦.

(٨٣٢) الشعر والشعراء ١٤٣/١-١٤٤والاغاني١٩٣/٢

(٨٣٣) العمدة ٩٦/١-٩٧. وينظر: خزانة الأدب ٣٦٢/٢. والبيتان في ديواني، زهير: ٣٠ والنابغة: ٧٨.

وهذا المعيار نفسه الذي وضعه الإمام علي (عليه السلام) في أن مكانة الشاعر أو شاعريته مشروطة بالبعد عن الرغب والرهب إذن وافق حكم الامام حكم الحطيئة حكم الامام علي(عليه السلام)

وروي أن الحطيئة حضر ذات ليلة، مجلس سعيد بن العاص وكان أهل المجلس يخوضون في الشعر فقال لهم: والله ماأصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب فسأله سعيد بن العاص: من أشعر العرب؟ قال الذي يقول:

لا أعْـــدُّ الإقتَـــارَ عُـــدْما وَلكِـــنْ فقْـــدُ مَـــنْ قـــدْ رُزِئْتُـــهُ الإعـــدَامُ

وانشدها حتى أتى عليها. فقال له من يقولها؟ قال أبو داؤد الأيادي)) قال: ثم من؟ قال الذي يقول:

أفلــح بمــا شــئت فقــد يــدرك بالـــ ـــــجهل وقـــد يخـــدع الأريـــب

ثم أنشدها حتى فرغ منها. قال ومن يقولها؟ قال عبيد بن الأبرص: قال ثم من؟ قال: والله لحسبك بي عند رغبة أو رهبة إذا رفعت إحدى رجلي على الأخرى ثم عويت في أثر القوافي عواء الفصيل الصادي))(٨٣٤).

ومع أننا نجد تناقضاً في قول الحطيئة بعدّه أشعر الناس زهيراً مرّة وأبا دؤاد الأيادي مرّة أخرى إلاّ أن ذلك قد يكون عن ظرف نفسي تلازم ونفسية الحطيئة عند سماعه أحدهما، وعن سؤاله وقد تكون عن تأثر وقتي وذوق فني واءم ذوق الحطيئة وأثر فيه، إلاّ أننا نستطيع أن نقول:

ولايعني ان الحطيئة قد أغفل الشعراء الباقين فقد عرض الأربعة منهم في وصيته المشهورة وهم الشماخ بن ضرار، وضابئ بن الحارث البرجمي وامرؤى القيس وحسّان بن ثابت، وقد ذكر كلاً منهم ببيت من شعره هو الذي رشحه لمكانه الذي قسّمه له، واستحق به الحكم الذي بعث به. قالوا: ((لما حضر الحطيئة الوفاة اجتمع إليه قومه فقالوا ياأبا مليكة أو صي فقال: ويلٌ للشعر من راوية السوء. قالوا: أو صِي يرحمك الله! قال: من الذي يقول:

إذا انــبض الرّامــون عنهــا ترغنمّــتْ تـــرنُّم ثكلـــى وجعتهـــا الجنـــائزُ

قالوا الشماخ. قال: ابلغوا غطفان أنه أشعر العرب. قالوا ويحك! أهذهِ وصية؟! أو صى بما ينفعُكَ. قال: ابلغوا أهل ضابئ أنهُ شاعر حيثُ يقولُ:

لكـــل جديـــد لـــذّةٌ، غيـــر أنّنـــي وجــدتُ جديــدَ المــوتِ غيــرَ لذيــذِ!

---

(٨٣٤) الأغاني ١٦/٤٠٩-٤١٠وينظر: الشعر والشعراء: ١- ١٩٠وفي طبقات فحول الشعراء١/١٢١ جعل الحطيئة زهيراً والنابغة اشعرالعرب وحدد ذالك ببيتين أخرين والبيتان في ديوان أبي دؤاد وديوان عبيد بن الأبرص ٢٦.

قالوا: أوصِ ويحك بغير ذا. قال: أبلغوا أهل امرئ القيس أنه أشعر العرب حيث يقول:

فيالـــك مـــن ليـــلٍ كـــان نجومَـــهُ بكـــلِّ مُغـــارِ الفتـــلِ شـــدّت بيـــذبلِ

قالوا: اتق الله، ودع عنك هذا. قال: ابلغوا الأنصار أن صاحبهم اشعر العرب حيث يقول:

يغـــشَونَ حتـــى مـــاتهرّ كلابهُـــمْ لايـــسألون عـــن الـــسّوادِ المُقبـــلِ

قالو: هذا لايغني عنك شيئاً. فقل غير ما أنت فيه. فأنشد أبياتا أخرى تصف الشعر

وتصور خلق الحطيئة وشخصيته العابثة وطبيعته))[٨٣٥] الساخرة وبعد حوار نقدي سألوه من أشعر الناس ياأبا مليكة ؟ فأوما بيده إلى فيه، وقال هذا الحجير إذاطمع في خير واستعبر باكياً. فقالوا له:قل لاإله الاّ الله فانشد بيت شعر[٨٣٦].

فإذا نظرنا إلى هذا الخبر الذي لاريب من ان التناقض قد لازمه، فالحطيئة يرى أن أشعر الناس أبو دؤاد الايادي مرة وزهير مرّة أخرى، وإذا كان سياق الخبر يدل على انه أو ل من ذكر هو أبو دؤاد، فيبدو أنه يستحق التقدمة ثم يصل إلى زهير ويقول (هو أشعر الناس) ويبدو أن الحطيئة قد فنّد أيهما أشعر وفي ماذا فقد حدد القصائد التي أطلق عليها حكمه مع علمنا أن زهيراً هو استاذ الحطيئة وهما من مدرسة الصنعة المعروفة وهناك من ذكر انه إنما ذكر زهير((إنماذكر ((ليغمز عتيبة بن النهاس ويعرّض بصاحبه، وأنه لم يكن به أن يبدي رأياً في الشعر قدر ماكان به أن يعرض بصاحبه، إذ لاحظنا هذا لم نجد في الخبر تناقضاً يجعلنا على رفضه أو الشك فيه))[٨٣٧] لذلك أن أبا

---

(٨٣٥) خزانة الأدب ٢٦٣/٢-٣٦٤ للاستزادة ينظر: الأغاني ١٩٥/٢-١٩٦ والبيتان في ديوان امرىء القيس ١٩ وديوان حسان ١٢٣.

(٨٣٦)ينظر الأغاني ١٦٠/٩

(٨٣٧) في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية : ٦٥.

دوأد يستحق أن يكون أشعر الناس في نظر الحطيئة وقد فضلهُ على صاحبه وزعيم مدرسته بانزاله المنزلة الواحدة. وربما ان في قصيدة أبي دؤاد مايتناسب والحالة النفسية المسيطرة على الحطيئة وقتذاك مع علمنا أن شعر أبي دؤاد فيما يظهر من النماذج الفنيّة التي كان الحطيئة يرويها ويدرسها ويحذو عليها.

والحق أن الناقد لايستطيع مهما أوتي من موضوعية أن يحكم بين شعراء العصر الجاهلي والمخضرمين فكلهم محسن ولكن أن يقول هذا الناقد هذا أشعر وهذا أفضل العرب ،فان هذا هو الذي يجعل منه متناقضاً، فضلاً عن الظروف النفسية أو السياقات والمناسبة هي التي تضغط عليه وتجعله يطلق: أشعر وأفضل ذلك بان المصطلح قاصر لدى نقاد تلك الأيّام ثم أن الحطيئة ربّما قال هذا في شبابه وقال ذلك في شيخوخته وهكذا.

ونخلص من هذا إلى أن الحطيئة -كما يبدو- يدرك قيمة المديح في الشعر العربي إذ يرى أن الطمع والجشع يساعدان على تجويد شعر الشاعر من الناحية الفنيّة. وتلك نظرة لها شأن مهم لأنها تنمّ عن وعي الحطيئة، وملاحظاته القيّمة على القصائد التي تجعل الشعراء يتسابقون إلى المديح. وبهذا يكون الحطيئة قد أدرك أثر الدافع إلى المديح وهذا الدافع هو الطمع.

وفي كل ماتقدم من أحكام ومفاضلات اطلقها الحطيئة، فحس روح نقد عصر ماقبل الإسلام الذي يعمم انطلاقاً من الجزيئات من دون أن يتكلف التفسير والتعليل.

ونخلص من هذا كله إلى أن (أشعر الناس) ومرادفاتها قد كانت من الملاحظات النقدية المهمة التي أبداها نقاد ذلك العصر في المفاضلة بين الشعراء. ويبدو أنها ارتبطت بالمديح أكثر من غيره، فعمر فضّل زهيراً وكان أحد اسباب التفضيل ((أنه لايمدح الرجل الاّ بما فيه وانّه لايتبع حوشي الكلام ولايعاظل[٨٣٨] اما الخليفة علي ﷺ فقد فضل امرأ القيس على الشعراء لانه اسبقهم بادرة واصحهم نادرة ولايقول لرغبة ولا رهبة)) [٨٣٩] وتبعه في ذلك حسان، وقد جعل الحطيئة المديح معياراً للتفضيل فانه قد اضاف شيئاً للمفاضلة وهو (الصدق الواقعي) فالشاعر الأشعر هو الذي لايسعى إلى التكسب بدليل انه أقصى النابغة ونفسه بسبب، ذلك وفي الوقت نفسه يرى أن الطمع والجشع يدفع الشاعر إلى الإجادة بدليل قوله عندما سئل من أشعر الناس فاخرج لسانه وقال: ((هذا إذا طمع))[٨٤٠] وفي رواية انة:وحسبك بي إذا وضعت اجدى رجلي على الأخى.ثم عويت في إثر القوا في كما يعو الفصل في أثر أمه) [٨٤١]ومن النقاد الذي اشروا إلى ان الطمع يفسد الشعر الاصمعي.فقد قال حمّاد بن اسحاق:(قال لي الأصمعي وقد انشد شيئاًمن شعر الحطيئة: افسد مثل هذا لشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع) [٨٤٢]لذلك اشترط أن

---

(٨٣٨) ينظر العمدة ٩٨/١.

(٨٣٩) ينظر الأغاني ٢٧٦/١٦.

(٨٤٠) الأغاني ١٧/٢.

(٨٤١) طبقات فحول الشعراء ١٢١/١.

(٨٤٢)الاغني ١٧٠/٢.

يكون المديح دوافعه الطمع معياراً للمفاضلة بين الشعراء الماضيين. ولم يشترط ذلك لشعراء عصره لأنهُ اشعرهم كما ذكر.

ومما نستنتجه من ذلك ان النقد في عصر صدر الإسلام بدأ بخطوات واسعة تطور خلالها النقد شكلاً ومضموناً غير أن عصر الرسول ﷺ مال إلى التوجيه في مضمون الشعر ولم يعمل الجانب الجمالي والفنّي وكان تشجيعه الشعر والشعراء لضرورة عقائدية.

أمّا عهد الخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم) فقد نحا النقد فيه منحى جديداً إذ غرس بذرة النقد الرئيسة متمثلة بالموازنة والمفاضلة والتفسير الذي أضاف بعداً دقيقاً عليمّاً للنقد أصبح أساساً للدراسات ومتكأً للبحوث من عصر التدوين حتى يومنا هذا. فقد كانوا (رضوان الله عليهم) من أهل الفصاحة والبلاغة. وكانوا جميعاً يتذوقون الشعر ويتمثلون به ويدعون إلى رواية ما وافق الحق منه. وينهون عن رواية مالايوافق الحق. ناهجين في ذلك نهج النبي ﷺ في نقده للشعر. ولاريب في أن أحكامهم أسهمت في توجيه الشعر وجهة إسلامية وفتحت آفاق جديدة أمام النقد الأدبي .

الفصل الثالث
نقد النص الأدبي في العصر الأُموي
(٤٠هـ - ١٣٢هـ)

- النقد في مجالس الخلفاء وولاتهم في الامصار
- النقد في مجالس الفقهاء والعلماء والأشراف
- النقد في مجالس النساء
- المفاضلة بين الشعراء
- آراء في الشعراء
- المآخذ النقدية
- أثر اللغويين والنحاة في النقد اللغوي
- السرقات الأدبية

الفصل الثالث

نقد النص الأدبي في العصر الأموي
(٤٠هـ - ١٣٢هـ)

كثيراً ما يتفق الدارسون على أن هذا العصر هو مكمل لعصر صدر الإسلام سواء من الناحية التاريخية أو الأدبية ، وإذا كانت دراستنا هذه تعنى بالجانب الأدبي ، فضلاً عن النقدي، فإنه من الصعوبة أن نميّزَ في الأدب عصراً من آخر ،وذلك أن للأدب قيمتهُ الإنسانية الحيّة النامية التي لا تعرف فواصل الزمان وهوّية المكان، ولكنّهُ نوعٌ من الانسجام والتآلف ان صح التعبير مع قدرة الباحث المحدودة من جهة ،مع التزام الجانب التاريخي المتعارف عليه في دراسة الأدب من جهة أخرى.

ولا ريب في أن النقد الأدبي في هذا العصر قد تطور عمّا كان عليه في عصر ما قبل الإسلام وعصر صدر الإسلام في بعض نواحيه، فضلاً عن التغيّر السياسي العام الذي شهده هذا العصر ((فقد عاد الشعر إلى حياته الأولى وازدادت أبوابه اتساعاً واغراضه تنوعاً وافتناناً، وجادت معانيه، وتهذّبت ألفاظه، بعامل المنافسة وبتأثير الأسلوب القرآني الذي أخذ الشعراء ينظرون فيه ويحاول أن يحتذيه كل مزأول لصناعة الكلام))[(٨٤٣)] لذلك ارتأينا أن نتابع النقد في هذا العصر آخذين بالحسبان تعدد بيئاته وموضوعاته ومذاهبه الأدبية واختلافهاومالذلك أثر فاعل ((في الموازنة بين الشعراء وفي تقدير منازلهم، فهم يوازنون بين شاعرين من مذهب واحد أويجمعهما فن شعري وأحد أوعدة فنون.. وكانت الموازنة بين الشعراء على عدة صور، كانت في الأغراض التي طرقوها قلّة وكثرة وفي تأتيهم لتلك الاغراض، وفي قصيدتين اتحدتا في الموضوع والوزن والروي، وفي بيتين قيلا في غرض واحد فذاع أحدهما وسار وسكن الآخر وخمل، و في نوعين متميزين من القول كالرجز والقصيد و في منزلة الشاعرين وأين يوضعان)) [(٨٤٤)] إذكان ذلك كله لم يخرج عن المجالس والأسمار والأسواق الأدبية التي شهدها العصر الأموي. ولا غرو أن تضم تلك المجالس الصفوة من رجال الأدب،ولذين لهم بصر به ورأي فيشا ركون في الاستماع وا لموازنة والنقد وقد شهدت ذلك النقد بيئات عربية ثلاث: الحجاز والعراق والشام حيث ازدهر النقد الأدبي فيها، ففي الحجاز زخرت الحياة بالترف والغناء واللهو وانتشر الأدب الرقيق يرافقه النقد في نزعة تجريدية قائمة على ذوقٍ رفضتهُ الحضارةُ الجديدةُ، وقد برز في تلك البيئةِ عدد من النقاد الزهاد والفقهاء أبرزهم ابن عباس وابن أبى عتيق وسكينة وعقيلة، فضلاً عن نقد الخلفاء في مواسم الحج ونقد الشعراء الذي كان محط اهتمامهم شعر الغزل وقد نحا نقدهم تجاه ذلك فكادَ يكون ((النقد الغزلي)) في بيئة (الحجاز) هو السائد.

---

(٨٤٣) دراسات في نقد الأدب العربي د. بدوي طبانه: ١٠٧.

(٨٤٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري: ٥.

وقد يختلف الشعر في العراق عنه في الحجاز والشام في ذلك العصر بوصف العراق مركزاً رئيساً لمعارضة الأمويين في الشام ولم يكن السبب في ذلك وجود الشيعة و الخوارج ،بل كان العراق في تلك الحقبة بأكمله غير راضٍ على الأمويين، فكان الأدب معبّراً في مجمله عن سخرية وسخط ظاهرين تجاه الأمويين.

والحق أن النزعة العصبية القديمة ظهرت مرّة أخرى في العراق والشام، وأعانت على احياء روح المفاخرات والمنافرات.

فكان المربد في البصرة مثل سوق عكاظ في عصر ما قبل الإسلام وكان النقد ـ في أغلبه ـ مفاضلات بين الشعراء، وأحكاماً أشبه بالخطوات السريعة. وأقوالاً تقترب أو تكاد من التعليل. غير أن ذلك لا يعني انقطاع النقد عن حال سابقهِ في العصور السالفة، فقد كان شديد الصلة بنقد عصر ما قبل الإسلام، من حيث الاغراض الشعرية التي كادت أن تكون ـ في أغلبها ـ شبيه بأغراض ما قبل الإسلام، وعلى هذا كانت الأحكام، إلاّ أنها زادت عليها مقاييس جمالية و فنيّة، وفي الوقت الذي كثرت فيه المفاضلة بين الشعراء والموازنة والأحكام التي جرت على ألسنة النقاد بعد أن اتكأت على الذوق والشعور اللذين استندا إلى حاسة فنية أكتسبها الشاعر أو الناقد من كثرة ترداده الشعر وحفظه النصوص وممارسته الطويلة لإنشاده. مما أكسبه حاسة فنيّة مكنته من ((معرفة جميل الشعر من قبيحه وصحيح وزنه من فاسده))[٨٤٥].

ولا يعني هذا أن النقد لم يكن يخلو من أحكام نقدية مع أنه ظلّ في ((بعض نواحيه امتداداً لدعوة الالتزام، وأنه كان في بعض نواحيه حريصاً على جمال التصوير، وأنه كان كذلك حريصاً على ترسم تقاليد الشعراء الأقدمين))[٨٤٦] وفي الوقت نفسه كثر تعليل الاحكام في عصر بني أمية ومرجع هذا التعليل الروح العربية والفطرة السليمة والتذوق الشعري.

وقد نشطت الحركة الأدبية في العصر الأموي وعلت منزلة الشعر وقائليه، فقد كانت مجالس الخلفاء والولاة منتديات أدبية انتشرت فيها القصائد، وانشدت فيها الأشعار، وتبارى فيها الرواة لذكر النادر والغريب من شعر أو حديث أو خبر، وكان الخلفاء يجزلون العطاء مشجعين على ذلك فصار للرواة مجالس نقديه لها مكانة مرموقة[٨٤٧].

وقد ظهر شعراء فحول من صميم أعراب البادية يتقدمهم (الأخطل والفرزدق وجرير) من شعراء بادية العراق فضلاً عن ذي الرمة والراعي والقطامي وغيرهم. وطالما امتازت العراق ببداديتها التي لاشك في أنهاسيطرت على هؤلاء الشعراء وروحهم ومجتمعهم، التي تشبه إلى حدّ كبير حياة ما قبل الإسلام في المفاخرات والمهاجيات والعصبيات مما جعل الشعر في العصر الأموي يقترب من شعر ما قبل الإسلام ان لم

---

(٨٤٥) في نظرية الأدب ، من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم والحديث: ٦٢.

(٨٤٦) بيئات نقد الشعر عند العرب من الجاهلية إلى العصر الحديث:٦١.

(٨٤٧) ينظر: والعقد الفريد ٢٧٤/٥، الفهرست: ١٣٢.

يكن تكراراً له، فإذا كان هناك سوق عكاظ في عصر ما قبل الإسلام فقد نشأ المربد في البصرة وهذا السوق هو الذي أسهم في أزدهار فن النقائض الذي شاع في هذا العصر وكان الثالوث(جريرواالفرزدق والأخطل) هو المؤسس الرئيس له.

ولا ريب من أن توّلد النهضة الشعرية الكبيرة في العراق نقداً أدبيّاً تذوقته طوائف كثيرة متفاوتة في ثقافتها متباينة في أذواقها وأهوائها وميولها و كان للشعراء من هذا النقد نصيب يضاهي نصيب الأسد، إن لم يكن أكثر وفي الوقت نفسه أسهم الرواة والنحاة والخلفاء والأمراء وغيرهم إسهاماً فاعلا في هذا الميدان النقدي.

وتعد مجالس الخلافة الأموية من المجالس الأدبية والنقدية المهمة، فقد شجعت على ظهور حركة شعرية ونقدية خصبة حيث كانت مجالسهم مظهراً مهّماً من ((مظاهر احتفاظهم بخصائص عروبتهم وأهم تلك الخصائص حبهم الشعر وولوعهم بسحر البيان، ودرايتهم بتذوقه، وقدرتهم على نقده، وتحسس جوانب الجمال فيه، وتعرفهم أسباب ضعفه أو رداءته بفطرتهم السليمة وحسهم المرهف))[٨٤٨].

غير أن هذا لا يعني أن بيئة الشام كانت خصبة بالشعر ومزدهرة بهِ كما هو الحال في الحجاز والعراق، إذ إن اكثر ما كان يفد على الخلفاء هو شعر المديح الباعث على العطاء والجزاء.

والحق أن تشجيع الخلفاء الشعر والشعراء، ومنحهم الجائزة على ذلك أسهم إسهاماً كبيراً في وفود الشعراء عليهم وإلى الشام مما ساعد على تنوع اتجاهات النقد وتعدد صوره المختلفة.

النقد في مجالس الخلفاء وولاتهم في الأمصار :

ومن حسنات الشعر في العصر الأموي أن يواكب المسير ويواصل صلته بالشعر العربي في العصرين السابقين، فقد ظل يكتسب مشروعية وجوده وفاعليته بشكل ملموس بدءاً من راس الدولة.

---

(٨٤٨) دراسات في نقد الأدب العربي د. طبانة: ١٥.

قال معاوية بن أبي سفيان ((يجب على الرجل تعليم ولده، والشعر أعلى مراتب الأدب))[849] فهو ((يفتح العقل ويفصح المنطق ويطلق اللسان ويدل على المروءة والشجاعة))[850] آمراً بانتخاب عدد من القصائد لتعليم ابنه فانتخب له الرواة اثنتي عشرة قصيدة[851] فيما اختار عبد الملك بن مروان بنفسه القصائد السبع وهي (الا هبي بصنحك فاصبحينا) لعمرو بن كلثوم و(آذنتنا بينها أسماء) للحارث بن حلزة و(بسطت رابعة الحبل لنا) لسويد بن أبي كاهل و (امن المنون وربيبها تتوجع) لأبي ذويب الهذلي، و(أان تبدلتْ من أهلها وحوش) لعبيد بن الأبرص، و (يا دار عبلة بالجوار تكلمي) لعنترة ثم ارتج على عبد الملك وهو يختارها فدخل عليه ابنه سليمان وهو يومئذ غلام فانشد قصيدة أوس بن مغراء (محمد خير من يمشي على قدم) فقال عبد الملك: وتعصب لها (مغروها) أي أدخلوها قصيدة ابن مغراء فيها[852] ومن هذا المنطلق فقد حاول الخلفاء ((سحب نموذجية القصيدة القديمة إلى العصر لتتأسس صورة الوعي بالشعر على غرار النمط القديم لغاية

لا يمكن إغفال بعدها الايديولوجي الماثل في التعريف بالقيم العربية القديمة التي كانت الدولة الأموية أحوج ما تكون إليها عند تأسيسها واثناء استمرارها))[3] وتأسيساً على هذا فان الشعر في هذا العصر قد بدأ منذ الوهلة الأوّلى، وهو يستقي أفكاره من الشعر القديم، وأخذ يتكي عليه ويحذو حذوه وهذا يتناسب مع الدولة العربية الأموية التي ارتأت ذلك لنفسها بعد أن رفعت شعار (العرب خير أمة)، وأدركت فيما يبدو تشعب المستقبل وتعدده من جرّاء تداخل الثقافات والأجناس فحاولت اللجوء إلى الماضي بوصفه قيماً عربية خالصة وثابتة الأركان يتم الارتكاز عليها في مواجهة الموجات الوافدة الحاملة موروثاً مغايراً، وتطلعاً مستقبلياً أكثر حدة وتجاوزاً قد يطيح بكيان الدولة ولا غرو في أن تتجه الدولة الأموية اتجاهاً ما تؤسس عليه لفاعلية الشعر بما يخدم مصالحها بحيث لا تتفلّت هذه الفاعلية في سياقات أكثر تحرراً تبعد الشعر عن إطار التبعية للموروث، وعن إطار التبعية للدولة، إذ يجب الحفاظ على سلامة الشعر ونقاوته وهذا يعد حفاظاً على ملامح الدولة الأموية التي وصفها الجاحظ بكونها (عربية أعرابية)[853].

ولعل سر عدم التغيير الكبير في الشعر الأموي انّه صار يلبي طموح الحاضر ـ الماضي اكثر من طموح الحاضر ـ المستقبل أي انه تحول ـ تحت رغبة العودة إلى

---

(٨٤٩) العمدة ٢٩/١.

(٨٥٠) ديوان المعاني ١١٤/١.

(٨٥١) المنثور والمنظوم ٤٠.

(٨٥٢) م.ن: ٣٩ـ٤٠ والقصائد في شرح القصائد العشر ٣٨٠ـ٤٨٢ وديوان عمرو بن كلثوم،٧٥ـ١٠١ وديوان سويد بن أبي كاهل ٢٣ـ٣٥ وديوان الهذليين ١ـ٢١ وديوان عبيد بن الابرص ١٠ وديوان عنترة ٦٠ـ٦٦وثمة اربعة أبيات من قصيدة أو س بن مغراء في طبقات فحول الشعراء ٤٧٧/٢

(٣) التأصيل النقدي لفنية الشعر العربي قبل الإسلام (رسالة دكتوراه) ص١٧

(٨٥٣) البيان والتبيين ٣٦٦/٣.

تاريخية الانجازات الشعرية ـ نحو الماضي وظلت معاناته في استكشاف خصوصيته والتعبير عنها باتجاه تجديدي مستقبلي محدودة.[٨٥٤]

وهناك أمر آخر مهم يجب أن نذكره وهو كثرة التيارات السياسية التي ظهرت في ذلك العصر، فقد أثرت من دون شك في دوران دقّة التوجه الشعري والنقدي، لذلك اتسعت جوانب المعرفة وبرزت منطلقات رؤية جديدة، إذ امسى الشاعر يدرك أبعاد الموقف الفكري الذي هو عليه فيقدم رؤيته وفقاً لقناعتهِ حتى ان كان يمسّ الخليفة ومجلسه.

وقد جاء في كتاب الأغاني أن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت شبب ((بأخت معاوية فغضب يزيد فدخل على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين اقتل عبد الرحمن بن حسان. قال: ولم؟ قال: شبب بعمتي. قال: وما قال؟ قال قال:

طال ليلي وبتُّ كالمحزوني ومللت الثواء في جيرونِ

قال معاوية: يا بني وما علينا من طول ليلة وحزنه أبعده الله؟

قال: إنّه يقول:

فلذلك اقتربت بالشام حتى ظنَّ أهلي مرجّمات الظنونِ

قال: يا بني وما علينا من ظنَّ أهله؟ قال: أنه يقول:

هي زهرة مثل لؤلؤ الغوّا ص ميّزت من جوهرٍ مكنونِ

فقال صدق يا بني. قال إنه يقول:

وإذا ما نسبتها لم تجدها في سناءٍ من المكارم دونِ[٨٥٥]

قال: صدق يا بني هي هكذا. قال: إنه يقول:

ثم خاصرتها إلى القبّة الخضراء براء تمشي في مرمرٍ مسنونِ

خاصرتها أخذت بخصرها. قال: ولا كل هذا يا بنيثم ضحك

وقال انشدني ما قال: فأنشده بقية الأبيات.

فقال معاوية: يا بني ليس يجب القتل في هذا والعقوبة دون القتل ولكن نكفّه بالصلة والتجاوز))[٨٥٦] فمعاوية كما يبدو مدركاً لطبيعة الأمور ((فكان يحاول أن يمنع شعراء الغزل بالخديعة والمراوغة من الاستمرارية في أقوالهم الماضية التي تضر بسمعة الحكم وهيبته))[٨٥٧].

---

(٨٥٤) كتاب النقائض جرير والفرزدق ٢١١/١-٢١٣، ٨٦/٢-٨٧.

(٨٥٥) وتروي هذه القصيدة لأبي دهبل ولعبد الرحمن بن حسّان. ويبدو أن معاناة أبي دهبل العاطفية جعلته يحفظ هذه القصيدة ويرددها ولاشك أن من يسمعه يرددها يظنها له والدليل الآخر انه اقسم بالله ما قال هذه القصيدة وانما قيلت على لسانه. وقد كثرت المصادر التي روتها له فضلاً عن قصته المشهورة مع عاتكة ومراسلاته والتي طورد من اجلها والقصيدة في ديوان أبي دهبل ٦٨-٧٢ غير اننا نرجح انها لعبد الرحمن بن حسان.

(٨٥٦) الأغاني ١٠٩/١٥-١٣ للاستزادة ينظر: الشعر والشعراء ٤٨٤/١ وفيه ان عبد الرحمن انشد قولة في رملة بنت معاوية.

(٨٥٧) الشاعر الإسلامي تحت سلطة الخلافة ٩٠.

وورد في خبر آخر أنّهُ تشبب بابنة معاوية، وبعد أن دخلَ عبد الرحمن يوماً في مجلس معاوية استقبلهُ بوجههِ وحديثهِ، ثم قال معاوية ((ابنتي الأخرى عاتبةٌ عليك قال: في أي شيء؟ قال: في مدحتك أختها وتركك إياها. قال: فلها العتبى وكرامة أنا ذاكرها وممتدحها، فلما فعل وبلغ ذلك الناس قالوا: قد كنّا نرى نسيب ابن حسّان بابنة معاوية لشيءٌ، فإذا هو عن معاوية وأمره ،وعلم من كان يعرف أنه ليس له بنتٌ أخرى أنه إنما خدعة يشبب بها، ولا أصل لها فيعلم الناس أنه كذب على الأولى لمّا ذكر الثانية))(٨٥٨) فهذا الخبر سواء كان صحيحاً في نسبته أو غير صحيح، فأنه في الأساس قيل في هذا العصر وجدير بنا أن نقف عليه لأهميته في النقد.

ويبدو أن معالجة معاوية التي ابتعدت عن التشدد قد كانت موفّقة، ولكن هذا الحل لا يرضي ابنه يزيد الذي ارسل إلى كعب بن جعيل فقال: اهج الانصار. فقال: أفرق ـ اخاف ـ من أمير المؤمنين ،ولكن أدلّك على الشاعر الكافر الماهر ويعني بذلك الأخطل وروي ذلك عن الفرزدق أنه قال: ((كنا في ضيافة معاو ية، ومعنا كعب بن جعيل التغلبي فحدثني أن يزيد ابن معاوية قال له: أن بن حسّان فضح عبد الرحمن بن الحكم وغلبه وفضحنا فاهج الأنصار قال: فقلت له: أراديّ أنت في الشرك، أأهجو قوماً نصروا رسول الله ﷺ وآله وآووه، ولكني ادلك على غلام نصراني لا يبالي أن يهجوهم كأن لسانه لسان ثور قال من هو؟ قال الأخطل.(٨٥٩)

ويروى أن أبا دهبل الجمحي تغزل بعاتكة بنت معاوية بأبيات شعرية .. وقد بلغ ذلك معاو ية.. فدخل عليه يزيد ووجده مغرقاً، فقال يا أمير المؤمنين ما هذا الأمر الذي شجاك. قال أقلقني وأمرضني ما كتبه أبو دهبل من أبيات لأختك عاتكة.

قال يا أمير المؤمنين إنه قال قصيدة أخرى تناشدها أهل مكة وسارت حتى بلغتني وأوجعتني وحملتني على ما أشرت به فيه قال وماهي؟ قال قال:

ألا لا تقل مهلاً فقد ذهب المهلُ	**وما كل من يلحن محبّاً له عقلُ**
لقد كان في حولين حالاً ولم أزر	**هواتي وإن خُوِّفتُ عن حبها شغلُ**
حمى الملك الجبّار عني لقاءها	**فمن دونها تخشى المتالف والقتلُ**
فلا خير في حبِّ يخافُ وباله	**ولا في حبيبٍ لا يكون له وصلُ**
فواكبدي أني شهرتُ بحبِّها	**ولم يك فيما بيننا ساعة بذلُ**
ويا عجباً أني أكاتم حبِّها	**وقد شاع حتى قطعت دونها السبلُ**

قال: فقال معاوية: قد واللّه رقّهت عني فما كنت آمن أنه قد وصل إليها فامّا الآن وهو يشكو إنه لم يكن بينهما وصل ولا بذل فالخطب فيه يسير(٨٦٠).

---

(٨٥٨) الأغاني ١١١/١٥للاستزادة ينظر: م.ن ٣٤/١٦.

(٨٥٩) الأغاني ١١٦/١٥

(٨٦٠) م.ن: ١٤٠/٧ـ١٤١ والأبيات في ديوان أبي دهبل ٩٩ـ١٠٠.

وفي العام نفسه حج معاوية والتقى أشراف قريش وشعراءها وفيهم أبو دهبل ولما انصرفوا واختلى بأبي دهبل وبعد حوار نقديٍّ طويل تمكن معاوية من إقناع أبي دهبل في عدم العودة إلى الغزل وقد اكرمه وزوجَّه ابنة عمه(٨٦١).

ويروى أن الأخطل وفد على معاوية وبادره القول: اني امتدحك بأبيات فاسمعها. فأجابه معاوية: ان كنت شبهتني بالحيّة أو الأسد أو الصقر فلا حاجة لي بها، وإن كنت [قلت] كما قالت الخنساء.

ومـا بلغـت كـفُّ امـرئٍ متنـاول — بهـا المجـد ألا حيثمـا نلـت أطـولُ

ومـا بلـغ المهدون فـي القـول مرحـةً — وأن صـدقوا ألا الـذي فيـك أفـضل

فهات. فقال الأخطل: والله لقد احسنت وقد قلت فيك بيتين ماهما بدون ما سمعته، فانشد:

إذا مـتّ مـات الجـودُ وانقطـع النَّـدى — ولـم يبـق الأَ مـن قليـلِ مـصرّدِ

وَرُدَّت أكـفُّ الـسائِلينَ وأمـسكوا — مـن الـدَّين والـدُّنيا بخلـفِ مُجـدَّدِ(٨٦٢)

فقال معاوية ((مازادني علي أن نعيت اليّ نفسي))(٨٦٣).

فمعاوية عمد إلى توجيه الأخطل في تضمين شعره صفات معنوية جاعلاً من معاني شعر الخنساء في رثاء أخيها مثالاً يحتذيه من يريد أن يقول شعراً في المديح فتلك إشارة مبكرة للموازنة في معاني الشعر ومضامينه.

ويبدو أن معاوية كان يروق لشعر الرثاء بدليل ما ورد من خبره مع ليلى الأخيلية في أحد مجالسهِ، إذ سألها عن الشاعر توبه بن الحمير قائلاً ((ويحك يا ليلى أكان توبة كما يقول الناس ؟ قالت يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقوله الناس حقاً... قال: وما قلتِ فيه ؟ قالت ولم أتعدّ الحقّ وعلمي فيه:

بعيـدُ الثـرى لا يبلـغُ القـومُ قَعْـرَهُ — الـدُّ مُلـدُّ يَغْلِـبُ الحـقَّ باطِلـهُ

حَمـاهُم بنـصْلِ الـسّيفِ مـن كـلِّ فـادحٍ — يخافُونَـهُ حتـى يمـوتَ خـصائله(٨٦٤)

فقال لها معاوية: ويحك يزعم الناس: أنه كان عاهراً خارباً فقالت من ساعتها مرتجلة:

معـاذَ إلهـي كـان واللهِ سـيّدا — جواداً على العِلاّتن جمّاً نوافِلـهُ(٨٦٥)

فقال لها معاوية: ويحك يا ليلى لقد جزت بتوبة قدره. فقالت والله يا أمير المؤمنين لو رأيته وخبرته لعرفت أني مقصّرة في نعته فأمر لها بجائزة عظيمة وقال لها خبّريني

---

(٨٦١)الأغاني م.ن: ١٤١-١٤٢

(٨٦٢) ينظر: زهر الآداب ٩٩٤/٢. والأبيات في ديوان الخنساء ٣٢٠ مع تغيير يسير في صدر البيت الثاني وديوان الأخطل ٥٢٧ بخلاف يسير والمصرد: المقطع المقال. والخلف: مسرع الناقه. المجدد: المقطوع الاداب.

(٨٦٣) كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب: ٥٣.

(٨٦٤) ديوان ليلى الأخيلية ٧٥. للاستزادة ينظر: زهر الآداب ١٠٠٢/٤-١٠٠٤. الألد شدة الخصومة. الخصائل كل لحمة فيها عصبة.

(٨٦٥) ديوان ليلى الأخيلية: ٧٦.

بأجود ما قلت فيه من الشعر. قالت يا أمير المؤمنين ما قلت فيه شيئاً الاّ الذي فيه من خصال الخير أكثر منه لقد أجدت حين قلت:

فتــىً كانــت الــدنيا تهــونُ بأسـرها   عليـــهِ ولا ينفـــكُّ جَـــمّ التـــصرّفِ
ينـــال عليّـــات الأمـــور بهُونـــهِ   إذا هي أعيب كُلّ خِرقٍ مشرّفِ[٨٦٦]

فلعل هذا الحوار النقدي قد بيّن ميل معاوية إلى الكلام الصادق الخالي من المبالغات المفضوحة.

ومثل ذلك ما قال في عروة بن الورد[٨٦٧].

أما في العراق فقد كانت آراء الخلفاء النقدية قليلة، إذ ما ضاهيناها بآرائهم في الشام وهذا يعود إلى قلّة قدومهم العراق.

ومن تلك الشذرات أن معاوية قدم الكوفة، فقدم عليه النابغة الجعدي الذي صحب الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في صفين فقال فيه:

قـــد علـــم المـــصران والعـــراق   أن عليّـــاً فحلهـــا العتّـــاق

وعندما قدم معاويةإلى الكوفة قـام الشاعر النابغة بين يديه فقال:

إلـــم تـــأتِ أهـــلَ المـــشرَقينِ رســـالتي   وأيُّ نـــصيحٍ يبيـــتُ علـــى عتـــبِ
ملكـــتُمْ فكـــان الـــشرُّ آخـــر عَهـــدِكم   لـئن لـم تـداركُكمُ حُلـومُ بنـي حـربِ

وقد كان معاوية قد كتب إلى مروان أن خذ اهل النابغة وماله فدخل النابغة على معاوية وعنده عبد الله بن عامر ومروان فانشده قائلاً:

فمَـنْ راكـبٌ يـأتي بـن هنـد بحـاجتي   علـى النـأي والأنبـاءُ تنمـى وتُجلـبُ
ويُخبـرُ عنـي مـا أقـولَ ابـنُ عـامرٍ   ونعـم الفتـى يـأوى إليـه المعصّبُ
فـإن تأخـذوا أهلـي ومـالي بظنّـةٍ   فـإنّي لجـرّابُ الرجَـال مُجـرَّبُ
صَـبورٌ علـى مـا يكـرهُ المـرءُ كُلـهُ   سوى الظلم إنـي إن ظُلِمتُ سأغضَبُ

فكان ألتفت معاوية إلى مروان يسأله المشورة فقال: أرى ألا ترد عليه شيئاً فقال معاوية ((ما أهون والله عليك ان ينجحر هذا في غار ثم يقطع عرضي علي ثم تأخذه العرب فترويه، أما والله إن كنت لمن يرويه! اردد كل شيء اخذته منه[٨٦٨].

وهذا يدل على مهارة ونكاء ودهاء تمتع بها معاوية ليدرأ عن نفسه وحكمة وأهله المخاطر.

فلذا نجده يعالج الشعر بحكمةٍ وهدوءٍ تام وهذا يدل على نوقه المتميز للشعروفهمه ومعرفته بأهميته وكونه سلاحاً في المجتمع.

ولذا كان معاوية غير محب وغير مشجّع على التشبب والهجاء ونهى عنهما بدليل قوله لعبد الرحمن بن الحكم ((يا أبن أخي انّك شهرت بالشعر فأيّاك والتشبب بالنساء فإنّكَ تغر الشريفة في قومها

---

(٨٦٦) م.ن: ٦٥ والهونة: السهولة.

(٨٦٧) ينظر: الأغاني ٧٣/٣ـ٧٤. للاستزادة عن تمثل معاوية للشعر وتوجيهه ومحاورته للشعراء ينظر: الشعر والشعراء ٤٢٤/١ والعقد الفريد ٧٥/١ وأمالي القالي ٢٧٤/١، وزهر الآداب ٩٢٣/٢. ومعاهد التنصيص ٣٩١/١ وبهجة المجالس ١٥٥/١.

(٨٦٨) الأغاني ٣٥/٥ـ٣٦. والأبيات في شعر النابغة الجعدي ١٩٢، ٢١٤، ٧ – ٨.

والعفيفة في نفسها، والهجاء، فإنّك لا تعدو ان تعادي كريماً أو تستثير به لئيماً، ولكن أفخر بمآثر قومك، وقل من الأمثال ما تُوقر به نفسك وتؤدِّبَ به غيرك))[٨٦٩].

ومثل ذلك ما قاله في وصيته لبني أمية ((يابني أميّة أحسابكم أعراضكم لا تعرضوها على الجهال فأن الشعر باق ما بقي الدهر والله ما يسرني أني هجيت بمثلما هجي به علقمة بن علاثه ببيت الاعشى وأني لي طلائع الأرض ذهبا))[٨٧٠] ولم يكن لنقد النص النثري نصيب في عهد معاوية مثل الشعر فقد اقتصر على لمحات فنية في العصر الأموي، وكانت هناك مساجلات نثرية من ذلك ماروي عن معاوية عندما خطب بوفد قدم إليه من العراق إلى الشام فقال:

((مرحباً بكم يا أهل العراق قدمتم ارض الله المقدسة، منها المنشر وإليها المحشر، قدمتم على خير أمير يبر كبيركم، ويرحم صغيركم، ولو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلماء عقلاء، فقام إليه صعصعة بن صوحان، فحمد الله، واثنى عليه وصلى على النبي، ثم قال: أمّا قولك يا معاوية : إنّا قدمنا الأرض المقدسة، فلعمري ما الأرض تقدس الناس، ولا يقدس الناس الإ أعمالهم. وأما قولك: منها المنشر وإليها المحشر، فلعمري ما ينفع قربها، ولا يضر بعدها مؤمناً. واما قولك: لو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلماء، فقد ولدهم آدم خير من أبي سفيان، آدم صلوات الله عليه، فكان منهم الحليم والسفيه والجاهل والعالم.)) [٨٧١]

فنجد ان رد صعصعة بن صوحان جاء نابعاً من حسٍّ مرهف وذوق فني ومعرفة بالكلام ومنازلة أهله لرد مثل ردّه على معاوية.

وهذه الآراء تدل على أن العربي قد امتلك الحرية والشجاعة في قوله وموقفه ،وفي الوقت نفسه فان ولاة الامور يتقبلون الراي الاخر بصدر رحب وهذا التقبل اسهم في تطور النقد الأدبي

ومثلما اطلقت الألقاب على الشعراء والقصائد في عصر ما قبل الإسلام عادت إلى الظهور فشملت (الخطبة) في العصر الأموي، ومما لاريب فيه ((أن خطباء السلف الطيب وأهل البيان.. يسمون الخطبة التي لم تبدأ بالتحميد، وتستفتح بالتمجيد البتراء ويسمّون التي لم توشحّ بالقرآن وتزيّن بالصلاة على النبي ﷺ : الشوهاء))[٨٧٢] وقد أطلق على خطبة زياد (بالبتراء) وقد ألقاها عندما ولي البصرة، فملأها تهديداً ووعيداً.. وقد بلغت فنياً الذروة في الخطابة والقمّة في البلاغة، إذ قال فيها ((وإني أقسم بالله لآخذون الوليّ بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: انج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم لي قناتكم))[٨٧٣] مما جعل بعض السامعين يبررون عليه فقال له صفوان بن الأهتم اشهد أيها الأمير لقد أو تيت الحكمة وفصل الخطاب. فقال له كذبت ذلك نبي الله داود صلى الله

---

(٨٦٩) العقد الفريد ٢٨١/٥.
(٨٧٠)
(٨٧١) حلية المحاضرة ٣٣٠/١.
(٨٧٢) البيان والتبيين ٦/٢.
(٨٧٣)م.ن ٦٣/٢.

عليه[٨٧٤]، أما أبو بلال مرداس بن أدية فقد قال ((انبأ الله بغير ما قلت. قال تعالى: [وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى* أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى]، ((وأنت تزعم أنك تأخذ الولي بالمولى والمطيع بالعاصي والصحيح بالسقيم. فقال زياد: إنّا لا نبلغ ما نريد فيك وفي أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوضاً))[٨٧٥].

لقد أخذ السامع على زياد انحرافه عن الحق ومجانبة ما جاء في كتاب الله. فكان الرد يدل على بلاغة وفطنة وسرعة بديهة ورباطة جأش.

أما السامع فقد علق على الخطبة قائلاً: ((ما سمعت متكلماً على منبرٍ قط تكلم فأحسن إلاّ احببت ان يسكت خوفاً أن يسيء، إلا زياداً، فأنه كان كلّما أكثر كان أجود كلاماً))[٨٧٦].

أما أبو الحسن المدائنيّ فقد قال ((قال الحسن: أوعد عمر فعوض و أوعد زياد فابتلى))[٨٧٧].

وقال ايضاً: ((وقال الحسن: تشبه زياد بعمر فأفرط وتشبه الحجاج بزياد فأهلك الناس))[٨٧٨].

نقدالنص الأدبي في مجلس عبد الملك بن مروان:

يعد مجلس الخليفة عبد الملك بن مروان من المجالس الأدبية والنقدية التي لا يستطيع أحد اغفالها، وقد أسست على قدرة أدبية لدى عبد الملك وثقافته مكّنتهُ من تذوق الأدب وتمييز جيده من رديئه.

فعبد الملك لا يكتفي من الشعر بالرواية والنقد، وإنما يتتبع منابع الشعر في القبائل والبيئات العربية، وكادت مجالسه تكون أدبية خالصة تذكر فيها القبائل وأيّامها ومفاخرها وشعراؤها وأشعارهم وغير ذلك، وكان مجلسه ((أشبه بمنتدى أدبي أو مدرسة خاصة للشعر والنقد))[٨٧٩] ولا ريب في أن يتناول القوم الشعر من حيث إصابته الهدف وبلوغه المراد، ومن حيث تناوله المعاني، وحسن سبكها وابداع الصور فيها، وكان عبد الملك يدير باقتدار هذه المدارس، ويعد بحق ((الناقد الأوّل في بيئة الشام))[٨٨٠]. فلا ريب أن يكون الأديب الاريب والناقد الحصيف فهو ذو موهبة ومقدرة أدبية عالية وقد قال فيه الشعبي ((ما ذكرت أحداً الاّ وجدت لي الفضل عليه الاّ عبد الملك بن مروان فاني ما ذاكرته حديثاً الا زادني فيه ولا شعراً إلا زادني فيه))[٨٨١].

ومن صور نقد الشعراء بعضهم لبعض في مجلس عبد الملك بن مروان ما رواه ابن الأعرأبي قال: دخل كثيرّ عزّة على عبد الملك فانشده وعنده رجل لا يعرفه، فقال

---

(٨٧٤) البيان والتبين ٦٥/٢.
(٨٧٥) م.ن ٦٥/٢ والآية في سورة النجم ٣٧ ـ ٣٩.
(٨٧٦) م.ن ٦٥/٢ـ٦٦.
(٨٧٧) م.ن ٦٦/٢.
(٨٧٨) م.ن ٦٦/٢.
(٨٧٩) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ٢١٣.
(٨٨٠) بيئات نقد الشعر عند العرب ٥٣.
(٨٨١) تاريخ ابن عساكر (تراجم حرف العين) تح شكري فيصل ٢٠٠.

عبد الملك للرجل: كيف ترى هذا الشعر؟ قال هذا الشعر حجازي دعني أضغمهُ ضغمةً. قال كثير من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال هذا الأخطل. قال فالتفت إليه كثير فقال له: هل ضغمت الذي يقول:

والتغلبي إذ تنحنح للقرى حكّ استة وتمثّل الأمثالا
تلقاهم حُلماء عند عداهمُ وعلى الصديق تراحم جّهالاً[882]

فالأخطل يقصد بقوله اضغمه لك ضغمة أن يقلل من قيمة شعر كثير بحضور الخليفة عبد الملك و يوهم بانه يستطيع أن ينال منه، ولهذا يعيّره كثير بقوله: هل ضغمت الذي يقول فيك كذا وكذا؟ يعني جريراً أي هل نلت منه بشعرك كما نال هو بشعره فالشاعر الناقد لديه ثقافة وسعة وخبرة فهو يدرك ما كان يدور بين شعراء عصره ويجعلها وسيلة للرد على من يعيبه٠

وفي مجلس آخر ((وفد جرير على عبد الملك بن مروان، فقال عبد الملك للأخطل: أتعرف هذا؟ قال. لا. قال: هذا جرير. قال الأخطل: والذي أعمى رأيك يا جرير ما عرفتك. قال: جرير: والذي أعمى بصيرتك وأدام خزيتك، لقد عرفتك، لسيماك سيما أهل النار))[883]. فقد حاول كل منهما أن يقلل من شأن الآخر غير أن سلاح جرير كان أكثر خطورة وهو يرمي الأخطل بالكفر بدليل قوله (لسيماك سيما أهل النار).

وقد اجتمع جرير والفرزدق في مجلس عبد الملك بن مروان حيث تناشدوا شعراً. فقال الفرزدق: النّوار ينت مجاشع طالق ثلاثاً إن لم أقل بيتاً لا يستطيع ابن المراغة أن ينقضه، ولا يجد في الزيادة عليه مذهباً. فقال عبد الملك ماهو؟ قال:

فأني أنا الموت الذي هو واقعٌ بنفسك فنظر كيف أنت مزاو له
وما أحد يا ابن الأتانِ بوائلِ من الموت، ان الموت لاشك نائله

فاطرق جريرٌ قليلاً، ثم قال: أم حرزة طالق مني ثلاثاً ان لم أكن نقضته وزدت عليه! فقال عبد الملك: هات! فلقد طلق احدكما لا محالة. فأنشد:

أنا البدرُ يُغشى طرف عينيك فالتمس بكَفّيكَ يا ابنَ القينِ هل كنتَ نائلهُ
أنَا الدّهرُ يُفْنِي الموتَ، والدَّهُر خالِدٌ فجئني بمثْلِ الدّهرِ شيئاً يُطاولهُ

فقال عبد الملك فضّلك يا أبا فراس، وطلق عليك.[884]

فعبد الملك هنا ينتصر لجرير، وفي رواية عن الأصمعي أن هذا الحديث كان يوساطه عبدالله بن عطيه راويه الفرزدق وجرير وحينما سمع الفرزدق قول جرير قال للراوية: أقسمت عليك لما سترت عليك هذا الحديث[885] ولا ريب فقد طلق الفرزدق النوّار ولكن فراقها ترك في الفرزدق مأساة عميقة ،إذ لم يفد ندمه على ذلك في شيء.

---

(٨٨٢) العقد الفريد ٢٩٧/٥. والضغم العض غير النهش. وقيل ان يملأ فمه مما اهوى اليه والبينات في ديوان جديد ٥٤١-٥٤٣.

(٨٨٣) العقد الفريد ٢٩٦/٥.

(٨٨٤) الشعر والشعراء ٢٨٤/١ وينظر: الأبيات في ديوان جرير ٥٧٩ وديوان الفرزدق ٤٤٧.

(٨٨٥) ينظر الأغاني [دار الكتب] ٣٥٥/٢١

وقد ذكر صاحب الأغاني أن وفداً دّخل على عبد الملك بن مروان فقام رجل اعتذر حالفاً. فقال له عبد الملك: ((ماكنت حريّاً أن تفعل ولا تعتذر. ثم أقبل على أهل الشام فقال: أيّكم يروي من اعتذار النابغة للنعمان

حلفتُ فلم اترك لنفسك ريبة ولـيسَ وراء الله للمرء مذهبُ

فلم يجد فيهم من يرويه، فأقبل على الرجل فقال له: أترويه؟ قال: نعم. فانشدهُ القصيدة كلها، فقال هذا أشعر العرب))[٨٨٦].

إذ إن موقف الرجل مسيئاً ثم معتذراً ذكّر الخليفة بأشعار جاء فيها غرض الاعتذار، ولعل المعاناة والتجربة استدعت ذلك الرجل إلى إنشادها بعد أن كان قد حفظها، ولعل تحديد الخليفة الشاعر النابغة لهو دليل على منزلة النابغة في نفس الخليفة بعد أن جعل شاعرها أشعر العرب، وهذا الأمر يذكرنا بالحكم الذي قاله الخليفة عمر بن الخطاب ﵁ في لقائه بوفد غطفان.

وقد ذكر كتاب الأغاني ((أن إسماعيل بن يسّار دخل على عبد الملك بن مرون لمّا افضى إليه الأمر بعد مقتل عبد الله بن الزبير، ووقف موقف المنشد واستاذن في الإنشاد. فقال عبد الملك: الآن يابن يسّار: إنما أنت امرؤٌ زبيري، فبأي لسان تنشد؟ فقال له يا أمير المؤمنين، أنا أصغر شاناً من ذلك، وقد صفحت عن أعظم جرماً وأكثر غناءً لأعدائك مني وإنما أنا شاعر مضحك، فتبسّم عبد الملك وأو مأ إليه الوليد بأن ينشد فانشد حتى انتهى قوله:

وقمتَ فلم تنقض قضاءَ خليفةٍ ولكنْ بما ساروا من الفعل نَقْتدي
ولمّا وَليتَ الملكَ ضاربتَ دونَهُ وأسندَتَهُ لا تأتلي خَيِّرَ مُسْنَدِ
جَعَلتَ هشاماً والوليدَ ذخيرةً وليّينِ للعهد الوثيق المؤكَّدِ

((قال فنظر إليهما عبد الملك متبسماً،والتفت إلى سليمان فقال أخرجك إسماعيل من هذا الأمر فَقَطَبَ سليمان ونظر إلى إسماعيل مغضباً. فقال إسماعيل يا أمير المؤمنين، انما وزن الشعر أخرجه من البيت الأوّل وقد قلت بعده

وأمضيت عزماً في سليمان راشداً ومن يعتصم بالله مثلك يرشدِ

فأمر له بألفي درهم صلة وزاد في عطائه، وفرض له، وقال لولده أعطوه فأعطوه ثلاثة الآف درهم))[٨٨٧].

نرى في هذا الموقف أن عبد الملك أول ما بدأ بالحديث بذكر الشاعر بولائه للزبيريين وإن كان الحوار فيما يبدو ساخناً إلاّ أن موقف الشاعر قد امتاز بالليونة عندما وصف نفسه بانه (شاعر مضحك)[٨٨٨].

---

(٨٨٦) ينظر: الأغاني ١٠/١١. والبيت في ديوان النابغة ٧٦

(٨٨٧) الأغاني ٤/ ٤١٣. والأبيات في شعر إسماعيل بن يسّار ٣١ للاستزادة: ينظر: تجريد الأغاني ٦١١/٢-٦١٢ ومختار الأغاني ١٠١/١-١٠٢.

(٨٨٨) الأغاني ٤١٢/٤.

لاشك في أن الشاعر هنا بحث عن الطريقة المثلى التي توفر له الأمان مع إدراكه، وعلمه بدهاء الخليفة عبد الملك بن مروان وذكائه، ويبدو أن حكمة عبد الملك المعروفة وحسن تدبيره على قدر من الاتزان والتأمل، والاّ لعدّ ماقاله إسماعيل فيه وفي أولاده من جنس ماقاله في الزبيريين، وكان الأمر غير ما آل إليه من العفو والإكرام والعطاء. فالشاعر كما يبدو غير مضحك ولكنه اتخذ من الضحك وسيلة للعفو والصفح، ومجيئه إلى مجلس الخليفة هو العفو نفسه، وإن كان عبد الملك قد أنّبهُ قليلاً ولكنه تأنيب الترفق وهذا ليس بغريب من خليفة يتطلب الولاء. وفي الوقت نفسه يعي أن الشاعر ليس مضحكاً ولكن هذه هي الوسيلة التي استخدمها الشعراء في مختلف المراحل شعاراً لتبرئة مواقفهم وأشعارهم السابقة.

ويروى أن رجلاً من بني سعد دخل على عبد الملك بن مروان فقال له: ممن الرجل؟ قال: ممن قال لهم الشاعر:

إذا غضبت عليك بنو تميمٍ حَسِبْتَ الناس كلهمُ غضاباً

فقال: فمن أيّهم أنت؟ قال: من الذين يقول فيهم القائل:

يزيد بنو سعدٍ على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبالِ حلومها

قال: فمن أيّهم أنت؟ قال: من الذين يقول لهم الشاعر:

ثيابُ بني عوفٍ طهارى نقيّة وأو جُعهمُ بيض المسافر غرّانِ

قال: فمن أيهم أنت؟ قال: من الذين يقول لهم الشاعر:

فلا وأبيك ما ظلمت قريعٌ بأن يبنوا المكارم حيث شاءوا

فقال فمن أيّهم أنت؟ قال: من الذين يقول لهم الشاعر:

قومُ هُمُ الأنفُ والإذنابُ غيرُهُمُ وَمَنْ يُسَوَّي بأنفِ الناقةِ الذنبا؟

قال: اجلس لا جلست! والله لقد خفت أن تفخر علي[٨٨٩].

وهذا يدل على دراية الخليفة بالأخبار والأنساب فضلاً عن أخبار الشعر والشعراء وفي الوقت نفسه فان لهذا الرجل قدر من الثقافة أهلتهُ على الحوار الشعري المتفرد مع الخليفة وتلك من لمسات النقد المهمة في تاريخ النقد.

ونلمح في مجالس عبدالملك بن مروان اثراً لبدايات البلاغة العربية وذلك في قوله للشعراء ((تشيهوني مرة بالأسد ومرة بالباذي ومرة بالصقد الا قلتم كما قال كعب الأشعري:

ملوك ينتزلون بكل ثغر إذا ما الهام يوم الروع طارا

رزان في الأمور ترى عليهم من الشيم الشمائل والبخارا

---

(٨٨٩) ديوان المعاني١/ ٧٧-٧٨. ينظر: الأبيات في ديوان جرير٩٩، وديوان امرئ القيس٨٥، وديوان الحطيئة٢١.

نجـــــوم يهتــــدي بهــــم إذا مـــــا أخوا الظلمات في القمرات حـارا[٨٩٠]

ويروى أن عبد الملك بن مروان قال للفرزدق وجرير والأخطل((من أتاني منكم بصدر هذا البيت (والعود أحمد) فله عشرة آلاف درهم، فما كان فيهم من مجيب، فادخل رجل من عذرة إليه فأنشده:

فــإن كــان منــي مــا كرهــت فــإنني أعــود لمــا تهــواهُ والعــودُ أحمــدُ

قال لم تصب ما أردت فأنشد:

واحـسن عمـرو فـي الـذي كـان بيننـا فــان عــاد بالإحــسان فــالعود احمــدُ

فقال عبد الملك أحسنت ولكن لم تصب ما اردتُ، فأنشد:

جزينــا بنـــي شــيبان قــدماً بفعلهــم وعــدنا بمثــل البــدء والعــود أحمــدُ

فقال هذا [ما] طلبت))[٨٩١]. ثم قال اخبرني عن أهجى بيت قالته العرب وعن أمدح بيت وأفخر ما قالته العرب؟ وأغزل بيت وأحسن بيت قيل واقبح بيت قيل وعن اهجن بيت قيل فاجابه العذري عن كل سؤالٍ ببيت لجرير[٨٩٢].

فقال عبد الملك للعذري ((هل تعرف جريراً؟ قال: لا ولكن ترد علينا أقاويل الشعراء، فلم أرَ شعراً ارق في الوزن ولا أملأ للفم من شعره، فقام جرير فقبل رأسه، وجعل جائزته في هذا العام له، وأضاف عبد الملك إليها مثلها، وكتب إلى عامله باليمامة أن ينصف من خصم تظلم منه))[٨٩٣].

وعندما كان العذري ينشد الأبيات أخذ جرير يهتز ويطرب وهذا أدّى ان يتبرع بجائزته للعذري غير أن حكمه عبد الملك أرضت الاثنين فموافقته على حكم العذري اعطاه الجائزة وأعطى جريراً مثلها تكريماً لأولية شعره وأجادته.

ولنطالع موقفاً آخر من مجالس عبد الملك بن مروان فقد جاء في الآمالي: عن المفضّل انه قال: ((دخل العجاج على عبد الملك بن مروان فقال: يا عجاج، بلغني انك لا تقدر على الهجاء، فقال: يا أمير المؤمنين من قدر على تشييد الأبنية أمكنة أخراب الأخبية، قال: ما يمنعك من ذلك؟قال إن لنا عزاً يمنعنا من أن نُظلمَ وان لنا حلماً يمنعنا من ان نظلمَ فعلام الهجاءُ؟ فقال لكلماتك أشعر من شعرك، فأنّى لك عزٌّ يمنعك من أن تُظلم؟ قال: الأديب البارع، والفهم الناصع، قال: فما الحلم الذي يمنعك من أن تظلم؟ قال: الأدب المستطرف والطَّبع التالد. قال: يا عجّاج، لقد أصبحتَ حكيماً، قال: وما يمنعني وأنا نجيّ أمير المؤمنين))[٨٩٤].

---

(٨٩٠)

(٨٩١) ديوان المعاني:١/ ٧٦.

(٨٩٢) ينظر: ديوان المعاني ١/ ٧٦ ـ٧٧.

(٨٩٣) م.ن : ٧٧ للاستزادة ينظر: القصة كاملة في الأغاني ٧/٥٤ـ٥٥.

(٨٩٤) الآمالي ٢/٤٧.

ويروى أن (جريراً والفرزدق والأخطل) قد اجتمعوا في مجلس عبد الملك بن مروان وأحضر لهم كيساً فيه خمسمائة دينار وقال لهم: ليقل كل واحد منكم بيتاً في مدح نفسه، فأيّكم غلب فله الكيس، فبدر الفرزدق. فقال:

أنـــا القطـــران والـــشعراء جَرْبَـــى وفـــي القِطـــران للجربـــى شـــفاءُ

فقال الأخطل:

فـــأن تـــك زق زاملـــة فـــأنّي أنـــا الطـــاعون لـــيس لـــه دواءُ

فقال جرير:

انـــا المـــوت الـــذي أتـــى علـــيكم فلـــيس لهـــاربٍ منـــهُ، نجـــاءُ

فقال عبد الملك: خذ الكيس، فلعمري أن الموت يأتي على كل شيء.[٨٩٥] والحق أن ذوق عبد الملك كان متميّزاً فلم يستطع أحد من الشعراء أن يخدعه بحدسه أو يتحايل عليه بخدعة فنية. فهو ناقد فذ، وصاحب حسّ مرهف ويدرك القيم الجمالية ويصدر احكاماً متقنة. ولا ريب في أن القطران والطاعون يؤديان إلى النفور ولا يألفهما الذوق فالشاعران لم يوفقا في تشبيههما بذلك، أما جرير فقد صور نفسه بأعلى درجات حين شبه نفسه بالموت فأرضى الخليفة ونال الجائزة. فوفق بوصفه ، و الخليفة وفق بحكمه وعطائه، ويروي صاحب العقد الفريد ان عبد الملك بن مروان عفا عن الكميت لإجادته في خطبته التي تشفَّعَ بها إلى هشام بعد أن كان قد طلبه وهرب منه لمدة عشرين سنة فعفا عنه وأمر له بجائزة[٨٩٦] لما كان من أثر كبير في نفس هشام من خطبته البليغة.

نقد النص الأدبي في عهد الخلفاءوالولاة:

وقد كثرت المجالس الأدبية وتنوعت في ولايات كثيرة من الدولة الأموية. وليس غريباً أن تكون مجالس أبناء عبد الملك بن مروان معقودة ومليئة بالشعراء وتصدح بقصائدهم، إذ احتذوا حذو أبيهم، ونهجوا نهجه، وساروا في دربه، فكان الوليد بن عبد الملك يستنشد الشعراء وينتقد شعرهم، وقد وصل به الأمر حدّ الخلاف بينه وبين أخيه مسلمة. ومن ذلك ما دار حول شعر امرئ القيس والنابغة في وصف الليل وقد حكّما الشعبي في ذلك فانشد الوليد شعر امرئ القيس في وصف الليل وطوله، ثم انشد أخوه مسلمة شعر النابغة في الموضوع نفسه، فضرب الوليد برجله طرباً، فقال الشعبي: بانت الفضية[٨٩٧]. إذ ان طرب الوليد أكد تأثره بشعر النابغة وانه اشعر من امرئ القيس في هذا المجلس.

---

(٨٩٥) ينظر: الخليفة عبد الملك بن مروان الناقد الأديب ٢٠٩ للاستزادة، ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب د. عتيق ٢١٠.

(٨٩٦) العقد الفريد ١٨٣/٢.

(٨٩٧) ينظر: الموشح ٣٢-٣٤.

وروي ان (الأخطل وجرير والفرزدق) سمر في مجلس سليمان بن عبد الملك ليلة، فبينما هم حوله، إذ خفق. فقالوا: نعس أمير المؤمنين، وهمّوا بالقيام. فقال لهم سليمان: لا تقوموا حتى تقولوا في هذا شعراً فقال الأخطل:

رماه الكرى في رأسه فكأنه   صريعٌ تروّى بين أصحابهِ خمرا

فقال له: ويحك! أسكران جعلتني؟ ثم قال جرير:

رَماهُ الكرى في رأسهِ فكأنما   يُرى في سوادِ الليل قنبرة حمرا

فقال له: ويحك! أجعلتني أعمى؟ ثم قال الفرزدق بعد هذا:

رَمَاهُ الكرى في رأسه فكأنهُ   أميمُ جلاميدٍ تركنَ بهِ وَقْرا

قال له: ويحك! جعلتني مشجوجاً. ثم أذن لهم فانقلبوا فحيّاهم واعطاهم[(٨٩٨)].

إن هذه الآراء النقدية تعطينا صورة على معرفة الخلفاء ومنهم الشعراء وعلى أيّة صورة يجب أن يمدح الخليفة أو غيره، وهذا إن دلّ على شيءوإنما يدّل على نضج فكري بالشعر ونقده.

ويبدو أن حكم هشام الذي دام عشرين عام كان معينا ثرّاً للأدباء ولاسيما الشعراء منهم، إذ يقال عنه إنه كان بليغاً يقدّر قيمة البيان وهو القائل: ((ان الله رفع درجة اللسان فانطقه بين الجوارح))[(٨٩٩)] ومن كلماته على مجالس الأدب قوله: ((ألذُّ الأشياء كلها جليس مساعد، يسقط عني مؤونة التحفظ))[(٩٠٠)]، وقد جاءت أخباره في كتب الأدب مع الشعراء يستمع فيها للشعر وينقده، وروى الأصفهاني أن (جرير والفرزدق والاخطل) حضروا إلى مجلسه فاحضر هشام ناقة له فقال متمثلاً: ((أنيخها ما بدا لي ثم ارحلها)) ثم قال أيكم أتمّ البيت كما أريد فهي له. فقال جرير:

(كأنها نقنقُ[(٩٠١)] يعدو بصحراء) فقال: لم تصنع شيئاً.

فقال الفرزدق: (كأنها كاسرٌ بالدر فتخاءُ)[(٩٠٢)] فقال لم تغن شيئاً.

وقال الأخطل: ((تُرخي المشافرَ واللجين إرخاءَ. فقال أركبها لا حملك الله))[(٩٠٣)]

وفي الأغاني ما يدل على تحسس هشام وذوقه الأدبي عندما قدمَ نصيب عليه واستنشده مراثي بني أميّة فكان يبكي ويبكي معه ثم مدحه بقوله:

إذا استبق الناسُ العلا سبقتهمُ   يمينك عفواً ثم صلّت شمالُها

---

(٨٩٨) العقد الفريد ٣٨٤/٥ للاستزادة عن مجالس سليمان بن عبد الملك. ينظر: الأغاني ٢٤٤/١، ٢٥٩/٨ـ٢٦٠ والأبيات ينظر: ديوان الأخطل ٢٢٧. وديوان جرير   وديوان الفرزدق ١٤٢ مع تعديل طفيف (في الرأس). والأميم: مشجوج الرأس. والجلاميد: الصخور الصلبة، الوقر: ثقل السمع.

(٨٩٩) العقد الفريد ١٨٩/٤.

(٩٠٠) العقد الفريد ٢٣١/٦.

(٩٠١) النقنق: الظليم وهو ذكر النعام.

(٩٠٢) الكاسر: والعقاب والدر: الفلات الواسعة. والفتخاء اللينة الجناح لانها إذا تخطت كسرت جناحيها وغمزتها.

(٩٠٣) الأغاني ٣١٥/٨.

للاستزادة عن اخباره مع الشعراء ينظر: الشعر والشعراء ٥٧٩/٢، ٦٠٤ والعقد الفريد، ١٨٧،٤/٢، ١٨٣/٤٥٠،٤٤٦،١٨٩،٢٠٩، ٢٣١/٦،١٨٢،١٧٦، والأغاني٢١/١، ٣٦٧، ٢٤٥، ٢٤٨، ومروج الذهب ٢٢١/٣ـ٢٢١ والموشح ٣٣٥.

فقال هشام: يا أسود بلغت غاية المدح فسلني فقال نصيب يدك بالعطاء أجود واسط من لساني بمسألتك. فقال هذا والله أحسن من الشعر وحيّاه وكساه واحسن جائزته.[٩٠٤]

وعلى الرغم من كثرة الفتن والاضطربات التي شهدتها دولة بن أمية في عهد الخليفة مروان بن محمد، فقد كانت له مجالس شعرية في بلاطه.

ويروى ابن عبدربه أن الشاعر ذا الرمة دخل عليه مع الشعراء للتهنئة بالخلافه... فقال مروان: ما أملت أنه قد أيقن لنا منك مي ولا صيدح في كلامك إمتاعاً قال: بلى والله يا أمير المؤمنين أردت منه قراحاً ولاحسن امتداحاً ثم تقدم فانشد:

فقلت لها سيري أمامك سيّدٌ   تفرع من مروان أو من محمدِ

فقال له مافعلت مي ؟ قال:طويت غدائرها ببردبلي ومحا الترب محاسن الخد فالتفت مروان إلى العباس بن الوليد فقال أما ترى القوافي تنثال انثيالا يعطي بكل من سمّيى من آبائي ألف دينار فقال ذو الرمة لوعلمت لبلغت به عبد شمس[٩٠٥]

ويذكر أن للحجاج ملاحظات نقدية كان لها شأنٌ لا يقل عن سابقيه، فقد كان يدرك قيمة الشعر وأثره فاستشهد به في خطبه ودقق في معانيه وانتبه على دلالته. من ذلك ما يروى من اجتماع مجلسه تم في وفيه الفرزدق وجرير، فقال: ((إيكما يمدحني ببيتٍ فضل فيه فهذه الجارية له فقال الفرزدق:

فمن يأمن الحجاج والطير تتقي   عقوبته إلاَّ ضعيف العزائم

وقال جرير:

ومَنَ يَأمَنْ الحَجّاجَ أمّا عقابُهُ   فمرٌّ وَأمّا عَقْدهُ فوثيقُ

فقال الحجاج: (والطير تتقي عقوبته) كلام لا خير فيه، لأن الطير تتقي كل شيءٍ الثوب والصبي وغير ذلك فخذها يا جرير))[٩٠٦].

ويبدو أن الحجاج لم يوفق في ما ذهب إليه من نقد ،لأن الشاعر الذي كان قصده ان الطير وهي في السماء تخشى الحجاج عن قوة بطشه وجبروته. غير أن الحجاج فهم معنى آخراً وفي الواقع إن فهم معنى آخر ضعيف، وغير مرغوب فيه من بيت شعر إلى جانب معنى آخر مرغوب فيه، وهو عنصر ضعيف في التعبير.

والحق أن للقارئ اللاحق حظّاً وفيراً في إلاستزادة من المعنى وجري الألفاظ على لسانه بسهولة، إذ إنه تابع للسابق في الاستهلال والقافية والروي وهنا تكمن براعة الشاعر وثقافته في اقتناص الفرصة والزيادة على ما قال صاحبه ليعوز.

أما الحجاج فقد كان من خطباء العرب المعروفين له خطب مشهورة، وقد كانت خطبة صورة رائعة تنبئ عن بلاغة ومعرفة بالقول و معرفة بكل رائع مؤثر في

---

(٩٠٤) الأغاني ٣١٠/٨ والبيت في ديوان نصيب؟ العقد الفريد ٣٢٣/١-٣٢٤.ولم اعثر على البيت في ديوان ذا الرمه

(٩٠٥) العقد الفريد ٣٢٣/١-٣٢٤.ولم اعثر على البيت في ديوان ذا الرمه

(٩٠٦) الموشح : ١٨٧ والصناعتين ١١٧ وبين جرير في الديوان ٤٨٥ وبين الفرزدق ديوانه.

الأمصار[٩٠٧]، إذ((كانت قمة في بلاغته وخطابته وسحر بيانه وحضور بديهته))[٩٠٨] وهذا هو الذي دفع بالنظرات النقدية أن تقول ما تشاء فهذا مالك بن دينار يقول: ((ما رأيت أحداً أبين من الحجّاج، إنه كان ليرقى المنبر، فيذكر إحسانه إلى أهل العراق وصفحة عنهم، وإساءتهم إليه، حتى أقول في نفسي: إني لأحسبه صادقاً وإني لأظنهم له ظالمين))[٩٠٩].

ورأى انه ((ذلك الجبار العنيد، ذو البطش الشديد الذي كان كأنما يتقرّب إلى الله بسفك الدماء والفتك بالأعداء، كان لا يحرم نفسه ثواب الوعظ والزجر والتذكير بالله واليوم الآخر، حتى إن الحسن البصري يدركه العجب من أمره هذا، فيقول: ألا تعجبون من هذا الفاجر يرقى عتبات المنبر، فيتكلم بكلام الأنبياء، وينزل فيفتك فتك الجبارين يوافق الله في قوله ويخالفه في عمله))[٩١٠]. فالناقدان يدركان القيمة الفنية والموضوعية لخطب الحجاج التي يظن المتلقي أنه أتقى رجال عصره وأخطبهم. وتلك مهارة الحجاج وبلاغته. واللافت للنظر أنه أو ل من يضرب بخطبه عرض الحائط ،إذ عرفت بتهديده ووعيده ونلتمس ذلك في كثير من خطبه.

ومما يروى ـ أيضاً ـ ان الحجاج بن الأشعث كان يقاتل قوماً في المربد فصعد المنبر وخطب فقال: ((أيها الناس انه لم يبقَ من عدوّكم إلاّ كما يبقى من ذنب الوزعة)).

فمر به رجل من بني قشير فقال: (قبح الله هذا ورأيه يأمر اصحابه بقلة الاحتراس من عدوّهم ويعدهم الأضاليل ويمنيّهم الأباطيل))[٩١١] بينما رآى أخرون أن الحجاج هو المحسن وليس القشيري.[٩١٢]

والحق أن الحجاج قد وفق ـ كما يبدو ـ في هذه الخطبة لأن الحرب تستدعي مثل هذا الأسلوب.

وقد كانت الخلفاء تشجع على قول الشعر وتلتمس أفضله واكثره دقة في التعبير وارهفه للحس الغني، فهذا عمر بن عبد العزيز عندما كان أميراً على المدينة وكان في مسجد رسول الله ﷺ إذ دخل عليه نصيب فقال (أيها الأمير ائتذن لي انشدك من مراثي عبد العزيز، فقال ﵁ لا تفعل فتحزنني، ولكن انشدني قولك: (قفا اخويّ) فان شيطانك كان لك فيها ناصحاً حين لقنك إيّاها فانشده:

قفـا أخـويّ إنَّ الـدار ليست	**كلما كانت بعمـدٍ كما تكـونُ**
ليـالي تعلمـان وآل ليلـى	**قطِـينُ الـدّار فاحتمـل القطـينُ**
فعوجـاً فـانظروا اتبـيّن عمّـا	**سـالناها بـه أم لا تبـينُ**
فظـلاً واقفـين وظـل دمعـي	**علـى خـدّي تجـود بـه الجفـونُ[٩١٣]**

فقد أعرض عمر بن عبد العزيز عن شعر الرثاء لانه يعرف أثره في النفس وايلافها فأبى أن ينشده نصيب ما يروح به عن نفسه وما يريحها وفي الوقت نفسه أنه قد

---

(٩٠٧) ينظر: الخطابة في صدر الإسلام ٢١٢/٢، ٢١٦، ٣٤٠، ٣٤٢.
(٩٠٨) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. محمد طاهر درويش ١٠٣.
(٩٠٩) الخطابة في صدر الإسلام ٣٤٣/١.
(٩١٠) م.ن ٢٥٧/٢.
(٩١١) البيان والتبيين ١٥٥/٢.
(٩١٢) ينظر: م.ن ١٥٥/٢.
(٩١٣) الأغاني ٣٣٠/١-٣٣١. والأبيات في ديوان نصيب بن رباح: ١٣٥.

أدرك فاعلية شعر نصيب وتقنيته في قصيدة بعينها هي (قفا اخويّ) وهذا يدل على ذوقه الرفيع واستحسانه للشعر.

ويروي صاحب الأغاني أن جريراً والفرزدق اجتمعا عند بشر بن مروان، فقال لهما بشر: انكما تقارضتما الأشعار وتطالبتما الآثار وتقاولتما الفخر، وتهاجيتما، فامّا الهجاء فليست بي إليه حاجة فجددا بين يدي فخراً ودعاني مما مضى[٩١٤] فهل ارعوى هذان الشاعران من مقولة بشر؟ ويبدو من ذلك أن هناك علاقة بين الشاعرين ووالي الكوفة والبصرة بشر بن مروان حامي الأدباء والشعراء.

ومن القضايا النقدية المهمة التي ظهرت في ذلك العصر قضية (بناء القصيدة). ففي وقفة نقدية للخليفة الوليد بن يزيد عن القصيدة التي انشدها أيّاه الشاعر يزيد بن ضبّه في وصف (السندي) فرس الخليفة التي مطلعها:

واحـــــوى ســـــلس المـــــرس	**مثــــــل الـــــصدّع الـــــشعب**
ســــــما فـــــوق منيفـــــاتٍ	**طـــــوال كالقنـــــا ســـــلبِ**
طويـــــل الـــــساق عنجـــــوج	**أشـــــقّ أصـــــمع الكعـــــبِ**

قال: الخليفة ((احسنت يايزيد الوصف وأجدته. فاجعل لقصيدتك تشبيباً وأعطه الغزيّل وعمر الوادي حتى يغنيّا فية))[٩١٥].

ومع علمنا أن وقفات يزيد النقدية قليلة إلاّ أن وقفته هذه مهمة في نقد النص، إذ يعدّ واضح اللبنة الأوّلى في هذه القضية الفنيّة المهمة في ارثنا النقدي والتي تطورت ،وأفاد منها النقاد ومنهم ابن قتيبة بقوله: ((ان مقصد القصيد انما ابتداء فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الضاعنين عنها.. ثم وصل ذلك بالنسيب. فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة، والشوق ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه.. لأن التشبيب قريب بين النفوس لائط بالقلوب))[٩١٦].

وتخلص من هذا إلى أن خلفاء بني أمية وولاتهم حاولوا أن يؤسسوا لفاعلية الشعر باتجاه يخدم مصالحهم بحيث لا تنفلت هذه الفاعلية في سياقات أكثر تحرراً تبعد الشعر عن إطار تبعية الموروث ، ومن ثم في إطار التبعية للدولة[٩١٧] وعلى هذا منطلق نقدهم في الأغلب الأعم .

---

(٩١٤) م.ن ٤١/٨.
(٩١٥) الأغاني ١١٥/٧-١١٦.
(٩١٦) الشعر والشعراء ٧٤/١-٧٥.
(٩١٧) التأصيل النقدي لفنية الشعر قبل الإسلام (رسالة دكتوراه) ١٨.

النقد في مجالس الفقهاء والعلماء والأشراف:

بقيت الحجاز موئلاً للعلم والدين ولاسيما بعد أن استقرّت الخلافة الأموية في الشام وكانت معارضتها في العراق، إذ احتفظت الحجاز بكونها المركز الديني لملتقى الحجيج. وبذلك كانت نقطة التقاء الخلفاء والولاة والأمراء والعامة والشعراء والأشراف، فكانت المجالس الأدبية التي تفصح عن أدب رفيع وفن راق يعرض من اخبار الرسول ﷺ واخبار العرب وأيّامها، وتاريخ الأوّلين ومجالات العلم والحرب والفنون في دقةٍ وذوق رفيع.

ولأن الحجاز كانت قريبة عهد بحياة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ـ رضوان الله عليهم اجمعين ـ والمثل الإسلامية، والقيم الدينية التي أكدّها القرآن الكريم فان ذلك أهلّها لتترك أثراً في الصحابة والتابعين في الفقه والعلم والأدب .

وقد أخذ النقد الأدبي يشقُّ طريقه في بيئة الحجاز نحو آفاق جديدة بلورت الخط الصحيح الذي سار عليه النقاد فيما بعد[٩١٨].

لقد ركز بحثنا في تتبع الملامح النقدية وطبيعتها في مجالس الفقهاء والعلماء في الحجاز لمكانتها الدينية. وكون بيئتها نقطة لقاء المجتمع الإسلامي بأكمله.

وقد روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: ((إذا قرأتم شيئاً في كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب فان الشعر ديوان العرب))[٩١٩] وهذا يدل على معرفة تامة بأهمية الشعر وأثره. فابن عباس كان إذا سئل على مسألة فقهية انشد شعراً شاهداً على كلامه وتفسيره. يدلنا على ذلك مئتا مسألة عن نافع ابن الأزرق لابن عباس أوردها السيوطي في الإتقان مع جواب ابن عباس عليها بالشعر مفسّراً غريباً كل آية ببيت شعري قال نافع: اخبرني بقوله تعالى [عَنْ الْيَمِينِ وَعَنْ الشِّمَالِ عِزِينَ][٩٢٠] قال بن العباس العزون حلق الرقاق. قال نافع وهل تعرف العرب ذلك. قال ابن العباس نعم اما سمعت عبيد بن الأبرص يقول:

فجـــاءوا يهرعـــون إليـــه حتـــى   يكونـــوا حـــول منبـــره عزينـــا

وتمضي إسئلة نافع بن الأزرق وإجوبة ابن عباس ﷺ على هذا المنوال، السؤال عن معنى

كلمة والإجابة بمعنى مرادف لها وهو معنى أقرب إلى الافهام ويصدق هذا الاستعمال من خلال

المعرفة بالشعر العربي، فحينما سأل نافع بن الازرق ابن عباس بقوله: اخبرني عن قوله تعالى: وأبّا

قال: الأب ما يعتلف من الدواب اما سمعت قول الشاعر:

---

(٩١٨) ينظر: تاريخ النقد العربي عند العرب د. عبد العزيز عتيق ١٤٤.

(٩١٩) العمدة ٢٥٢/١ للاستزادة ينظر: المستدرك على الصحيحين ٤٥٢/٢ وسنن البيهقي الكبرى ٢٤١/١٠ ٥٤٢/٢

(٩٢٠) سورة المعراج /٣٧.

تــرى بـــه الأبَّ واليقطــين مختلطـــا   علـــى الـــشريعة تجـــري تحتهـــا الغَـــــــــــــــــــــــــربُ[٩٢١]

يبدو أن ابن عباس قد اعتمد خبرته اللغوية والبيانية والنقدية في استنباطه المعنى ويدعم هذه الخبرة وعي يتمثل في تجربته ومعرفته بأسباب النزول وأيام العرب وهكذا كان يتكئ على الموروث الشعري. و لا ريب في أن أبا بكر ﷺ قد سئل عن هذه الآية [وفاكهة وأبّا][٩٢٢] فقال (أي سماء تظلني وأي أرض تقلني ان أنا قلت في كتاب الله مالا اعلم))[٩٢٣] أما عمر ﷺ فقد قال عن الآية نفسها كل هذه الفاكهة قد عرفناه، فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال ان هذا لهو التكلف ياعمر[٩٢٤] غير أن ابن عباس اعتمد في تفسيره على الموروث الشعري كما ذكرنا.

ويرى محمد زغلول سلام ((أنها قد بدأت بمحاولات ابن عباس مدرسة جديدة عن أسلوب القرآن ومعانيه بمقارنته بالأدب العربي شعره ونثره. وبذلك مهد لكثير من العلماء اللغويين من بعد لكي يتصدوا لأسلوب القرآن فيشرحوا غريبه بالشعر والمثل والكلام الفصيح))[٩٢٥] ويرى أنه مهد هذا القيام حركة واسعة لجمع اللغة والشعر من مضارب الخيام وبوادي العرب.. رافق هذا حركة كبرى كانت سبباً رئيساً في حفظ العربية من الضياع وتنقيتها أيضاً من الدخيل، فضلاً عن محافظتها على القرآن فظلّ متدارساً مفهوماً في غير بلاده التي نزل بلسان أهلها.[٩٢٦]

وكان يقول ابن عباس ((إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر فإن الشعر عربي)) [٩٢٧].

ولم يكن ابن عباس ملتزماً اتجاهاً معيناً في استشهاده فقد كان يستشهد بالبيت الشعري سواء في الغزل كان أم في الهجاء، إذ سخّر الشعر لتعاليم الإسلام على انه لم يكن يرفض الهجاء طريقاً من ذلك ما أورده الاصفهاني عن عبد الله بن عياش المنتوق أنه قال ((بينما ابن عباس جالس في مجلس رسول الله ﷺ بعد ما لف بصرف وحوله ناس من قريش إذ أقبل أعرابي يخْطِر وعليه مِطْرَفٌ وجُبَّةٌ وعِمامةٌ خضٌ حتى سلَّم على القوم فردوا عليه السلام، قال يا ابن عم رسول الله ﷺ افتني قال: فيماذا؟ قال: أتخاف عليّ جناحاً إن ظلمني رجلٌ فظلمته وشتمني فشتمته، وقصّرَ بي فقصّرت به؟ فقال العفو خير، ومن انتصر فلا جناح عليه.

---

(٩٢١) ينظر: الإتقان ٣٤٨/١ـ٣٨٤.

(٩٢٢) سورة عبس/٣١.

(٩٢٣) تفسير ابن كثير ٤٧٣/٤ وقد قال ﷺ لان اقرأ فاسقط أحب ألي أن اقرأ فالحن، ينظر المزهر ١٩٩/١.

(٩٢٤) ينظر، فتح القدير ٥٧١١/٥ وجامع البيان ٥٩/٣ـ٦١ وقد وجه ﷺ بتعليم النحو بقوله (تعلم النحو كما تعلمون السنن والفرائض) ينظر المزهر ٣٥٧/١.

(٩٢٥) اثر القرآن في تطور النقد الأدبي إلى آخر القرن الرابع الهجري ٢٩.

(٩٢٦) ينظر: اثر القرآن في تطور النقد الأدبي إلى آخر القرن الرابع الهجري ٢٩.

(٩٢٧) المستدرك على الصحيحين ٢ / ٥٤٢ .

فقال يا ابن عم رسول الله، رأيت امرأً اتاني فوعدني وغرّني ومناني ثم أخلفني واستخفّ بحُرْمَتي، أيسعني أن أهجوه؟ قال لا يصلح الهجاء لابُدَّ لك من أن تهجو غيره من عشيرته، فتظلم من لم يظلمك، وتشتم من لم يشتمك، وتبغي على من لم يبغَ عليك، والبغي مرتع وخيم، وفي العفو ما قد علمت من الفضل، قال: صدقت وبررت، فلم ينشب أن اقبل عبد الرحمن بن سيحان المحاربي حليف قريش، فلما رأى الأعرابي أجلّه وأعظمه والطف في مسألته، وقال قرّب الله دارك يا أبا مليكه.

فقال ابن عباس: جرول؟ قال: جرول، فإذا هو الحطيئة، فقال ابن عباس: لله أنت أيُّ مِردي قذافٍ، وذائدٍ عن عشيرة ومُثْنٍ بعارفة تؤتاها أنت يا أبا مُلَيْكة: و الله لو كنت عركت بجنبك بعض كَرِهت من أمر الزِّبرقان فان كان خيراً لك، ولقد ظلمت من قومه من لم يظلمك وشتمت من لم يشتمك.

فقال: ((إني والله بهم يا أبا العباس لعالم. قال: ما أنك بأعلم بهم من غيرك، قال: بلى والله: يرحمك الله! ثم أنشأ يقول.

أنا ابنُ بجدتهم علماً وتجربة ... فسَلْ بسعدٍ تجدني أعلم الناسِ

سعدُ بنُ زيدٍ كثيرٌ ان عددتهم ... ورأسُ سعدِ بن زيد آل شمّاسِ

والزِّبرْ قانُ ذنابهم وشرُّهمُ ... ليسَ الذنابى أبا العباس كالرأسِ

فقال: ابن عباس: أقسمت عليك الاّ تقول إلاّ خيراً، قال: أفعل...))[٩٢٨].

وبلغ أن اهتمام ابن عباس بالشعر، أنه كان قوي الحفظ شديد الانتباه على معانيه حتى انه حفظ قصيدة بلغت الذروة في الغزل الصريح، وإذا جاء في كتاب الأغاني عن عمر بن الوركاء أنه قال ((بينما ابن عباس في المسجد الحرام وعنده نافع ابن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه((إذ اقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين.. حتى دخل وجلس. فاقبل عليه ابن عباس فقال أنشدنا فأنشده:

أمن آل نُعْمٍ أنت غادٍ فمبكرُ ... غداة غدٍ أم رائحٌ فمهجَّرُ[٩٢٩]

حتى اتى إلى آخرها. فأقبل عليه نافع ابن الأزرق فقال: الله يا ابن عباس! إنّا نضرب أليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتثاقل عنّا ويأتيك غلام مُترفٌ من مترفي قريش فينشدك:

رأت رجُلاً أما إذا الشَّمسُ عَارَضَتْ ... فيحزى وأما بالعَشِيِّ فيخْسَرُ[٩٣٠]

---

(٩٢٨) الأغاني ١٨٥/٢ والأبيات في الديوان ١١٤-١١٥ ويجد بالمكان أقام به وعنده بجدة ذلك أي علمه ومنه يقال هو ابن يجدنها للعالم بالشيء المتقن له ، المجيدله ينظر اللسان مادة يجد ٧٧/٣

(٩٢٩) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٩٢.

(٩٣٠) م.ن ٩٤.

فقال ليس هكذا قال. قال: فكيف قال؟ فقال قال؟

رأت رجُلاً أمـا إذا الـشمس عارضـت فيــضحى وأمّــا بالعــشي فيخــصرُ

قال ما أراك إلاّ وقد حفظت البيت! قال: أجل وإن شئت أنشدّك القصيدة انشدتك إيّاها. قال فإنّي أشاء، فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها وفي غير رواية عمر بن شبه ان ،ابن عباس أنشدها من أو لها إلى آخرها ثم انشدها من آخرها إلى أو لها مقلوبة وما سمعها قط إلاّ تلك المرّة صفحاً قال: وهذا غاية الذكاء))[٩٣١].

والحق أن ذلك لا يعني ولهاً بالغزل، بل لأن ابن عباس كان يعرف بأن الشعر ديوان العرب وسجلهم الحافل بمآثرهم ومفاخرهم ومناقبهم ولذلك قال ((الشعر علم العرب وديوانها فتعلّموه وعليكم بشعر الحجاز.. وحض عليه، إذ لغتهم أوسط اللغات))[٩٣٢].

فالشعر قد يحفّز المتلقي على فعل شيء وقد ينهاه عن فعله من ذلك ما قيل في شعر عمر بن أبي ربيعة، إذ جاء في الأغاني ان ابن جريج قال: ((ما ظننت ان الله عزَّ وجلّ ينفع أحداً بشعر عمر بن أبي ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن منشداً ينشد قوله:

باللّه قُولي لـهُ في غَيْر مَعْتَبةٍ مَـاذا أرْدتَ بطُـولِ المكْـثِ فـي الـيَمَنِ
إن كُنْـتَ حاولـتَ دنيـا أو نعمـت بهَـا فمَـا أخّـذْتَ بتَـرْكِ الحـجِّ مِـنْ ثمـنِ

فحرّكني ذلك على الرجوع إلى مكة فخرجت مع الحاجِّ وحججتُ))[٩٣٣]

وقد قال في موقف آخر ((إذ ما دخل على العوائق في حجالهن شيءٌ أضرّ عليهنَّ من شعر عمر بن أبي ربيعة))[٩٣٤].

وقد أبدع ابن أبي ربيعة في غزله ووصفه للمرأة حتى أنه بات أوصف الشعراء قال نصيب ((عمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربّات الحجال))[٩٣٥].

ويذكر أن الفرزدق عندما سمع شيئاً من نسيب عمر قال: ((هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار [٩٣٦]. ووقع هذا عليه))٠

والحق أن ابن أبي ربيعه نال هذا التفوق بشاعريته وموهبته،وساعدته على ذلك مهارته ولمساته الفنيه وهذا كله دفع معاصريه للأعتراف بريادته للمدرسة الغزلية٠

ويروى أن هشام بن عروة قال: ((لا ترووا فتياتكم شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورطن في الزّنا تورطاً وانشد:

---

(٩٣١) الأغاني ١/٨١-٨٢.
(٩٣٢) العقد الفريد ٥/٢٨١.
(٩٣٣) الأغاني ١/١٢٠ والبيتان في ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٢٨٤.
(٩٣٤) الأغاني ١/١١١ والبيتان في ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٢٨٤.
(٩٣٥) م.ن ١/٧٤.
(٩٣٦) م.ن ١/١٢٦.

لقــــــد ارســـــــلتُ جـــــــاريتي وَقُلْـــــتُ لهَـــــا: خُـــــذي حَـــــذْرَكْ
وَقُــــــولِي فـــــــي مُلَاطفـــــــةٍ لزَيْنَـــــبَ نَـــــوِّلِي عُمَـــــرَكْ((٩٣٧))

وهذا يدل على أن الناس عامتهم وخاصتهم قد أدركوا قيمة الشعر ولاسيما شعر عمر بن أبى ربيعة الذي كان فيه ما يتنافى مع القيم الإسلامية لِما ورد فيه من غزل فاحش وصريح فصرف الناس عن روايته وقراءته، ويروى أيضاً أن مولاة ((فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت: مررت بجدّكَ عبد الله بن مصعب وأنا داخلة منزله وهو بفنائهِ و معي دفتر، فقال: ما هذا معك؟ ودعاني فجئته وقلت: شعر عمر بن أبي ربيعة. فقال: ويحك! تدخلين على النساء بشعر ابن أبي ربيعة! ان لشعره لموقعاً من القلوب ومدخلاً لطيفاً لو كان شعر يسحر لكان هو فارجعي به. قالت: ففعلت))[٩٣٨].

ويبدو أن هذا الموقف المتشدد من الشعر هو الذي جعل أبا السائب المخزومي يقول (والله لو كان الشعر محرماً لوردنا الرحبة)، كل يوم مراراً والرحبة هي الموضع الذي تقام فيه الحدود. إذ يريد أنه لايستطيع الصبر عنه فيحد في كل يوم مراراً ولا يتركه[٩٣٩] وهذا دليل على حب أبي السائب الشعر على الرغم من فضله في الدين والعلم ومنزلته بين علماء عصره.

ومن النقاد في هذا العصر ابن أبي عتيق وقد كانت له مواقف نقدية كثيرةً مع الشعراء[٩٤٠] ونوجز منها أنه حينما أنشده نصيب قوله:

وَكِدتُ ولم أخلق من الطير أن بدا لهــا بــارقٌ نحــوَ الحجــازِ أطيــرُ

سمعه ابن أبي عتيق فقال يا ابن أم قل: غاق فإنك تطير يعني غراب أسود[٩٤١] فابن أبي عتيق يرى في هذا البيت مبالغة وإفراطاً وبعدا عن الصدق.

ويروى عن ابن أبي عتيق أيضاً انه لقي قيس بن ذريح يوماً فقال له ((أنشدني احر ما قلت في "البنى" فأنشده قوله:

وإنــي لأهــوى النــوم فــي غيــر حينــه لعــل لقـــاء فـــي المنـــام يكـــونُ
تحـــدثني الايـــامُ أنـــي اراكـــمُ فياليـــت أحـــلام المنـــام يقـــينُ

فقال له ابن أبي عتيق: لقلّ ما رضيت منها يا قيس! قال: ذلك جهد المقلّ))[٩٤٢].

ويروى أن ابن أبي ربيعة أنشد مرة قوله:

بينمـــا ينعتننـــي أبـــصرنني دون قيــد الميــل يعــدوبي الأغــر
قالــت الكبــرى أتعــرفن الفتــى؟ قالــت الوســطى نعــم هــذا عمــر
قالــت الــصغرى وقـــد تيمتهـــا قــد عرفنــاه وهــل يخفــى القمــر؟

---

(٩٣٧) الأغاني ٨٤/١ و ينظر : طبقات فحول الشعراء ٣٨١/١، ٣٧٩ــ٣٨٢، ٤٣٩، والشعر والشعراء ٤٧١/١ـ٤٩٨. والأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعه ٤٧٢ وصدر البيت الأو ل (بعثت وليدتي سحراً) وصدر البيت الثاني (وقولي في معاتبه)
(٩٣٨) الأغاني ٧٨/١.
(٩٣٩) ينظر: العمدة ٣١.
(٩٤٠) ينظر الأغاني (دار الكتب) ٩٤/١ – ١٠٠، ١٦٤ – ١٦٨، ١٢٨.
(٩٤١) ينظر الأغاني ١٦٤/١.
(٩٤٢) م. ن ٢١٣/٩.

فقال له ابن أبي عتيق: أنت لم تنسب بها وإنما نسبت بنفسك! كلن ينبغي أن تقول: قلت لها فقالت لي، فوضعت خدي فوطئت عليه[٩٤٣] فابن أبي عتيق يرى في تشبب عمر خروجاً عن المألوف فالشاعر واقع في حب نفسه من حيث لا يدري. فأتجاه الغزل الطبيعي في نظر ابن أبي عتيق هي ما ظهرت المرأة في صورة من تتمنع الرجل وتتأبى الرجل في صورةً من يتودد إليها ويتذلل وهذا مالم يصل إليه شاعر الغزل ابن أبي ربيعة وممن جارى ابن أبي عتيق في نقده عمر وتشبيبه بنفسه كثير عزّة [٩٤٤] وبثينة صاحبة جميل التي قالت له يوما ((والله يا عمر، لا اكون من نسائك اللائي يزعمن أن قتلهن الوجد))[٩٤٥].

ونخلص من هذا إلى أن ابن أبي عتيق ناقد متمكن واول من فطن إلى مقياس النقد واستخدمه في نقد الشعر ولعل رأيه في شعر عمر بن أبي ربيعة من أهم ما يجب أن نذكره ولاسيّما ما يدخل منه في المفاضلات الشعرية ولعل أهمها ماأورده لنا أبو الفرج الأصفهاني، إذ قال: ((ذكر شعر الحارث بن خالد وشعر عمر بن أبي ربيعة عند ابن أبي عتيق في مجلس رجل من ولد خالد بن العاصي بن هشام، فقال المتحدث صاحبنا ـ الحارث بن خالد ـ أشعرهما. فقال ابن أبي عتيق: بعض قولك يا ابن أخي! لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطةٌ في القلب، وعُلوق بالنفس ودَرْكٌ للحاجة ليست لشعر. وما عصي الله جلَّ وعزَّ بشعر أكثر مما عصي بشعر ابن أبي ربيعة. فخذ عنّي ما أصف لك:
أشعر قريش من دق معناه ولَطُفُ مدخلُه، وسهُل مخرجهُ ومتنَ حشوه، وتعطّفت حواشيه، وأنارت معانيه وأعرب عن حاجته))[٩٤٦] فقال المفضل أليس صاحبنا الذي يقول :

إنــي ومــا نحروا غــداة منــىً	**عنــد الجَمــار يئودهــا العقــلُ**
لــو بّــدلت أعلــى مــساكنها	**ســفلاً وأصــبح ســفلها يعلــو**
فيكــاد ينكرهــا الخبيــر بهــا	**فــي ردّة الإقــواء والمــحلُ**
لعرفــت مغناهــا بمــا احتملــت	**منّــي الــضلوع لأهلــها قبــلُ**

فقال له ابن أبي عتيق ((يا ابن أخي، استر على نفسك، واكتم على صاحبك، ولا تشاهد المحافل بمثل هذا... إن ابن أبي ربيعة كان أحسن صُحبة للربع من صاحبك واجمل مخاطبة حيث يقول:

سَــائِلاً الرَّبْــعَ بــالْبُلِيَّ وَقُــوْلاَ	**هِجْــتَ شَــوْقاً لنــا الْغَـدَاةَ طَــوِيلا**

قال: فانصرف الرجل خجلاً مذعناً))[٩٤٧].

---

(٩٤٣) ينظر : م . ن (دار الكتب) ١١٨/١ – ١١٩، والأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة.
(٩٤٤) ينظر : م. ن (دار الكتب) ١١٨/١. وسنطالع ذلك في صفحات البحث.
(٩٤٥) العقد الفريد ٣٧٢/٥.
(٩٤٦) الأغاني ٨٤/١.
(٩٤٧) م.ن ١١٧/١- ١١٨والأبيات في ديوان الحارث بن خالد:٧٨ والبيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٣٧٤.

ولا ريب في أن يكون شعر ابن أبي ربيعة محط اهتمام النقاد، فقد فتنوا به وبصاحبه وفضلوه على سائر الشعراء بدليل ان ناقد الحجاز الأو ل ابن أبي عتيق قد ذكر الاسباب التي جعلته آهلاً للمفاضلة فهو، إذ يقول: ((لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطةٌ في القلب وعلوق بالنفس ودرك للحاجة)) انما ((يرمز بذلك إلى دور العاطفة وأثرها في جمال الشعر وقيمته. فالشعر الجيد في نظره هو الذي يعبّر في قوة وصدق عن عاطفة صاحبه ويؤثر كذلك في عواطف سامعيه))[٩٤٨].

لقد كان ابن أبي عتيق في ذلك النص ناقداً فذاً وكان مستوعباً أسباب حسن الكلام، إذ لم يقتصر كلامه على المعاني، وإنما قرن بها الألفاظ التي تعرب عن مضمونها وتحسن الكشف عمّا يراد بها لتكون اداة الشاعر الامينة، تنقل في صدق وجلاء حسن وتأثير ما في نفسه من فكر وعاطفة وانفعال إلى نفوس الناس فكان لزاماً على الشاعر أن يقرن حسن اختيار المعنى بحسن انتخاب اللفظ وذلك بقوله "أنارت معانيه" وأعرب عن حاجته.

ان هذا النص النقدي يعّد من النصوص النقدية المهمة إن لم يكن أهمها في العصر الأموي فقد وضع به مقاييس للشعر الجيد والشاعر المجيد فقد اصبح الشكل والمضمون مترابطين ترابطاً تاماً في هذا النص وقد وضع الأسس والمقاييس لأشعر الناس وهو عند ابن أبي عتيق من يختار معانيه اختياراً مع وضوحه وبعده عن الغموض والركاكة فالمعنى الدقيق المتخير دليل على ذوق الشاعر، ودقة حسّه وسعة ثقافته وعمق تجاربه.

فنص ابن أبي عتيق له أهميته ومكانته في الدراسات النقدية التي تفتح أبواباً كثيرة فهو لم يركز على المعاني فحسب بل كان للصياغة وأهميتها ذكر في هذا النص النقدي ((فقد جعل صفات الشاعر الموهوب أن يكون ذا ملكة صادقة تعينه على براعة الاستهلال ولطف المدخل وعلى حسن التخلص وسهولة المخرج من غرض إلى غرض ومن معنى إلى معنى وان يكون مع هذا وذاك متين الربط بين اجزاء الكلام)) قوي الأسر متماسك الأسلوب في يسر وسهولة وعذوبة وسلاسة وذلك بقوله: ((لطف مدخله وسهل مخرجه ومتن حشوه وتعطّفت حواشيه)).

ولعل مقولة ابن أبي عتيق ((ما عصي الله جلّ وعزّ اكثر مما عصي بشعر ابن أبي ربيعة)) أخذت أكثر من معنى ونلمح في مقدمة طبقات الشعراء توضيحاً عرّف ما يراد بعصيان الله هنا ((لو كان قول الشعر عصياناً لله، ان هذا الشعر كان يدفع النسوة إلى عصيان الله بمقابلة عمر واتيان ما لا يحل))[٩٤٩] والمقولة نفسها أثارت النقاد المحدثين ورأوى فيها شيئاً من الموضوعية فضلاً من إنها فتحت مقياساً جديداً للنقد الأدبي . فالدكتور طه الحاجري يرى أن هذا المقياس ((يتضمن الدعوة إلى عصيان الله

---

(٩٤٨) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ١٢٢.

(٩٤٩) طبقات الشعراء لابن سلام، ينظر: المقدمة التحليلية للكتاب، ب٢.

والاغراء به وكلما كان ـ أي الشعر من هذا حظاً كان أوفر من الجمال الفني نصيباً. وهكذا كان الفسوق عن أوامر الدين وتعاليم الإسلام مقياساً جديداً من مقاييس الفن لا يتحرج ابن أبي عتيق من المجاهرة به))[٩٥٠].

والحق أن ابن أبي عتيق قد حدد الصفات التي ميّزت شعر عمر بن أبي ربيعة وما فيه من رقة وعذوبة، واستهوائه النفوس ولكنه من الناحية الموضوعية بعيد عن طاعة الله كثير العصيان وفي شعره ما يدل على ذلك وهذا هو الذي ابعده عن العادات العربية والتعاليم الدينية.

والحق كذلك ان ابن أبي عتيق لم يفضل شعر عمر بن أبي ربيعة لذلك العصيان والفسوق ولكنه وصف شعره بذلك مع علمنا بميل بن أبي عتيق الواضح لتعاليم الإسلام ولكنه حكم له بانه (أشعر شعراء قريش) ولم يتوان عن ذكر الخصائص والسمات التي جعلته كذلك. وقد وقف الناقد في نظرته الموضوعية التي تجردت ((عن الأهواء والمعتقدات الدينية فهو ينظر : إلى الشعر فيبيّن ما فيه من خصائص مطلوبة وما فيه من مضمون لا يتفق والمتطلبات الدينية وفي هذا تجرد مطلوب لكل ناقد منصف يكون دقيقاً في أحكامه))[٩٥١] ولا ريب في أن أحكام ابن أبي عتيق في طبيعتها وأحكامها ((اشبه بكلام النقاد المحدثين في المعاني والالفاظ والبدء والختام))[٩٥٢] وفي الوقت نفسه فانه بين المضمون والجمال الفني في التعبير فاستبعد العامل الديني في حكمه على الجمال الفني[٩٥٣] على الرغم من انه احد نساك قريش وذا منزلة دينية سامية.

ومن أهم النصوص النقدية في هذا العصر نقد مصعب بن عبد الله الزبيري في شعر عمر بن أبي ربيعة، إذ قال مصعب: ((راق عمر بن أبي ربيعة الناس، وفاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر، وشدّة الأسر، وحسن الوصف، ودقة المعنى، وصواب الصدر، والقصد للحاجة، واستنطاق الربع، وانطاق القلب، وحسن العزاء، وعفة المقال، وقلّة الانتقال، وأثبات الحّجة، وترجيح الشك في موضع اليقين، وطلاوة الاعتذار، وفتح الغزل، ونهج العلل.. وحسن التفجع وبخل المنازل واختصار الخبر وصدق الصفاء، ان قدح أورى، وإن اعتذر أبرا، وإن تشكّى اشجى، وأقدم عن خبرة، ولم يعتذر بغرّه، واسرّ النوم، وغم الطير، وأغذ السير، وحيرّ ماء الشباب وسهّل وقوّل، وقاسى الهوى فأربى، وعصى وأقلى وحالف بسمعه وطرفه، وأبرم نعت الرسل وحذّر، وأعلن الحب وأسر، وبطن به وأظهر وألحّ وأسف، وانكح النوم، وجنى الحديث وضرب ظهره لبطنه وأذلّ صعبه وقنع بالرجاء من الوفاء، وأعلن قاتله، واستبكى عاذله، ونقض النوم وأغلق رهف منىً، وأهدر قتلاه، وكان بعد هذا كله فصيحاً))[٩٥٤].

---

(٩٥٠) في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية ٧٨ـ٧٩.
(٩٥١) مفاهيم في الأدب والنقد: ٤٦.
(٩٥٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ١٢٣.
(٩٥٣) ينظر : تاريخ النقد العربي "سلام": ٨٠.
(٩٥٤) الأغاني :١٣٠/١.

فهذا النص النقدي هو من النصوص المهمة التي استوقفتنا في مرحلة البحث وإطول النصوص على الاطلاق وإن لم يكن لمصعب بن عبد الله الزبيري آراء كثيرة في نقد الشعراء إلاّ أن هذا النص يجعلنا ندرك أن له ذوقاً وثقافة واسعة وهذا هو الذي جعلنا أن نقف عليه محللين كل عبارة واحد تلو الأخرى، وان نخرج بعدد كبير من المصطلحات النقدية التي ارتأها الناقد في شعر عمر بن أبي ربيعة والأجمل من هذا كله أنه لم يكتفِ بذكر المصطلحات بل إنه اثبت ذلك عملياً وذكر الشواهد الشعرية ويقول:

فمن سهولة شعره وشدّة أسره قوله:

فلما تواقفنا وسلّمتُ اشرقتْ	**وجوهٌ زهاها الحُسنُ أن تتقنّعا**
تبالهن بالعرفانِ لما رأينني	**وقلن: امروٌ باغ أكلّ وأوضعا**

ومن حسن قوله وصفه قوله:

لها من الريم عيناه سنَّتهُ	**وغرّة السابق المختال إذ صهلا**

ومن دقة معناه وهواه مصدره قولهِ:

عُوجاً نحيي الطللَ المُحولا	**والربع من اسماء والمنزلا**
بسابغ البوباةِ لم يعدُهُ	**تقادمُ العهدِ بأن يُؤهَلا**

ومن قصده للحاجة قوله:

ايها المُنكِحُ الثريّا سُهيلاً	**عَمْرَكَ اللهَ كيفَ يلتقيان؟**
هي شاميّةٌ إذا ما استقلّت	**وسهيل إذا استقلّ يماني**

ومن استنطاقه الربع قوله:

سائلاً الرَّبعَ بالبُلَيَّ وقولاً	**هِجْتَ شوقاً لَنَا الغدَاةَ طويلاً**
أين حيٌّ حَلّوك إذا أنت محفو	**فٌ بهمْ آهلٌ أراك جميلا؟**

ومن انطاقه القلب قوله:

قال لي فيها عتيقٌ مقالاً	**فجرت مما يقول الدموعُ**
قا لي ودِّع سليمى ودعها	**فأجاب القلب لا استطيعُ**(٩٥٥)

وعلى هذا النحو يسترسل مصعب في الاستدلال من شعر عمر على ما أبداه من رأيه النقدي السابق(٩٥٦). ولا ريب في ان هذا النص يعطي لنا صورة مثلى لنقد الشعر في العصر الأموي ،وفي الوقت نفسه يعطينا صورة مجملة عن شعر ابن أبي ربيعة وان كانت هذه الأحكام كما تبدو عامة فأن التوغل في باطنها ما يكون أقرب إلى التعليل، وإذا

---

(٩٥٥) ينظر : الأغاني ١/١٣٠-١٣١.

(٩٥٦) ينظر : م. ن ١٣١/١، والأبيات في ديوان عمر ١٧٩، ٣٥١، ٣٥٣، ٥٠٣، ٣٧٤، ١٩٩

والريم: الظبي الخالص البياض والسُنّة : الوجه أو هي دائرة الوجه والسابق الحصان.

كان هذا النص يدل على مدى ثقافة واطلاع مصعب بن الزبيري فانه في الوقت نفسه يدلّ على تعمقه دراسة شعر الغزل وشعر عمر بن أبي ربيعة على وجه الخصوص ، إذ حـــــــــــــاول الناقـــــــــــــــــــــد ان يـــــــــــــــــــستنبط

خصائص شعر عمر التي كانت سبباً في تفوقه. ولا ريب في أن مصعب قد اعتمد من تلك الشواهد شذرات نقدية مهمة ، وكانت اقرب إلى التقنين . واحتل شعر عمر بن أبي ربيعة موضع المثال الأعلى منها في تلك المدة.

ومن النصوص النقدية المهمة في العصر الأموي ما رواه صاحب الأغاني قال: ((قال هشام بن عبد الملك لشبّة بن عقال وعنده جرير والفرزدق والأخطل، وهو يومئذ أمير: ألا تخبرني من هؤلاء الذين قد مزّقوا أعراضهم ، وهتكوا أشعارهم، وأغروا بين عشائرهم في غير خير ولا بر ولا نفع، أيّهم أشعر . فقال شبّة: أما جرير فيغرف من بحر وأما الفرزدق فينحت من صخر وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر. فقال هشام: ما فسرت لنا شيئاً نحصله. فقال ما عندي غير ما قلت))[٩٥٧] فالناقد ـ كما ـ يبدو مدرك بما وراء أحكامه لكل شاعر ولا يريد أن يفسر مقولته النقدية والأمير يرى أن هذه المقولة متآلفُ عليها ولم يضف شبّه شيئاً. لذلك فقال: ((لخالد بن صفوان صفهم لنا يا ابن الأهتم فقال: أما أعظمهم فخراً وأبعدهم ذكراً وأحسنهم عذراً، وأسيرهم مثلاً و أقلهم غزلاً وأحلاهم عِللاً، الطامي إذا زخر، والحامي إذا زأر، والسامي إذا خطر، الذي إن هدر قال، وإن خطر صال، الفصيح اللسان، الطويل العنان، فالفرزدق.

وأما أحسنهم نعتاً وأمدحهم بيتاً، وأقلهم قوتاً الذي إن هجا وضع وان مدح رفع، فالأخطل. وأما أغزرهم بحراً وارقهم شعراً وأهتكهم لعدوّه ستراً الأغر الأبلق الذي إن طلب لم يسبق وان طُلِبَ لم يلحق فجرير. وكلهم ذكي الفؤاد، رفيع العماد، واري الزّناد.

فضحك هشام وقال ما رأيت كتخلصك يا ابن صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم، حتى أرضيتهم جميعاً وسلمت منهم.. و ما سجعنا بمثلك يا خالد في الأولين ولا رأينا في الآخرين وأشهد انك أحسنهم وصفاً واينهم عطفاً وأعفهم مقالاً وأكرمهم فعالاً))[٩٥٨].

والحق أن نقد بن صفوان مهم ودقيق وشامل لأهم خصائص شعر الثلاثة وهو نابع من معرفة عميقة بشعرهم وما يتميزون به ولاحظنا انه تجنّب الحكم عليهم بتقديم واحد على الثلاثة خوفاً من العاقبة واكتفى بذلك الوصف الذي يعد من النصوص المهمة في شعر الثلاثة. غير أن المتأمل بعمق يجد أن ابن صفوان وإن كان أرضى الشاعر والأمير معاً ـ كما يبدو ـ فأن تفضيله قد تمثل في التسلسل الذي ذكر به هؤلاء. ولا ريب

(٩٥٧) الأغاني ٨٦/٨ ويروى أن الأخطل هو الذي قال: ""الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر" ينظر : طبقات فحول الشعراء٤٥٠/٢ والأغاني ٢٣٧/٨

(٩٥٨) م.ن ٨٦/٨.

في أنّهُ اكثر من الصفات لشعر الفرزدق التي تميزّه عن صاحبيه. كما ان الناقد لم يقلل من قيمة شعر جرير والأخطل فقد وصفهما باو صاف مهمة ولكنها من دون وصف الفرزدق. و لعل نقد ابن صفوان أو صف من هؤلاء جميعاً في نظر هشام وهذا يدل على معرفته العميقة بشعرهم وشعر غيرهم.

ومن الملاحظات النقدية المهمة في عصر بني أمية تلك المساجلة التي جرت في مجلس عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والتي اعتمدت على نقد منظوم للخطب. وقد تبارى في هذه المساجلة خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة والفضل بن عيسى وواصل بن عطاء وتناو بوا القول على المنبر على هذا النظام، فانتزع خالد وشبيب والفضل... إعجاب القوم انتزاعاً... و ... وكانوا قد أعدّوا خطبهم من قبل وحبّروها ونمقوها. ((ثم نهض واصل بخطبةٍ مرتجلة، تجنّب فيها الراء، ففاق اعجاب الوالي بواصل بن عطاء اعجابهم بالثلاثة قبله)). فسجل شاعران معاصران لواصل هذا الحادث تسجيلاً صادقاً. أحدهما بشار قال مخاطباً واصلاً:

أبا حذيفة قد أو تين معجبة — في خطبة بدهت من غير تقدير
وإن قولاً يروق الخالدين معاً — لمسكنٌ تحرسُ عن كل تحبير[959]

وقال أيضاً:

تكلف القول والاقوام قد حلفوا — وحبروا خطباً ناهيك من خطب
فقام مرتجلاً تقلي بداهته — كمرجل القين لما حف باللهب
وجانب الراء لم يشعر بها أحد — قبل التصفح والإغراق في الطلب

والشاعر الآخر صفوان الانصاري وهو القائل:

فسائل بعبد الله في يوم حفله — وذاك مقام لا يشاهده وغد
أقام شبيباً وابن صفوان قبله — بقول خطيب لا يجانبه القصد
أقام ابن عيسى ثم قفاه واصل — فابدع قولها ماله في الودى ند
فما نقصته الراء إذ كان قادراً — على تركها واللفظ مطرد سرد
ففضل عبد الله خطبة واصل — وضوعف في قسم الصلات له الشكر
فأقنع كل القوم شكر حبائهم — وقلل ذاك الضعف في عينه الزهد[960]

ففي هذه الاشعار مدح للبديهة المرتجلة والكلام المرتجل في مقابل الأعداء والتحبير والاحساب ولم يلتفت إلى الشق الآخر، الذي اعتمد على الجانب الفني والذي كان من نصيب جرير.

ويروى عن عبد الله بن أبي جعفر أنه قال لمعلم ولده ((لا تروّهم قصيدة عروة بن الورد التي يقول فيها:

دعيني للغنى أسعى فأني — رأيتُ الناس شرُّهم الفقيرُ

---

(٩٥٩) نوادر المخطوطات ١٢٧/١ـ١٢٨ . والأبيات في ديوان بشار ٣٩٣/٢، ٣٩٤/١. للاشترادة عن لثغة واصل بن عطاء وقدرته على يخنبها ينظر الكامل ١٧٨/٢

(٩٦٠) نوادر المخطوطات: ١٢٨/١.

ويقول: إن هذا يدعوهم إلى الإغتراب عن أو طانهم))[961].

فعلى الرغم من جمال المعنى، فانه لم يعجب عبد الله بن أبي جعفر، فالناقد لم يوفق في ذلك لأن الشاعر حاول أن يقنع امرأته بأن السعي غنىً والقعود فقر.

وقد كان لبعض الفقهاء رايا في الشعر فحينما سائل عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي والي العلم في المدينة ((كيف تقول الشعر مع النسخ والفقه؟ فقال: لابد للمصدور من أن بنفث))[962].

ومن الملاحظات النقدية التي جاءت على شكل حوار بين الناقد والشاعر الناقد محاورة النصيب مع إبراهيم بن هشام فقد انشده النصيب مديحاً له، فقال إبراهيم: ماهذا بشيء! أين هذا من قول أبي دهبلٍ لصاحبنا ابن الأزرق حيث يقول:

ان تَفْـدُ مـن منقلـي نخـلان مـرُتحِلاً   يرحـل مـن اليمنِ المعروفُ والجـودُ

فغضب نصيب، ونزع عمامته وبرك عليها، وقال: لئن تأتونا برجالٍ مثل ابن الأزرق نأتكم بمثل مديح أبي دهبل أوأحسن؛ إن المديح والله إنما يكون على قدر الرجال...)[963].

فالنصيب يشير إلى باعث مهم يحث على قول الشعر والإجادة فيه وهو الممدوح ولكنه يرى أن ممدوحه المعاصر ناقص عن سابقية وهذا النقصان أثرَّ في شاعرية الشاعر. ورأيه هذا يتناسب مع الذين يزعمون أن بواعث الشعر الطمع والإيثار، والطرب والشراب والشوق والغضب إلى ما هنالك.

وفي رأينا إن الشاعرية الخصبة لا ترتبط بباعث بعينه فهي قادرة على أن تخلق مادة في أي موضوع وعلى قدر من المهارة والتقنية.

وقد اسهم العلماء والرواة في نقد النص الأدبي فقد تجاو ز نقد المعنى إلى الموازنة بين الشعراء في معاني الشعر. وتلك حالة أو سع وأعمق وهي بحاجة إلى ثقافة أكبر وقدرة أفضل للمفاضلة بين الشعراء. فقد قال أبو عمرو بن العلاء لذي الرمة انشدني ما بال عينيك فانشده فلمّا انتهى إلى قوله:

تُـصغي إذا شـدّها بالكورجانحـة   حتى إذا مـا استوى فـي غرْزهـا تَثِبُ

فقال أبو عمر: ما قاله عمّك الراعي أحسن مما قلت:

وهي إذا ما قام في غرزهـا   كمثـل السـفينة وأو قـرُ

ولا تعجـل المـرء قبـل الـورو   ك وهي بركبته أبصـرُ

فقال ذو الرمّة: إن الراعي وصف ناقة ملك وأنا أصف ناقة سوقة[964].

ويبدو أن ذا الرمة كان على قدرٍ كافٍ من الذكاء والإتزان فهو لم يخطئ الراعي ولا يخطئ نفسه. ويرى الدكتور عبد الجبار المطلبي ((أن صورة الراعي قد ارتفعت إلى

---

(٩٦١) الأغاني ٧٤/٢. والبيت في ديوان عروة بن الورد ١٧٤.

(٩٦٢) البيان والتبين ٣٥٦/١.

(٩٦٣) م.ن ١/ ٣٤٨. والبيت في ديوان أبي دهبل ١٠٥ وصدره
(ان تفد من مرحلي نجران مرتحلا)

(٩٦٤) ينظر: الموشح ٢٧٨. والبيتان في ديوان ذي الرمة ٤٨/١ وديوان الراعي النميري ٢٠٦.

الواقعية المثالية التي لا تكون عليها إلاّ الندرة المدرّبة من النوق... أمّا صورة ناقة ذي الرمة فمنتزعة من مشاهد النوق الكثيرة التي يجدها المرء في كل عصر وجيل، ولكن الناقد لم يستمد معياره حين اعترض على ذي الرمّة من واقع الحياة وإنما من أنموذجٍ من الشعر وجد فيه صورة معجبة على ما يكون فيها مما لا تزخر به الحياة))(٩٦٥) ويقول: ((فكلتا صورتي الراعي وذي الرمّة تشتمل على واقعية فنية. أو إذا شئت قلت الصدق الفني. والصدق الفني هو المعيار النقدي الذي كان النقاد، أو آنذاك، يحتكمون اليه))(٩٦٦).

ولا ريب فقد كان ذو الرمة راو ية للراعي وهذا كان وفاءً من التلميذ لأستاذه فهو لم يتهكم عليه وعندما قيل له ((إنما انت راو ية الراعي. فقال أما والله لئن قيل ذلك ما مثلي ومثله إلاّ شابٌّ صحِبَ شيخاً، فسلك به طرقاً ثم فارقه. فسلك الشاب بعده شعِاباً واو دية لم يسلكها الشيخ قط))(٩٦٧).

يبدو أن السائل عرّض بذي الرمة وجعله راوية فقط للراعي. وهذا الأمر دفع ذى الرمة إلى أن يجيبَ بذكائه المعهود من أنه أفاد من الراعي وأخذ عنه وتأثر به ولكنه شق طريقاً آخر لنفسه بعد هذا وتعدد في القول وحافظ على أصالته وأضاف إلى ما جاء به الراعي أشياء لم يسعف الحظ الراعي القول فيها. ويطرح ذو الرمّة هنا قضية من أهم قضايا النقد الأدبي وهي البدايات الأو لى للشاعر واعتماده على أساتذته ومن ثم تقوده التلمذة إلى مكانته ومنزلته في الشعر فقد يصبح متفرداً. ومما لا ريب فيه فان الشعراء جميعاً يبدأون الطريق هكذا.

---

(٩٦٥) الشعراء نقاداً: ١٦٧:

(٩٦٦) م.ن : ١٦٧.

(٩٦٧) الأغاني ٣٥/١٨.

النقد الأدبي في مجالس النساء :

أسهمت المرأة في عصر بني امية إلى جانب اخيها الرجل مساهمة فكرية وأدبية ، ترتب على ذلك تفاوت في أداء المهمة . فهناك من عرفت بفصاحتها وحسن بيانها ، فظهرت المرأة المثقفة والشاعرة والخطيبة والناقدة .. إلى ما هنالك حيث تمكنت من إيجاد مجلس نقدي في هذا العصر، فلم ((يجتمع في تاريخ النقد الأدبي العربي حتى في أبهى عصوره هذا التجمع النسائي حيث توجّه عدد من النسوة من صفوة نساء قريش وبعض نساء العرب الأخريات إلى نقد شعر الغزل الذي شاع في الحجاز.. ولعل من أسباب هذا التوجّه الحرّية التي نالتها المرأة في الإسلام وبروز شخصيتها بسبب الثقافة التي أتاحها الإسلام لها ونمو شخصيتها واستقلالها))[٩٦٨] ويبدو أن كثيراً من ناقدات العصر على قدر كافٍ من الثقافة والإطلاع، فضلاً عن حفظهن الشعر وقرضه وروايته وإنشاده ونقده ، فقد إستطاعت المرأة العربية أن تنفذ إلى عوالم جديدة عن طريق المهارات والمواهب التي أرتأتها لنفسها مما جعل لها أثراً فاعلاً ومميزاً في الفكر والأدب وروايته وتعد الناقدة سكينة بنت الحسين[٩٦٩] في مقدمة ناقدات هذا العصر، إنتشارك في النقاش الشعراء وتحاورهم، وهي بذالك تقدم لنا نموذجاً بارزاً للمرآة العربية التي تمتلك قدرة النظر في الشعر ونقده وتقويمه، لأنها كانت عارفة باصول قواعده وتمييز غثه من سمينه ومواضع الجودة والرداءة فيه . وجاء في الموشح ان كثيّراً انشدها قصيدته التي يقول فيها:

أشاقكَ برقُ آخر الليل واصبُ ... تضمّنه فرش الجبا فالمساربُ

تألق وأحمومي وخيّم بالرُّبى ... أحمُّ الذُّرى ذو هيدبٍ متراكبُ

إذا زعزعته الريح أرزمَ جانِبٌ ... بلا خلفٍ منهُ وأو مضَ جانبُ

وهبّت لسُعدى ماءه ونباته ... كما كل ذي ودّ لمن ودّ واهبُ

لتروى به سُعدى ويروى صديقُها ... ويُغدِق إعداد لها ومشاربُ

قالت: أتهب غيثاً؟ جعلني الله والناس فيه أسوة؟ فقال: وصفت غيثاً فأحسنته وأمطرته وأنبته وأكملته ثم وهبته لها فقالت: فهلاً وهبت لها دنانير ودراهم...))[٩٧٠].

---

(٩٦٨) المرأة في افق الأدب العربي: ٣١.

(٩٦٩) ينظر ترجمتها في وفيات الاعيان ٢١١/١. وفيه إنها سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) وحملت عليها بعض المصادر التي وقفنا عندها أقوالا وروايات عديدة من المستبعد ان تصدر عنها، عن بنت الحسين بن علي وعن زوج مصعب بن الزبير لذى ارتأينا ان نجعل الناقدة أمرأة أخرى.

(٩٧٠) الموشح: ٢٤٦-٢٤٧ والأبيات في ديوان كثير ٤٢-٤٣ مع تغيير يسير ففي البيت الثالث (بلا هزق) وفي البيت الأخير (ويروى محلها). وارزم: ضج وقعقع. والهزق: شدة الصوت.

ولعل سكينة اعرف بنفسيه المرأة، وما تحب أن تعطى فالمال ما زال مغرياً للمرأة اكثر من الكلام المعسول.

ومما يروى أن سكينة الناقدة وقفت على عروة بن أذينة، وكان من فقهاء المدينة وأعيان العلماء وكبار الصالحين، وله أشعار رائقة فقالت له: أنت القائل:

إذا وَجــدتُ أو ار الحــبِّ فــي كَبــدي … عَمَــدَتْ نحــو سِــقا القــوم أبتــردُ
هَبْنــي بَــردَتُ بِبَــرد المــاءِ ظــاهرُهُ … فمَــنَ لحــرِ علــى الاحــشاء يتِقــدُ!

فقال لها: نعم. فقالت وأنت القائل:

قالـت وأبثثتهـا وجـدي وبحـتُ بـهِ … قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي؟ فقلت لها … غطّى هواكِ وما ألقى على بصري

قال: نعم. فالتفتت إلى جوارٍ كنَّ حولها وقالت: هنّ حرائر ان كان هذا خرج من قلب سليم[(٩٧١)]

يبدو أن سكينة اعتمدت الموازنة بين العاطفة والنص إذ رأت ان هذا الانفعال العاطفي يعبّر عن تجربةٍ ومعاناة عاشق متيم، وليس كما يدعي أنه لم يعشق قط.

فقد جاء في الأغاني أن سكينة الناقدة سألت الفرزدق عن أشعر الناس فوضع نفسه فوّبخته ورأت ان جريراً أشعر منه في ثلاثة مواضع حددتهن بقوله:

بنفــسيَ مَــنْ تَجَنّبُــهُ عزيــزٌ … علــيَّ ومَــن زَيَارَتُــهُ لمَــامُ
ومــن أمِــسي وأصــبحُ لا أراهُ … وَيَطرُقُنــي إذا هَجَــعَ النيــامُ

وفي قوله:

لــولا الحيــاءُ لعــادني استبــصارُ … ولــزرت قبــركِ والحبيــبُ يــزارُ
كانــت إذا هجــر الــضجيع فراشــها … كــتمَ الحــديثُ وعفّــت الاســرارُ
لا يلبــث القرنــاء ان يتفرقــوا … ليــل يكــرُّ علــيهم أو نهــارُ

وفي قوله:

إنّ العيونَ التي في طرفها حورٌ … قتلنا ثمّ لم يُحيين قتلانا
يصرعَنَ ذا اللبَّ حتى لا حَراك بهِ … وهنّ اضعف خلق الله أركانا[(٩٧٢)]

((وقد كان للإسلام أعظم أثر في قيام الغزل العذري، لما دعا إليه من مقاومة النفس والهوى، وتهوين أمر الدنيا وتهويل شأن الآخرة. لذلك نجد بعض هؤلاء المحبين من الزهاد، فعبد الرحمن ابن عمّار الشهير بالقيس كان من أعبد أهل مكة، وعروة بن أذينة من فقهاء المدينة ومحديثها وعروة بن حزام عاشق عفراء))[(٩٧٣)]، وقد فضّلت

---

(٩٧١) ينظرالأغاني ٣٣٦/٢-٣٣٨. للاستزادة ينظر : الكامل ٦٢٤/٢ ـ ٦٢٥ والعقد الفريد ٢٨٦/٥ وزهر الآداب ٢٠٨/١-٢٠٩ ووفيات الاعيان ٢٩٨/٢، واخبار النساء ٥٩-٦٠ والأبيات في ديوان الشاعر (٣١٦-٣١٧(، ٣٢٣) مع تحوير بسيط فشطر البيت الثاني في الديوان: عمدت نحو سقاء القوم اتبردُ.ويروي لعمر بن أبي ربيعة . ينظر الديوان ٤٩٥-٤٩٦والبيستان الاجيران

(٩٧٢) الأغاني ١٨٠/١٦-١٨١ و ٣٦٨/٢١-٣٦٩ والأبيات في ديوان جرير / ٦١٣، ٢٣٧-٢٣٩، ٧٠٢ وصدر البيت الرابع كانت إذا هجر الليل فراشها.

(٩٧٣) النقد الأدبي عند العرب إلى نهاية القرن الثاني الهجري:٣٢٠ والأبيات في ديوان جميل بثينة: ٤١.

السيدة سكينة جميلاً على جرير والفرزدق وكثير معللة حكمها انه جعل حديثنا بشاشة، وقتلانا شهداء في قوله:

يمـوتُ الهـوى منّـي إذا مـا لِقيتُهـا ... ويحيـا، إذا فارقتُهـا، فيعُـودُ

يقولـون: جاهـدْ يـا جميـلُ، بغـزوةٍ ... وأيَّ جهـادٍ، غيـرهُنَّ أريـدُ

لِكُـلِّ حـديثٍ بيـنهنّ بـشاشةٌ ... وكُـلّ قتيـلٍ بيـنهنّ شـهيدُ[(٩٧٤)]

وقد دعم هذه النزعة العذرية في نفوسهم أعتقادهم بأن المحب في عفّةٍ وطهارةٍ لهُ عند الله ثواب وأجر وقد ترقى منزلته إلى مراتب الشهداء.

وقد روي عن الرسول ﷺ: ((من عشق وكتم وعفّ وصبر غفر الله وأدخله الجنة)).

وَجاءَ في الموشح أن عزّة دخلت يوماً متنكّرة على كثير فقالت: ((انشد أشد بيت قلته في عزّة قال: قلت لها:

وجـدتُ بهـا وَجـدَ المُـضلِّ قُلوصَـهُ ... بمَكّـة والرّكبـان غـادٍ ورائـحُ

فقالت لم تضع شيئاً قد يجد ناقة يركبها فاطرف ثم قال:

وجـدتُ بهـا مـالم يجـدٍ ذو حـرارة ... يمـارس حملـت الركـى النـوازحُ

قالت لم تصنع شيئاً فقد يجد هذا من يسقيه:

فأطرق ثم قال:

وجـدت بهـا مـالم تجـد أم واحـد ... بواحـد مـا تطـوي عليـه الـصفائحُ

فضحكت ثم قالت: إذا كان ولابد فهذا!))[(٩٧٥)]

وكانت عزّة في هذا القول ناقدة فذّة بدليل حوارها وتعليلها لقول كثير الذي أدرك هو فتور قوله بدليل اعادته مرّات لحتى وصل غايته الذي اقنع به عزّة. ومما لا ريب فيه أن هناك من الوجد والحزن ما ينسي إذ وجد بدليل ما فقدناه من الحاجات المادية ولكن أين البديل لمن يموت واحدها؟! وكان عليها ان ترضى بهذا الوجد الدائم حين يجده الشاعر بها الذي يشبه وجد الثكلى التي فقدت واحدها.

وفي مجلس آخر قالت عقيلة لكثير يا فاسق أنت القائل:

أ إن زُمَّ أجمـال وفـارق جيـرة ... وصـاح غـراب البـين أنـتَ حـزينُ

أين الحزن إلا عند هذا؟ ... فقال جعلني الله فداءك إني قد أعقبت بُما هو احسن من هذا ثم انشدها:

أزمعـت بينـا عـاجلاً وتركتنـي ... كئيبـاً سـقيماً جالـساً اتلـددُ

وبـين التراقـي واللهـاة حـرارة ... مكـان الـشجا مـا تطمـئنُ وتبـردُ

فقالـت خلـين عنـه يـاجواري فـأمرت لـه بمائـة دينـار وحلّـة يمانيـة فقبـضها وانصرف))[(٩٧٦)]

---

(٩٧٤) الأغاني ١٦٦/٤والأبيات في ديوان جميل بثينة ٤٦

(٩٧٥) الموشح: ١٨٢، الأبيات في ديوان كثير ١٠٣.

(٩٧٦) الموشح ٢٥٥-٢٥٦ والأبيات في ديوان كثير ١١٨،١٥٨ مع تغير يسيير فالبيت الأو ل:

وأجمعت بيتاً عاجلاً وتركتني ... بفيفا خريم قائماً اتلدّدُ

ففيفا قديم: ثنية جبلية دوين المدينة، اتلددُ: انقلب.

والفرق بين القولين في العاطفة ففي قوله (أ إن زم اجمال) عدم مبالاة بمن يرحل أو بمن يقيم. فرحيل المحب لا يستوجب الحزن وهذا هو الذي اغضب عقيلة. وقد شفع له بيتاه الاخرين اللذين يقبضان عاطفة جياشة مترفقة بالشوق باللوعة.

ويروى أن مجلساً ادبياً كان لعقيلة بنت عقيل بن أبي طالب، وبينما هي في المجلس، إذ استئذنت بجميل بن معمر فأذنت له فدخل فقالت:

أأنت القائل:

فلــو تركــت عقلــي معــي مــا بكيتهــا ولكن خلا بيها لما فات من عقلي

انما تطلبها عند ذهاب عقلك لولا أبيات بلغتني عنك ما أذنت لك وهي:

عَلِقْتُ الهـوى مِنْها وليـداً فلـم يَـزَلْ إلــى اليــومِ ينمــي حُبُّهــا وَيزيــدُ

فــلا أنــا مــردودٌ بمــا جئــتُ طالبــاً ولا حُبّهـــا فيمـــا يَبيـــدُ يَبيـــدُ

يمــوت الهــوى منــي إذا مــا لقيتهــا ويحيــا إذا فارقتهــا ويعـــودُ(٩٧٧)

ثم قيل لها: هذا كثيرِّ عزَّة والأحوص بالباب، فقالت: ائذنوا لهما، ثم أقبلت على كثير فقالت: أما أنت يا كثير فألأمُ العرب عهداً في قولك:

أريـــد لا أنـــسى ذكرهـــا فكانمـــا تمثّـــلُ بـــي ليلـــى بكـــل ســـبيل

ولم تريد أن تنسى ذكرها؟ أما تطلبها إلاَّ إذا مثلت لك؟ أما والله لولا بيتان قلتهما ما التفت لك وهما قولك:

فيــا حبهــا زدنــي جــوى كــل ليلــةٍ ويــا سـلوة الأيـام موعـدك الحـشرُ

عجبــتُ لــسعي الــدهر بينــي وبينهــا فلمَّـا انقـضى مـا بيننـا سـكن الـدهرُ

فعقيلة لا ترى في قوله (أريد لانسى ذكرها) عشقاً ولا حّباً وكانت مصيبة في ذلك.(٩٧٨)

ثم اقبلت على الأحوص فقالت: وأما أنت يا أحوص فأقل العرب وفاءً في قولك:

مِــنْ عاشـــقينِ تواصـــلاً وتراســـلاً لـــيلاً إذا نجـــم الثريَّـــا حلَّقـــا

بعثـــاً أمـــا مهُمـــا مَخافـــة رقيبـــةٍ عبـــداً ففـــرق عنهمـــا مـــا أشـــفقا

باتـــا بـــأنعم عيـــشة وألـــذُّها حتـــى إذا وضـــح النهـــار تفرَّقـــا

ألا قلت تعانقا؟ أما والله لولا بيت قلته ما أذنت لك، وهو

كـم مِـنْ دنـيٍّ لهـا قـد صِـرتُ أتْبَعُـهُ ولوصحاالقلبُ عنها صار َلي تبعا(٩٧٩)

---

(٩٧٧) ينظر : الموشح ٢٥٤ والأغاني ٢٥٨/٤ وفيه ان عقيله هي سكينه بنت الحسين والأبيات في ديوان جميل بثينة: ٩٣ ٣٩-٤١.

(٩٧٨) ينظر : الموشح: ٢٥٤-٢٥٥ والأبيات في ديوان كثير ٢٢٤ولم اعثر على البيتين الاخيرين في ديوان كثير والمرجح أنهما لأبي صخر الهدلي: ، وفيه (تراسلا وتواعدا) و(بلقاً إذا نجم ، ورصدا فمزق ..) و(باتا بانعم ليلة ..) للاستزادة ينظر : دراسات في نقد الأدب العربي:١١٠.

(٩٧٩) م.ن والأبيات في ديوان الاحوص. ١٤٦، ١٣٤

وهذا يدلنا على شيوع النقد الأدبي الرفيع، وتمكن ملكة النقد من نفوس القوم وسراتهم وتجأو زها الرجال إلى النساء، ومثل سكينة وعقيلة في ذلك كثيرات منهن عائشة بنت طلحة، وهند بنت المهلّب.

ويقال إن جميلاً لقي بثينة بعد هجر وقطيعة فقالت له معاتبة:
ويحك يا جميل! أتزعم أنك تهواني، وأنت الذي تقول:

رمى اللهُ في عَينَي بُثينَة بالقذى وفي الغُرِّ من أنيابها بالقوادِحِ !

فأطرف طويلاً يبكي، ثم قال: بل إنا القائلُ:

ألا ليتني أعمى، أصمٌّ تقودني بثينة، لا يخفى عليّ كلامها

فقالت له: ويحك ما حملك على هذه المُنَى أو ليس في سعة العافية ما كفانا جميعاً.[980]

فالمتأمل في هذه الأبيات يستشف أن هذا الوجد لون من ألوان المحبين، وما يصيبهم من الإختلاط، فاليأس من بثينة والغضب عليها معاً قد دفعا بهِ إلى دعائه عليها، ثم ردّه حبها لها وشوقه اليها إلى تمني أن تكون إلى جانبه، وأن يكون هو أعمى أصم وهي التي تقوده، فيكون من آيات الحب ومعجزاته أن يسمع عندئذ كلامها من دون كلام الناس جميعاً.

ونستشف من ذلك أن شعر الغزل العذري قد بلغه ما بلغه من شدة الصبابة ولواعج النفس فزاد الوجد واللوعة وماكان فيه من التصابي والرقة فهذه النماذج تدل على أحوال المحبين ومعاناتهم التي أباحت بها عواطفهم وقد يصل بهم الأمر في بعض الأحيان إلى تمني البلاء مع لقاء الأحباب والأماني البغيضة وقد يختلف الأمر بينهم باختلاف طباعهم ويحتكم إلى صفاء فطرتهم وتلوّن شعورهم وذوقهم وإذا تأملنا بيت جميل الآنف الذكر:

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغر من أنيابها بالقوادح

وعلى هذا يقول المفضّل الضبي: ان كثيراً اعشق من جميل فقد شتمت بثينة جميلاً فبلغه ذلك فقال (رمى الله ....)

وصنعت عزّة بكثير مثل صنيع بثينة بجميل فقال كثير:

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزّة من اعراضنا ما استحلّت
يكلفنا الخنزير شتمي وما بها هواني، ولكن للمليك استذلّتِ
أصاب الردى من كان يهوى لنا الردى وجنّ اللواتي قلن عزّة جنّتِ
فما انا بالداعي لعزّة بالردّى ولا شامت ان فعلت بعز زلّتِ[981]

فهذا الحكم وإن كان عاماً، فهو غير المقصد طالماً والمفضل قد حدد مكان التفضيل.

---

(٩٨٠) الأغاني ١١١/٨ والبيتان في ديوان جميل بثينة: ٣٢ والقوادح جمع قادحة وهي السوس الذي يفسد الأسنان.
(٩٨١) ينظر: نقد الشعر ١٣٤، والصناعتين: ٧٣ والموشح ٢٠٠. والأبيات في ديوان كثير ٧٥-٨٣.

والحق ان ما تجده من النساء من آراء ونفثات نقدية لم يرد منها تعليق وكأننا بهن وقفن عند بدايات النقد الأدبي حيث بدأ تأثراً وتأثيراً ومن ذلك ان الحرمان قد يبلغ ببعض شعراء الغزل العذري إلى مداه، فيتمنّون لأنفسهم وصواحبهم أماني لم تكن في الحسبان، ولا يقبلها الذوق، وهي امان عجيبة شقيّة لا تثير الحسد، فكثيّر يقول:

ألا ليتنا يا عَزّ كنّا لذي غنىً ... بعيرين نرعى في الخلاء ونعزبُ

نكونُ لذي مالٍ كثيرٍ مغفّلٍ ... فلا هو يرعانا ولا نحن نطلبُ

إذا ما وردنا منهلاً هاج أهلهُ ... إلينا فلا ننفك نرمى ونضربُ

فقالت عزّة: (اردت بي الشقاء الطويل، ومن المنيّة ماهوأوطأمن هذا الحال)[٩٨٢] ومثل هذا الشقاء لا يتأتى الاّ لعاشق متيم بلغ من الحرمان اشدّه.

وقد تعدد نقد النساء للشعر وتنوع في العصر الاموي وروي ان قطام الناقدة قالت لكثير بعد حوار نقدي ((تسمع بالمعيدي خير من ان تراه))[٩٨٣]فانشد كثير ابياتاً حتى بلغ قوله:

فما روضة بالحزن طيبة الثرى ... يَمَجُ النَّدى جَثجَاثها وعرارها

بأطيبَ من أردانِ عَزّة موهِناً ... إذا أو قِدَتْ بالمندلِ الّرطْبِ نارُها

وقالت تا الله لم ارَ شاعراً اقل عقلاً ولاأضعف وصفاً منك والله لوفعل بزنجية لطاب ريحها،لامرؤ القيس اشعر منك وأو صف حيث يقول وهي بذلك تشير إلى قوله:

ألم تريانِ كلّما جئت طارقاً ... وجدتُ بها طيباً وان لم تطيبِ[٩٨٤]

وفي رواية ان الناقدة امرأة أخرى فعندما سمعت بقول كثير قالت: فضّ الله فاك أرأيت لو أن ميمونة الزنجيّة بخّرت بمندل رطب. اما كانت تطيب؟ الا قلت كما قال سيّدك امرؤ القيس،وانشدت البيت الآنف الذكر[٩٨٥]

فهذا النقد يدل على ذوق فني وسعة اطلاع بالشعر.

ويبدو أن كثير كان أكثر الشعراء تعرضاً لنقد المرأة في العصر الأموي ((ويبدو أن المرأة العربية كانت تعجب بهيكل الشاعر قبل شعره في أن يكون جميلاً نحيلاً له خصائص العاشق والمقولة))[٩٨٦].

فقد جرى حوار نقدي ساخن بين كثير وغاضرة جارية بشر بن مروان التي قالت ((والله ما كان في المدينة من شيء هو أحب إليّ من أن أرى كثيراً واسمع شعره))[٩٨٧] وحينما انشدها السائب رأو ية كثير شيئاً من شعره قالت: ((قاتله الله، فهل قال قول كثير

---

(٩٨٢) ينظر : الموشح: ٢٤٦-٢٤٧ الأبيات في ديوان كثير ٥٨-٥٩. مع تغيير طفيف في صدر البيت الثاني

(٩٨٣) الموشح ٢٤٢-٢٤٣ .

(٩٨٤) ينظر : م.ن: ٢٤٢. والأبيات في ديوان كثير ١٦٣-١٦٤ وديوان امرئ القيس ٤١.

(٩٨٥) ينظر:الموشح ٢٣٩.

(٩٨٦) المرأة في أفق الأدب العربي: ٤١.

(٩٨٧) الأغاني ٢٨/١١.

أحد على الأرض؟ والله لأن اكون رأيت كثيراً أو سمعت منه شعره أحب إليّ من مائة ألف درهم))[٩٨٨].

وفي تلك إشارة واضحة إلى شاعريته.

ومن ناقدات شعر كثير عائشة بنت طلحة بن عبيد، إذ قالت لكثير ((يا ابن أبي جمعة ما الذي يدعوك إلى ما تقوله من الشعر في عزّة وليست ما تصف من الحسن والجمال، ولو شئت صدقت ذلك إلى غيرها ممن هن أو لي به منها أنا أو مثلي، فأنا أشرف وأو صل من عزة وانما جربته ذلك فقال:

إذ ما اردت خلّة ان تزيلنا أبينا وقلنا الحاجبيّة أول

فقالت عائشة:)) والله لقد سميتني لك بخلة وعرضت علي وهلك وما أريد ذلك وان اردت الا قلت كما قال جميل بثينة:

وَيَقُلْنَ إنّك قد رضيتَ بباطلٍ منها فهل لك في اعتزال الباطل
ولباطلٌ مِمَن أحَبُّ حديثه أشهى أليّ من البغيض الباذِلِ
ولَرُبَّ عارضةٍ علينا وصلها بالجدّ تُخلِطُهُ بقول الهازل
فاجبتها في الحبّ بعد تسترٍ حبّي بثينة عن وصالك شاغلِ
لو كان في قلبي كقدر قُلامةٍ حُبٌّ وصلتُكَ أو أتتك رسائلي))[٩٨٩]

ومن النقد النسوي في عصر بني أمية ما يروى عن النّوار إذ يقال: انها سمعت الفرزدق يعيب شعر جرير فقالت ((هو والله أشعر منك.. قال وكيف علمت ذلك؟ قالت غلبك على حلوة وشركك في مرّه))[٩٩٠] ويقال أنه أي الفرزدق هو الذي سأل النوار في ذلك[٩٩١].

فالنّوار حكمت لجرير على زوجها الفرزدق وهذا الحكم شبيه حكم ام جندب حينما حكمت لعلقمة وميل المرأة في الحكم لخصم زوجها أمر يثير الدهشة.

ويروى عن ليلى الأخيلية إحدى شواعر هذا العصر. أنه قد احتكم اليها الشعراء أو س بن غلفاء والعجيز السلولي ومزاحم العقيلي والعباس بن يزيد الكندي وحميد بن ثور الهلالي. في أيّهم كان أفضل وأجود في وصف الغطاة، فحكمت الشاعرة ليلى الأخيلية للشاعر العجير بالأجادة والقوّة والاصالة.و ان من سمات الاجادة في الصورة الشعرية هو انسجام أبياتها وترابطها واتساع البناء الفني بحيث تغدو وحدة كاملة لا انفصام بين أبياتها ولا فتور في ترابطها ففضلت مزاحم لقوله:

تم ذلك أم كدريّة هاج وُرودُها من القيظ يَوْمٌ واقد وسمومُ[٩٩٢]

ويبدو أنّها فضّلت السلولي لقولها:

---

(٩٨٨) م.ن ٤٨/١١.

(٩٨٩) الشعر والشعراء ٥٠٩/١ والأبيات في ديوان كثير عزة ٢٤٨ وديوان جميل ١٠١ مع تغيير طفيف في البيت الثالث والاخير (فلرب عارضة...) و (لو أن في ...).

(٩٩٠) الموشح:١٦٩.

(٩٩١) ينظر : م.ن ٦٨.

(٩٩٢) ينظر: طبقات فحولة الشعراء ٧٧٠/٢ والأغاني (دار الكتب) ٢٦٦/٨-٢٧٢و ١٠٣/١٩-١١١، ابن ثور شاعر اسلامي أموي يقال ادرك خلافة عبد الملك له ديوان مطبوع. ينظر: الاعلام ٢٨٣/٢، مزاحم العقيلي (ت١٢٠هـ) شاعر اسلامي شهر بحبه البائس لفتاة اسمها مية. ينظر : ترجمته ٩/٢، ٢٦٦/٩-٢٧١. والسمط اللآلي ٤١٠ والاعلام، ٢١١/٧.

الا كـــل مـــا قـــال الـــرواة وانـــشدوا **بها غير مـا قـال السُّلولُّي بَهْرَجُ**(٩٩٣)

وهجاها حميد بن ثور في قوله:

كأنـــك ورهـــاء العنـــانين بغلـــةً **لأن حـصناً فعـار ضـتهن تـشجُّ**(٩٩٤)

وروي ان عمران بن حطّان عندما انشد قوله:

الحمـــــــد لله الـــــــــذي **يعفــــو ويـــــشتد اســـــتقامه**

وكــــذلك مجــــزأة بـــن ثـــو **رِ كـــان اشـــجع مـــن أســـامة**

انتقدته امرأة عمران الحرورية وقالت له: ((أنت أعطيت الله عهداً الاَّ تكذب في شعرك فكيف قلت هذا فقال: يا هذه ان هذا الرجل فتح مدينة وحده وماسمعتُ بأسدٍ فتح مدينةً قطّ))(٩٩٥).

يبدو أن النقد ركز على البيت الأخير واعتمد على مصطلح الصدق والكذب. فاذا كان الشاعر رأى مجزأة بن ثور فتح مدينة فان الأسد غير قادر على ذلك رغم شجاعته، وهذا أمرٌ معروف غير أن الناقدة عابته على ذلك فلم تجد شيئاً أشجع من الأسد.

ويرى الدكتور عبد الجبار المطلبي ((أن بناء البيت المذكور لا يوحي بصدقه الفني وهو يحتاج دائماً إلى تسويغه بتفسير خارج عنه وإلىتساؤل من المتلقي في حقيقة صادقة وهذا ما حدا بأمرأته إلى الاعتراف في ضوء ما كان يدعي من صدق شعره الذي يرفض مالم يكن وقع حقاً))(٩٩٦) ((ولكن هذا قد يقف حائلاً عن الابداع الفني الذي لا يرتضي ذلك. ويرى أبو الاصبع المصري ان هذا يدل على أن مذهب أكثر الفحول ترجيح الصدق في أشعارهم على الكذب))(٩٩٧).

وجاء في الأغاني أن النميري الشاعر مرّ يوماً بعائشة بنت طلحة فطلبت منه أن ينشدها مما قاله في زينب ((فقال:تلك ابنة عمي صارت عظاماً بالية. قالت اقسمت عليك بالله إلاَّ فعلت فانشدها قوله:

تـضوّع مـسكاً بطـن نعمـان أن مـشت **بـــه زينـــبٌ فـــي نـــسوةٍ خفـــرات**

---

(٩٩٣) ينظر: الأغاني ٢٦٣/٨ وفي رواية انها فضّلت أو س بن غلفاء ينظر : م.ن ٢٥٨/٨.

(٩٩٤) ينظر : م.ن ٢٧١/٨ والبيت في ديوان حميد بن ثور ٢٣ .

(٩٩٥) تحرير التجير ١٤٩/١ـ٥٠ وينظر : الأغاني ١٢٦/١٨و شعر الخوارج:٢١.

(٩٩٦) الشعراء نقاداً ١٦٩.

(٩٩٧) تحرير التجبير ١٤٩/١.

فقالت: والله ما قلت إلاّ جميلاً ولا ذكرت الاّ كرماً وطيباً ولا وصفت الاّ دينا وتُقىً. اعطوه ألف درهم))[٩٩٨].

وفي لقاء آخر تعرض لها فقالت له: ((انشدني من شعرك في زينب فقال لها: أو انشدك من شعر الحارث بن خالد فيك؟... فقالت هات مما قال الحارثُ فيّ فانشدها:

ظعــن الأميـــر بأحــسن الخلـــق	**وغــدا بلبّـــك مطلـــع الـــشرق**
فـي البيت ذي الحسب الرفيـع ولكـن	**أهـــل التّقـــى والبـــر والـــصدق**
مـــا صـــبحت أحـــداً برؤيتهـــا	**إلاّ غـــدا بكواكـــب الطلـــق**

فقالت: والله ماذكر إلا جميلاً ذكر إني إذا صبّحت زوجي بوجهي غدا بكواكب الطلق، وأني غدوت مع أمير تزوجني إلى الشرق وأني أحسن الخلق في البيت ذي الحسب الرفيع. أعطوه الف درهم وأكسوه حلتين ولا تعد تأتينا بعد هذا يا نميري...))[٩٩٩].

يبدو من هذين النصين أن الشاعر والناقدة قد تجرعا مرارة الحب كل منهما تجاه معشوقه ((وكان محمد النميري في رفضه الإنشاد أراد أن يدع الماضي الذي زال في تجربته الغزلية الفاشلة التي كادت ان تكلفه حياته وحاولت عائشة ان تفسر الشعر الذي نظم تحت تأثير عاطفة محمومة إلى شعر يمتدح سلوك المرأة ويمجد حسبها ونسبها فأفرغت الشعر من بواعثه الحقيقية))[١٠٠٠].

والحق أن الشاعر وفق في مسعاه فقد انشد في المرّة الأوّلى أجمل ما قاله في زينب فنال رضا الناقدة وكسب الجائزة، وفي المرة الثانية انشد أجمل ما قاله الحارث بن خالد في عائشة الناقدة، فأعجبت وعبرّت بتلك النقدات المهمة، ووهبت للشاعر جائزة أكبر من سابقتها. ولا ريب في أن يكون هذا الشعر نوعاً من الاعتذار عمّا وقع في الزمن الغابر ومن قيل فيها الشعر أصبحت امرأة مسنة أو امراة قد فارقت الحياة إلى بارئها.

ومن ناقدات العصر الأموي سُعدى بنت عبد الرحمن بن عوف، إذ رات عمر بن أبي ربيعة في الطواف فارسلت اليه، اذا قضيت طوافك فأتنا، فلما قضى طوافه أتاها فحادثها ، وانشدها، فقالت ويحك يا ابن أبي ربيعة. ما تزال سادراً في حرم الله منتهكاً ، تتناول بلسانك ربات الحجال من قريش ؟! فقال : دعي هذا عنك ، أماسمعتِ ما قلت فيك ؟ قالت : وما قلت فيّ ؟ فانشدها :

أجنّ اذا رايت جمال سُعدى	**وأبكي ان رأيت لها قرينا**
أسَعدى إن اهلك قد اجدوا	**رحيلاً فانظري ما تأمرينا**

فقالت :آمرك بتقوى الله وترك ما أنت عليه[١٠٠١]

---

(٩٩٨) الأغاني ١١٦/١ وينظر : م.ن ١٩٥/١١-١٩٦. ولم اعثر على البيت في ديوان الشاعر والمرجح انه للاخضر الحربي ينظر الأغاني (دار الكتب) ٢٣٠/٦ وفيه ان سعيد بن مسيب حينما سمع قائله ينشده قال (هذا والله ما يلذ استماعه).

(٩٩٩) الأغاني ١٩٦/١١. والأبيات في ديوان الحارث بن خالد ٧٥ – ٧٦، وكوكب الطلق كناية عن الصفاء.

(١٠٠٠) المرأة في افق الأدب العربي: ٧٢.

(١٠٠١)الأغاني ١٦٠/١٧ والبيتان في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٥٠٢ والبيت الثاني في الديوان:

وقد أفد الرحيل فقل لسعدى لعمرك خبري ماتأمرينا

ومن نقد المرأة في العصر الأموي مايروى عن شعر موت عمر بن أبي ربيعة فقد كانت هناك امرأة سوداء ((ظريفة من مولدات مكّة صارت إلى المدينة، فلّما اتاهم موت عمر... اشتد جزعها، وجعلت تبكي، وتقول: من لمكة وشعابها وأباطحها ونزهها ووصف نسائها، وحسنهنّ وجمالهنّ، ووصف ما فيها، فقيل لها: خفضي عليك. فقد نشأ فتى من ولد عثمان ﷺ يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه. فقالت: انشدوني من شعره فأنشدوها، فمسحت عينيها، وضحكت وقالت: الحمد لله الذي لم يضيع حرمه))(١٠٠٢).

ويبدو أن المرأة العربية شغوف بتغزل الشعراء بالنساء فهذه الناقدة لا تشكي همها الاّ من عدم وصف النساء وحسنهن وجمالهن بعد موت عمر بن أبي ربيعة وعندما اخبروها ان هناك من أعقبه ويتبع اثره ويسلك مسلكه ذهب جزعها كله فضحكت وحمدت الله تعالى.

فقد كان همها الأوّل أن وصف محاسن النساء وجمالهن لم ينته.

وهذ ا الراي لايتطابق مع قول الثريا التي تغزل بها ابن أبي ربيعة التي قالت حينما سئلت عن رواية شعرة((يرحمه الله كان عفيفا عفيف الشعر)) (١٠٠٣)اما فاطمة بنت عبد الملك فقد وصفته بفضاح الحرائر(١٠٠٤).

ويروى أن ذا الرمة مرّ بجارية سوداء فاستحسنها فقال: ((يا جارية ما أحرّ ماءكِ ! فقالت: لو شئت لاقبلت علي.. عيوب شعرك وتركت حرّ مائي وبرده. فقال لها وأي شعري له عيب؟ فقالت ألست ذا الرمة؟ قال: بلى. قالت:

فأنت الذي شبهت عنزاً بقفرةٍ	**لها ذنب فوق اسنتها ام سالمِ**
جعلتُ لها قرنين فوق جبينها	**وطيبين مسودين مثل المحاجمِ**
وساقين ان يستمكنا منك يتركا	**بجلدك يا غيلان مثل المآثم**
ابا ظبية الوعساءِ بين جُلاجلٍ	**وبين النقاء أأنتِ أم أُمُّ سالم**

قال: نشتدك بالله الا أخذتِ راحلتي وما عليها ولم تظهري هذا. ونزل عن راحلته فدفعه إليها. فذهب يمضي فدفعتها إليه. وضمنت ألا تذكر لاحد ماجرى))(١٠٠٥).

فهذا النص يدل على تبدل ذوق المرأة فيما تشبه به. وتقصد الجارية تشبيهات ذي الرمة التي لم تعد تصلح للحياة الجديدة.

ويبدو أن الشعر ونقده شغل مجالس الشاعر في عصر بني أمية، إذ جاء في الأغاني إن نصيباً((آتى مكة فآتى المسجد الحرام ليلا.فبينما هو كذلك إذ طلع ثلاث نسوة فجلسن

والسادر المتحير الذي لايهتم ولايبالي . ينظر : لسان العرب مادة سدر ٣٥٥/٤ وفي رواية أخرى ان سعدى قالت : ويحك إلى متى هذا السفه فانشدها عمر قوله :قالت سُعيدة والدموع ذوارف منها على الخدين والجلباب ينظر الأغاني ١٦/١٧ والبيت في الديوان ٤٢٥ وفيه (قالت سكينة) .

(١٠٠٢) الأغاني ٣٤٢/٢. م.ن ٩٨/١

(١٠٠٣)الأغاني ٩٨/١.

(١٠٠٤)ينظر :م.ن ٢٣٥/١

(١٠٠٥) الأغاني ٣٤٢/٢ والبيتان في الديوان١/ ٦٧٢.

قريبا منه وجعلن يتحدثث ويتذاكرن الشعر والشعراء،وأذاهن من افصح النساء وادبهن.
فقالت إحداهن: قاتل الله جميلا حيث يقول:

وَبَينَ الصّفَا وَالْمَرْوَتَينِ ذكَرتُكمْ بمختلف ما بين ساع وموجفُ)) [١٠٠٦]
وَعِنْدَ طوافي قد ذكرتكِ ذكرةً هي الموتُ بَلْ كَادتْ على الموتِ تَضْعَفُ

فقالت الأخرى:بل قاتل الله كثير عزة حيث يقول:
طلعن علينا بين مروةٌ والصّفا يَمُرنَ على البطحاءِ مَوْرَ السحائبِ [١٠٠٧]
فَكِدْنَ لَعمرُ الله يُحدِثِنَ فتنةً لمختشع من خشيةِ الله تائبِ

فقالت الأخرى: قاتل الله ابن الزانية نصيباً حيث يقول:
ألام على ليلى ولو أستطيعها وحرمة ما بين البنية والستر
لملت على ليلى بنفسي ميلة ولو كان في يوم التحالق والنحر

فقام نصيب إليهن فسلم عليهن، فرددن عليه السلام. فقال لهن: آني رأيتكنّ تتحادثن شيئا عندي منه علم ،فقلن :ومن آنت ؟ قال اسمعن أو لا. فقلن: هات. أنشدهن قصيدته التي أو لها:

ويومَ ذي سلمٍ شاقتكَ نائحةٌ ورقاءُ في فننٍ والريحُ تضطربُ

فقلن له:نسالك بالله وبحق هذه البنية ، من آنت ؟ فقال: أنا ابن المظلومة المقذوفة بغير جرم((نصيب)) .فقمن إليه فسلمن عليه ورحبن به ، واعتذرت إليه القائلة،وقالت والله ما أردت سوءاً، وانما حملني الاستحسان لقولك على ما سمعت. فضحك وجلس إليهن، فحادثهن إلى إن انصرفن [١٠٠٨]
ومن ناقدات العصر الأموي كلثوم المخزوميه أوخرقاء العامرية التي وصفت ذا الرمة أنه كان رقيق البشرة عذب المنطق ، حسن الوصف ، عفيف الطرف ، وكانت تحفظ الشعر. [١٠٠٩]
ومن الناقدات ايضاً عمرة الجمحية الذي يروي أن بيتها ملتقى للشعراء يجتمعون فيه ويتناشدون الشعر وكانت تنقد الشعر وتجزيهم عن حسن قولهم بالمال

(١٠٠٦)تقول :أو جف الفرس إذا جعله يعدو عدواً سريعاً .
(١٠٠٧)يمرن: مادة مور أي يتمايلن جائيات ذاهبات.
(١٠٠٨)الأغاني ٣٦١/١-٣٦٢ والأبيات في ديوان جميل ٧ وكثير عزّة ٦٢ ونصيب ٩٦، ٦٦.

(١٠٠٩)الأغاني دار الكتب ٤٠/١٨. م.ن ١١٦/١٧.

والعطايا وهذا يدل على تذوقها للشعر [1010]. ويروى أن رياء بنت الكميت وفاطمة بنت أبان بن الوليد التقتا في موسم الحج فدفعت بنت أبان إلى بنت الكميت خلخالي ذهب كانا عليها . فقالت لها بنت الكميت جزاكم الله خيراً يا آل أبان فما تتركون يبدكم بنا قديما ولا حديثاً ! فقالت لها بنت أبان : بل إنتم فجزاكم الله خيراً فإنا اعطيناكم مايبيد ويفني ، واعطيتمونا من المجد والشرف ما يبقى أبداً ولا يبيد، يتناشده الناس في المحافل فيحيي ميت الذكر ويرفع بقيه العقب)) [1011]..
وهذه المقولة لها منزلتها في النقد لانها من ابلغ ما قيل في وصف شعر المدح.
فالمرأة العربية شغوف بالشعر العربي ، تعرف الشعراء واخبارهم وتحفظ كثيراً من الشعر وترويه وتنقده .

فهذه الآراء لايمكن إن تقفل لأهميتها فهي تدل على ثقافة المرآة في العصر الأموي وتذوقها للشعر وقوة حفظها فضلا عن روايتها له، مما جعلها قادرة على نقد الشعر وتوجيهه.

المفاضلة بين الشعراء

نرى أن المفاضلة بين الشعراء أخذت منحى التطور في هذا العصر عنه في العصرين السابقين وذلك بالالتفات عند الموازنة أو المفاضلة إلى جوانب من الشعر لم يكن النقاد السابقون ينظرون إليها ولاريب في أن تكون المجالس الأدبية معنية بهذا الشأن، فقد عني الخلفاء والعلماء والفقهاء، والشعراء بجملة مما عنوا به، بالمفاضلة بين الشعراء ولم يكن الموضوع حصراً لمعاصريهم، فقد يأخذهم الحديث إلى المفاضلة بين شعراء ماقبل الإسلام أوالإسلاميين وقد يصل الأمر إلى شاعر من المعاصرين وآخر من السابقين باحثين عن نقاط التشابه أوالتفاوت راسمين الخصائص العامة لذلك وتعد المفاضلة بين الشعراء مظهراً ((من مظاهر الحركة النقدية في أي أدب وقد نالت هذه الظاهرة نصيباً مهماً لدى نقاد العصر الأموي الذين اعتادوا على أسلوب المفاضلة أو

(١٠١٠)م.ن ١١٦/١٧.

(١٠١١)الأغاني ٢٧/١٩.

الموازنـة منطلقين مـن مواقف كثيـرة ومعـايير نقديـة للمفاضـلة)). وقد ارتأينـا أن نبـدأ الحديث بمجالس الخلفاء والولاة الأمويين التي كانت مركزاً اشعاعياً مهماً لـلأدب والنقد وأخذت المفاضلة جزءاً مهماً منها.

ويروى أن معاوية سأل اصحابه عن قصيدة أنصف فيها صاحبها.

كذلك عن أحسن ابيات قالتها العرب في الضيافة[١٠١٢] وعن ثلاثة ابيات جامعة لما قالتـه العرب[١٠١٣]، وعن افخر بيت قالته العرب.[١٠١٤]

وهذه الاسئلة تدل من دون شك على قدرة معاوية على الموازنة بين الشعراء وهـي رؤية نقدية لها ابعادهأ في المعيار النقدي.

وروى الأصمعي ان عبد الملك بن مروان قال للفرزدق: ((من أشعر النـاس فـي الإسلام؟ قال: كفاك بابن النصرانية إذا مدح، اشارة إلى الأخطل والفرزدق فحدّد تفضيله الأخطل على الشعراء في العصر الإسلامي في فن المديح فقط ويرمي من ذلك إلـى ارضاء الخليفة عبد الملك الذي لاريب في أنه كان شاعره المفضل))[١٠١٥].

وقد كانت مجالس عبد الملك ومايدور فيها من حوار على درجة من الشاعرية ومستوى الاداء الشعري وقد. اعتمد المتحاورون في ميادين البحث على النقاش وكـان الحوار المرتكز الرئيس والمهم الذي يقدم لنا عمق الدوافع والثراء الأدبي الذي تزخر بـه مجالس الأدب . فضلاً عن أنـه تعبير عن المستوى الأدبي العام الذي يتمتع بـه المتحاورون، وكان الحوار معقودة بهذا الخصوص يدور بين الخليفة وابنائه وخاصته وقد جاء في الأمالي عن أبي عبيدة انه قال: ((كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في سهرة مع ولده وأهل بيته وخاصته فقال لهم: ليقل كل واحد منكم أحسن ماقيل في الشعر، وليفضل من رأى تفضيله فأنشدوه وفضلوا، فقال بعضهم: امرؤ القيس، وقال بعضهم النابغة، وقال بعضهم: الأعشى فلمّا فرغوا قال: أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندي... معن بن أوس))[١٠١٦] ثم ذكر أبياتاً من قصيدته التي يقول منها:

وذِي رحَـمٍ قلمـتُ أظفَـارَ ضِـغْنِهِ	**بحِلمِـيَ عَنْـهُ وَهْـوَ لـيس لَـهُ حِلُـمُ**
فإن أعف عنه أغضّ عيناً على قذىً	**وكـالموت عنـدي أن يَحُـلَّ بـه الـرَّغمُ**
ويـشتُم عِرضـي فـي المغَيّـبِ جاهـداً	**ولـيس لـه عنـدي هـوانٌ ولاشـتمُ**
إذا سـمته وصـل القرابـة سـامني	**قطيعتهـا تلـك الـسفاهة والأثـمُ**
صـبرتُ علـى ماكـان بينـي وبينـهُ	**وماتـستوي حـرب الأقـارب والـسِّلم**[١٠١٧]

ولو أعدنا النظر في أبيات معن بن أوس لوجدنا ان هناك مغزى اراده عبد الملك، إذ إنّه كان جالساً بين خاصته وولده، ويبدو أنه كان منهم من يحمل ضغينة له فعرّض بـه

(١) الأغاني: ٤٠٤/١.

(١٠١٣) ينظر: البداية والنهاية ٣٤٢/٨.

(١٠١٤) ينظر: حلية المحاضرة ٣٣٢/١.

(١٠١٥) الأغاني ٣٦٩/٧.

(١٠١٦) الأمالي: ١٠١/٢-١٠٢.

(١٠١٧) م. ن ١٠٢/٢ والأبيات في ديوان معن بن أو س ٤٠-١٤١.

بهذه الأبيات الشعرية مفضّلاً ابن أوس على كثيرين منهم الأعشى الذي هو في نظر عبد الملك (أشعر العرب)، وهذا مايفسر لنا اختيار عبد الملك بن مروان مؤدباً يعلم أولاده شعر الأعشى، وقد قال فيه ((ماعذب بحره وأصلب صخره))[١٠١٨] وقال المفضل فيه ((من زعم أن أحداً من الشعراء أشعر من الأعشى فقد كذب))[١٠١٩] ويروى أن كثيراً دخل على عبد الملك بن مروان فأنشده مدحته:

على ابن أبي العاصي دلاصٌ حصينة　　أجاد المُسَدّى سَرْدَهَا وا الها

يؤود ضعيف القوم حمل قتيرها　　ويستطلع الطرف الاشم أحتمالها

فقال عبد الملك: أفلا قلت، كما قال الأعشى لقيس بن معد يكرب:

كُنتَ المقدّمَ غيَر لابسِ جُنّةٍ　　بالسيفِ تضربُ مُعْلِماً أبطالهَا

((فقال ياأمير المؤمنين وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم)).[١٠٢٠]

ويبدو أن عبد الملك فضّل صورة الفتى العربي في الشجاعة، تلك الصورة المنتزعة مما كان تؤمن به العرب من ان الفتى الشجاع هو المقدام في الحروب دون دروع يتدرع بها. وعبد الملك يريد ((تلك الصفات البدوية التي خلفوها من قبل أبطال الجاهلية يمدح بمثلها))[١٠٢١] وروى صاحب الجمهرة أن عبد الملك بن مروان قال لكثير ((من اشعر الناس اليوم يا أباصخر؟قال:من يروي أمير الؤمنين شعرة فقال عبد الملك: أمّاإنك لمنهم)) [١٠٢٢].

وكان يقول في شعر كثير ((أراهُ يسبق السحر ويغلب الشعر))[١٠٢٣] وفي الوقت نفسه فانه ((يخرج شعر كثيرٍ إلى مؤدب ولده مختوماً يرويهم إيّاه ويردده))[١٠٢٤] وعندما أنشده الأخطل قصيدته ((خف القطين وراحوا منك أو بكروا)) قال ويحك ياأخطل ((أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب))؟ فقال: ((أكتفي بقول أمير المؤمنين))[١٠٢٥].

وفي مجلس آخر من مجالس عبد الملك بن مروان سأل الخليفة من أشعر الناس فقال الأخطل أنا ياأمير المؤمنين.. فقال الشعبي: ياأخطل أشعر منك الذي يقول:

هذا غلامٌ حسنٌ وجههُ　　مستقبل الخير سريع التمام

(١٠١٨) جمهرة اشعار العرب١٠٨/١.

(١٠١٩) م. ن ١٠٨/١.

(١٠٢٠) جمهرة اشعار العرب ١/ ١٠٨والأبيات في ديوان كثير غزّة ٢٣١وديوان الأعشى ٨٣. وابن أبي العاصي وعبدالملك بن مروان ودلاحي: دروع ، والمسدي النساج والقتير: رؤوس المسامير في الدروع.

(١٠٢١) الشعر العربي بين الجود والتطور ٤٩.

(١٠٢٢)الأغاني ٣٠/٩.

(١٠٢٣) الأغاني ٣٠/٩.

(١٠٢٤) م. ن ٧١/٨.

(١٠٢٥) الأغاني: ٢٨٧/٧.

وانشد ثلاثة أبيات أخرى. فقال عبد الملك: رددها عليّ، فرددها الشعبي حتى حفظها. فقال الأخطل: صدق والله النابغة أشعر مني[١٠٢٦].

روي أيضاً ان الشعراء قد اجتمعت ((عند عبد الملك بن مروان فقال لهم أبقي أحد أشعر منكم؟ قالوا: لا فقال الأخطل: كذبوا ياأمير المؤمنين. قد بقي من هو أشعر منهم قال: ومن هو؟ قال: عمران بن حطّان. قال: وكيف صار أشعر منهم؟ قال: لانه قال وهو صادق ففاقهم فكيف لو كذب كما كذبوا)). [١٠٢٧]

يبدو أن اشارة الأخطل تومئ إلى اهتمام عمران بمذهبه الخارجي وانتصاره على القول فيه مع الاقتصار على الوصف والبعد عن الغلو وهذا مايريد بالكذب الذي وصف به بقية الشعراء. فابن حطّان فاق الشعراء بصدقه فكيف لو كذب؟ففي هذه المقولة اشارة نقدية إلى قضية الصدق والكذب في الشعر

وجاء في زهر الآداب ان جارية لرجل من الأنصار ذات أدب وجمال اعجب بها عبد الملك وساوم ((الأنصاري في ابتياعها وقالت لا احتاج لخلافة ولا ارغب في خليفة... فاضعف الثمن لصاحبها وأخذها قسراً وأمرها بلزوم مجلسه فيما هي عنده ومعه أبناء الوليد وسليمان وقد اخلاهما للمذاكرة فأقبل عليهما، فقال: أي بيت قالته العرب أمدح؟ فقال الوليد قول جرير فيك:

ألستم خير من ركب المطايا　　　وأندى العالمين بطون راح

وقال سليمان: بل قول الأخطل:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم　　　وأعظم الناس ،أحلاماً إذا قدروا

فقالت الجارية: بل أمدح بيت قالته العرب، قول حسان بن ثابت:

يغشونَ حتى ماتهرّ كلابُهم　　　لايسألون عن السواد المقبلِ

فأطرق، ثم قال: أي بيت قالته العرب أرق؟ فقال الوليد قول جرير:

إن العيون التي في طْرفِهَا حَوَرٌ　　　قتلننَا ثم لم يحُيِيَن قتلانا

فقال سليمان: بل قول عمر بن أبي ربيعة:

حَبّذا رَجعْهُا إليها يديها　　　في يدي درعها تَحُلُّ الإزَاراَ

فقالت: الجارية بل بيت حسّان:

لو يدب الحولة من ولد　　　الذرّ عليها لاندبتها الكُلُومُ

(١٠٢٦) ينظر : أمالي المرتضى ١٦/١. والبيت في ديوان النابغة ٢٥.
(١٠٢٧) الأغاني ١٧٨/٧

فأطرق ثم قال: أي بيت قالته العرب اشجع؟ فقال الوليد: قول عنترة:

إذ يّتقــون بــي َالأســنّة، لــم أخِــمُ   عنهــا، ولــو أنــي تــضايق مقــدمي

فقال سليمان: بل قوله:

وإذا المنيّــة فــي المــواطن كلهــا   فــالموت منــي ســابق الآجــالِ

فقالت الجارية: بل بيت يقوله كعب بن مالك:

نَــصِلُ الــسيوف إذا قــصرن بخطونــا   قــدماً ونلحقُهــا إذا لــم تلحــق

فقال عبد الملك: أحسنتِ ومانرى شيئاً في الإحسان إليك أبلغ من ردّك إلى أهلك. فاجمل كسوتها وأحسن صلتها وردّها إلى أهلها))[١٠٢٨].

لاريب في أن الأذواق توزعت بتوزع الميول والأهواء على الشعراء فالوليد لايكتم اعجابه بشعر جرير ولم يحد عنه ويبدو أن ليونة ألفاظ شعر جرير وحلاوتها وعفّته في نسيبه كانت السبب في إعجاب سليمان بشعره. وفي القسم الاخير من المفاضلة يميل سليمان لعنترة لشجاعته.

وأما الجارية فاعجابها قد ناله شاعر الأنصار حسّان بن ثابت وكعب بن مالك ،ولو طالت المساجلة النقدية فأنها لن تحيد عن شعراء الأنصار ويبدو أنها قد حفظت شعرهم رأساً عن عقب وهضمته وتمثلت به.

بينما سليمان توزع إعجابه على ثلاثة شعراء هم الأخطل لمديحه وجزالة الفاظهِ. وعمر بن أبي ربيعة لمذهبه في الغزل وعنترة بن شداد لشجاعته. وهو بذلك يتفق مع أخيه سليمان في الشاعر ويختلف في البيت.

ولعل موافقة عبد الملك للجارية في آرائها دليلٌ على أصابتها فيما ذهبت إليه.

ويروى أن عبد الملك قد سأل: في أكثر من مجلس عن أمدح بيت وأحكم بيت قالته العرب في الجاهلية وأكرم بيت، وأكرم أربعة أبيات وأكرم بيت مدح به رجل قومه في حرب وأو صف بيت قالته العرب وأي بيت قالته العرب أرق وأغزل وأحسن في

(١٠٢٨) زهر الآداب ١١٥٧/٤. والأبيات في ديوان جرير ٧٠٢،١١٧ والأخطل ١٥٠ وعمر بن أبي ربيعة ١٤١ وحسّان بن ثابت ٨١،١٢٣وعنترة بن شداد ٦٦، ٢٠٦ بخلاف يسير وكعب بن مالك ٢٤٥ للاستزادة عن اسئلة عبد الملك في هذا الموضوع:ينظر: الأغاني ٢٨٨/٨، ٢٠/١١-٢١

النسيب، وأي بيت افخر في المديح وأي بيت أفحش في الهجاء وأي بيت ارق وامتن[١٠٢٩] وأصدق بيت[١٠٣٠].

وتمثيلاً لذلك نذكر ذلك الحوار النقدي المهم الذي جرى بين عبد الملك بن مروان وجلسائه عن وصف الشجاعة وفيه يظهر إمكانياته في الموازنة والمفاضلة بين الشعراء في هذا الجانب كما تظهر لنا قابليته في رواية الشعر وحفظة حيث تمكن من عقد الموزانات بين الشعراء ، فقال في واحد من مجالسه : من أشجع الناس شعراً ؟ فقيل : عمرو بن معد يكرب ، فقال : كيف : وهو الذي يقول :

فجاشت إلي النفس أول مرة فردت على مكروهها فاستقرت

قالوا : عمرو بن الاطنابة قال كيف : وهو الذي : يقول :

وقولي كلما جشأت وجا شت مكانك تحمدي آو تستريحي

قالوا : فعامر بن الطفيل ، قال كيف وهو الذي يقول :

أَقول لنفس لايْجاد بمثلها أقلي مراحاً إنني غير مدبر

قالوا : فمن أشجعهم عند أميرالمؤمنين قال: أربعة : عباس بن مرداس السلمي وقيس وقيس بن الخطيم الأوسي وعنترة بن شداد ، ورجل من بني مزينة أما عباس فلقوله :

أشد على الكتيبة لا أبالي أفيها كان حتفي أم سواها

وأما قيس بن الخطيم فلقوله:

وأني لدى الحرب العواني موكلّ بتقديم نفس لا أريد بقاءها

وأما عنترة بن شداد فلقوله:

إذ يتقون بي الآسنة لم أخم عنها ولكني قد تضايق مقدمي

وأما المزني فلقوله :

دعوت بني قحافة فاستجابوا فقلت : ردوا فقد طاب الورود[١٠٣١]

وجاء في البيان والتبيين أن عبد الملك بن مروان قال لخالد بن سلمة المخزومي ((من أخطب الناس قال: أنا. قال: ثم من؟ قال: سيد جذام- يعني رَوْح بن زنباح- قال: ثم

(١٠٢٩) ينظر: حلية المحاضرة ٣٣٨/١، ٣٥٢، ٣٦٠-٦٢، ٣٧٠،٣٧١،٣٧٤.

(١٠٣٠) ينظر: زهر الآداب ٧٦٦/٢.

(١٠٣١)قصص العرب ٢٢٥/٢-٢٢٦ والأبيات في ديوان عمر بن معد يكرب الزبيدي ٤٣ مع إختلاف الرواية ، وديوان عمر إبن الأطنابة الخزرجي ، مجلة المورد ٩٤ ، وديوان عامر بن طفيل ٢١٨ مع إختلاف يسير في الرواية ، وديوان العباس بن مرداس ١١ مع إختلاف في الرواية ، وديوان قيس بن الخطيم ٤٩ مع إختلاف في الرواية ، وديوان عنترة ٦٦مع إختلاف يسير في الرواية.

من؟ قال: أخيفش ثقيف –يعني الحجاج- قال: ثم من؟ قال: أمير المؤمنين. قال: ويحك، جعلتني رابع اربعةٍ. قال: نعم، هو ماسمعت))[١٠٣٢].

ويروى أن عُمارة بن عُقيل يحدث عن أبيه عن جدّه قال: ((قال عبد الملك أو الوليد ابنه لجرير: من أشعر الناس؟ قال ابن العشرين [يعني طرفة] قال: فما رأيك في أبني أبي سلمى [زهير وابنه كعب]؟ قال: كان شعرهما نيّراً ياأمير المؤمنين. قال فما تقول في امرئ القيس؟ قال: اتخذ الخبيث الشعر نعلين. وأقسم بالله لو أدركته لرفعت ذلالة. قال فما تقول في ذي الرُّمة؟ قال: قدر من ظريف الشعر وغريبه وحسنه [على] مالم يقدر عليه أحد. قال: فما تقول في الأخطل؟ قال: ماأخرج لسان ابن النصرانية مافي صدره من الشعر حتى مات. قال: فما تقول في الفرزدق؟ قال: في يده والله ياأمير المؤمنين نبعةٌ من الشعر قد قبض عليها. قال: فما أراك أبقيت لنفسك شيئاً! قال: بلى والله ياأمير المؤمنين! إني مدينة الشعر التي منها يخرج واليها يعود. نسبت فأطربت وهجوت فارديت ومدحت فسنّيت وأرملت فأغزرت ورجزت فأبحرت فأنا قلت ضروب الشعر كلها وكل واحد منهم قال نوعاً منها. قال: صدقت))[١٠٣٣].

نستنتج من هذا النص النقدي الطويل والمهم سبع ملاحظات نقدية مهمة أولاها إن جريراً جعل طرفة أشعر الناس. والملاحظة الثانية فهي إن زهيراً وكعباً كان شعرهما نيّراً ،أي إن شعرهما معروف مشهور وسبق ان جعله زهيراً في نصٍّ سابق أشعر الناس، ولن نستغرب كثيراً من هذه الأحكام فالموقف النفسي ذو تأثير على (الناقد). والملاحظة الثالثة يوجهها جرير في امرئ القيس ويشير إلى مكانته في الشعر، بيما كانت الملاحظة الرابعة في ذي الرمّة، إذ رأى ان له ضروباً من الشعر لم يقدر عليها أحد وهذا اعتراف ضمني بشاعريته فيما خصصت الملاحظة الخامسة في الأخطل ورأى انه هجّاء شديد الهجاء. أمّا الملاحظة السادسة فكانت من نصيب الفرزدق الذي يرى أنه نبعة من الشعر. وهذه الأحكام لم تقلل من شاعرية هؤلاء، بل إنها رفعت من شاعرية كل منهم وهذا الأمر أذهل الخليفة حتى قال ماأراك أبقيت لنفسك شيئاً؟ فقال أنا مدينة الشعر..وهذه هي الملاحظة السابعة والأخيرة ولكنها مهمة لأنه يحكم لنفسه بأنه فوق الشعراء جميعاً ويعلل ذلك بوصف جليل وهو قوله في أغراض الشعر جميعاً.

وينظر صاحب الامالي الرواية كاملة ويزيد فيها أن الخليفة سأل جريراً قال: فما أبقيت لنفسك شيئاً! قلت بلى، والله ياأمير المؤمنين، أنا مدينة الشعر التي يخرج منها ويعود إليها، لأني سبحت الشعر تسبيحاً ما سبّحه أحدٌ قبلي، قال وماالتسبيح؟ قلت: نسبت فأطرقت وهجوت فأرذيت ومدحت فأسنيت وملت فأغزرت ورجزت فابحرت فأنا قلت ضروباً من الشعر لم يقلها أحدٌ قبلي))[١٠٣٤]. فقال الخليفة له صدقت[١٠٣٥] فهذه المقولة

(١٠٣٢) البيان والتبيين ٣٤٦/١.

(١٠٣٣) الأغاني ٥٧/٨-٥٨.

(١٠٣٤) الامالي ١٧٩/٢-١٨٠.

تنبئ عن قوة شعر جرير وتأثيره في النفوس وموهبته الفنية التي جعلته ((أشعر العرب كلها))[١٠٣٦].

ومما لاريب فيه ان جريراً قد أكد ماذهب إليه الأخطل في بعض أحكامه إذ يقول: ((النصراني -يعني الأخطل- أنعتنا للخمر والحمر وأمدحنا للملوك، وأنا مدينة الشعر))[١٠٣٧] ويقول: ((الفرزدق نبعة الشعر في يده، والأخطل يجيد نعت الملوك ويصيب صفة الخمر))[١٠٣٨] ويقول عن نفسه ((أنا نحرت الشعر نحراً))[١٠٣٩] وقال جرير في الأخطل: ((اني اعنت عليه بتوليه من سنّه وكفر من دينه وما رأيته في موضع قط إلاّ خشيت أن يبتلعني))[١٠٤٠].

وعن نوح بن جرير: ((قال: قلت لأبي: ياأبت: من أشعر الناس؟ قال: قاتل الله قرد بن مجاشع -يعني الفرزدق- فعلمت أنه قد فضله. قلت: ثم من؟ قال: قاتل الله نصراني بني تغلب، فما أنقى شعره وأبين فضله. قال: قلت: فمالك لاتذكر نفسك؟ قال: أنا مدينة الشعر))[١٠٤١]. وسئل جرير ((كيف شعر الفرزدق؟ قال: كذب من زعم أنه أشعر من الفرزدق.. فقيل كيف شعرك؟ قال: أنا مدينة الشعر. فقيل له كيف شعر الأخطل؟ قال: هو أرمانا للأغراض))[١٠٤٢] ((ولما كان تعدد الأغراض خصيصة لاغنى عنها للقصيدة، فقد قامت الموازنة بين الشعراء على الإجادة في أكبر عدد من الأغراض وعلى ذلك قدم جرير لانه كان أكثرهم فنون شعر))[١٠٤٣] ولكنه قدم على نفسه الأخطل بدليل تكرارة الحكم لنفسة أنة مدينة الشعر.

وكذلك كان الوليد بن عبد الملك يستمع إلى الشعراء ويستنشدهم الشعر وكانت روح المنافسة مرام الشعراء في الاستماع، ونقد احدهم الآخر سواء في المناقشة أو المفاضلة والمؤاخذة وغير ذلك، ولاريب في أن يسهمَ الوليد برأيه في كل ذلك. ومما يروى أن الفرزدق دخل عليه يوماً فسأله الوليدُ: من أشعر الناس؟ قال الفرزدق: أنا. قال: أفتعلم أحداً أشعر منك؟ قال: لا إلاّ أن غلاماً من بني عَدِي بن مَناة- يعني ذا الرمّة- يركب اعجاز الإبل وينعت الفلوات.

ثم أتاه جرير فسأله الوليدُ فقال له مثل ذلك، ثم أتاه ذو الرّمة فقال له: ويحك! أنت أشعر الناس؟ فقال: لا ولكنْ غلامٌ من بني عقيل يقال له ((مزاحم)) يسكن الروضات

(١٠٣٥) الأغاني ٥٢/٨-٥٣.
(١٠٣٦) م.ن ٧٣/٨.
(١٠٣٧) الشعر والشعراء: ٧٧/١.
(١٠٣٨) م.ن: ٧٧/١، ينظر: العمدة ٩٦/١.
(١٠٣٩) م.ن: ٧٧/١، ينظر : العمدة ٩٦/١.
(١٠٤٠) م.ن: ٧٧/١ للاستزادة ينظر: الأغاني ٢٩٨/٨
(١٠٤١) الموشح: ٢٠٧، للاستزادة ينظر: م.ن، ٢٠٩/ ٣٥٤، ٢٧١، ٢٠٥، ٣٥٥.
(١٠٤٢) جمهرة أشعار العرب: ١٠٧/١-١٠٨.
(١٠٤٣) الأغاني ٥/٨.

يقول وحشياً من الشعر لانقدر على أن نقول مثله[١٠٤٤]. فلم ترَ للوليد رأياً في هذا الموضوع سوى توجيهه الأسئلة للشعراء الثلاثة فالفرزدق وجرير هما أشعر الناس بعد ذي الرمة بدليل الاستثناء وذو الرمة اشعر الناس يعد مزاحم على الرغم من قلة شعره على حسب ماحملته لنا الرواية.

وهذه الأحكام هي عامة فيما يبدو ولكنها تطلق على قصيدة أو غرض شعري واحد وقد كان لشعر عمران بن حطّان حضور في مجالس الخلفاء والشعراء، ولاسيما في مجلس مسلمة بن عبد الملك الذي كان يطلب سمّاره أن ينشدوه أو عظ بيت وأحكم بيت قالته العرب فكانوا يجيبونه إلى ذلك فينشدون أشعاراً كثيرة فكان مسلمة يقول:

والله ماو عظني شعر قط، كما وعظني شعر عمران بن حطّان حيث يقول:

فيوشـــــك يــــــومٌ يُقـــــارَن ليلـــــةً ... يــسوقان حَتْفـــاً إلـــى نحـــوْكَ أو غــدا

فقال بعض من حضر: أما والله لقد سمعته أجّلَ الموت ثم أفناه، وما صنع هذا غيرة قال مسلمة: وكيف ذلك؟ قال: حينما يقول:

لايُعجــز المــوت شـــيءٌ دون خالقـــهِ ... والمـــوتُ فـــانٍ إذا مانالـــه الأجـــلُ
وكـــلُّ كـــرْبٍ أمـــام المـــوتِ متَّـــضِعٌ ... للمــوتِ، والمــوت فيمـــا بعــده جلــلُ

حتى انتهى من انشاده وإذا بمسلمة يبكي حتى اخضلّت لحيته، ثم قال: ردده‍ما عليّ حتى احفظهما[١٠٤٥].

أن هذا الإعجاب والتأثر ماهو الاّ حكم نقدي، إذ ان هناك مواصفات وسمات رسمها مسلمة في ذهنه لأكثر من بيت شعري وعظاً وأكثرها حكمة.

وقد يثير تطابق الأحكام في الرواية شيئاً من الشك، غير أننا لانتفق مع هذا الشك، إذ إن الشعراء في ذلك العصر كانوا أكثر موضوعية في النقد وكانت تجمع بينهم لقاءات كثيرة يناقشون فيها أموراً تتعلق بالشعر والشعراء وقد يصلون إلى فكرة موحدة لايحيدون عنها في أي لقاء.

ولم يكتفِ ذلك العصر عند المفاضلة بين الشعراء بالخلفاء والشعراء، بل تعدّاه إلى حوارات كثيرة بين الخلفاء والولاة أنفسهم، فمما يروى عن سليمان بن عبد الملك أنه سأل عمر بن عبد العزيز: أجرير أشعر أم الأخطل؟ فأجابه أن يعفوه. ولم يعفه سليمان فقال: ((إن الأخطل ضيّق عليه كفره القول، وان جريراً وسع عليه اسلامه قوله، وقد بلغ الأخطل منه حيث رأيت. فقال سليمان فضّلت والله الأخطل))[١٠٤٦].

والحق ماقاله سليمان فقد فضّل عمر بن عبد العزيز الأخطل من الناحية الفنية، فمع أن الأخطل ضيق عليه كفره في مجالات القول، إلاّ أنه قد بلغ من جرير مارأى الخليفة. ثم أن جريراً قد اعترف بذلك الحكم بدليل قوله أعانني عليه كفره وكبر سنه[١٠٤٧].

(١٠٤٤) م.ن ٢٩/١٨-٣٠، ومزاحم العقيلي الذي ذكره ذو الرّمة شاعر اموي استهتر بالغزل العذري ووصف البادية والخيل.

(١٠٤٥) ينظر : الأغاني ١٢٥/١٨. والأبيات في شعر الخوارج ١٩ و٢٨ وشطر البيت الأو ل في شعر الخوارج: (ولابد من يومٍ يجيء وليلةٍ).

(١٠٤٦) الأغاني ٣٠٦/٨.

(١٠٤٧) الاغاني ٢٨٦/٨.

وجاء في الأغاني ان أبا مهدي الباهلي كان من علماء العرب وسئل يوماً((ايّما أشعر أجرير أم الفرزدق ؟ فغضب ثم قال جرير أشعر العرب كلهما. ثم قال:لايزال الشعراء موقوفين يوم القيامة حتى يجي جرير فيحكم بينهم)) [١٠٤٨].

ويروى أن نُصيباً قدم إلى مصر في عهد عبد العزيز بن مروان ووصل إليه عن طريق المقربين منه، وبعد حوار نقدي مهم عرف نصيب نفسه على أنه شاعر حجازي جاء مادحاً الأمير، فاستشهده الرجل فانشده واعجب بشعره وقال: ((ويحك أهذا شعرك، فإياك ان تنتحل فان الأمير رأو ية عالم بالشعر وعنده رواة فلا تفضحني ونفسك، فأجابه نصيب والله ماهو الاّ شعري))[١٠٤٩] ولكي يطمئن قلب الرجل طلب منه أن يقول أبياتاً يذكر فيها حوف مصر وفضلها على غيرها.. ففعل ذلك فقال له أنت والله شاعر. وبعد أن تمكن من الوصول إلى عبد العزيز بن مروان استنشده وانشده نصيب فأعجب الأمير بالشعر. في هذا المجلس، فإذا بأيمن ابن خزيم الاسدي يطرق المجلس، فسأله الأمير((ياأيمن كم ترى ثمن هذا العبد فنظر إلى نصيب وقال والله لنعم الغادي في اثر المخافي فقال: أرى ثمنه مئة دينار. فقال: فان له شعراً وفصاحة فسأل أيمنٌ النصيبَ أتقول الشعر؟ قال نعم. قال أيمن: قيمته ثلاثون ديناراً. قال الأمير: ياأيمن: أرفعه وتخفضه أنت. قال: لكونه أحمق أيها الأمير اما لهذا وللشعر! أمثل هذا يقول الشعر؟ أو يحسن شعراً؟! فقال: أنشده يانصيب فأنشده، فقال له عبد العزيز: كيف تسمع ياأيمن؟ قال: شعر أسود (هو أشعر أهل جلدته). قال هو والله أشعر منك. قال: أمنّي أيها الأمير؟ قال: أي والله منك. قال: والله أيها الأمير: إنك ملولٌ طرفٌ. قال كذبت والله ما انا كذلك ولو كنت كذلك ماصبرت عليك))[١٠٥٠] وتعددت طرائق هذه الرواية، لكنها لم تخرج عن مضمونها الرئيس[١٠٥١]. فشعر النصيب أحدث فجوة بين الوالي وشاعره المعهود.

فالشاعر -كما يبدو- جوّال ببضاعته الشعرية طارق أبواب الخلفاء والولاة ولاريب في أن التكسب هو شعاره الرئيس في الأغلب الأعم طالما ان ذوي الشأن لايريدون غير هذا النوع من الشعر، ولكن كثيراً ما يتمادون في عطائهم وهم على قدر من التذوق والاحساس بفن الشعر وحواراتهم ومداخلاتهم طريفة، وكان لاحكامهم النقدية صداها ومنزلتها في كتب النقد العربي. وهي بحاجة إلى قراءات متأنية وعميقة. فحكم أيمن تكرر عند كثير من النقاد فقد روي ان النصيب انشد جريراً شيئاً من شعره. فقال: كيف ترى ياابا حرزة. فقال: ((أنت أشعر اهل جلدتك))[١٠٥٢].

(١٠٤٨)م.ن: ٥٢/٨.

(١٠٤٩) ينظر: الأغاني ٣١٤/١.

(١٠٥٠) الأغاني ١/ ٣١٥-٣١٦.

(١٠٥١) ينظر: م.ن ٣١٦.

(١٠٥٢) الأغاني م.ن: ٣٥٥. وقد قضى الوليد بن عبد الملك وجرير والفرزدق بالحكم نفسه. ينظر: م.ن ٣٥٥/١ ،٣٣٨، ٣٥٥، ٩٢/٨، ٣٥٥/١، وآمالي الزجاجي: ٤٨وقال عنه ابن الازهر نصيب اشعر اهل الإسلام فبيما رأى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت انه اشعر اهل الإسلام والجاهليه ينظر : م.ن ٩٢/٨

وجاء في العمدة ان الحجاج بن يوسف الثقفي كتب إلى قتيبة بن مسلم يسأله ((عن أشعر الشعراء في الجاهلية، وأشعر شعراء وقته، فقال: أشعر شعراء الجاهلية امرؤ القيس وأضربهم مثلاً طرفة، وأمّا شعراء الوقت الحاضر الفرزدق أفخرهم وجرير أهجاهم والأخطل أو صفهم))[١٠٥٣].

ويتجلى لنا من ذلك أن قتيبة بن مسلم أعلم بالشعر من الحجاج وقد ذكر خمسة أحكام نقدية في هذه المقولة ،تبدو في ظاهرها عامة غير معللة، لكن إذا انعمنا النظر نجد أنه جعل من امرئ القيس اشعر شعراء ماقبل الإسلام منطلقاً من العرف المتبع لدى كثير من النقاد لأسباب أشرنا إليها في الفصلين السابقين. أما طرفة بن العبد فقد رآه أضربهم مثلاً ويقصد بذلك أبياتاً ذاعت من شعره. بيما حكم لمعاصريه الفرزدق وجرير والأخطل بالشاعرية في الفخر والهجاء والوصف وهذا الحكم يتطابق مع كثير من الاحكام التي شاعت في هذا العصر. وهذا التحديد ليس عاماً لان هذا التعليل بنيت عليه أحكام نقدية كثيرة.

وجاء في الأغاني أن عبيدة بن هلال اليشكري سأل أبا حُزابة اي الرجلين أشعر أجرير أم الفرزدق؟ قال: قبحك الله اتركت القرآن والفقه وسألتني عن الشعر. قال: إنا تشاجرنا في ذلك ورضينا بك. فقال: من الذي يقول:

وطـوى الطـرادُ مـع القيـاد بطونهـا ... طـيّ التجـار بحـضرموت بـرودا

قال جرير: قال هذا اشعر الرجلين[١٠٥٤].

فأبو حزابة يفضّل جريراً وهذا التفضيل يبنى على بيت شعر فإذا كان الفرزدق هو قائل ذلك البيت فسيكون من دون شك الاشعر.

وحينما تحاكم جماعة إلى المهلّب في جرير والفرزدق قال: ((كأنكم أردتم (ان) تعرضوني لهذين الكلبين فيمزقان جلدتي لا أحكم بينهما ولكن أدلكم على من يهوّن عليه سبال جرير والفرزدق، عليكم بالأزارقة فانهم قومٌ عربٌ يبصرون بالشعر ويقولون فيه بالحق))[١٠٥٥].

ويبدو أن المفاضلة بين جرير والفرزدق قد أدّت إلى تشاجر بين المتلقين. ومما لاريب فيه ان ضآلة بعيدة بالنقد قد بدأت على حذر في الميل إلى أحدهما على الآخر خشية لسانهما لأن هجاءهما لاذع وسيرورته أسرع من السهام. فعلى الرغم من شجاعة المهلّب وهو القائد المعروف فإنه لم يخف شرهما. لذلك توقف عن الحكم ولم يفصل فيه فقد تحرّج من الموازنة بين الشاعرين وهذا دفعه إلى احالة الحكم إلى الأزارقة.

وفي هذا العصر نرى المفاضلات والموازنات بين الشعراء تتطور عن العصرين السابقين وذلك بالالتفات عند المفاضلة أو الموازنة إلى جوانب من الشعر لم يكن النقّاد السابقون ينظرون إليها فقد سأل سعيدُ بن المسيَب نوفلَ بن مساحق: ((من أشعر ياابا سعيد أصاحبنا أم صاحبكم يعني عبيد الله بن قيس الرقيات أو عمر بن أبي ربيعة؟ فقال نوفل: حين يقولان ماذا ياأبا محمد؟ قال سعيد: حين يقول صاحبنا عمر بن أبي ربيعة:

خليلـــي مابـــال المطايـــا كأنمـــا ... نراهـا علـى الآدب بـالقوم تـنكصُ...

ويقول صاحبكم: ماشئت فقال له نوفل: صاحبكم أشعر بالقول في الغزل امتع الله بك وصاحبنا أكثر أفانين شعر قال سعيد: صدقت))[١٠٥٦].

والحق أنه قد كانت للنقاد في ذلك العصر مقدرة على الموازنات بدليل ان نوفل بن مساحق، حكم لعمر بكونه أشعر في قول الغزل ولابن قيس الرقيات بكونه أكثر أفانين شعره، فكانت الكلفة تميل لصالح ابن قيس الرقيات لأنه مقتدر على تنويع شعره بمختلف الأغراض فأجاد، والموازنات لم تكن وليدة العصر فقد كانت لها ملامح اشرنا إليها إلاّ أن مايحسب لنقاد العصر الأموي أنهم كانوا يتطرقون في تلك الموازنات ((إلى الصدق الشعري في المعنى والعاطفة أو إلى الشعر الذي يوحيه العقل والمنطق والشعر الذي يوحيه القلب والعاطفة وتفضيل الثاني على الأو ل)).

وكان المرزباني قد أورد أمثلة على ذلك منها: انشد كثير ابن أبي عتيق قصيدته التي يقول فيها:

ولست براضٍ من خليلٍ بنائلٍ ... قليلٍ ولا راضٍ له بقليل

فقال له: هذا كلام مكافئ ليس بعاشق،القرشيان أقنع واصدق منك ابن أبي ربيعة وابن قيس الرقيات قال عمر حيث يقول:

لَيْـــتَ حَظّـــي كَلَحْظَـــةِ الْعَـــينَ مِنْهـــا ... وَكَثِيـــرٌ مِنهَـــا الْقَلِيـــلُ الْمُهنَّـــا

(١٠٥٣) العمدة ٩٦/١.

(١٠٥٤) الأغاني ٤٧/٨ والبيت في ديوان جرير ٢٠٣ والطراد : العدو الدائم،والقياد : الترويض.

(١٠٥٥) الأغاني م.ن ٤٧/٨.

(١٠٥٦) ينظر : الأغاني ١٠٢/٥والبيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٤٩٥

وقوله:

فَعِــــدِي نَـــــائِلاً وإن لَـــــمْ تُنِيلـــــي إنّمـــــا يَنْفَـــــعُ المُحِـــــبَّ الرّجـــــاءُ

قال ابن قيس الرقيّات :

رُقَـــــيَّ بعَيـــــشكمُ لاتَهْجُرِينَـــــا وَمَنِّيْنَـــــا المُنَـــــى ثُـــــمّ امطُلِينَـــــا

عِـدِينَا فَــي غَـدٍ مَـا شِـئْتَ، إنّـا نُحِـــبُّ وَلَـــوْ مَطَلْــتِ الوَاعِـــدينا

فأمّـــا تُنْجِـــزِي عِـــدَتّي وَإمَّـــا نَعِـيشُ بمـا نُؤمِّـلُ مِنِـك حِينَـا (١٠٥٧)

فقول كثير كان أدنى درجة لدى ابن أبي عتيق من قول كل من عمر بن أبي ربيعة وابن قيس الرقيّات، ومما يبدو انّهُ لم يفضّل أحدهما على الآخر وإن كنا نلمح ميلاً إلى جانب ابن أبي ربيعة لتقديمه إيّاه واستشهاده ببيتين من قصيدتين له.

وكان من المفاضلات في ذلك العصر ما جاء عاماً من ذلك تفضيل كثير جميلاً على نفسه لاتخاذه له إماماً في الشعر قال في ذلك جويريّه بن اسماء ((ما استنشدت كُثيّراً قط إلاّ بدا بجميل وانشدني له ثم انشدني بعده لنفسه وكان يفضله ويتخذه إماماً))(١٠٥٨).

ومما يروى أن كثيراً كان يقول في جميل أنه أشعر الناس عند قوله:

وخبرتمـــــاني أن تيمـــــاء منـــــزلٌ لليلـى إذا مـا الـصيف ألقـى المراسـيا

فهذي شهور الصيف عنّي قد انقضت فمــا للنـــوى ترمـــي بليلـــى المراميـــا

ويقول وهو والله أشعر الناس حيث يقول:

وأنـتِ التـي إنْ شئْتِ كدّرتِ عيشتي وإنْ شــئتِ بعــد الله أنعمــتِ باليــا

وأنـت التـي مـا من صديقٍ ولا عِدىً يرى نضوَ مَا أبقيت إلاّ رثى ليا(١٠٥٩)

فجميل في نظر تلميذه كثير أشعر الناس في تلك الأبيات التي ويبدو أن جميلاً قد أجاد التعبير عن عاطفةٍ أحسّها كثير الناقد، فصدق العاطفة عند جميل ووصفه الدقيق لها هو الذي جعل كثيراً يصدر حكمه لأنه كان يعاني مرارة التجربة معاناتها التي كما يبدو متطابقة عند الشاعرين. وربما صدر هذا الحكم لأن كثيراً ((يرى الشاعر قد ناسب شعره موقفاً يقفه هو))(١٠٦٠).

(١٠٥٧) ينظر الموشح ٢٣٧ والأبيات في ديوان كثير ٢٧٩ . ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٢٧٥، ٤٨٤. وفي صدر البيت الأول (طرفة العين). وديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ١٣٧ مع تغيير طفيف في صدر البيت الأول "رقيّ بعمركم".

(١٠٥٨) م.ن ١٠٢/٨.

(١٠٥٩) م.ن ١٣٣/٨-١٣٤ والأبيات في ديوان جميل ١٣١ مع تعديل طفيف ففي البيت الأول قال خليلي ان تيماءَ موعدُ لِبثنَ إذا...".

(١٠٦٠) أسس النقد الأدبي عند العرب: ٥٥٥.

ويروى أن رجلاً سأل نصيباً في مسجد الكوفة قائلاً: ((أخبرني عنك وعن أصحابك. فقال: جميل إمامنا، وعمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال، وكثير أبكانا على الدِّمَن، وأمدحنا للملوك. وأما أنا فقد قلت ما سمعت. فقلت له: أن الناس يزعمون أنّك لاتحسن أن تهجو، فضحك ثم قال: أفتراهم يقولون إني لا أحسن أن امدح؟ فقلت: لا. فقال. أفما تراني أحسن أن اجعل مكان (عافاك الله): (أخزاك الله)، قلت: بلى! قال: فاني رأيت الناس رجلين: إمّا رجلٌ لم أسأله شيئاً، فلا ينبغي أن أهجوه فأظلمه، أو رجل سألته فمنعني، فنفسي كانت أحق بالهجاء، إذ سوّلت لي أن أسأله وأن اطلب ما لديه))[١٠٦١].

فهذا النقد على الرغم من عفويته وارتجاله صيغ في جمل عامة مختصرة تعددت الأحكام فيها من وجهة نظر نصيب ، فقد جعل الإمامة لجميل وفي هذا الحكم يتفق مع رأي كثير. وجعل عمر بن أبي ربيعة أوصف الشعراء لربات الحجال) وكثيراً أبكاهم على الدُمن وأمدحهم للملوك وهذه الأحكام يبدو أنها جاءت تطابق مزاج نصيب وحالته في حينها. وحسب ما يرد على ذاكرته من شعر أو معنى مفرد في قصيدة أو في بيت منها. أما نصيب فقد جعل شعره مقياساً للقيم الخلقية والدينية.

ويذكر أن رجلاً سأل نصيباً عن أيهما أنسب جميل أم كثيّر؟ فأجابه قائلاً: ((أنا سألت كثيّراً عن ذلك. فقال: وهل وطألنا النسيب إلا جميل))[١٠٦٢].

وكان من المفاضلات ما هو تفضيلي دقيق من ذلك المفاضلة بين قصيدة في غرض لشاعر وأخرى في الغرض نفسه لشاعر آخر، ويذكر صاحب الأغاني ((أن عمر كان يعارض جميلاً، فإذا قال هذا قصيدة قال هذا مثلها، فيقال في الرائية والعينيّة أشعر من جميل وان جميلاً أشعر منه في اللامية))[١٠٦٣].

ويقصد بالرائية (مغامرة عمر الليلية) التي مطلعها:

أمِنْ آل نُعْمٍ أنتِ غادٍ فمبكِرُ غداة غدٍ أم رائحٌ فمهجّرُ؟[١٠٦٤]

وعينيته هي التي مطلعها:

ألم تسأل الأطلال والمتربَّعا ببطن حُليّاتٍ دوارسَ بلقعا؟[١٠٦٥]

أمّا لامية جميل فهي التي يقول في مطلعها:

لقد فرح الواشون ان صَرَمَتْ حَبلي بُثينةُ، أو أبْدَتْ لنا جانبَ البخل[١٠٦٦]

وبعد أن أتى على آخرها قال لعمر: ((يا ابا الخطّاب هل قلت في هذا الروي شيئاً؟ قال: نعم. قال: فانشدنيه فانشده قصيدته التي مطلعها: (جرى ناصح بالود بيني وبينها) فقال جميل: هيهات يا أبا الخطّاب لا أقول والله مثل هذا سجيس الليالي! ما خاطبَ النساء مخاطبتك أحد، وقام مشمّراً))[١٠٦٧]

(١٠٦١) الأغاني ٣٤٠/١-٣٤١ للاستزادة من نقد الشعراء الأمويين ينظر : م.ن

(١٠٦٢) : م.ن ١٠٢/١ وآمالي الزجاجي: ٨٤، ٨٥ وتجريد الأغاني ٥٤/١-٥٥ ومختار الأغاني ٥٢٤/٤، ٤٠/٥ وديوان المعاني ٧٦/١.

(١٠٦٣) الأغاني ٢٦٣/٢ والامالي ٧٤/٢.

(١٠٦٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٩٢.

(١٠٦٥) م.ن: ١٧٧.

(١٠٦٦) ديوان جميل بثينة: ٩٣.

ويبدو أن هذه الأحكام لا تختلف عن الأحكام في عصر ما قبل الإسلام غير المعللة فجميل من الشعراء الذين حكم له النقاد منهم ابن أزهر الذي حكم له بأنه

أشعر أهل الإسلام ، ويحكم لـه عبد الرحمن بن حسّان بأنه اشعر أهل الإسلام وأهل ماقبل الإسلام فيما يرى كثير أن جميلاً ((اشعر الناس))[١٠٦٨].

وقد ينسب الرأي النقدي إلى أكثر من شاعر، إذ نسب إلى نصيب وكثيّر والفرزدق ان أحدهم سئل عن أشعر العرب فأجاب ((امرؤ القيس إذا ركب وزهير إذا رغب والنابغة إذا رهب والأعشى إذا شرب))[١٠٦٩] والمقولة واضحة من حيث التفضيل فقد تفوق امرؤ القيس في وصف الفرس وزهير في غرض المديح والنابغة في الاعتذار والأعشى في وصف الخمر، فكل واحد منهم أشعر العرب في ذلك الغرض الذي قرن به وقد تكررت تلك المقولة في آراء النقاد اللغويين من غير نسبة. فالشعراء الأمويون وجّهوا نقدهم أول ماوجهوه إلى شعراء ماقبل الإسلام ، وعندما سئل كل من النصيب واسماعيل بن يسّار عن أشعر الناس اجابا (أخو تميم علقمة) ثم أورد اسميهما بعده[١٠٧٠]. وجاء في العمدة أيضاً ان النصيب سئل ((من أشعر العرب؟ فقال: علقمة بن عبده، وقيل أوس بن حجر، وليس لأحد من الشعراء بعد امرئ القيس مالزهير والنابغة والأعشى في النفوس))[١٠٧١].

فالأحكام وأن بدت كأنها مجانية أو عامة إلا أن وراءها أحكاماً يقصدها النصيب.

وإذا ماوقفنا عند نقد الشعراء المتلقين وتفنيد أحكامهم فلن نستطيع أن نتجاوز (الثالوث الأخطل والفرزدق وجرير) الذين ملأوا حديث الأندية والمجالس في تلك الأيام وإلى حد ما بعدها: فقد سئل الأخطل مرّةً، ففضل الأعشى لأنه إذا مدح رفع وإذا هجا وضع ثم طرفة[١٠٧٢]. وفي رواية وضع نفسه بعد الأعشى[١٠٧٣] وأشعر الناس قبيلة عنده، بنو قيس بن ثعلبة وأشعر الناس بيتاً آل أبي سلمى. ويبدو واضحاً أن أشعر الناس في نظره الأعشى وزهير وولده، ويأتي طرفة في درجة متأخرة، وأشعر المخضرمين ابن مقبل، مقدماً عليهم في الأحوال كلها النابغة لأنه يقول: ((فضلت الشعراء في المديح والهجاء والنسيب بما يلحق لي فيه))[١٠٧٤].

ومما يروى أن الفرزدق ((قال لبعض الرواة: أسألك بالله من أشعر عندك أنا أو جرير؟ فقال: والله لأصدقنّك، أما عند خواص الناس وعلمائهم فهو أشعر منك وأمّا عند

(١٠٦٧) ينظر: الأغاني ١٤٧/٨-١٤٨.
(١٠٦٨) الأغاني ١٣٣/٨.
(١٠٦٩) العمدة ٩٥/١ للاستزادة ينظر: نور القبس ٢٧.
(١٠٧٠) ينظر : طبقات فحول الشعراء ٤٠٨/١-٤٠٩، ٦٨١/٢-٦٨٢.
(١٠٧١) العمدة ٩٧/١.
(١٠٧٢) أمالي القالي: ١٧٩/٢.
(١٠٧٣) ينظر: الأغاني ٣٠٣/٨.
(١٠٧٤) الأغاني ٢٨٨/٨.

عامة الناس ودهمائهم فأنك أشعر، فقال غلبته وربّ الكعبة وتقدمته من يقع الخاص من العام))[١٠٧٥] وقيل لجرير ((أيكما أشعر أنت في قولك:

حَـيِّ الغَـداةَ برامَـةَ الأطْـلالاَ   رَسْـماً تَحَمّـلُ أهْلُـهُ فأحـالا

أم الأخطل في قوله:

كَـذَبْتكَ عَينُـكَ أم رأيـت بواسـطٍ   غَلَـسَ الظَّـلامِ مـن الربـاب خَيـالا

فقال: هو أشعر مني، غير أني قلت في قصيدتي بيتاً لو أن الأفاعي نهشت استاهم ماحكوه بعده وهو:

والتغلبـي إذا تنحـنح للقـرى   حـكَّ اسـته وتمثَّـل الأمثـالا))[١٠٧٦]

وروى أن الأخطل قال للفرزدق: ((أنا والله أشعر من جرير غير أنه رزق من سيرورة الشعر مالم أرزقه، وقد قلت بيتاً لا أحسبُ أن أحداً قال أهجى منه وهو:

قـومٌ إذا اسـتنبح الأضـياف كلـبهم   قـالوا لأمهّـم بـولي علـى النـارِ

وقال هو:

والتغلبـيُّ إذا تنحـنح للقـرى   حـك اسـتهُ وتمثـل الأمثـالا

فلم يبق سقاء ولا أمه الاّ روته))[١٠٧٧] فذلك إقرار من الأخطل بشاعرية جرير. ومثل هذا النقد جرت أحكام كثيرة.[١٠٧٨]

وفي رواية أخرى سئل الأخطل عن جريرٍ: ((فقال دعوه فانه كان بلاءً على من صُبَّ عليه ومأخشن ناصيته وأشرد قافيته، والله لو تركوه لأبكى العجوز شبابها والشابة أحبابها وقد هزّوه فوجدوه عن الهراش نابحاً ولقد قال بيتاً لأن أكون قلته أحبُّ إليّ مما طلعتُ عليه وهو قوله:

إذا غـضَبتْ عليـكَ بنـو تَمـيمٍ   حـسبتَ النـاس كلَّهـم غـضابا))[١٠٧٩]

فقد سُئل الأخطل أيكم أشعر؟ قال: ((أنا أمدح للملوك وأنعتهم للخمر والحمر، يعني النساء، وأما جرير فأنسبنا وأشبهنا، وأما الفرزدق فأفخرنا))[١٠٨٠] وقال في موضع آخر ((أشعر الناس رجل في قميصي))[١٠٨١] ثم قال ((أشعر العرب الكلبان المتعاقران من

(١٠٧٥) أخبار أبي تمام: ٢١٥.
(١٠٧٦) نقائض جرير والفرزدق: ٤٩٧-٤٩٨ وفي ديوان جرير: ٥٤١-٥٤٣ والبيت في ديوان الاخطل٨٤
(١٠٧٧) العمدة ١٨١/١ والبيتان في ديوان الاخطل: ٤٢٠ وديوان جرير: ٥٤٣.
(١٠٧٨) ينظر: الموشح/٢٢٢،٢٠٩،٢٧١ والعمدة ٩٦/١، والخزانة ٣٥٨/٣، ١٣٩/١١.
(١٠٧٩) المذاكرة في القاب الشعراء: ٦٨-٦٩. والبيت في ديوان جرير ٩٩
(١٠٨٠) الشعر والشعراء: ٣٧٧/١.
(١٠٨١) الأغاني: ٢٧٧/٨.

بني تميم (يعني جرير والفرزدق) وهو أشعر منهما))[١٠٨٢] ولهذا نجد الأخطل حسب رأيه أنه أشعر الشعراء إذ يقول: ((فضلت الشعراء في المديح والهجاء والنسيب))[١٠٨٣] ويبدو أنه يقصد (النسيب) أو كما ذكرنا سالفاً (الحمر) وهو صفة للنساء بما يتصل بالحديث في شعره بالخمر وهذا هو الذي يريد أن يقوله، أما إذا كان يقصد الغزل منفصلاً فلسنا نشاطره ذلك لأن جريراً أغزل وأوصف ومقدماته شاهدة على مانقول.

وسئل جرير عن أشعر الناس! فأجاب بقوله ((أشعر الناس بمن فاخر مثل هذا الأدب ثمانين شاعراً فقارعهم به فغلبهم))[١٠٨٤]. وذكره ابن سلاّم فقال: ((بيوت الشعر أربعة فخر ومديح ونسيب وهجاء وفي كلها غلب جرير..))[١٠٨٥]..وقد قيل لأبي عمرو بن العلاء: أي بيت تقوله العرب أشعر؟ قال: البيت الذي إذا سمعه سامعه سوّلت له نفسه أن يقول مثله، ولأن يخدش أنفه بظفر كلب أهون عليه من أن يقول مثله[١٠٨٦].

.ان مصطلح (أشعر الناس) أو (أشعر العرب) قد تكرر لأكثر من شاعر في هذا النص وفي نصوص أخرى ولابن قتيبة نصّ نقدي مهم يوضح مانحن بصدده يقول: ((ولله در القائل أشعر الناس من أنت في شعره حتى تفرغ منه)) [١٠٨٧]

ويروى أن رجلاً شهد مجلساً تجادل أهله في جرير والفرزدق أيّهما أشعر فذهب إلى الفرزدق وأخبره بذلك فقال: أعن ابن الخطفي تسألني!.. ثم قال: قاتله الله! فما أخشن ناحيته واشرد قافيته والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها والشابة على أحبابها ولكنهم هزّوه فوجدوه عند الهراش نابحاً وعند الجرّاء قارحاً وقد قال بيتاً لأن اكون قلته احب إلي مما طلعت عليه الشمس:

إذا غـــضبت عليـــك بنـــو تمـــيمٍ حـــسبت النـــاس كلَّهُـمُ غـضاباً[١٠٨٨]

فالفرزدق يحكم لجرير بالشاعرية إذ يشير في هذا النص إلى شرود قافيته أي انتشار شعره وسيرورته وذيوعه بين الناس وهو من مقاييس تفضيل الشعر عند العرب. وكان الفرزدق أكثر نقداً للشعر من صاحبيه وقد عرف بنشاطه النقدي وكثيراً ماجعلوه في سوق المربد حكماً بين الشعراء وكثيراً ماعرض عليه الشعراء نتاجهم على ماتروي المصادر[١٠٨٩].

وكانت للفرزدق آراء في شعر ماقبل الإسلام لم يظفر بها أحدٌ غيره، من هذه الآراء ماروي عنه أنه قدم الكوفة، ومرّ بمسجد لبني قيصر وسمع رجلاً ينشد قولاً للبيد وفيه:

((وجَـلاَ الـسيولُ عـن الطلـول كأنَّهـا زُبُـــرٌ تُجِـــدُّ متونَهـــا أقلامُهـــا

(١٠٨٢) م.ن: ٢٩٩/٨.

(١٠٨٣) م.ن: ٢٩٧/٨.

(١٠٨٤) المذاكرة في ألقاب الشعراء ٤٩/٨.

(١٠٨٥) طبقات فحول الشعراء ٣٧٩/٢.

(١٠٨٦) العقد الفريد ٣٢٥/٥-٣٢٦. وقيل للأصمعي: أي بيت تقوله العرب أشعر؟ قال: الذي يسابق لفظهُ معناه. وقيل للخليل: أي بيت تقوله العرب أشعر؟ قال: البيت الذي يكون أوله دليل قافيته. وقيل لغيره. أي بيت تقوله العرب أشعر؟ قال: البيت الذي لايحجبه عن القلب شيء.
ويرى ابن عبد ربه ان احسن من هذا كله قول زهير:

بيـــت يقـــال إذا انـــشدته صـــدقا وان احـــسن بيـــت أنـــت قائلـــه

ينظر العقد الفريد ٣٢٥/٥ – ٣٢٦ ولم نعثر على البيت في ديوان زهير لانه نسب إليه فقط وهو حسان بن ثابت الانصاري ينظر ديوانه ٢٧٧ وقيل ان جماعة قالت انشدنا مروان بن أبي حفصة شعر زهير فقال: ((زهير والله أشعر الناس ثم أنشد للأعشى فقال: الأعشى أشعر الناس ثم أنشد شعراً لامرئ القيس فقال امرؤ القيس أشعر الناس. ثم قال: والناس والله أشعر الناس. أي إن أشعر الناس من انشدنا له فوجدته قد اجاد حتى ينتقل إلى شعر غيره.

(١٠٨٧)الشعر والشعراء ٨٢/١.

(١٠٨٨)الاغاني١٤/٨ وهزّوه اختبروه وقارعوه بالهجاء. والهراش مقاتلة الكلاب والديوك وما إليها والنابح الكلب. والجراء: الجري والركض والقارح هو الجمل الشديد. فهذه الأوصاف تشير إلى تفوق جرير على الشعراء كلهم الذين قارعوه.

(١٠٨٩) ينظر: طبقات فحول الشعراء ٣٧٩/٢، ٣٢٧-٣٢٩.

فسجد الفرزدق، فقيل له: ماهذا ياأبا فراس؟ فقال: أنتم تعرفون سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر))[١٠٩٠] وهذا يدل على منزلة بيت لبيد لدى الفرزدق.
أما امرؤ القيس فقد وقف عنده الفرزدق كثيراً، مما دفعه إلى أن يجيب عن أي بيت قالته الشعراء أفخر؟ بأنه قول امرئ القيس:

فلو أن ماأسعى لأدنى معيشة كفاني-ولم أطلب- قليلٌ من المالِ
ولكنني اسعى لمجدٍ مؤثـلٍ وقد يدرك المجد المؤثل أمثـالِ

وقالوا له: فأيها أرقُّ؟ قال: قوله:
ومـاذرفـت عينـاكَ الاّ لتـضربي بسهميك في أعشار قلبٍ مُقتّلِ[١٠٩١]
وحينما سألاه عن أحسن الأشعار، قال: قوله:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنّاب والحشف البالي

وذكر ابن سلام أن الفرزدق كان قد أجاب سائلاً سأله عن أشعر الناس فقال: ذو القروح وعندما سأله السائل: وحين يقول ماذا؟ قال: حين يقول:

وقـاهم جـدّهم ببنـي أبـيهمْ وبالأشـقين ماكـان العقـاب

فالفرزدق -فيما يبدو- كان قوي البصيرة في نقد الشعر، إذ سعى في تفضيله امرأ القيس في الأغراض جميعها حتى أو صله إلى منزلة أشعر الناس محدداً حكمه في ذلك ((وهو معيار فني في التقدير سواء كان التعبير يتضمن حكمة أم صورة واقعية أم فخراً وسلوكاً خلقياً))[١٠٩٢].
وروى عمر بن شبه، قال: ((قيل للفرزدق: أي بيت قالته العرب أحكم قال: مااشتمل على مثلين يستغني في التمثيل بكل واحد منهما على حدته عن صاحبه. قال: ثم انشد قول امرئ القيس:

الله انجـح ماطلبـت بـهِ والبـر خيـر حقيبـة الرحـل))[١٠٩٣]

ويروى أن الفرزدق وكثير اجتمعا في مجلس في المدينة في إمارة أبان بن عثمان ((فبينا هما يتناشدان الاشعار إذ طلع عليهما غلام شخت رقيق الأدمة. في ثوبين ممصرين، وقال: أيكم الفرزدق فقال له الفرزدق : من أنت لا أم لك. قال: رجل من الأنصار. ثم من بني النجار. ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم، بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب، وتزعمه مضر، وقد قال شاعرنا حسان بن ثابت شعراً فاردت أن أعرضه عليك، وأؤجلك سنة، فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب، كما قبل، وإلا فأنت منتحل كذاب، ثم أنشده(ألم تسال الربع الجديد التكلما..) حتى بلغ إلى قول:

ولـدنا بنـي العنقـاء وابنـي محـرق فـأكرم بـذا خـالاً وأكـرم بـذا ابنمـا

(١٠٩٠) الأغاني ٣٦٠/١٥، مختار الأغاني ٢٧/٦، ٣٤٠/٩ وينظر : البيت في ديوان لبيد ٤٣٤.
(١٠٩١) ديوان المعاني ٨١/١ للاستزادة ينظر : حلية المحاضرة ٣٢٨/١والأبيات في ديوان امرئ القيس ٣٩
(١٠٩٢) ينظر: طبقات فحول الشعراء ٥٢/١-٥٣وينظر : العمدة ٩٤/١-٩٥ والبيتان في ديوان امرئ القيس ٣٨
(١٠٩٣) الشعراء نقاداً : ١٠١.

لنـا الجفنـات الغـر يلمعـن بالـضحى وأسـيافنا يقطـرن مـن نجـدة دمـا

... فقال (الفرزدق) قاتل: الله (الأنصاري)! ما رميت بمثله ولا سمعت بمثل شعره فارقتكما فأتيت منزلي فأقبلت أصعد وأصوب في كل فن من الشعر: فلكاني مفحم أو لم أقل قط شعراً حتى نادي المنادي بالفجر، فرحلت ناقتي ثم أخذت بزمامها فقدتها حتى أتيت ذباباً (جبل بالمدينة) ثم ناديت بأعلى صوتي: أخاكم أبا لبنى وقال سعدان أبا ليلي:- فجاش صدري كما يجيش المرجل. ثم عقلت ناقتي وتوسدت ذراعها: فما قمت حتى قلت مائة وثلاثين بيتاً)) [١٠٩٤] .

وفي هذا النص أعتراف ضمني أن الفرزدق لاقى مالاقى من معاناة ومكابدة على الرغم من أنه من فحول الشعراء ولم يعنه في ذلك سوى شيطانه ولعل مرور عام على طلب الأنصاري هو شهادة أخرى لتفوق حسان في ميميته التي أنشدها الأنصاري.

غير أن في ذلك مبالغة لأن الفرزدق انشد قصيدته اليوم الثاني وافحم به الإنصاري واستحسنها من حضر[١٠٩٥].

وقيل إن أبا عمرو كان يقول: ((أشعر الناس أربعة: امرؤ القيس والنابغة وطرفة ومهلهل))[١٠٩٦] ويروى أن المفضّل قال: ((سئل الفرزدق. فقال: امرؤ القيس أشعر الناس. وقال جرير النابغة أشعر الناس. وقال الأخطل: الأعشى أشعر الناس! وقال ابن أحمد: زهير اشعر الناس. وقال ذو الرمة: لبيد أشعر الناس. وقال الكميت عمرو بن كلثوم أشعر الناس.. وهذا يدل على اختلاف الاهواء وقلّة الاتفاق))[١٠٩٧].
وجاء في العمدة أيضاً ان الفرزدق سئل ((مرّة من اشعر العرب؟ فقال: بشر بن أبي خازم. فقيل بماذا؟ قال: بقوله:

ثـوى فـي مُلحَـدٍ لابُـدَّ منـهُ كفـى بـالموت نأيـاً واغترابـا

ثم سئل جرير السؤال نفسه فقال: بشر بن أبي خازم قال بماذا؟ قال بقوله:

رَهـينَ بلـى وكـلّ فتـى سـيبلى فـشقّي الجيـب وانتحبـي انتحابـا

فاتفقا على بشر بن أبي خازم[١٠٩٨].

(١٠٩٤) ينظر الأغاني ٣٧٢/٢١- ٣٧٣ والقصيدة في ديوان حسان ١٣١وما بعدها . وشحت الضامر النحيف خلقه، وممصرين: مصبوغين بالمصر وهو مادة حمراء يصبغ بها.
(١٠٩٥) ينظر م.ن: ٣٧٥/٢١.
(١٠٩٦) العمدة ٩٧/١.
(١٠٩٧) م.ن ٩٧/١.
(١٠٩٨) ينظر : العمدة ٩٥/١ والبيتان في الديوان ٤٨ –٤٩ والثواء: طويل المقام وعجز البيت الثاني : "فإذري الدمع وانتحبي انتحابا"..

وسأل الخليفة عبدُ الملك بن مروان الأخطل من أشعر الناس؟ قال: العبد العجلاني يعني تميم [بن أبي مقبل قال: بم ذاك؟ قال: وجدته في بطحاء الشعر والشعراء على الحرمين، قال: اعرف ذلك له كرهاً[١٠٩٩].

ومن الملاحظات الجديرة التي تستوقفنا مادار بين العجاج وابنه رؤبة فقد روي أن رؤبة قال لأصحابه عن أبيه ((هو أعلم بالشعر مني فاسمعوا ماأقول فان كان شعراً فأنا شاعر))[١١٠٠] فأنشدهم شيئاً من شعره فقالوا. والله أحسنت وسلكت طريق الشعراء وماأبوك بأشعر منك))[١١٠١] مع العلم أن هذا الحكم قد رفعه حتى أصابه الغرور بدليل تطاوله على أبيه فقد ((بلغ العجاج أن رؤبة قال: أنا أشعر من أبي، فقال له أبوه أنت أشعر مني؟ قال: نعم قال ومن أين أتاك ذلك؟ قال: من حيث أتاك أنك أشعر من أبيك رؤبة فسكت))[١١٠٢].

وقد تنازعا في ذلك حتى فصل بينهما عبد الملك بن مروان كما سنرى. وقد قيل إن عمراً بن لجّأ قال لبعض الشعراء ((أنا أشعر منك قال: ولم؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمّه))[١١٠٣].

وهذا النص يوضح مقدرة أبن لجأ في قول الشعر وسبكه وتآلفه فيما لايستطيع منافسه أن يصل إليه لتفكك شعره.

وكان عمران بن حطّان من شعراء العرب وخطبائها وروى عنه أنه قال: ((خطبت عند زياد خطبة ظننت أني لم أقصر فيها عن غاية ولم أدع لطاعنٍ علّة فمررت ببعض المجالس فسمعت شيخاً يقول: هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن))[١١٠٤].

فهذه المقولة تبيّن لنا موقفين من النقد الأو ل موقف عمران بن حطان من خطبته الذي يرى فيها شيئاً من الكمال والآخر موقف الشيخ واعجابه بالخطبة ،إذ جعل صاحبها أخطب العرب لو أنه وشحها بالقرآن وهذه الخطبة هي التي تسمى بالشوهاء.

وجاء في البيان والتبيين أن أعرأبي خطب فلمّا أعجله بعض الأمر عن التصدير بالتحميد والإستفتاح بالتمجيد، قال:((اما بعد، بغير ملالةٍ لذكر انّه ولا إيثار غيره عليه، فإنّا نقول كذا ونسأل كذا فراراً من أن تكون خطبته بتراء أو شوهاء))[١١٠٥].

وروي عن أشيم بن شقيق بن ثور أنه قال ((لعبيد الله بن زياد بن ظبيان ماأنت قائل لربك وقد حملت رأس مصعب بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان؟ قال: أسكت فأنت يوم القيامة أخطب من صعصعة بن صوحان إذا تكلمت الخوارج فما ظُنّك ببلاغة رجلٍ عبيد الله بن زياد يضرب به المثل))[١١٠٦].

فإذا كان صعصعة بن صوحان أخطب العرب كما يروي الجاحظ فان شقيق بن ثور أخطب منه وهو بذلك أخطب العرب ولكن يوم القيامة كما يرى الناقد ويبدو أنه قصد ذلك للاستهزاء.

(١٠٩٩) م.ن: ٩٥٨ .
(١١٠٠) المذاكرة في القاب الشعراء: ١٢٦.
(١١٠١) م.ن: ١٢٦.
(١١٠٢) م.ن ١٢٦
(١١٠٣) م.ن : ١٣١.
(١١٠٤) البيان والتبيين ٦/٢.
(١١٠٥) المذاكرة في ألقاب الشعراء ٦/٢.
(١١٠٦) م.ن ٣٢٦/٦١/٢-٣٢٧.

آراء في الشعراء:

ومن الملاحظات النقدية المهمّة في ذلك العصر ماحملته لنا قصيدة الصلتان العبدي حينما حكم بين الفرزدق وجرير فجاءَ حكمه بينهما منظوماً في عينيته التي يقول في أبيات منها:

أنــا الــصلّتاني الــذي قــد عَلمــتمُ ... متــى يُحَكــم فهــو بــالحقِّ صــارعُ
ومايــستوي صــدر القنــاةِ وزُجَّهــا ... ومايــستوي شــمُّ الــذُّرى والاجــارعُ
إلاّ أن مــا تحظــى كليــبٌ بــشعرّها ... وبالمجــد تحظــى دارم والاقــارعُ
أرى الخطفــيّ بــذّ الفــرزدق شــعره ... ولكــن خيــراً مــن كليــب مجاشِــعُ
فياشــاعراً لاشــاعِرَ اليــوم مثلــه ... جريــر، ولكــن فــي كليــب تواضــعُ
جريــر أشــدّ الــشاعرين شــكيمة ... ولكــن عَلَتــهُ الباذخــان الفــوادعُ
ويرفــع مــن شــعر الفــرزدق أنــهُ ... لــه بــاذخٌ لــذي الخــسية رافــعُ(١١٠٧)

ففـي هـذه القـصيدة تفـضيل للفـرزدق لرفعـة شـأنه الاجتمـاعي ويـشير إلـى فخـر الفـرزدق.كمـا ان الناقـد قـضى لجريـر علـى الفـرزدق لقـوة هجائـه وهـذا النقـد المنظـوم لايخرج عن معيار الموازنة والمفاضلة ،ويرى جرير أن هذا الحكم ابتعد عن الحيـاد فـي اسقاط كثير وفـي كل منهـا يحط بجريـر ويرفـع الفـرزدق، ويـرى أن الفـرزدق قد عـلا جريراً شرفاً وحسباً وهذا لايمت إلى الفن والجمـال بـسبب(١١٠٨) ففي صـوته تعلو قيمـة الشعر لشرف قائله ومكانته بغض النظر عن الجودة الفنية أو ردائتها.

وان مالت بعض الأحكام إلى تعليل بعض الجزيئات ،فأن الأهواء والعصبية كان لها أثر فاعل في بعض الأحيان، لكنها لم تصل إلى الافراط والغلو والمبالغة، إذ تأخذ بالحسبان الجانب الفني وأهميته.

غير أن مروان بن أبي حفصة يرى عكس ذلك، إذ يقول مفضّلاً جريراً

ذهــب الفــرزدق بالــذهاب وإنّمــا ... حلــو القــريض ومــرّه لجريــر

وهناك روايات أخرى تشير إلى غضب جرير والفرزدق على هذا الحكم وهناك كثير من الآراء والأبيات الشعرية التي عمّقت هذا النقد من ذلك قول أحمر بن غدانه الذي لايقبل من يساوي بين كليب ودارم وبين جرير والفرزدق. يقول:

عــلامَ تَعنّــى يــاجرير وقــد قــضى ... اخـو عـصر ان قـد عـلاك الفـرزدق
وان امــرءاً ســوّى كليــبٍ بــدارمٍ ... وسوّى جريراً بالفرزدق احمقُ(١١٠٩)

وهذا القول أغضب جريراً وردّ عليه قائلاً:

نبئــت عبــداً بــالعيون الــسيني ... احيمر سوّاراً على كرب النخلِ(١١١٠)

وإذا كان الصلتان قد انصف الشاعرين فـان ابـن غدانـه مـال بحكمـه إلـى جريـر، ورغم هذا الميل فقد غضب ولم يكن((ذكيـاً فـي ردّه فهـو يخلـط بـين نقـد الـشعر ووسـائل

(١١٠٧) الأمالي ٢٠/١٤١-١٤٢.
(١١٠٨) الشعر والشعراء ٢/٤٥٨.
(١١٠٩) ينظر : طبقات فحول الشعراء ٢/٤٠٤، ٤٤٨. . والبيت في ديوان جرير
(١١١٠) طبقات فحول الشعراء ٢/ ٤٥٠ ، والبيت في ديوان مروان بن أبي حفصة ٣٥ وفيه (حلو القصيد) .

العيش، ولو تأمل قليلاً لوجد احمر بن غدانه غير دقيق في نقله قضاء الصلتان))[١١١١] الذي أشرنا إلى تفضيله دارماً على كليب وجرير على الفرزدق ويرى الدكتور عبد الجبار المطلبي ان ابن غدانه حمّق من يسأو ي بين جرير والفرزدق وإذا كان رأيه كذلك فما رأيه بمن فضّل جريراً على الفرزدق اجل لم يكن الناقد دقيقاً في تعبيره ولم يكن جرير ذكياً في ردّه[١١١٢] ويبدو أن جريراً لايقبل أي تفضيل جزئي.

ويبدو أن هذا الحكم كان مدعاة في مجلس بشر بن مروان الذي كان ((يغري بين الشعراء، فقال للأخطل أحكم بين الفرزدق وجرير فقال اعفني أيها الأمير، فقال: احكم بينهما، فاستعفاه بجهده، فأبى إلاّ أن يقول. فقال: هذا حكم مشؤوم! ثم قال: الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر))[١١١٣].

وعلى الرغم من ان هذا الحكم كان على قدر من الحياد فأنه قد أغضب جريراً. ويرى الدكتور طه الحاجري أن ((جريراً لم يرضَ بهذا الحكم لتردده وانه كان يريد تفضيلاً مطلقاً. ولكنه قد يعني أيضاً أن جريراً أحسن بأن الأخطل يرى في شعره ليونه في حين يرى في شعر الفرزدق صلابة فلم يرض بهذا))[١١١٤].

وإذا أخذنا بهذا الرأي فان جريراً قد حكم لصاحبيه أحكاماً نقدية مهمة ،اشرنا إلى كثير منها. ولعل حكم الأخطل فيه شيء من الموضوعية بدليل أن الفرزدق وافقه حينما قال في جرير((مأأحوجه مع عفتهِ إلى صلابة شعري ومآحوجني إلى رقّة شعره لما ترون))[١١١٥] ولجرير إشارات نقدية تقدم الفرزدق في الفخر[١١١٦].

ويبدو أن هذا الحكم كان البذرة الأوّلى للهجاء المقذع، وإن لم يكن كذلك فقد كان هذا الحكم سبب الهجاء بين جرير والأخطل فقال جرير:

يــاذا العبــاءة إنّ بــشراً قــد قــضى   أن لاتجـــوّز حكومـــة النــــشوانِ
فــدعوا الحكومــة لــستُم مــن أهلهــا   ان الحكومـــة فـــي بنـــي شـــيبانِ
قتلـــوا فلـــدتكم بلقحـــة جـــارهم   يـــاخُزْرَ تَغْلِـــبَ لـــستم بهجـــانِ[١١١٧]

فقال الأخطل يردُّ على جريرٍ مذكّراً ايّاه بنقد الصلتان:

فلقـــد تقايـــستم إلـــى أحـــسابكم   وبعثـــتمُ حكمـــاً مـــن الـــصلتان
فـــإذا كليـــبٌ لاتـــسأو ي دارمـــاً   حتـــى يـــساو ي حـــصرمٌ بابـــان

(١١١١) الشعراء نقاداً:٥١.
(١١١٢) ينظر : الشعراء نقاداً : ٥١.
(١١١٣) طبقات فحول الشعراء ٤٧٤/٢ والأغاني ٣١٥/٨.
(١١١٤) في النقد والمذاهب الأدبية : ٩٨.
(١١١٥) الشعر والشعراء ٩٤/١ و الكامل في اللغة والأدب ٢٠١/١.
(١١١٦) فقد قال: "كذب من زعم انه اشعر من الفرزدق" وقال "نبعة الشعر في يده" ينظر : جمهرةاشعار العرب ١٠٧/١-١٠٨ والعمده ٩٦/١.
(١١١٧) ينظر: طبقات فحول الشعراء ٤٧٤/٢والأبيات في ديوان جرير ٦٧٩. مع تغيير ظفيف

وإذا جعلــت أبــاك فــي ميــزانهم　　　رجحـوا وشـال أبـوك فـي الميـزان(١١١٨)

وفي رواية تشير إلى أن محمد بن عمير بن عطارد حاجب بني زرارة هو الذي دفع الأخطل إلى هجاء جرير ويقال أنه أعطى الأخطل ألف درهم وبغلة وكسوةوخمر(١١١٩)وهذه الرواية أكدها قول جرير في هجائه للراشي والمرتشي:

رشتك مجاشع....(١١٢٠)

ومع علمنا أن في تلك الرواية شيء من الزيادة والتحريف إلاّ أنها لاتمس المضمون الذي نحن بصدده. فقد صنعت تلك الأحكام مدرسة هجائية وجعلت الشاعرين يتباريان في المقدرة الشعرية والقدرة التعبيرية.

ويبدو أن الشعراء لم يوفقوا في استيعابهم للأحكام النقدية فجرير يغضب ولم يرض بحكم يفضّلهُ على الفرزدق، والأخطل أخذ بحكم الصلتان الذي اقتصر على المقايسة بين الأحساب، وأغفل المفاضلة الفنية التي كانت من نصيب جرير.

وما أخذه بن العجاج على بعض الشعراء قوله ((كان الكميت والطرماح يسألاني عن الغريب فاخبرهما به ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه في غير مواضعه، فقيل له ولم ذلك؟ قال: لانهما قرويّان يصفان مالم يريا فيضعانه في غير موضعه، وأنا بدوي أصف مارأيت فاضعه في مواضعه))(١١٢١).
فالعجاج هنا يرد الخلل في شعر الكميت، والطرماح إلى اقتصارهما على السماع وعدم التجربة والمعايشة.

وإذا تأملنا ذلك النقد فمثله ماعابه عمر بن أبي ربيعة على مالك بن اسماء ذكره اسماء القرى في شعرهِ لثقلها(١١٢٢) وحينما سمع الأخطل شعر كثير قال: ((أرى شعراً حجازيّاً مقروراً لو ضغطه برد الشام لاضمحّل)) (١١٢٣) وكان جرير إذا انشد شعر عمر بن أبي ربيعة قال : ((هذا شعر تهامي إذا انجد وجد البرد حتى انشد قولة

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت　　　فيضحي وأمّا بالعشيّ فيخـصرُ

... الأبيات فقال مازال هذا يهذي حتى قال الشعر)) (١١٢٤)

ويروى أن عدي بن الرقاع كان يطعن على شعر كثيّر ويقول:((هذا شعرٌ حجازيٌّ مقرور، إذا أصابهُ قُرُّ الشام جَمدَ وعلم كثير بهذا الطعن. واجتمع الشاعران يوماً في مجلس الوليد بن عبد الملك فانشد عدي قصيدته التي مطلعها:

عـــرفَ الـــديارَ توّهُمـــاً فاعتادَهـــا　　　مـــن بعـــدِ ماشَـــمِلَ البلَـــى أبلادَهـــا

(١١١٨) ينظر: طبقات فحول الشعراء ٤٧٥/١-٤٧٦ والأبيات في ديوان الأخطل ١٧٢. وفي تحوير لبعض الالفاظ و(جعلتم حكماً).
(١١١٩)م.ن:٤٥٢/٢
(١١٢٠) ينظر: نقائض جرير والفرزدق ١٠٥٠/٢.
(١١٢١) الأغاني ٣٤٨/١ للاستزادة ينظر : الموشح ٣٠٣ وفيه ان القائل راؤبة بن العجاج.
(١١٢٢)م.ن ١٦٣/١٧-١٦٤.
(١١٢٣)طبقات فحول الشعراء ٥٤١/٢
(١١٢٤) الأغاني ١٨٣/١ .

حتى أتى إلى قوله:

وقـــصيدةٍ قـــدْ بـــتُّ أجمـــع بينَهـــا   حتّـــى أُقـــوِّمَ مَيْلَهـــا وسِـــنادَها

فقال له كثيّر: لو كنت مطبوعاً أو فصيحاً أو عالماً لم تأتِ فيها بميل ولا سناد فتحتاج إلى أن تُقَومها ثم أنشد:

نظـــرَ المُثقَّـــف فـــي كُعـــوبِ قناتـــهِ   حتّـــى يُقـــيمَ ثِقافُـــهُ مُنادّهَـــا

فقال له كثير: لاجرم أن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء، ولأن تكون مستقيمة لاتحتاج إلى ثقاف أجود لها، ثم انشد:

وبقيـــت حتـــى مأســـائلُ عالمـــاً   عـــن علـــمِ واحـــدةٍ لكـــي أزْدَادَهـــا

فقال كثير: كذبت ورب البيت الحرام، فليمحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبيّن جهلك. وماكنت قط احمقّ منك الآن حيث تظن هذا بنفسك. فضحك الوليد ومن حضر وقطع بعدي بن الرقاع حتى مانطق[١١٢٥].
وكما يبدو أن كثيراً تحامل على عدي؛ لأنه كان يطعن في شعره. فمما لاريب فيه أن كثيراً كان يبالغ في توجيه أبيات الشعر ذلك التوجيه الذي أراد منه الطعن بمقدرة عدي الشعرية.

وكأننا بظاهرة التنقيب والتقويم والتهذيب، وقد أصبحت اتجاهاً شعرياً كان قد بنى أسسه زهير وكعب ومُزِّرد بن ضرار، إذ وصلت القصيدة عندهم إلى مستوى الطموح الفني للوصول إلى درجة الابداع. ويروي المرزباني تفضيل النقاد للشعر المنقح[١١٢٦] وماقام به الشعراء من تثقيف شعرهم وتقويمه[١١٢٧] ((فنقاد العرب يجمعون على أن الشاعر وإن كان عبقرياً يعود إلى شعره فيقوّمه ويهذّبه، ويغيّر من قوافيه، إذا كانت نافرة ومن عبارته حتى تسلس وتنقاد ويبدل من كلماته مايرى وجوب تبديله ومن وضع أبياته حتى يتم الربط بينها في تسلسل واضح ويزيد في القصيدة بين الأبيات مايسد الفجوات ويكمل المعاني الناقصة))[١١٢٨]،
ويروي الاصفهاني أن أول لقاءٍ بين الفرودق وعمر بن أبي ربيعة كان في المدينة إذ ((اجتمعا وتحادثا وتناشدا إلى ان انشد عمر قصيدته التي يقول فيها:

فلمّا التَقيْنَا واطْمَأَنَّتْ بِنَا النَّوَى   وَغُيِّب عَنَّا مَنْ نَخافُ ونُشْفِقُ

....الخ

فصاح الفرزدق: أنت والله ياأبا الخطّاب أغزل الناس لا يحسن والله الشعراء أن يقولوا مثل هذا النسيب ولا ان يرقّوا مثل هذه الرقيّة.. وودعه وانصرف..))[١١٢٩].
ومما سبق يبدو واضحاً ان عمر بن أبي ربيعة قد تقدم على معاصريه في الغزل شكلاً وموضوعاً واتجاهاً.

(١١٢٥) الأغاني ٣٦٠/٩، والأبيات في ديوان عدي بن الرقاع العاملي ٨٢-٩١ والاجرام كلمة في الاصل بمنولة لابدولا محالة فجرت على ذالك وكثرت حتى تحولت إلى مغنى القسم.
(١١٢٦) ينظر: الموشح ١٢٥.
(١١٢٧) ينظر: م.ن ١٣.
(١١٢٨) اسس النقد الأدبي عند العرب ٤٨٥.
(١١٢٩) الأغاني ١٦٠/١. والبيتان في الديوان ٤٤٥-٤٤٦.

وعزوا الجودة إلى أثر الوزن والقافية وطريقة النظم، فقد امتدح ذو الرمّة قصيدة للكميت لترقيص قوافيها ونظم عقدها[(١١٣٠)]. ونحل الفرزدق أبياتاً لذي الرمة اعجاباً بمالها من عروض [(١١٣١)]. وللفرزدق نظرات نقدية عروضية فحينما قال جرير:

وَقلتُ نَصَاحةً لبني عَدِيٍّ ثيابَكُم ونَضْحَ دَمِ القَتيلِ

قال الفرزدق: قاتله الله، إذا اخذ هذا المأخذ فيما يقام له وهو يعني الروي على الياء. ويروى في موضع آخر انه قال: (وجدت الياء أمّ جرير وأباه)، إي يجيد إذا ركبها[(١١٣٢)].

ومما يروى عن الفرزدق أنه جاءه رجل من بني تميم فقال: قد قلت شعراً فانظر فيه وانشده، فقال الفرزدق: ((ياابن أخي ان الشعر كان جملاً بازلاً عظيماً فأخذ امرؤ القيس رأسه وعمرو بن كلثوم سنامه، وعبيد بن الأبرص فخذه، والأعشى عجزه، وزهيز كاهله، وطرفة كركرته، والنابغتان جنبيه وأدركناه ولم يبقَ الاّ المذرع والبطون فتوزعناه بيننا فقال الجزّار: لم يبق الاّ الفرث والدم فطبخه فأكله ثم خرئه، فشعرك من خرء الجزّار، فقال هذا رأيك، فوالله لاذكرته لاحد بعدك))[(١١٣٣)].

فالتميمي وإن كان يقول الشعر إلاّ أن نقد الفرزدق له قد أفحمه وأسكته عن قول الشعر كما أن تشبيهه الشعر بجملٍ عظيمٍ يتقاسمه الشعراء من حيث المنزلة يعدُّ من النصوص النقدية المهمة في تلك الحقبة، فأنت تستطيع أن ترتب منزلة الشعراء من حيث الأفضلية على وفق ذلك الترتيب الذي أو جزه الفرزدق والذي يمثل رأيه النقدي لكنه لم يوفق في تقسيم اجزاء الجمل بعد نحره، إذ يحتل سنامه المرتبة الأولى وقد رأينا ذلك في نقد حسان حين سأله الرسول ﷺ.

وللفرزدق آراء كثيرة في الشعر والشعراء فعندما سأله ذو الرمة مالي لا ألحق بالفحول؟ قال له ((يقعد بك عن غاية الشعراء نعتك الأعطان والدمن وأبوال الابل))[(١١٣٤)] وفي رواية قال: ((يمنعك من ذلك صفة الصحاري وأبعار الإبل))[(١١٣٥)].

وفي رواية أخرى ((قعد بك عن ذلك بكاؤك في الدمن ونعتك أبوال الغطاء والبقر وإيثارك وصف ناقتك وديمومتك))[(١١٣٦)]. ويقال إنه قال له: ((لتجافيك عن المدح والهجاء واقتصارك على الرسوم والديّار))[(١١٣٧)] وهذه الأحكام تدل على مقدرة الفرزدق وذوقه وسعة اطلاعه، وحفظه الشعر، إذ يرى أن ذا الرمة ليس من شعراء المدح. والفخر والهجاء وانما يحسن التشبيه، فقلة الأغراض في شعره وعدم مبالغته في معانيها هي التي أبعدته عن اللحاق بالفحول. وهذا الحكم يكاد يتطابق مع حكم جرير فعندما سئل كيف شعر ذي الرمة؟ ((قال: بعر ظباء ونقط عروس. فان بعر الظباء توجد منه رائحة

(١١٣٠) ينظر الأغاني ، ٣٤/١٢.
(١١٣١)ينظر طبقات فحول الشعراء ٥٥٤/٢ ـ٥٥٥.
(١١٣٢) ينظر: الشعراء ونقد الشعر ٥٦. والبيت في ديوان جرير ٥٣٠.
(١١٣٣) الموشح: ٥٥٣.
(١١٣٤) الموشح: ٢٧٣ـ٢٧٤وينظر : الأغاني ٢٠/١٨
(١١٣٥) الموشح: ٢٧٣.
(١١٣٦) م. ن: ٢٧٤.
(١١٣٧) م.ن: ٢٧٤.

المسك أول شمّة فإذا أعدت وجدته بعداً وان نقط العروس تذهب في أول طهور))[١١٣٨].
فالفرزدق في أحكامه النقدية لايتردد في القول، ولايخاف لومة لائم ولو كان الشاعر صديقه بدليل ماأو رده صاحب الموشح ((كان للفرزدق صديقٌ فقال له أحب ان تسمع شعر ابني هذا وتعرفني كيف هو. فلمّا أنشده قال له: ايسرّك أن يكشف ابنك هذا سوءته على أهل عرفه ويبول عليهم! قال: لا، والله! قال: ففعله والله لهذا عندي أحسن من أن يقول مثل هذا الشعر))[١١٣٩].

ويقصد بذلك عدم قدرته على فهم الشعر وقوله فضلاً عن فساد المعنى.

ويبدو أن ذا الرمة قد فهم رسالة الشعر وقيمته فهماً صحيحاً إذ حمل أمانة الكلمة بصدق وإخلاص ولم يجعل صخب المجتمع الأدبي من حوله يفسد تلك الرسالة عليه لذلك نجده في مدحه وهجائه لا يغلو ولا يبالغ فقد ظل فنّاناً أصيلاً يقدر رسالة الشعر وقداسة الكلمة بدليل قوله:

وشعراً قد أرقتُ له غريب ... اجنّبهُ المساندَ والمحالا
فبتُّ اقيْمه وأقدّ منهُ ... قوافي لاأعدُّ لها مثالا
غرائب قد عرفت بكل أفق ... من الآفاق تفتعل افتعالا
ولم أقرّف لمؤمنةٍ حصانٍ ... بحمد الله موجبةً عضالا
ولم أمدح لارضيه لشعري ... لئيماً أن يكون أصاب مالا
ولكن الكرام لهم فاني ... فلا أخزي إذ ماقيل قالا[١١٤٠]

لذلك فقد كان ممن ينقحون شعرهم ويهذبونه، فهو من مدرسة الصنعة التي تجوّد شعرها قبل إخراجه إلى الناس، وإن كان فيما يبدو شعر ذي الرمة خال من كل مايشينه من مدح زائف أو أسباب فأنه لم يسلم من نقد الطاعنين.

وجاء في أمالي المرتضى أن الكميت بن زيد الأسدي عرض أبياتاً على الفرزدق من قصيدته التي أو لها:

أتصرمُ الحبل، حبل البيض، أم تصلُ ... وكيف والشيبُ في فوديكَ مشتعلُ

إلى أن بلغ قوله:

لما عَبأت القوس المجد أسهمها ... حينُ الجدود عن الأحساب تتصلُ
أحرزت من عشرها تسعا وواحدةً ... فلا العمى لك من رامٍ ولا الشللُ
الشمس أدّتك إلاّ أنها امرأةٌ ... والبدر أدّاك إلاّ أنه رجلُ

يقال إن الفرزدق حسده فقال له: أنت خطيب. وإنما سلم له الخطابة ليخرجه عن أسلوب الشعر، ولما جهزه من حسن الأبيات وأفرط بها إعجابه، ولم يتمكن من دفع فضلها جملة، عدل في وصفها إلى معنى الخطابة[١١٤١] ولو أخذنا برأي المرتضى والذي بناه على أن الحسد هو الذي دفع بالفرزدق إلى اتّهام الكميت بأنه خطيب لالتجأ بالتهديد والوعيد وأخذ هذه الأبيات عنوة من دون عناء غير أن السيد المرتضى يبدو دفاعه ثانية ويرى أن ((حسد الفرزدق على الشعر وإعجابه بجيده من أدل دليل على حسن نقده له ، وقوة بصيرته فيه، وان كان يطرب للجيد منه فضل طرب ويعجب منه فضل عجب ويدل أيضاً على إنصافه))[١١٤٢].

(١١٣٨)الموشح: ٢٧٢.
(١١٣٩) الموشح: ٥٥٣.
(١١٤٠) ديوان ذي الرمة ١٥٣٢/٣-١٥٣٥.
(١١٤١) ينظر : أمالي السيد المرتضى ٥٩/١ ، والأبيات في ديوان الكميت ٢٥٠- ٢٩١.
(١١٤٢)أمالي السيد المرتضى ٢٧١/١.

والحق أن الفرزدق في حكمه هذا لم يخرج عن التقدير الفني، لأننا إذا تأملنا أبيات الكميت لرأينا الأسلوب التقريري المباشر هو الأقرب إلى الخطابة.

ويعلق الدكتور طه الحاجري على هذا الحكم بقوله: ((إمّا أن نفرض على الفرزدق إعجابه بهذه الأبيات، ثم نفسر حكمه عليه بأنه خطيب على ضوء ذلك، فأمر لا يجوز أو الأشبه انه لم يرض هذا الشعر لهذا الطابع الغالب عليه، والذي يختلف به اختلافاً بيّناً عن المثل الفنية كما يراها الفرزدق))[١١٤٣] ورأى ((أن في هذا الحكم مثالاً للنقد الفني الخالص عند الفرزدق بالنسبة للشعر المعاصر له))[١١٤٤] ففي هذا يبيّن أن الفرزدق لم يحسد الكميت . إما إعجاب الفرزدق بالشعر أو ببيتٍ ما أو مجموعة أبيات.. فانه أن غاظه الحسد فسرعان ما يعالجه بالسطو من غير تردد وله في ذلك باع طويل وتهديد ووعيد.. وهذا ما يجعلنا نؤكد رأي الدكتور طه الحاجري في أن الفرزدق في حكمه على الكميت (أنت خطيب) قد اعتمد على المقياس الفني تعبيراً صادقاً عن صناعة الكميت التي تختلف عن الصناعات الشعرية عند شعراء البادية: الفرزدق وجرير والراعي وذو الرمة. وأمرٌ آخر يجب أن نذكره في أن الفرزدق اتخذ المقياس الفني في حكمه على قصيدة الكميت ، وهو أنه " أي الفرزدق " من المعجبين بشعر الكميت بدليل أنه قال في موضع آخر بعد أن انشده ((يا ابن أخي أذع ، أذع ، ثم أذع فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقى))[١١٤٥] ولكن لا يعني أننا بهذا برأنا الفرزدق من الحسد لان هناك أراء

تفسر ما نحن بصدده من أقوال الفرزدق نفسه. فقد روي أنّه قيل للفرزدق هل حسدت أحداً على شيء من الشعر؟ فقال: لا لم أحسد على شيءٍ منه إلاّ ليلى الأخيلية في قولها:

وَمُخَرّقٍ عَنْهُ القَمِيصُ تخالُهُ ... بين البيوت من الحياءِ سَقِيما
حتى إذا برز اللواء رأيته ... تحت اللواء على الخميس زعيما

على أني قلت:

وَرَكْبَ كأن الريحَ تطلبُ عندهُ ... لها تِرَةٌ من جذبها بالعصائبِ
سروا يخبطون الريح حين تلفّهم ... على شعب الأكوار من كل جانبِ[١١٤٦]

ويبدو أن حسد الفرزدق لليلى الأخيلية في القول الآنف الذكر هو الذي دفع السيد الشريف المرتضى إلى القول: ((كان الفرزدق مشهوراً بالحسد على الشعر والاستكثار لقليله والافراط في استحسان مستحسنه))[١١٤٧] ودليلٌ آخر على حسد الفرزدق ما رواه النصيب ، إذا قال : ((قدمت المدينة فوجدت بها الفرزدق في مسجد رسول الله (ﷺ) فعرجت إليه فقلت أنشده وأستنشده وأعرض عليه شعري. فأنشدته ، فقال لي ويلك أهذا شعرك الذي تطلب به الملوك؟ قلت نعم قال : فلست في شيء ،، إن استطعت أن تكتم هذا على نفسك فافعل

(١١٤٣) في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية : ١١١.
(١١٤٤)م.ن :١١١.
(٤) الاغاني ١٧ /٢٨ ـ ٢٩
(١١٤٦) الكامل في اللغة والأدب : ١٠٤/١ وآمالي المرتضى ٥٨/١ والأبيات في ديوان ليلى الأخيلية: ١٠٢-١٠٣ مع تغيير يسير وديوان الفرزدق: ٢٥، الترة: الثأر العصائب: العمائم، يخبطون: يضربون، الأكوار: مفردها كور وهو رحل البعير.
(١١٤٧) أمالي المرتضى ٥٨/١ للاستزادة عن حسد الشعراء لبعضهم ينظر: الكامل ١٤١/٣ ومعجم الشعراء ٦٨، ٨٧ أمالي المرتضى ١١/٢-١٢.

فانفضحت عرقاً ، فحصبني رجل من قريش كان قريباً من الفرزدق ، وقد سمع إنشادي وسمع ما قال لي الفرزدق فأوما إلي فقمت إليه فقال ويحك أهذا شعرك الذي أنشدته الفرزدق؟ قلت نعم. فقال: قد والله أصبت، والله لئن كان هذا الفرزدق شاعراً لقد حسدك فإنا لنعرف محاسن الشعر ، فامض لوجهك ولا يكسرنك. قال: فسرني قوله)) [(١١٤٨)] .

ومما لاريب فيه أن الحسد لانستطيع أن نبرئ منه أحد بدليل قول الرسول (ﷺ) (ثلاث لايسلم منهن أحد : الطيرة ، والظن ، والحسد فقيل له ما المخرج يارسول الله ؟ قال إذا تطيرت فلا ترجع وإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا حسدت فلا تبغ) [(١١٤٩)].

وقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ أم يحسدون الناس ماآتاهم الله من فضله﴾ [(١١٥٠)]

ويروى عن الفرزدق انه كان يقول: ((لقد أحسن بنا ابن حطّان، حيث لم يأخذ فيما أخذنا فيه ولو أخذ فيما أخذنا فيه لأسقطنا))[(١١٥١)] وهذا دليل على تفوقه على شعراء عصره لاجادته غير أن مذهبه الشعري قد ارتبط بمذهبه الخارجي وهذا هو الذي ابعده عن الشعراء ولم يأخذ فيما هم فيه. وهذا الحكم يؤكد تفوق الشاعر عمران بن حطّان ولم يكتفِ الفرزدق بذلك بل إنه مرّ به يوماً وهو ينشد داليته التي مطلعها:

أيهـــــا المــــــادحُ العبــــــادَ لــــــيُعطِ إن لله مابأيــــــــــدي العبــــــــادِ

فلمّا سمع الفرزدق هذا منه قال: ((لولا ان الله شغل هذا عنا برأيه، للقينا منه شرّاً))[(١١٥٢)].

وعند ذهاب الفرزدق إلى المدينة أعجب بالأحوص وابن هرمه فقال: ((رأيت بها شاعرين وعجبت لهما، أحدهما أخضر يسكن خارجاً من بطحان [يريد ابن هرمه] والآخر أحمر كأن وحرة على بروده في شعرهويعني به الأحواص)) [(١١٥٣)]

ومن ذلك توضح لنا ان الفرزدق قد ادرك القيمة الفنية لشعر عمران بن حطّان إذ يقف عند شعره ناقداً مرّة ويجمعهُ مع ابن هرمة أخرى، ويقرنه بالسيد الحميري ثالثة بدليل ماجاء في الأغاني ان لبطة بن الفرزدق قال: تذاكرنا الشعراء عند أبي فقال: ((انهاهنا لرجلين، لو أخذا في معنى الناس، لما كنا معهما في شيء، فسألناه: من هما؟ فقال: السيد الحميري وعمران بن حطّان السدوسي، ولكن الله عزّ وجل شغل كل واحدٍ منهما بالقول في مذهبه))[(١١٥٤)].

وكان السيد الحميري من شعراء الشيعة فيما كان عمران بن حطّان من شعراء الخوارج، فانشغال هذين الشاعرين بالقول في مذهبيهما قلل من الخوض في ميدان الشعر وأغراضه ولهذا شبه شعر الكميت بالخطب وهو حكم نقدي يبدو أن الفرزدق وفق فيه.

(١١٤٨) الأغانــي .

(١١٤٩) العمدة :٦٨/١ .

(١١٥٠) سورة النساء /٥٤ ووردت كلمة حسد بمشتقاتها في أيآت أخرى سورة البقرة /١٠٩ والفتح /١٥ والفلق /٥.

(١١٥١) ينظر: الأغاني ١٢٢/١٨ وينظر: مختار الأغاني ٢٨١/٥.

(١١٥٢) الأغاني١٢٤/١٨ والبيت في شعر الخوارج ٢٠.

(١١٥٣)الأغاني ٢٣٠/٤ وبطحان: وادٍ بالمدينة وهو احد أو ديتها الثلاثة العقيق وبطحان وقناة. ينظر : معجم البلدان٤٤٦/١ وحرة هي ضرب من الغطاء صغيرة حمراء لها ذنب.

(١١٥٤) م.ن: ٢٥١/٧.

وقد أورد صاحب الأغاني خبراً نلمحُ بين سطوره حكماً نقدياً وهو ان الأحوص هجا رجلاً غنيّاً من الأنصار يقال له ابن بشير وقد أغضبه هذا الهجاء فخرج ((حتى قدم على الفرزدق بالبصرة وأهدى إليه وألطفه، فقبل منه؛ ثم جلسا يتحدثان فقال الفرزدق ممن أنت؟ قال: من الأنصار، قال: ماأقدمك؟ قال: جئت مستجيراً بالله عز وجل، ثم بك من رجلٍ هجاني، قال: قد أجارك الله منه وكفاك مؤونته، فأين أنت من الأحوص؟ قال: هو الذي هجاني، فأطرق ساعة ثم قال: أليس هو الذي يقول:

إلا قِفْ برسمِ الدّارِ فاستنِطق الرسما فقد هاجَ أحزاني وَذكّرني نُعْما

قال: بلى؛ قال: والله لاأهجو رجلاً هذا شعره.

فخرج ابن بشير فاشترى أفضل من الشراع الأوّل من الهدايا فقدم بها على جرير))[١١٥٥] فقال: له ماقاله الفرزدق ثم قال: أليس هو الذي يقول:

تَمَشّي بشتِمي في أكاريس مالكٍ تشير به كالكلب إذ ينبح النجما

قال: بلى والله، قال: فلا والله اهجو شاعراً هذا شعره. فاشترى الانصاري أفضل من تلك الهدايا وقدم على الأحوص، فاهداها إليه وصالحه))[١١٥٦].

فخوف جرير والفرزدق من الرد على الأحوص هو دليل على منزلته في الشعر وتفوقه وهذا يدل على امتلاك موهبة فذة وبراعة جودة في شعره، لأن الأنصاري لم يجد طريقاً آخر سواء مصالحة الأحوص وهذا يزيد من قيمة شعره وأهميته لدى ماقديه.

ويروى أيضاً أن رجلاً من بني دارم قال للفرزدق ((يا أبا فراس، هل تعلم اليوم أحداً يرمي معك؟ فقال: لا والله ما أعرف نابحاً الاّ وقد استكان ولا ناهشاً الاّ وقد انجحر الاّ القائل:

فان لم أجد في القرب والبعد حاجتي شــأمتُ أو حوّلــت وجهــي يمانيــا
فــردي جمــال الحــيّ ثــم تحملــي فمالــك فــيهم مــن مُقــامٍ ،ولاليــا

قال وهذا الشعر لجرير[١١٥٧].

ولكّنه على الرغم من اعترافه بشاعرية جرير و تفوقه يقول في موضع آخر ((إني وإياه لنغترف من بحرٍ واحد وتضطرب دلاء (جرير) عند طول النهر)) فالفرزدق يريد ضعف شعر جرير في الغوص على المعاني والاطالة في استنباط الشعر. ويرى الدكتور عبد العزيز عتيق ((أن الفرزدق يرى أنه وجريراً يستلان شعرهما من نبع واحد

(١١٥٥) الأغاني ٢٥٩/٤-٢٦٠.

(١١٥٦) م.ن .والبيتان ١٩٤- ١٩٧ في ديوان الأحوص ١٩٧، والاكاريس: جمع الكرس. وهو الجماعة من الناس وقد أنشد جرير في هذا الموقف ثلاثة أبيات والبيت الثاني في الديوان وكنت وشمتى في أورمة مالك بتبي به كاتكلب .

(١١٥٧) الأغاني : ٣٩/٨.والبيتان في ديوان جرير ٧١٠-٧١١

وان شعره في جملته أقوى من شعر جرير))[١١٥٨] ونحن لا نعتمد حكم الشاعر لنفسه وإن كان فيه شيئ من الموضوعية .

لقد اختلف النقاد في الثالوث كثيراً وفي أيّهم اشعر فأبن دأب يقول: ((الفرزدق اشعر عامة وجرير اشعر خاصة وقال أبو عبيدة يحتج من قدم جرير بانه كان أكثرهم فنون الشعر وأسهلهم ألفاظاً واقلهم تكلفاً وأرقهم نسيباً وكان دِّيناً عفيفاً، وقال عامر بن عبد الملك جرير كان اشبههما وانسبهما))[١١٥٩] وقال ابن جرير العنبري ((إذا لم يجيء الأخطل سابقاً فهو سكّيت والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سكّيتا وجرير يجيء سابقاً ومصليّاً وسكّيّتاً))[١١٦٠].

وسئل بّشار عن الثلاثة فقال: ((لم يكن الأخطل مثلهما ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه وقال: كان جرير يحسن ضروباً من الشعر لا يحسنها الفرزدق ولقد ماتت النوّار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير))[١١٦١].

وقال أبو عبيدة كان أبو عمرو يشبه الأخطل بالنابغة لصحة شعرة[١١٦٢] وروي عنه أنه قال: كان يونس بن حبيب وعيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء يفضلون الأخطل على الثلاثة[١١٦٣] وكان حماد يفضل الأخطل على صاحبيه[١١٦٤].

لقد شغل الثالوث النقاد العرب قديماً وحديثاً وكانت الخصومة فيهم حادة ويبدو أن يونس وفق في قوله ((ماشهدت مشهداً قط قد ذكر فيه الفرزدق وجرير فا جتمع اهل المجلس على احدهما ، فأما من كان يميل إلى جزالة الشعر وفخمامتة وشدة اسرة فيقدم الفرزدق،واما من كان يميل إلى اشعار المطبوعين وإلى الكلام السمح السهل الغزل فيقدم جريراً)) [١١٦٥].

وبعد فهذه الوقفات النقدية مع الثالوث لا يسعنا إلاّ أن نقول فيهم ما قاله الدكتور شوقي ضيف ((شعر جرير كان أكثر سيرورة من شعر صاحبيه بشهادتهما وشهادة النقاد لسبب بسيطٍ وهو أنه أقرب إلى نفوس معاصريه، إذ إندمج في الحياة الجديدة بأكثر مما اندمج زميلاه فكان طبيعياً أن تصبح أساليبه أكثر ذيوعاً وأكثر الفة للناس. أمّا الفرزدق ، فكان محافظاً يتمسك بالقديم وأساليبه ، واما الأخطل فكانت فيه غلظة وخشونة وكانت في أساليبه صلابة غير مألوفة، فكان ذلك لا يتيح لهما ان تنشد

(١١٥٨) طبقات فحول الشعراء ٣٧٧/٢ والأغاني ٨/٨.

(١١٥٩) الأغاني ٧/٨.

(١١٦٠) م.ن:٨/٨ وفي رواية أن القائل العلاء بن جرير ينظر : م.ن:٢٩٦/٨.و السكيت آخر ما يجيء من الخيل فب الحلبة. والمصلى الذي بجيء بعد الأوّل في السياف م.ن ٦/٨-٨/٨ وفي رواية ان القائل العلا بن جرير ينظر : :م.ن: ٢٩٦/٨.

(١١٦١) الأغاني : ١٢/٨ .

(١١٦٢) م.ن ٢٩٧/٨.

(١١٦٣) م.ن ٣٠٥/٨.

(١١٦٤) م.ن ٢٩٧/٨.

(١١٦٥) الأغاني ٧/٨

أشعارهما وتطير أشعار جرير))[١١٦٦].ولعل أحكام النقاد في أغلبها الأعم تميل لجرير مع عدم التقليل بصاحبيه.

وقد شهدت أواخر القرن الأوّل وأوائل القرن الثاني الهجريين نضجاً في النقد الأدبي ، إذ ((ارتقى ارتقاءً محموداً وكثر الخوض فيه وتعمق الناس في فهم الأدب ووازنوا بين شعر وشعر وشاعر وآخر حتى لنستطيع أن نقول: ان عهد النقد الصحيح يبتدي من ذلك الوقت))[١١٦٧].

وقد جاء ذلك نتيجة ازدهار الشعر وارتقاء الشعراء إلى مستوى فني عالٍ من ذلك الازدهار ونضج ملكتهم الشعرية وأخذهم بما يحسب عليهم في نقدهم، فكان شعرهم مادة خصبة لنقد بيئاتهم كلها ((فمكة مجتمع الشعراء في مواسم الحج، والمدينة مقام بعض العلماء ،ودمشق بلد الوفادة على الخلفاء ،والبصرة والكوفة نزل كثير من الشعراء وفصحاء الأعراب))[١١٦٨] فهذه البيئات هي التي اسهمت في تطورالنقد.

المآخذ النقدية:

ومن الآراء النقدية واللمحات ما ذكر عن عبد الملك وحبّه الشعر لاسيما المديح منه، فضلاً عن امتلاكه حاسة نقدية أعانته على بثّ آرائه في شعر هذا أو ذاك من الشعراء من ذلك ما انشده ذو الرمّة قوله:

ما بال عينيك منها الماء ينسكبُ كأنه من كلى مضرّية سربُ

وكانت حينها عينا عبد الملك تسيلان ماء، فغضب عليّه ونحّاه فقيل له:ويحك! إنما دهاك عنده قولك مابال عينيك فاقلب كلامك..فصبر فانشده ثانية مابال عينيّ.... حتى أتى إلى آخرها فأجازه وأكرمه[١١٦٩] مع أن القصيدة كانت قد قيلت قبل الإنشاد، إلاّ أن الحسّ الفني والإدراك الذوقي وخروج الشاعر على مراعاة المقام منع عبد الملك من قبولها فغضب.

ويروى أن عبد الملك عاب مطلع قصيدة الأخطل التي مدحه فيها وتطير منها:

(١١٦٦) التطور والتجديد في الشعر الاموي ٢١٦.

(١١٦٧) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ٣٨.

(١١٦٨) م.ن: ٣٨.

(١١٦٩) الموشح ٧٤ ٣والبيت في الديوان١/ ١٤٤ وقيل ان ذا الرمة هوا الذي غير هذا البيت وجعله كذالك.ينظر المثل السائر ٣/٩٨-٩٩

خَفَّ القطينُ فراحوا مِنكَ أو بكَرُوا   وازعجتهم نوى في صَرفِها غِيَرُ

فقال عبد الملك بل منك إن شاء الله تطير، فعادَ الأخطل وقال:

خف القطين فراحوا اليوم أو بكروا   وازعجتهم نوى في صرفها غيرُ[1170]

فعبد الملك لم يلتفت في هذين النموذجين أوغيرهما ألاً إلى ضمير الخطاب (كاف) الذي ملأ قلبه طيرة وهذا هو الذي دفع الشعراء إلى تعديل ذلك واصلاحه.

لهذا كان يقول للأخطل:ـ ((إن كنتَ تُشبّهني بالحيَّة والأسد فلا حاجة لي بشعرك...))[1171] وفي الوقت نفسه كان لا يقبل مدحاً من الشعراء يقتصر على الصفات الدنيوية حتى ان كانت ملكية بدليل مدح عبد الله بن قيس الرقيات له في قوله:

يَعتدِلُ التَّاجُ فوقَ مفرقِهِ   على جبينٍ كأنّهُ الذهبُ

إذ وبّخه قائلاً:يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأني من العجم وتقول في مصعب:

إنما مُصعبٌ شِهابٌ من الله   تجلّت عن وجههِ الظلماء

مُلكُهُ مُلْكُ عِزّةٍ ليس فيه   جبروتٌ ولا لهِ كبرياءُ

فأعطيته المدح بكشف الغمم وجلاء الظلم وأعطيتني من المدح مالا فخر فيه وهو اعتدال التاج فوق جبيني الذي هو كالذهب في النضارة))[1172].

وقد كان رد عبد الملك بن مروان اعلاناً صريحاً لميله وتفضيله المعاني النفسية والمعنوية غير المباشرة فهي أبلغ في التعبير وأصلح في توضيح الصورة أو المضمون والتعبير عنها شعراً وهذا الحكم، أوالرأي لا يصدر إلا عن ناقد حصيف وأديب متمكن ورؤية نقدية فاحصة في الشعر ووسائل التعبير وطرق أداء المعاني.

ويبدو في ذلك إن الخليفة كان يأمل أن ينوع المديح بما يتلاءم بأوصاف الهيأة في الزينة والبهاء من المديح بالفضائل المعنوية والنفسية المفضلة التي تتلاءم وتطور الحياة في ذلك العصر وصهرها في المضمون الديني، فمثل ذلك المدح هو الذي يعلى من شأن الخليفة فهذه لمحة نقدية مبكرة تفتقتْ عنها ذهنية عبد الملك المتوقدة المبصرة لمعاني شعر المديح.

((فإذا كان النعمان كالفرات لدى النابغة فعبد الملك بن مروان لدى الأخطل لا يشبه الفرات فقط في جوده، بل يشبهْه في حساسته وروعته وفخامته))[1173].

ومن آرائه ما أنشده الراعي في قصيدته:

(١١٧٠) الموشح ٣٧٤-٣٧٥ ـ٢٢٦ والبيت في شعر الاخطل ١٤٤ بخلاف يسير. وقيل أن ذا الرمة هو الذي غير هذا البيت وجعله كذلك. ينظر المثل السائر ٩٨/٣- ٩٩.

(١١٧١) الصناعتين ١١٤ للأستزادة ينظر : الأغاني ٢٩٢/٨وفي المصون في الأدب ٦٣(أن كنت تشبهني بالصقر والأسد) .

(١١٧٢) الشعر والشعراء ٣٠١/١ والصناعتين ١١٤و الأغاني ٥/ والأبيات في ديوان عبد الله بن قيس الرقيات ٩١٨٧/٥

(١١٧٣) الأغاني ٧٠/٥.

أخليفةَ الرحمن إنّا مَعشرٌ   حُنفاءُ نسجدُ بُكرةً وأصيلاً
عَرَبٌ نرى للهِ في أموالِنا   حَقَّ الزكاةِ منزّلاً تنزيلاً

فقال عبد الملك ((ليس هذا شعراً، هذا شرح إسلام وقراءة آية))(١١٧٤).

يبدو أن اعتراض الخليفة على الشاعر اعتراض فني لأن شعره شرح نسك القوم وتقواهم، والخليفة يريد شعر ممتلئاً عاطفة ومنسوجاً بخيال تصويري يعبر عن معنى وتجربة وفكرة.

ويروى الأصفهاني في أن عبد الملك بن مروان قال لابن قيس الرقيات حيث سمع أبياته:

تقدّت بي الشهباءُ نحوَ ابنِ جعفرٍ   سَواءٌ عليها ليلُها ونهارُهَا
تزور فتىً قد يعلمُ اللهُ أنّهُ   تَجودُ له كَفٌّ بعيدٌ غِرارُها

قال له: (ما اتقيت الله تقول لابن جعفر هذا القول، وأشار إلى البيت الثاني: آلا قلت: قد يعلم الناس. ولم تقل قد يعلم الله، فقال ابن قيس الرقيات: قد والله علمه الله، وعلمت أنت، وعلمته أنا وعلمه الناس(١١٧٥).

أمّا ابن أبي عتيق فقد قيل ان ابن الرقيات مر به فسلم عليه، فقال ابن ابي عتيق وعليك السلام يا فارس العمياء، فقال له ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمد؟ قال: أنت سميت نفسك حين تقول ((سواءٌ عليها ليلها ونهارها. فما يستوى الليل والنهار الاّ على عمياء. قال: إنما عنيت التعب، قال: فبيتك هذا يحتاج إلى ترجمان يترجم عنه))(١١٧٦).

فالناقدان كل منهما اكتفى بنقد بيت واحداً فقط وهذا يدل على ذوق كل منهما غير أن عبد الملك كان يدرك المديح (الجيد) ويحسن معرفته وكان يستمد من مشاعره الصورة التي يقارن بها وله مع الشعراء مواقف كثيرة.(١١٧٧)

ولا يثير ذلك استغراباً أو عجباً، فعبد الملك كان محبّاً للشعر ذوّاقه له متمثلاً به في محافل كثيرة هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فقد كان حجازي النشأة مما أسهم في بناء شخصيته العلمية والأدبية وزاد في ارهاف حسّه ونمو ذوقه الفنّي والأدبي (١١٧٨) فقد كان لذلك أكبر الأثر في توجيه الشعر والشعراء وبراعة التخلص من مواطن الضعف في قصيدة ما(١١٧٩).

ومما روي عنه دخول الأقيشر عليه وذكره بيت نصيب بن رباح:

أهيم بدعدٍ ما حييت وان أمت   فواحزناً من ذايهيم بها بعدي

(١١٧٤) الموشح ٢٤٩ والبيتان في ديوان الراعي النميري ٥٦وصدر البيت الأوّل (أو ليّ أمر الله انا معشر).
(١١٧٥) ينظر : الأغاني ٨٩/٥ و البيتان في الديوان ٨٢.
(١١٧٦) الأغاني م. ن ٩٧/٥-٩٨.
(١١٧٧) ينظر:الأغاني ٢٩٦/٨، ٢٠٣/١٢، ٢٧٤/٢٠. والموشح ٣٢،٣٥،٤٩،٥٦،٦٤،١٨٧،٢٢٩،٢٤٩،٢٩٤ والصناعتين: ١١٣.
(١١٧٨) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ٢٥٩.
(١١٧٩) ينظر: دراسات في نقد الأدب العربي د. بدوي طبانه ١٠٧.

فقال: والله لقد أساء قائل هذا البيت. فاجابه عبد الملك ما كنت تقول لو كنت مكانه. قال:كنت اقول:

أهـيم بدعـدٍ مـا حييـت فـان أمـت   أو كـل بدعـدٍ مـن يهـيم بهـا بعـدي

فقال عبد الملك: فأنت والله اسوأ قولاً وأقل بصراً حين تقول توكل بها، فقيل له: فكيف إن كنت قائلاً في ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: كنت أقول:

أهـيم بدعـدٍ مـا حييـت فـأن أمـت   فـلا صـلحت دعـدٌ لـذي خلّـة بعـدي

فقال من حضر ((والله لأنت أجود الثلاثة قولاً وأحسنهم بالشعر علماً يا أمير المؤمنين))[(١١٨٠)].

ولا ريب في أن هذا البيت قد خرج بحلّة قشيبة في صياغته الجديدة، جعلت أذواق الحضور تكيل له المدح والثناء، وعد البيت لعبد الملك بن مروان[(١١٨١)] الذي أنعم النظر إلى دعد ـ كما يبدو ـ وأخذت منحى رمزياً وبعداً دلالياً آخر إذ جعل منها الخلافة ويبدو أنّهُ نظر لقول سابقيه من هذه الزاوية. أمّا دعد الإنسانة فان قول نصيب أكثر دقة واصابة من قول صاحبيه لانه جعل من ((دعد مثالاً للحب لا تغيّره الأيّام فأراد أن يجعل خليفةً على دعد، وذلك لأنها انسانة لها عواطفها وميولها الإنسانية فإن هام بها أحد من الناس وهامت به فعلاً، وكانت أهلاً لهيام الرجل بها فلابد من وقفة وفاء لها بعد موته عنها، وإن لم تكن صاحبة وفاء، فما نفع الهيام بها))[(١١٨٢)]. فعبد الملك لم تقف قدرته عند تصحيح قول الشعراء ونقدهم بل تعددت المسألة هذا الحد إلى مستوى كان يقدم البديل الأكثر تعبيراً وبلوغاً للقصيدة وفي ذلك دليل على أن قدرته تجأو زت حدود الانسان الناقد إلى كونه ذا قدرة شعرية.

ويذكر أن عبد الملك سمر ذات ليلة وعنده كثير عزّة فطلب منه أن ينشده ما قال في عزّة فأنشده حتى وصل إلى بيته القائل فيه:

هممـتُ وهمّـتْ ثـم هابـتْ وهبتُهـا   حيـاءً ومثلـي بالحيـاءِ حقيـقُ

فقال عبد الملك أما والله لولا بيت أنشدتنيه قبل هذا لحرمتك جائزتك.

قال: ولما يا أمير المؤمنين؟

قال: لأنك اشركتها معك في الهيبة ثم استأثرت بالحياء دونها.

فسأله كثير عن البيت الذي عفا به عنه قال:

دعـوني لا أريـد بهـا سـواها   دعـوني هائمـاً فـيمن يهـيمُ[(١١٨٣)]

(١١٨٠) ينظر: الشعر والشعراء ٤١٢/١، وعيون الاخبار ١٤٦/٤، والموشح ٢٩٩-٣٠٠، العمدة ١٨١/١ والبيت في شعر نصيب بن رباح ٨٤ وفي شعر عبد الملك بن مروان المقطوعة (٩) ، وديوان : : والاقيشر الأسدي ٦٤ وفيه :

تحبكم نفسي حياتي فأن أمت   فلا صلحت دعدٌ لذي خلّة بعدي

وينسب البيت لأكثر من شاعر فصاحب الاغاني يؤكد نسبته للنمر بن تولب ينظر الأغاني ٢٧٨/٢٢ والبيت في ديوان النمرين تولب العكيلي ٥٧ والمرجح أنه للنصيب. وآخرون ينسبونه للأحوص، ينظر: الموشح ٣١٠

(١١٨١) الخليفة عبد الملك بن مروان الناقد الأديب ٢١٥.

(١١٨٢) م.ن: ٢١٥.

(١١٨٣) العقد الفريد ١٣٦/٣.لم اعثر على البيتين في الديوان

إذ إن عبد الملك عاب علي كثير وصف نفسه بصفات لا يتحلى بها عاشق متيّم احرقته الصبابة. وفضلاً عن ذلك فقد مدح كثير نفسه بالمهابة والحياء ولكن لا يعني أن تلك الصفة خاصة بالنساء. والحق أن عبد الملك وفق في نقده هذا مما يدل على قدرته بعلم الأدب و وخبرته بأحوال النفس ومقدرة ((على التعمق في فهم الشعر وتذوقه، ورأيه في هذا يوافق آراء المتأخرين من الشعراء والأدباء والنقاد أمثال أبي تمام وأبي هلال وقدامة بن جعفر الذي يرى أن النسيب الذي يتمّ به الغرض هو ما كثرت فيه الأدلّة على التهالك في الصبابة وتظاهرت فيه الشواهد على افراط الوجد واللوعة وبما كان فيه من التصابي والرّقة اكثر مما يكون فيه من الأدباء والعزّة، وأن يكون جماع الأمر فيه ما ضاد التحافظ والعزيمة ووافق الانحلال والرخأوة))[١١٨٤].

وجاء في الاغاني أن اباعبيدة قال: ((دخل أرطاة بن سهية على عبدالملك بن مروان، فقال له: كيف حالك يا أرطاة؟- وقد كان أسن فقال: ضعفت أوصالي وضاع مالي، وقل مني ما كنت أحب كثرته، وكثر مني ما كنت أحب قلته قال فكيف أنت في شعرك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أطرب ولا أغضب ولا أرغب ولا أرهب ، وما يكون الشعر إلا من نتائج هذه الأربع. وعلى أني القائل:

رأيــت المــرء تاكلــه الليــالي كاكـل الأرض سـاقطة الحديـد

ومــا تبغـي المنيــة حـين تــأتي علـى نفـس ابـن آدم مـن مزيـد

وأعلــم أنهــا ســتكر حتــى تــوفي نــذرها بــأبي الوليــد

فارتاع عبدالملك ثم قال: بل توفي نذرها بك ويلك! مالي ولك؟ فقال: لا ترع يا أمير المؤمنين، فإنما عنيت نفسي- وكان أرطاة يكنى أبا الوليد فسكن عبدالملك، ثم استعبر باكياً وقال: أما والله على ذلك لتلمن بي))[١١٨٥] ولا ريب أن تكون تلك دواعي الشعر واسبابه الشائعة في النقد الأدبي وقد أوردها ابن قتيبة وتبعة في ذلك صاحب العمدة وقالوا قواعد النص أربع الرغبة والرهبة والطرب والغضب[١١٨٦].

ويروى أن عبد الملك اعترض على جرير حين انشده:

أتــصحو أم فــؤادك غيــر صــاح غــداة هــمّ صــحبك بــالرواح؟

فقال عبد الملك: بل فؤادك ياابن الفاعلة[١١٨٧]، فالشاعر كان يخاطب نفسه. اما الخليفة فكأنه أدرك التمييز بين المدح والمال والسلطة والجاه وبين المدح بالفضائل النفسية والأخلاقية

(١١٨٤) دراسات في نقد الأدب العربي، د. بدوي طبانه ١٠٦-١٠٧. ينظر : نقد الشعر ١٢٣ ١٢٤.
(١) الأغانــي . ٣١/١٣
(١١٨٦) ينظر: الشعر والشعراء والعمدة ٢٤٧/١ .
(١١٨٧) العقد الفريد ٨٣/٣. والبيت في الديوان ١١٥/٤ للاستزادة ينظر: الموشح ١٩٠-١٩١ والعمدة ٢٢٢/١.

الحميدة وهذا هو الذي دفع به إلى المواجهة. ولعل عدم براعة الشعراء في مطالع قصائدهم واستهلالها، ومجافاتها لمقتضى الحال أوقعهم في تلك الهفوات والهنات .

وقد كانت اللمحات النقدية لعبد الملك مصحوبةً بالتعليل من ذلك نقده بيتاً من قصيدة الشماخ الذي مدح بها عرابة الاوسي وفيها يصف ناقته قائلاً:

إذا بَّلغْتِنِـــي وحملـــتِ رحلـــي عرابـــة فاشـــرقي بـــدم الـــوتينِ

فعلق على ذلك عبد الملك مبدياً رفضاً ومعللاً بقوله ((بئس المكافأة: حملت رحله، وبلّغته بغيته فجعل مكافاتها نحرها))[١١٨٨].

فلم يكن شاعر ينشد عبد الملك الاّ وينبهه على مافي شعره من خطأ أو عيب وقد تنبّه الشعراء من بعده على ذلك فحاولوا التخلص من ذلك العيب.

وقد ذكر ان أحيحة بن الحلاّج قال للشماخ بئس المجازاة جازيتها. وقيل بئس ما كافأتها به.

ولمّا أغار الجّحاف السلمي على بني تغلب بالبشر ليلاً هرب الأخطل حتى أتى عبد الملك بن مروان، فقال:

لقد أو قـع الجحـاف بالبشر، وقعـةً إلــى الله منهــا المــشتكى والمُعــولِ
فـــألاّ تغُيِّرهــــا قـــريشُ بملكهــــا يكُـنْ عـن قـريش مـستمّاز ومرحـلُ*

فقال له عبد الملك: إلى أين يابن اللخناء؟ فقال إلى النار، فقال: والله لو قالت غيرها. لقطعت لسانك)) [١١٨٩]

ووجه العيب فيه انه هدد عبد الملك وهو ملك الدنيا بتركه إيّاه والانصراف عنه إلى غيره... وهذه لحماقة مجردة وعقله لا يطار غرابها))[١١٩٠]

ومن القضايا النقدية المهمة التي تطرق إليها عبد الملك: قضية القوافي. إذ يروى أن عبد الله بن قيس الرقيّات انشدهُ:

ان الحـــوادث بالمدينـــة قـــدْ أو جعننـــي وقـــرعنَ مَرْوَتِيـــه
وجببنـــي جَـــبّ الـــسنام فلَـــمْ يَتـــركْنَ ريـــشاً فـــي مناكيـــه

(١١٨٨) الأغاني ١٩٧/٩ والبيت في ديوان الشّماخ ٩٢. ويبدو ان قول الشماخ كان له أثر في قول لاحقيه من الشعراء فهذا أبو نواس يقول:

أقـــول لنـــاقتي إذ بلغتنـــي لقـــد أصـــبحت عنـــدي بـــاليمين
فلـــم اجعلـــك للقربـــان نحـــراً ولا قلـــت اشـــرقي بلحـــم الـــوتين
حرمـــتِ علـــى الازمّـــة والولايـــا واعـــلاق الرِّحالـــة والوضـــين

ومن ذلك القول الذي ينسب لأبي تمّام:

لـــستُ كـــشماخ المـــذمم فـــي ســـوُ مكافأتـــهِ ومجترمـــة

ينظر الموشح ٩٦-٩٧ والعمدة ١٥٤/٢ والأبيات في ديوان أبي نواس ٥٩٥، والولايا البراذع. والأعلاق: علق على الرحل من العهون وغيره. والصين حزان الوصل . لم اعثر على البيت في ديوان أبي تمام .

(١١٨٩) الموشح ٢١٨-٢١٩ والبيتان في ديوان الأخطل ٣٢-٣٣. والبشر جبل بالجزيرة عند الفرات. والمعول : الاستعانة والاستغاثة . والمستماز: المتنحي. والمزحل : المذهب .

(١١٩٠) الصناعتين ١٠٢.

فقال عبد الملك ((أحسنت إلاّ أنكَ لم توفق في قوافيك))[1191].

فقال ابن الرقيات: ما عدوت قول الله ﷻ ﴿**ما أغنّى عني ماليه هلك عني سلطانيه**﴾[1192] فتلك التفاتة نقدية مهمة قدمتها لنا عقلية عبد الملك وثقافته الشعرية وموهبته النقدية الواسعة والمهمة في ذلك العصر، والتي نبه اليها عبد الملك بن مروان فكان ((ينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره ومفتتح أقواله مما يتطيربه أو يستجفي به من الكلام والمخاطبات))[1193].

ومثل ذلك ما اخذه عبد الملك على قولِ جرير.

هذا ابن عمّي في دِمَشْقَ خَلَيفةً ... لَوْ شِئْتُ ساقكُمُ أليّ قطينَا

قال عبد الملك حين سمع ذلك: ((ما زاد ابن المراغة على أن جعلني شرطيّا أما إنه لو قال: لو شاء ساقكم إليّ قطينا لسقتهم إليه كما قال))[1194].

ويبدو أن جريراً لم يوفق في هذا الموضع لانه لم يسلم من العيب حتى من جمهوره الذي يستمع لانشاده بدليل قولهم: ((يا أبا حرزة ما وجدت في بني تميم فخراً تفتخر به عليهم حتى فخرت بالخلافة لا والله أن صنعت في هجائهم شيئاً))[1195] فنظره عبد الملك هنا اتجهت إلى ضمير المتكلم في شئت، إذ جعل الشاعر المشيئة له وإنما أحبها أن تكون للخليفة ولم يوفق في ذلك.

لقد صار لهذه المجالس أثر فاعل في تشذيب شعر الشعراء وتوجيهه، إذ خلفت لنا ماهو جدير بان يحتل منزلة كبير في تاريخ النقد الأدبي لدى العرب حتى يومنا هذا.

ونقف عند بعض النماذج التي سجلتها مجالس الخلفاء الآخرين في العصر الأموي من ذلك ما رواه الأصمعي من ((أن العجاج دخل على الوليد بن عبد الملك فانشده كم حسرنا من علاةٍ عَنْسِ))[1196] فصار إلى قوله:

بينَ ابنِ مَرْوَانَ قريع الأنسِ ... وابْنَةِ عَبّاس مَريع عبسِ

فقال له: الوليد: مَا صَنعت شيئاً، انشدني غير هذا فانشد:

وقد رآني للغواني مِصْيدا ... مُلاوَةً كأنّ فوقي مجلدا

(١١٩١) ينظر : م.ن ٤٥٠ والبيتان في ديوان عبد الله بن قيس الرقيات: ٩٨.

(١١٩٢) سورة الحاقة: ٢٨-٢٩.

(١١٩٣) عيار الشعر: ١٢٦.

(١١٩٤)الأغاني ٥٩/٨. للاستزادة ينظر : الشعر الشعراء ٤٧٠/١ وفيّات الاعيان ١٤٥/١ والبيت في ديوان جرير ٦٨٥.

(١١٩٥) ينظر: الشعر والشعراء ٤١٢/١، ٤٦٩، ٤٨٣ والأغاني ٢٤٤/١، ٣٠٧/٤-٣٠٨، ٢٥٩/٨-٢٦٠، ١١٠/١١، ٢٦٧-٢٦٨، ٢٣٥/١٦.

(١١٩٦) دراسات في نقد الأدب العربي/ د. طبانة/١٣ والأبيات في ديوان العجّاج ٣٥٦-٣٦٢، ٢٦٥ ومطلع البيت وقد اكون للغواني.

فقال:((مصيدا وجلدا: لم تصنع شيئاً، افرغت مدحك في عمر بن عبيد الله... فقال: يا أمير المؤمنين ان لكل شاعر غرباً وان غربي ذهب في بن معمر))[١١٩٧]

ولا ريب في أن الخليفة قد أدرك ضعف شعر العجّاج. وفي الوقت نفسه ان الشاعر ادرك ذلك، وعلل الضعف، إذ إنه لم يوفق في مدحة جيدة بسبب ابداعه في أمر آخر يميل ذوقه إليه.

والحق أن ذلك ليس غريباً على العجّاج الذي تباينت قصائده في الجودة. حتى ان عبد الملك قال له (كلماتك أشعر من شعرك) فالعجّاج كان مع ذوقه وميله النفسي أكثر صدقاً مما هو مع الخلفاء في ذلك العصر.

ويروى أن النصيب والكميت وذا الرّمة كانوا قد اجتمعوا في مجلسٍ فانشد الكميت قوله: (**هل أنت عن طلب الأيقاع منقلب**)حتى بلغ منها إلى قوله فيها:

أم هل ظعائن بالعلياء نافعة وان تكامل فيها الأنس والشنب

فعقد نصيب واحدة. فقال له الكميت: ماذا تحصي؟ قال: خطأك، باعدت في القول، ما الأنس من الشنب، الا قلت كما قال ذو الرمّة:

لمياء في شفتيها حوة لعس وفي اللثاثِ و في أنيابها شنب

ثم انشد مما قوله:

(**أبتْ هذهِ النفس إلا اّدكارا**) حتى بلغ إلى قوله:

إذا ما الهجارس غنينها تجاوبن في الفلوات الوبارا

فقال له نُصيب: والوبار لا تسكن الفلوات. ثم انشد، حتى بلغ قوله:

كأنا الغطامط من غليها أراجيز أسلم تهجو غفارا

فقال نصيب: ماهجت اسلم غفارا قط فانكسر الكميت وأمسك))[١١٩٨].

وفي رواية المبرد (فستحيا الكميت فسكت)[١١٩٩]

ويبدو أن نصيباً قد وفق في هذا النقد الذي اعتمد على الذوق الحسّي البياني والملاءمة بين الصور والمواءمة بين المعاني وقد فنّد اخطاء الكميت فيماانشد وهذه من القضايا المهمة في النقد الأدبي التي فطن إليها الشعراء انفسهم وحاولوا أن يوجهوا شعر غيرهم.

(١١٩٧) الموشح، ٣٣٧-٣٣٨.

(١١٩٨) الأغاني ٣٣٣/١-٣٤٩ للاستزادة ينظر: الكامل ٤٥٦/٢ والموشح ١٩٣-١٩٤، والأبيات في ديوان الكميت ١٥٨- ١٥٩ وفيه (وقد رأينا بها حوراً منعمة .. بيضاً تكامل ...) وديوان ذو الرمه ٣٢/١ .والايفاع: الكواعب. والحوة : سمرة الشبقة. واللعس:سواد اللثة والشفة في حمرة. والهجارس جمع هجرس وهو القرد أو الثعلب أو ولده والوبار جمع وبْر وهو دويبة من دواب الصحراء حسنة العينين شديدة الحياء. والغُطامط:صوت غليان القدر. واسلم وغفار: قبيلتان.

(١١٩٩)الكامل في الغه والأدب ٤٥٦/٢.

اثر اللغويون والنحاة في النقد اللغوي:

كان اللغويين والنحاة اثر في نشوء نقدهم اللغوي الذي تمثل في نقد الأدب والشعر منه على وجه الخصوص، وقد بدأت محاولاتهم النقدية في نهاية القرن الأوّل، ويعزى ظهوره إلى الرعيل الأوّل من اللغويين والنحاة، وقد استهدفت ملاحظاتهم لغة الشعراء بدرجة رئيسة ومتابعة ما في شعرهم من مواطن الخطأ وتفنيده لذلك كان نقدهم لغوي محض، وهو نقد موضوعي يخلو من روح التعصب والهوى لإنه لا ينظر : إلى النص من حيث عذوبته أو رقته أو جماله الفني، بل من حيث مخالفته الأصول من أعراب أو

وزن أو قافية وقد حذق هذا اللون طبقة علماء العربية، وفي طليعتهم يحيى بن يَعْمَرَ وعيسى بن عمر وعبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد وخلف الأحمر فهؤلاء ((تتبعوا العرب في كلامهم فضبطوا ألفاظهم وعرفوا مدلولاتها وحركاتها ووضعوا الأسس الأوّلى لعلومها التي أصبح لكل علم قواعد ومصطلحات نمت بعد وازدهرت في دولة بني العباس))[١٢٠٠].

لذلك فرض هؤلاء العلماء سلطانهم على الشعر والشعراء، وأبدوا ملاحظاتهم على الشعراء، وأحصوا هفواتهم في استعمال الألفاظ وضبطها وإيثارهم إيّاها دون غيرها مستعينين في ذلك بالأصول المقررة في اللغة والنحو والعروض وتقرير الأدب منبهين على مخالفة بعض الشعراء لنهج العرب في كلامهم، وهكذا فتح باب النقد أمام العلماء، وكان مقياسهم في ذلك ما عرفوه من استعمالات العرب للألفاظ وأعرابها. وبذلك أصبح النقد اللغوي أول ما عرفته العربية من النقد العلمي القائم على التعليل وذكر الأسباب ((فالتطور اللغوي الذي حدث في العصر الأموي لم يكن ليترك دون مقأومة ودون جملة نقد تهدف إلى وقف تيّاره أو الحدِّ من طغيانه وكانت تلك الحملة قد مرّت بطورين: الأوّل: طور استنكار الخطأ والزراية على مرتكبيه ثم وجد أن الإستنكار لا يكفي للوقوف بوجه الخطأ فانتقل النقد إلى الطور الثاني وفيه نشأت مجموعة مقاييس وقواعد اصطلح عليها بـ (النحو) وأصبح الشعراء ملزمين باتباعها فان أخلوّا بها أوحادوا عنها رفض شعرهم ووصموا بالخطأ))[١٢٠١].

((وبذلك لم يعد النقد مجرد خطرات أو انطباعات شخصية، وإنما اصبحت تتدخل فيه أطراف من الثقافات اللغوية والنحوية وغيرها))[١٢٠٢] ولكن لا يعني ان ما مر معنا من نقد يخلو من التعليل غير أن النقاد بهذه الثقافة العربية كانوا ينظرون في الشعر فيصّوبون ويخطّئون ويقومون ويعدّلون. فابن أبي اسحق يتتبع سقطات الفرزدق ويخطئه، فقد روى أبو عمرو أن ابن اسحاق سمع الفرزدق ينشد:

وعَضٌّ زمانٍ يا ابن مروان لم يَدَعْ   من المالِ إلا مُسْحَتاً و مُجلَّف

فقال له ابنُ أبي اسحاق على أي شيء ترفع(مُجلّفٌ)؟ فقال: على ما يَسوءُك وينوءك علي أن اقول وعليكم أن تحتجوا[١٢٠٣]، فقال أبو عمرو بن العلاء فقلت للفرزدق اصبت، وهو حائز على المعنى أي انه لم يبقَ سواه[١٢٠٤].

(١٢٠٠) دراسات في النقد العربي (طبانه) ١١٥.
(١٢٠١) النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ٦٣.
(١٢٠٢) ابن سلام وطبقات الشعراء ٤٥.
(١٢٠٣) الموشح: ١٠٢.
(١٢٠٤) نزهة الالباء ٣٥ والمسحت الهالك والمجلف الذي بقيت منه بقيه والبيت في الديوان ٣٢٩.

ولا ريب في أن تلك الأخطاء تعكر على المتلقي صفاء الجو الشعري الذي يحيط بالقصيدة لمخالفتها ما القوه وخروجها عمّا عرفوه، وتبليل أفكارهم نحو ما الفو وعرفوا.

وقد علق صاحب العقد الفريد على ذلك بقوله ((وقد أكثر النحويون الاحتيال لهذا البيت ولم يأتوا بشيء يرضي))(١٢٠٥).

ومما أدركه النحاة على الفرزدق أيضاً وعرضوا له بالنقد قوله:

غـــداةَ احلّــت لابـــن أصـــرمَ طعنـــةً　　　حُـصينٍ عبيطـاتِ الـسدائق والخمـرُ

فقد أخذواعلىالفرزدق أنه نصب (عبيطات السرائق) ورفع الخمر وإنما ((هي معطوفة عليها وكانها وجهها النصب فكأنه اراد وحلت الخمر))(١٢٠٦).

فينظر : إلى هذا النوع من نقد الشعر لا من حيث عذوبته أو رقته أو جماله الفني بل من حيث مخالفته للأصول من إعراب أو وزن أو قافية. فقد قال عبد الله ابي إسحاق الحضرمي للفرزدق في قوله:

مُـستقيلينَ شـمالَ الـشأم تـضرُ بنـا　　　بحاصــب كنـــديفِ القُطـــنِ مَنْثـــور

علــــى عمــــائم تلقــــى وأرْحُلِنَــــا　　　علَـى زوَاحَـفَ تزجـي مُخُّهـا ريــر

((ألا قلت على زواحف تزجيها محاسير)) وقال اسأت أيضاً إنما هي (ريرٌ) بالرفع وكذلك قياس النحو في هذا الوضع. ويبدو أن الفرزدق عمد إلى اصلاح ذلك وترك الناس الصحيح وعمدوا إلى القول الأوّل. فغضب وهجا الحضرمي بقوله:

فلــو كــان عبــدُ الله مــولى هجوتــه　　　ولكـــن عبـــد الله مـــولى مواليـــا

فانكر عبد الله عليه قوله: مواليا وقال: إنما كان ينبغي ان تقول ((مَوْلَى موالٍ))(١٢٠٧).

وكان عنبسة بن معدان الفيل مع علمه باللغة والنحو يتتبع شعر الفرزدق ويخطئه ويلحّنه وبلغ ذلك الفرزدق فقال يهجوه:

لقــد كــان فــي مَعْـدَانَ والفيـل زاجـرٌ　　　لعنبــسة الــرأو يّ علــيَّ القــصائدا

ويروى أن رجلاً سأل عنبسة عن هذا البيت وعن الفيل، فقال عنبسة: لم يقل (الفيل) وإنما قال: (اللؤم) فقال لعنبسة: إن أمراً تفرّ منه إلى (اللؤم) لأمر عظيم.(١٢٠٨)

ويروى أن عنبسة الفيل قد عاب على الفرزدق قوله (على زواحف تزجيها محاسير((فاجابه الفرزدق))ما يدريك يا ابن النبطيّة؟ ثم دخل قلبه منه شيء فغيّره فقال: ((على حراجف تزجيها محاسير))(١٢٠٩).

(١٢٠٥) العقد الفريد ٣٦٢/٥.

(١٢٠٦) م.ن ٣٦٢/٥. وحصين بن أصرم رجل من ضبّة كان قد نذر الاّ يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يدرك ثأره فأدركه في هذا اليوم الذي ذكره (عبيطات السدائق أي نياق سمينات والعبيطات المذبوحات لغير علّة وهن سمينات فتيات).

(١٢٠٧) ينظر : الشعر والشعراء ٣٥/١ والبيتان في ديوان الفرزدق ١٦٠ وصدر البيت في الديوان (على زواحف نزجيها محسيرُ)والحاصب: الريح الشديدة تحمل الحصباء ومخٌ ريرٌ: مخٌ ذائب من الهزال.

(١٢٠٨) نزهة الالباء في طبقات الأدباء ١٢-١٣.

(١٢٠٩) الموشح: ١٥٩. وقيل ان ابن اسحاق عاب ذلك على الفرزدق فقال: "عيب عليك بيتك وقد قال الأعشى (كل ملثٍ صوب ماطر) فقال قد والله علمت ذاك ولكن ابن النبطية شكلني فعاد إلى قوله الأوّل. ينظر : م.ن ١٥٩.

ولا غرو في ان النقد الأموي قد تشعب وتنوع بتنوع المتلقي وتناول الأسلوب والمعاني والألفاظ والأغراض واللغة وغير ذلك. مع ادراكنا ان النقد في هذا العصر لم تؤثر في عوامل الثقافة الخارجية، إذ إنه كان عربيّاً خالصاً. وميزة هذا العصر انه ظهر فيه رجال متخصصون يعنون بالنقد ويتابعون الشعراء وكان هناك بين رجالات العرب من ادلى بدلوه بالنقد وخاض فيه وكان له فيه أثر واضح(١٢١٠).

ومن اللغويين والنحاة الذين دخلوا ميدان النقد في هذا العصر: يحيى بن يعمر البصري فقد روي ان الحجاج قال له: اتجدني ألحَنُ؟ فقال يحيى الأمير أفصح من ذلك. فقال: عزمت عليك لتخبرني! فقال يحيى: نعم! فقال له: في أي شيء. قال في كتاب الله تعالى. فقال ذلك أسوأ ففي أي حَرفٍ من كتاب الله؟ قال: قرأت (قُلْ إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخواتكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموهما وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبُّ اليكم) (١٢١١)فرفعت ((أحبَّ)) وهو منصوب فغضب الحجاج وقال لا تساكنني ببلد أنا فيه ونفاه إلى خراسان. (١٢١٢)

فملاحظة يحيى بن يعمر على الحجاج ليس مرجعها إلى الحفظ والسليقة فحسب وإنما مرجعها أيضاً إلى صفته النحوية حيث قال له ((رفعت)) كلمة من حقها النصب وهذا يدل على تتبع نقدي مهم.

ولا يقتصر الأمر في ذالك على العلماء فهناك من الأعراب من يتجرى إلى تنبية الخلفاء على اخطائهم من ذالك ما ذكره أبو هلال العسكري من أن اعربياً دخل على هشام فقال هشام : ما أطيب العنب عندكم؟ قال: ما أخضر عودة واغلظ عمودة سيط عنقوده ورق لحاؤه وكثر ماؤه فقال له كم عطاءك؟ قال الفين فسكت هشام ساعه ثم قال له :كم عطاؤك ؟ قال: الفان قال فلما لحنت أو لأ قال له لم اشتهِ أن اكون فارساً وأمير المؤمنين راجلا لحنتَ فلحنتُ ونحوتَ فنحوتُ (١٢١٣)

ويخطئ عمر بن عيسى الثقفي النابغة الذبياني في قوله:

فبتُّ كأني ساور رتني ضئيلة   من الرقش في أنيابها السم ناقع

ويقدر أن الصواب يقتضي أن يكون ناقعاً بالنصب على الحالية ويقول ان الخليل خطأ الشاعر في قافيته (لا توصه ولا تعصه) لاختلاف حركة الروي الصاد في بيتي الشاعر. مع ادراكنا ان الحركة مكسورة في الحالتين.

ونخلص من هذا إلى ان علماء العربية ورواتها من ((أصحاب النحو من أهل الكوفة والبصرة.. كانوا ينقدون الالفاظ على الشعراء ويتبعون سقطاتهم ولم يخف عليهم

(١٢١٠) ينظر: الخليفة عبد الملك بن مروان الناقد الأديب: ١٩٧.

(١٢١١) سورة التوبة ٢٤.

(١٢١٢) معجم الأدباء ٤٢/٢-٤٣.

(١٢١٣)ديوان المعا ني ٣٨/٢ وينظر : طبقات فحول الشعراء ١٣/١ مع اختلاف يسير في الروايه . والبيت في ديوان النابغة ٤٦ومثل ذالك ما جرى بين الوليد ،بن عبد الملك ورجل اعربي ،فقد سألهُ الوليد كم سنيك؟ قال اربعين سنه،قال لحنتَ فقال الرجل أنا اتبعك يا أمير المؤمنين فقال كم سنوك ؟قال: اربعون سنة ينظر البرهان في وجوه البيان

من ذلك إلاّ النبذ اليسيرة. وكانوا أئمة الشعراء المحدثين في اللغة والغريب، يأخذون عليهم الخطأ من قولهم، ويكشفون عن عواره ويفطنون الشاعر البدوي لما يفطن له)) [١٢١٤].

وقد كانت مجالس العلماء في العصر الأموي مكاناً خصباً ومناسباً في الحوار والتوجيه في القضايا النحوية واللغوية فقد تابعوا الشعراء في اخطائهم وشكلت هذه المتابعة للشعراء رافداً مهماً من روافد التثقيب والتهذيب فضلاً عن المناقشة في تلك القضايا وقد اثبتنا ذلك في الحوار النقدي الذي جرى بين الفرزدق وأبن أبي اسحاق وغيره من العلماء.

ولكن هذا الحوار لا يقتصر على الشعر فقط ودليلنا على ذلك أن رجلاً قال لأبي الحسن البصري ((ما تقول في رجل مات فترك أبيه وأخيه؟ فقال الحسن: ترك أباه وأخاه، فقال: ما لأباه وأخاه؟ فقال الحسن: ما لا بيه ولأخيه. فقال الرجل: إني أراك كلما طأوعتني تخالفني)) [١٢١٥].

ويقف الحسن البصري مّرة أخرى ليتصدى لأخطاء قواعد النحو والإعراب فقد روى أن رجلاً قال له: يا أبو سعيد. قال: كسب الدراهم شغلك أن تقول ((يا أبا سعيد. ثم قال: تعلموا العلم للأديان، والنحو للسان والطب والأبدان)) [١٢١٦].

ومثل ذالك قول الأخطل في مخاطبته عبد الملك بن مروان وفيه يهجو قيساً ويحض على زفر ابن الحارث، إذ قال:

بني أمية أني ناصحٌ لكم　　　فلا يبيتنّ فيكم آمناً زُفُرُ
يظل مفترشاً كا لليث كَلْكَلَهُ　　　لوقعةٍ كائنٍ فيها له جزرُ [١٢١٧]

وجاء في الموشح أن عمر بن شبه قال: يروى أن الأخطل كان في مجلس ذكر أهله الشعراء،فقال: أين تجعلوني منهم؟ قالو!أين نجعلك وقد أخطأت في أربع لا يخطأ في مثلهنّ؟قال:وماهنّ ؟ قالو: قلت في زفر وأنت تريد أن تضع منه فرفعته حتى خوّفت منه،فقال صدقتم. وماذا ؟قالو : وضغوت من الجحاف ضغوةً ابقيت عارها على قومك إلى يوم القيامة قال: صدقتم وماذا ؟ قالو: أردت هجاء سويد بن منجوف فمدحته. قال :صدقتم.وماذا ؟قالو :اردت مديح سماك بن خرشة فهجوته.قال: صدقتم [١٢١٨].

ومثل ذالك ما جرى من حوار بين جرير وعمر بن لجأ التيمي فقد بدأ كل واحد منهما تصحيح قول صاحبه والدفاع عما ذهب إليه من المعاني.فقد جاء في الموشح أن عمر بن لجأ انشد أرجوزة له يصف إبله وجرير حاضر فقال ابن لجأ :

(١٢١٤) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ١٢٧ .
(١٢١٥) نهاية الأرب ١٣/٤.
(١٢١٦) زهر الآداب ٦١٧/٢
(١٢١٧) ديوان الأخطل ١٤٩-١٥١.
(١٢١٨)الموشح ٢١٧. وزفر هو ابن الحارث خرج على مروان ابن الحكم بمرج راهط على الضحاك بن قيس . وجزر : يريد قتلى كثيرون . والضغو : الاستخذاء .

وقد وردت قبل إنى ضحـائها تقـــرش الحيـــات فـــي خرشـــائها

جـر العجوز الثنى مـن كسـائها

فقال جرير أخفيت مرها،قال فكيف أقول؟ قال: قل : جر العروس الثنى من ردائها فقال ابن لجأ ما قلت أنت أسوأ مما قلت : قال وما هو ؟ قال:

وأوثق عند المردفات عشيةً لحاقاً إذا ماجرد السيف لامـعُ

فجعلتهن مردفات غدوةً ثم تداركتهن عشية،قال: فكيف أقول ؟قال تقول وأوثق عند المرهفات عشية فقال جرير والله هذا البيت أحب إلي من بكر حزْرة ولكنك مُحْلِبٌ للفرزدق فتهاجيا[١٢١٩].

وما يدل على ثقافة النقاد ومهاراتهم النقدية ما رواه صاحب الأغاني ، إذ قال:((اجتمع الكميت بن زيد وحماد الراوية في مسجد الكوفة، فتذاكر أشعار العرب وأيامها، فخالفه حماد في شيء ونازعه ، فقال له الكميت : أتظن أنك أعلم مني بأيام العرب وأشعارها؟ قال: وما هو إلا الظن هذا والله هو اليقين. فغضب الكميت ثم قال له: لكم شاعر بصير، يقال له عمرو ابن فلان، تروي؟ ولكم شاعر أعور أو أعمى اسمه فلان ابن عمرو تروى ؟ فقال حماد قولا لم يحفظه: فجعل الكميت يذكر رجلاً رجلاً من صنف صنف ، وليسأل حماداً: هل يعرفه؟ فإذا قال: لا، أنشده من شعره جزءاً منه حتى ضجرنا، ثم قال له الكميت: فإني سائلك عن شيء من الشعر، فسأله عن قول الشاعر:

طرحـوا اصـحابهم فـي ورطـة قـذفك المقلـة شـطر المعتـرك

فلم يعلم حماد تفسيره، فسأله عن قول الآخر:

تـدريننا بـالقول حتـى كإنمـا تـدرين ولـدانا تـصيد الرهادنـا

فأفحم حماد، فقال له قد أجلتك إلى الجمعة الأخرى، فجاء حماد ولم يأت بتفسيرهما، وسأل الكميت أن يفسرهما له ، فقال : المقلة: حصاة او نواة من نوى المقل يحملها القوم معهم إذا سافروا، وتوضع في الإناء ويصب عليها الماء حتى يغمرها، فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء. والشطر: النصيب. والمعترك: الموضع الذي يختصمون فيه في الماء، فيلقونها هناك عند الشر. وقوله: ((تدريننا)) يعني النساء، أي ختلننا فرميننا والرهادن: طير بمكة كالعصافير.)) [١٢٢٠]

وهذا يدل على ثقافة الشعراء وتقدمهم اللغوي ويروى أن الكميت كانت له جدتان تتصفان

(١٢١٩)ينظر : الموشح ٢٠٢-٢٠٣ وينظر : الأبيات في شعر عمر بن لجأ ١٥١ مع اختلاف يسير في الرواية والترتيب والبيت في ديوان جرير ٤٥٦ . والمردفات النساء يسبيهن عدو. والمرهفات: الرشيقات الرقيقات.

(١٢٢٠) الأغاني ٥/١٧

له البادية وأسورها وتخبرانه باخبار الناس في الجاهلية فاذا سكت في شعر أو خبر عرض عليهما فيخبرانه عنه .[١٢٢١]

ويروى أن ذا الرمة دخل على بلال بن أبي بردة وكان بلال راوية فصيحاً أديباً ، فأنشده بلال أبيات حاتم طيىء قال:

لحا الله صعلوكاً مناه وهمه	**من العيش أن يلقى لبوساً ومطعما**
يرى الخمس تعذيباً وإن نال شبعة	**يبت قلبه من شدة الهم مبهما**

هكذا أنشد بلال، فقال ذو الرمة: يرى الخمص تعذيباً، وإنما الخمس للإبل، وإنما هو خمص البطن، فمحك بلال- وكان محكاً- وقال: هكذا أنشدنيه رواة طيىء، فرد عليه ذو الرمة، فضحك، ودخل أبو عمرو بن العلاء، فقال له بلال: كيف تنشدهما؟ وعرف أبو عمرو الذي به، فقال كلا الوجهين جائز، فقال أتاخذون عن ذي الرمة؟ فقال: إنه لفصيح، وإنا لناخذ عنه بتمريض وخرجا من عنده فقال ذو الرمة لأبي عمرو: والله لو لا أني أعلم أنك حطبت في حبله وملت مع هراه لهجوتك هجاء لا يقعد إليك اثنان بعده.[١٢٢٢] .

وهذه شهادة أخرى لذي الرمة من أحد أعمدة علماء اللغة.

لقد قدم لنا علماء الأمة ورواتها آراء نقدية في توجيه وتصحيح الشعر وغيره. وكان لآرائهم أهمية كبيرة في الدراسات اللغوية والأدبية فضلاً عن النقدية لأنها قدمت لنا ثروة لغوية كبيرة كانت لها اهميتها النقدية بحق مصدر مهم من مصادر اللغة والأدب. ومما لا ريب فيه فقد صارت أقوال أو لئك النقاد من علماء ورواة حججاً وأدلة يستند إليها المهتمون بشؤون اللغة وقواعدها ونحوها فضلاً عن الأدب ونقده.[١٢٢٣]

السرقات الأدبية :

شاعت السرقات الأدبية في العصر الأموي و كثرت الأقاويل فيها وتنازع الشعراء في الشعر وأنواع السرقات التي تنوعت: منها الغصب والاغارة والاهتدام والاجتلاب والسلخ والاستعارة والمرافدة والمواردة والاصطراف والاستلحاق [١٢٢٤].

(١٢٢١) ينظر م.ن ٣٠/١٧.

(١٢٢٢) الأغاني ٣٢/١٨ والبيتان في ديوان حاتم الطائي ٧٢ وفي الديوان (إلى الخمص) .

(١٢٢٣) زهر الاداب ٧١٩/٢ للاستزادة عن مثل هذه الآراء ينظر: مجالس العلماء ١٦٦، ١٣٣،٦٣،٦٢٢،٢٤ـ٢٠٠،١٨٤،١٦٦،١٣٤.

(١٢٢٤).ينظر : حيلة المحاضر ٣٥/١، ٣٩، ٤٢ ، ٥٨ ، ٣٩،٥٨/٢، ٦٧، والاغاني ١٦٨/٢ ، ٦ /١٠٠، ٣٠٢/١٧، ٢٢٩/٢٠، ٤٤/٢٢، ٢٧٤، ١٢٧/٢٣،

وكما تتبعنا السرقات الأدبية في عصر قبل الإسلام نقف عند السرقات في العصر الأموي.

والحق أن هناك مزيّة امتاز بها الشعر في العصر الأموي من غيره، إذ جعل شعر ما قبل الإسلام مثلاً يحتذى لذا كانت خصائص شعر ما قبل الإسلام متمثّلة بيّنة في شعر العصر الأموي الذي أثر في شعر العصور التي تبعته.

ومعلوم أن النقائض تعد من طرق التناص المهّمة، وقد ازدهرت في ذلك العصر، الأمر الذي يؤدي إلى تداخل النصوص ومن المعروف أن بعض شعراء العصر الأموي إذا ما أعجبهم بيتٌ أو أبيات أخذوها واغتصبوها مما ظهر عند الفرزدق كما سنرى.

ويبدو أن الجاحظ كان من أوائل من اعتنوا بالسرقة الشعرية ورأى انه لا يوجد في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصيب أو معنى غريب، أو معنى شريف، أو بديع مخترع، إلاَّ وكل من جاء بعده من الشعراء يعدو على لفظه فيسرقه أو يدعيه أو يستعين بمعناه ويجعل نفسه شريكاً فيه، كالمعنى المتنازع بين الشعراء فلا يكون شاعر أحقَّ من شاعر بهذا المعنى[١٢٢٥].

ويحدد ابن رشيق مفهوم السرقة أنه ((مانقل معناه دون لفظه وأبعد في أخذه))[١٢٢٦].

وقد كان لبعض خلفاء بني أمية عصا السبق في التنبية على قضية السرقات الشعرية يتصدرهم معاوية الذي ساعدته روايته الطويله للشعر وقوة حافظته وسعه ثقافته على الإنتباه على عبد الله بن الزبير وهو ينشد أبياتاً ادَّعى أنّه قالها

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل

ويركب حد السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

وبعد برهه دخل المجلس معن بن أوس فقال له معاوية :أقلت بعدنا شيئاً؟قال نعم فانشده:

لعمرك ما أدري وأني لأوجل على اينّا تعدو المنّية أول

حتى صار إلى الأبيات التي انشدها ابن الزبير .فقال معاويه: يا أبا بكر أما ذكرت آنفاً أن هذا الشعر لك .فقال بن الزبير:أنا أصلحت معانيه وهو ألف الشعر وهو بعد ظئري فما من شيء فهو لي[١٢٢٧] فهذا يوضح مدى إسهامات الخلفاء وتقويمهم للتاج الشعري وهذا يفصح عن اهتمام واسع ودقة متناهية. وقد ساعدتهم على ذلك قوة حافظتهم وسعة ثقافتهم وحفظهم للموروث الشعري.

وفي رواية أخرى قال معاوية لجلسائه : ((ما بقي من لذاتكم ؟ قالوا ضروب ، فالتفت إلى وردان ، فقال فانت ما بقي من لذتك ؟ قال : النظر في وجه رجل كريم

(١٢٢٥) ينظر: كتاب الحيوان ٣١١/٣.

(١٢٢٦) العمدة ٢٨٠/٢.

(١٢٢٧) ينظر الكامل في اللغة والأدب ٤٩٧/١ والأبيات في ديوان معن بن أوس ٩٣-٩٤.

اصابته من دهره فاقة فاصطنعت إليه فيها يداً فقال : أنا أحق بهذه منك . فقال : أحق بها من سبق إليها وأنت أقدر عليها مني))[١٢٢٨] ومن الأخبار الطريفة عن السرقات تلك الخصومة التي احتدمت بين العجاج وابنه رؤبة فقد تنازعا بحضرة عبد الملك بن مروان في قول: ((**وقاتم الأعماق خاوي المخترق**

وكانت لرؤبة دون العجّاج. فأخذها العجّاج ثم انشدها لعبد الملك وأخذ جائزتها. فقال رؤبة لأبيه ما أنشدت أمير المؤمنين؟ فقال:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

فقال والله قد سرقت شعري ولست أفارقك، أو تدفع لي جائزتها وإلاّ بيني وبينك عبد الملك فرجعا إلى عبد الملك فقال رؤبة: يا أمير المؤمنين إن أبي سرق قصيدتي، وانشدكها، فجحد أبوه أنها لولده وقال: هي لي دونه وأنا قائلها. فقال له: خلّ عن أبيك فقد جاء عن رسول الله ﷺ انه قال: إن أحلّ ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه فلا ضير أن اكتسب أبوك بشعرك فأغاظ العجّاج ما صنعه ابنه رؤبة، فقال له: إن قلت وأدعيته لنفسي فأنا شاعر. فقال: أن كنت شاعراً فلست ابن شاعر وأنا شاعر ابن شاعر))[١٢٢٩]. فانشد شعراً أضحك عبد الملك وأجاز رؤبة كما أجاز أباه.

وإذا كان الأمر قد بلغ أشده بين الأب وابنه في قضية السرقات والاحتكام إلى رأس الدولة فان هذا يدل على أن العربي لا يقبلها ووضع حداً صارماً لعدم انتشارها وهذا دليل آخر على أن الأدب العربي قد مر بمراحل التشذيب والتمحيص والتنقيح حتى وصل إلى هذا المستوى الفني الخالص . فإذا كانت هناك سرقة أو إغارة فانها لا تتجاوز البيت أو الأبيات مع اعتراف ضمني في نسبة القول لقائله .

وقد أعترف بالسرقات الشعرية الشعراء أنفسهم فكان الأخطل يقول ((نحن معاشر الشعراء أسرق من الصاغة))[١٢٣٠] وهو بذلك ينبه على المهارة في السطو على الشعر، ولكنه بخلاف الفرزدق ،فالأخطل لا يميل إلى المجاهرة والسطو والإغارة ،بل أتجه إلى ما يسمى بالسرقة الفنية ودليلنا على ذلك حواره مع ابن بشر المدني فقد قال للأخطل ((كيف علمك بالشعر؟: قال: فقلت له رويت، فانشدني قصيدته..

فلما انتهى إلى قوله:

حتى إذا أخذ الزُّجاجَ أكُفُّنا　　　نَفَحَتْ فأدرك ريحَها المزكومِ

وقال : الست تزعم أنك تبصر الشعر؟ قلت بلى،قال فكيف لم تشق بطنك ، فضلاً عن ثوبك عند هذا البيت!؟قلت : قد فعلت عن البيت الذي سرقته هذا منه قال : وما هو قلت بيت الأعشى :

من خَمْر عانة قد أتى لختامها　　　حَولٌ تفضّ غُمامةَ المزكومِ

فقال أنت تبصر الشعر))[١٢٣١]

(١٢٢٨) المصون في الادب ٢٠٨ – ٢٠٩ . وبردان مولى عمرو ابن العاص .

(١٢٢٩) المذاكرة في ألقاب الشعراء ١٢٧ والشطر في ديوان رؤبة ١٠٤ والحديث في سنن ابن ماجة.

(١٢٣٠) الموشح ٢٢٥.

(١٢٣١) م . ن : ٢٢٢ والبيت الأوّل في ديوان الأخطل ٥٧٢ ولم اعثر على البيت الثاني في ديوان الأعشى.

فإذا كان ذلك يحسب من سرقات الأخطل فان هذا أخذ على التشابه الظاهر الذي تمثل في تصوير راحة المزكوم غير أن هناك اختلافاً كبيراً بين الصورتين.

وكان الفرزدق -كما يقولون- ((يصلت على الشعراء ينتحل أشعارهم ثم يهجو من ذكر أن شيئاً انتحله أو ادعاه لغيره، وكان يقول ضوال الشعر أحبُّ إليّ من ضوال الإبل وخير السرقة ما لم تقطع فيها اليد))(١٢٣٢). إلاّ أن الفرزدق كان يتهم الشعراء الآخرين بالسرقة والانتحال من ذلك اتهامه جريراً وغيره الشعراء بالسرقة والانتحال ، إذ قال:

لـن تُـدركوا كرمـي بلـوم أبـيكمُ وأو ابـدي بتنحـلِ الأشـعار(١٢٣٣)

ويقول:

إن اسـتراقك يـا جريـر قـصائدي مثـل ادعـاء سـوى ابيـك تقـلِ(١٢٣٤)

وكان قد اتهم البعيث بالسرقة فقال:

إذا مـا قلـت قافيـة شـروداً تنخلهـا ابـن حمـراء العجـان(١٢٣٥)

وفي المقابل قال جرير في الفرزدق وانتحاله:

سـتعلم مـن يكـون أبـوه قينـاً ومـن عرفـت قـصائده اجتلابـا(١٢٣٦)

وقد ذكر الاصعمي ان ((تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة وكان يكابر، وإمّا جرير فما علمته سرق الاّ نصف بيت))(١٢٣٧).

ويبدو أن الأصمعي قد بالغ في ذلك وتحامل على الفرزدق ورأى المرزباني ان ((هذا تحامل شديد من الأصمعي وتقوّلٌ على الفرزدق لهجائه باهله، ولسنا نشك في أن الفرزدق قد أغار على بعض الشعراء في أبيات معروفة، فأما ان نطلق على تسعة أعشار شعره سرقة فهذا محال وعلى أن جريراً قد سرق كثيراً من معاني الفرزدق))(١٢٣٨).

وقد تكون السرقة لفظاً ومعنى وقد تكون معنىً فقط أو تكون لبعض اللفظ، فمن الآخذ جملة ولفظاً ومعنى ما يروى من ان الفرزدق كان قد سمع جميلاً ينشد:

ترى النـاس مـا سرنـا يـسيرون خلفنـا وإن نحـنُ أو مأنـا إلـى النـاس وقفُـوا

فقال الفرزدق أنا أحقّ بهذا البيت فأخذه غصباً(١٢٣٩).

ومن الأخذ لبعض اللفظ قول مالك بن الريب:

العبـد يقـرع بالعـصا والحـر يكفيـه الوعيـد

إذا أخذه يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري فقال:

العبـدُ يقـرع بالعـصا والحـر تكفيـه الملامـه

(١٢٣٢) م . ن : ١٦٨.

(١٢٣٣) كفاية الطالب ١١٧ والبيت في الديوان ٢٦٢.

(١٢٣٤) نقائض جرير الفرزدق ٢٠٠٢/١

(١٢٣٥) كفاية الطالب ١١٧.

(١٢٣٦) حلية المحاضرة ٢٩/٢ والبيت في ديوان جرير ٩١.

(١٢٣٧) الموشح ١٦٧.

(١٢٣٨) الموشح ١٦٨.

(١٢٣٩) ينظر: الأغاني ٣٨٤/٩ الوساطة ١٤٣ والموشح ١٧٣ والبيت في ديوان الفرزدق ٣٣٥. وديوان جرير ٨٠

وأخذه الصلتان العبدي تأثر بسابقيه فقال:

العبــــد يقــــــرع بالعــــــصا   والحــــــر تكفيــــــه الاشــــــارة

وقال بشار:

الحر يوصــى والعصا للــعبد   وليــس للمحلف مـثل الــردّ

ويبدو أن هولاءِ تأثروا بقول أبي دواد:

العــبد يقـــرع بالعــصا   والحــر تكفــية المقـالـه[1240] ومـن الأخـذ جملـة مـا يروى عن الربيع بن أبي جهمة الجندعي أنه قد مر يوماً بكثير وهو ينشد:

وكنــتِ كـذي رجلـين رجـلٍ صـحيحةٍ   ورجْـلِ رمــى فيهــا الزمــانُ فـشلّتِ

فقال له: (ويحك يابن أبي جمعة منذ متى قيل هذا الشعر: قال منذ زمن طويل. قال: فهذا يقوله صاحبنا أمية بن الأسكر. قال هو ذاك يا بن أبي جهمة. أنا أحق به منه)[1241].

ويبدو أن ذلك لم يكن عيباً ، لان هذا من ثقافة الشعراء وقدرتهم على حفظ النصوص والإفادة منها ، إذ إن المجاهرة بذلك تعطينا دلالة على أن الشاعر لم يكن يهتم بذلك وان عرف عنه.وعن سرقة الفرزدق قال الاصمعي: ((سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: لقيت الفرزدق في المربد فقلت يا أبا فراس، احدثت شيئاً؟ قلت شيئاً، قال فقال: خذ ثم انشدني:

كــم دون ميّـــة مــن مــستعملٍ قــذف   ومــن فــلاة بهــا تــستودع العــيسُ

قال فقلت: سبحان الله، هذا للمتلمس فقال: اكتمها، فلضوال الشعر أحبّ إليّ من ضوال الإبل)).[1242]

ففي هذا القول دليلٌ على الأخذ واعتراف من الشاعر نفسه بالسرقة وتعد تلك إحدى غارات الفرزدق على أشعار غيره وانتحالها حتى أدى به ذلك إلى الوقوف أمام ابن الرباط القاضي بتهمة سرقة بعض شعر الأعلم العبدي فاعترف بذلك، وأشهد الناس على أنه قد رده فأطلق القاضي سراحه[1243].

ولا يعني أن الشاعر قد أطلق له العنان في الأخذ فقد كانت هناك رقابة صارمة على الشعراء وهذا دليلنا على أن شعرنا العربي قد تعرض للفحص والتمحيص والتشديد، حتى حافظ على نقاوته وأصالته.

ومن الأخبار التي تؤكد السرقات في هذا العصر ما رواه عمروبن العلاء إذ بقوله: ((كنت عند بلال بن أبي بردة فقدم عليه الطرماح والكميت. ودخل رؤبة فقال له ابن العلاء: أتدري من هذان؟ قال: لا، فقال: هذا الكميت هذا الطرماح، الساعة يسرقان شعرك ويهدمان قوافيك. فقال: هلاّ أعلمتني قبل ذلك فلا انشدهما)).[1244]

(١٢٤٠) ينظر: البيان والتبيين ٣/٣٦-٣٧ والشعر والشعراء ١/٣٥٤-٣٥٥ الوساطة ١٤٥ والأبيات في ديوان يزيد بن مفرغ ٢١٥ وديوان بشار بن برد ١/٥٨٨ وديوان أبي دؤاد ٣٣٣ .

(١٢٤١) الموشح : ٢٤٣-٢٤٤ وينظر : حلية المحاضرة ٢/٤٠ والبيت في ديوان كثير ٧٨؟

(١٢٤٢) الشعر والشعراء ١/١١٢. والبيت في ديوان المتلمس ٩٩.

(١٢٤٣) ينظر : الموشح ١٧٥

(١٢٤٤) المذاكرة في القاب الشعراء ١٣٠.

وقد اعترف كثير عزّة بالسرقة فقد قال وقد ذكر جميل إمامه ((أمتّ له ألف قافية يقول سرقتها فغلبتُ عليها))[١٢٤٥].

ويبدو أن اعتراف كثير بهذه الإغارة هي التي قادت الزبير بن بكار إلى تأليف كتاب مفرد في سرقاته [٣].

وقد رد المرزباني بأن في ذلك تحاملاً بسبب هجاء ((كثير لولد بن عبد الله بن الزبير وانحراف الزبير عن أهل البيت عليهم السلام))[١٢٤٦].

وهناك أساليب عرفت بين الشعراء في تعرض أحدهم للآخر بإظهار السرقة من ذلك ما روى صاحب الأغاني عن طلحة بن عبد الله بن عوف انه قال: ((لقي الفرزدق كُثيراً بقارعة البلاط، وأنا وهو نمشي نريد المسجد، فقال له الفرزدق: يا أبا صخر، أنت انسب العرب حين تقول:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما　　　تمثَّلُ لي ليلَى بكلِّ سبيلِ

يعرض له بسرقته من جميل حيث يقول:

أُريد لأنسى ذكرها فكانما　　　تمثل لي ليلى على كل مرقب

فقال له كثير: وأنت يا أبا فراس أفخر الناس حيث تقول:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا　　　وإن نحن أومأنا إلى النّاس وقفوا

... وهذا البيت أيضاً لجميل سرقه الفرزدق)) [١٢٤٧].

فقد كشف أحدهما الآخر معرضاً أحدهما بالآخر أيضاً هو أفخر الناس وأنسب الناس وقد جعل الحاتمي هذا النوع من السرقة في باب الاهتدام [١٢٤٨]

ويبدو أن معارضة الشاعر اللاحق للشاعر السابق هي التي تقوده إلى الأخذ سواء بإعادة إنتاج النص أوصياغته في نسيج محكم البناء مرّة أخرى، وقد لا يصل الإنتاج الجديد إلى مستوى سابقه من حيث الإبداع وذلك حيث يكون معارضة النصوص الأخرى إعجاباً أو سعياً، لتحقيق الشهرة. ومن النصوص التي تقودنا لفهم طريقة المعارضة والتأثر ببعض أبياتها قول جميل بثينة في معارضته لرائيه عمر بن أبي ربيعة التي يقول فيها:

أمن ال نعم أنتِ غادٍ فمبكرُ　　　غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجّرُ

ويقول:

وقالت وعضت بالبنانِ فضحتني　　　وأنت امروٌ ميسور أمرك أعسرُ
إذا جئتَ فامنحْ طرفَ عينيكَ غيرنا　　　لكي يحسبوا أنّ الهوى حيث

(١٢٤٥) المذاكرة في القاب الشعراء ٢٣٥.
(٣)
(١٢٤٦) م. ن ٢٤٤.
(١٢٤٧)الأغاني ١٤٣/٧-١٤٤ والأبيات في ديوان كثير ٢٧٦ وديوان جميل ٢٤، ٨٠ وديوان الفرزدق ٣٣٥
(١٢٤٨)ينظر: حلية المحاضرة ٦٤/٢

ينظـــــــــــــــــــــــرُ[(١٢٤٩)]

فتأثر جميل يبدو واضحاً في قوله:

أغـادِ أخـي، مـن آل سـلمى فمُبكـرُ — أبِـنْ لـي: أغـادٍ أنـت أم متهجَّـرُ
فإنّـكَ إنْ لا تقـضِنِي ثِنْـيَ سـاعةٍ — فكـلُّ امـرئٍ ذِي حاجـةٍ متيـسِّرُ
فـإن كنـت قـد وطّنْـت نَفْـسَاً بحبُّهـا — فعِنْـدَ ذوي الاهـواء وِرْدٌ وَمَـصْدَرُ
وآخـرُ عهـدٍ لـي بهـا يـوم وَدَّعـتْ — ولاح لهـا خَـدٌّ ملـيحٌ ومَحجِـرُ
عـشيّةَ قالـت لا تـضيعّن سّـرنا — إذا غِبْـتَ عنّـا وارعَـهُ حـين تـدبرُ
وطَرْفَـك إمّـا جِئتنـا فاحفظَنّـهُ — فـذيحُ لهـوى بـادٍ لمـن يتبصّرُ[(١٢٥٠)]

فإذا تأملنا الأبيات نجد البيت الأوّل مشابهاً لمطلع رائية عمر، ونلمح في البيت الثاني صدى للبيت الثاني الذي ذكرناه لعمر عند التمثيل. أما البيت الرابع فان جميل ضمنه ليبدأ به حديث الحب والوجد لحبيبته والبيت هو لعمر ثم يعود جميل في البيت السادس ليجتر بيت عمر:

إذا جئت فـامنح طـرف عينيك غيرنـا — لكـي يحسبوا أن الهـوى حيث تنظرُ

وإذا تأملنا الأثر بين النصين نجد أن أسلوب النص اللاحق يدور في فلك النص السابق دون حياد، إذ رأينا أن قصيدة جميل لا تخرج عن قصائد المعارضات وقد حملت ما حملت من تضمين وتحوير وغير ذلك من المعاني والألفاظ التي تشير إلى المقاربة بين القصيدتين منها الغدو والتهجير والخضوع ووصف الجمال وكتمان السرِّ مع علمنا أن المعنى الرئيس لكلتا القصيدتين متباعدٌ، فعمر شاعر غزل صريح فاحش وعابث وصاحب مغامرات ليليّة بينما جميل شاعر غزل عفيف فسلوك عمر في هذه القصيدة لا يتماشى مع أحكام القصيدة العذرية ولاسيما قصيدة جميل.

فالنصّان المعارض والمعارَض اتفقا في التركيب الإيقاعي بكل لوازمه البحر العروضي والقافية والروي، والإكثار من الجمل الاستفهامية، والخبرية مع تشابه المدلولات والدوّال في النصين كلاهما، وهذا هو الذي دفع النقاد القدامى إلى معالجة هذه النصوص في باب السرقات الأدبية كونها نصوصاً أثرت وتأثرت.

فالتأثير والتأثر ظاهرة قديمة لا يستطيع أن يفلت منها أحد من الشعراء إلاّ أنها تتفاوت في النسبة وهذا التأثير قاد بعض الشعراء إلى الاعتراف بشاعرية سابقيهم وقد تعددت أراء الشعراء ـ في ذلك ـ كما رأينا ـ غير أن الفرزدق حاول أن يسرد أسماء الشعراء الذين ورث عنهم الشعر في قصيدته المسمّاة بالفيصل يلمح في ذلك إلى فحولتهم أي أصالتهم في الشعر وخصب شاعريتهم:

وهب القصائد لي النوابغ إذ مضوا — وأبـو يزيـد وذو القـروح وجـرولُ
والفحـل علقمـة الـذي كانـت لـهُ — حلـل الملـوك كلامـه لا ينحـلُ
وأخـو بنـي قـيسٍ وهـن قتلنـه — ومهلهـل الـشعراء ذاك الأوّل

(١٢٤٩) ديوان عمر بن أبي ربيعة ٩٢،٩٦ ، ١٠١ .
(١٢٥٠) م.ن: ٥٥.

والأعـــشيان كلاهمـــا ومـــرقشٌ | وأخـــو قـــضاعة قولـــه يتمثـــل
وأخـــو بنـــي أســـدٍ عبيـــد إذ مـــضى | وأبـــــي دؤادٍ قولـــــه يتنحـــــلُّ
وابنـــا بنـــي ســـلمى زهيـــر وابنـــه | وابـــن الفريعـــة حـــين جـــد المقـــولُ
والجعفـــريُّ وكـــان بـــشرٌ قبلـــه | لـــي مـــن قـــصائده الكتـــاب المجمـــلُ
ولقـــد ورثـــتُ لأل أو س منطقـــاً | كالـــسم خـــالط جانبيـــه الحنظـــلُ
والحـــارثي أخـــو الحمـــاس ورثتـــه | صـــدعاً كمـــا صـــدع الـــصفاة المعـــولُ[1251]

والشعراء الذي ذكرهم جميعهم جاهليون ومخضرمون وهم ((نابغة بني ذبيان والجعدي ونابغة بني شيبان والمخبل واسمه ربيعة بن مالك وذو القروح امرؤ القيس بن حجر والحطيئة وعلقمة بن عبده الفحل وطرفة بن العبد ومهلهل ابن ربيعة وأعشى قيس وأعشى باهلة ومرقش وأخو قضاعة وأبو الطمحان القيني وعبيد بن الابرص وأبو دؤاد جارية بن حمران وحسّان بن ثابت وزهير بن أبي سلمى وابنه كعب، ولبيد بن ربيعة وبشر بن ابي خازم الاسدي وأوس بن حجر والنجاشي))[1252].

ومن النصوص التي أثرت وتأثرت همزية جرير التي مدح فيها عبد العزيز بن مروان، إذ يقول فيها مستهلاً وقوفه على الأطلال ومعولاً على الفخر والتهديد إلى ان وصل إلى الغرض الرئيس (المدح): إذ يقول:

عفـــا نهيـــا حماقـــة فـــالجواءُ | لطـــول تبـــاين جـــرت الظبـــاء
فمـــنهم مـــن يقـــول نـــوى قـــذوفٌ | ومـــنهم مـــن يقـــول هـــو الجـــلاءُ
أحـــنّ إذا نظـــرت إلـــى ســـهيلٍ | وعنـــد اليـــأس ينقطـــع الرجـــاء

ويبدو من النظرة الأوّلى للنص أن الشاعر قد اتكأ في هذا النص على المقدمة الطللية لما قبل الاسلام، ومن مقدمة قصيدة حسان التي قال فيها:

عَفـــتْ ذاتُ الاصـــابع فـــالجِوَاءِ | إلـــى عـــذراءَ منزلُهـــا خـــلاءُ
ديـــارٌ مـــن بنـــي الحـــسحاسِ قفـــرٌ | تُعَفّيهـــا الـــرّوامسُ والـــسماءُ
وكانـــت لا يـــزال بهـــا انـــيسٌ | خـــلال مروجهـــا نَعَـــمٌ وشـــاءُ

ولا ريب في أن هذا النص الاسلامي كان مطلع استهلاله جزءاً معروفاً من مطالع قصائد ما قبل الإسلام المتمثلة بالوقوف على الأطلال وما تثيره من صور التداعي للأيام الخوالي.

وما يمكننا أن نقوله إن جريراً قد عارض حسّاناً فعلاً فعندما وصل حسان إلى مرامه أو غرضه الرئيس (الفخر) بالمسلمين وتهديد المشركين، قال:

عـــدمنا خيلنـــا إن لـــم تروهـــا | تثيـــرُ النقـــعَ موعـــدها كـــداءُ
يبـــارين الأســـنّة مـــصغياتٍ | علـــى أكتافهـــا الأســـلُ الظمّـــاءُ

(١٢٥١) ديوان الفرزدق ٤٣٥ـ٤٣٦.
(١٢٥٢) نقائض جرير والفرزدق ٢٠٠ـ٢٠١.

تظـــــلُّ جيادنــــا متّمطّـــــراتٍ ثُلطمُهـــنَّ بـــالخُمُرِ النـــساءُ[1253]

كذلك جرير قد اغتدى بالفخر هذا عندما وصل إلى مدح عبد العزيز بن مروان مصوراً مقامه العالي ومنزلته الرفيعة، إذ قال:

فمـــاذا تَنْظـــرونَ بهـــا وفـــيكم جَـــسُورٌ بالعظـــائِم واعـــتِلاءُ
إلـى عبـد العزيـز سمتْ عيـون الـــــــرعيَّةِ إنْ تُخُيِّـــرتِ الرَّعـــاءُ
إليـــه دعـــت دواعيـــه إذا مـــا عمـــاد الملـــكِ خـــرّت والـــسماءُ
رأوا عبـــدَ العزيـــز ولـــي عهـــدٍ ومـــا ظلمـــوا بـــذاك ولا اســـاءوا
فـــزدِ لِفهَـــا بأزفِلِهَـــا إليـــهِ أميَـــر المـــؤمنينَ إذا تـــشَاءُ[1254]

فإذا تأملنا مدى التقارب بين النصين فأننا نجد أن درجة المقاربة اعتمدت على الأطلال والقياس منها، والفخر والتهديد في النص الأوّل.

أما النص الثاني فقد ركز على الأطلال والقياس منها والمدح وما ترتب عليه.

ويبدو أن نونية الراعي النميري التي يقول فيها:

أبـــت آيـــات حبـــي أن تبينـــا لنـــا خبـــراً و ابكيـــت الحزينـــا[1255]

قد تأثرت بمعلقة عمرو بن كلثوم:

الا هُبِّـــي بـــصَحْنِكِ فاصـــبحِينَا ولا تُبقـــي خُمُـــور الانـــدرينا[1256]

وإذا تابعنا مثل هذه القصائد نجد ان نقائض جرير والفرزدق ونقائض جرير والأخطل شاهدة على تداخل النصوص وتعالقها أو تناصها.

وقد يبدو الأثر جامعاً أي ان الشاعر يتأثر بأكثر من نصٍّ أدبيّ والشعر الأموي يعج بهذه الظاهرة ومن ذلك قول مجنون ليلى:

أيـــا حُـــب ليلـــى داخـــلاً مُتَوَلِّجـــاً شُـــعُوبَ الحـــشا، هـــذا علـــيّ شـــديدُ
أيـــا حـــبَّ ليلـــى عـــافِنِي قـــد قتلتنـــي فكيـــفَ تعَـــافيني وأنـــت تزيـــدُ[1257]

فقد جمع قيس قولين احدهما قول أبي صخر الهذلي حيث قال:

فيـا حجـر ليلـى قـد بلغـت بـي المـدى وزدتَ علـى مـا مـالم يكـن بلـغ الهجـرُ
ويـــا حبهـــا زدنـــي جـــوىً كـــل ليلـــةٍ ويا سلوة الأيام موعدك الحشرُ[1258]

والآخر قول جميل:

إذا قلـــتُ: مـــا بـــي يـــا بثينـــةُ قـــاتِلي مِـن الحُـبِّ قالـتْ: ثَابـتٌ ويزيـدُ[1259]

(١٢٥٣) ديون حسان بن ثابت ٧٣ على اكتافها الاسل : على اكتافها الرماح السمر او الرماح المتعطشة للدماء . متمطرات مسرعات والخمُرُ : جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها .

(١٢٥٤) ديوان جرير ٢٣ و زحفلها: ارفعها. أزفلها جميعها.

(١٢٥٥) ديوان الراعي النميري ١٤٥.

(١٢٥٦) ديوان عمرو بن كلثوم ٧٥.

(١٢٥٧) ديوان المجنون ٦٨.

(١٢٥٨) ديوان أبو صخر الهزلي ضمن كتاب شعراء امويون ٩٦/١

فقد خرج المجنون هذين اللونين بلوحة واحدة مصوراً حالته النفسية ومكابدته آلام الحب والعذاب.

وقد يبدع المتاثر فيرسم اللوحة اكثر جمالاً وابداعاً من السابق وبذا يكون له قصب السبق والريادة، ويذيع صيته من ذلك قول عروة بن حزام:

تمنيت من وجدي بعفراء أنني ازار لها تحت القميص يمانِ
تمنيت من وجدي بعفراء اننا بعيران نرعى القفرَ مؤتلفان

وقوله:

ويا ليت أنّا الدهَر في غير ريبةٍ بعيران ترعى القفرَ مؤتلفان
يُطرِّدُنا الرُّعيانُ عن كل منهلٍ يقولون بكراً عُرَّوةٍ جَريانِ[(١٢٦٠)]

فعروة شاعر إسلامي وتوضح أبياته مأساة عاناها بدليل أسلوب التمني غير المألوف وقد تأثر به الشعراء الأمويون منهم مجنون ليلى، إذ قال:

ألا ليتنا كنّا غـزَالَينِ نَرتَعي رِيَاضاً مْنَ الْحَوذَنِ في بَلَدٍ قفْرِ
ألا ليتنا كنّا حمامى مَفَازَةٍ نَطيرُ ونأوى بالعشيِّ إلى وكر
ألا ليتنا حُوتانِ في البحر نَرْتمِي إذا نَحنُ أمسينا نُلجّجُ في البحر
ويا ليتنا نحيا جميعاً وليتنا نصير إذا متنا ضجيعين في قبر[(١٢٦١)]

وكثير عزة في قوله:

إلا ليتنا ياعزلنا لذي غنىً بعيرين نرعى في الخلاء ونعزبُ
كلانا به عرٌّ فمن يرنا يقل على حسنها جرباءُ نعدي أجرب
إذا ما وردنا منهلاً صاح اهله علينا فما ننفك نُرمى ونضربُ
نكون بعيري ذي غنى فيضيعنا فلا هو يرعانا ولا نحن نطلبُ[(١٢٦٢)]

فيما قال الفرزدق:

فيا ليتنا كنّا بعيرين لا نَردُ على مَنْهَلٍ الاَّ نُشلُّ ونُقْذفُ
كلا نابه عَرٌّ يُخافُ قرافهُ على الناس مطليُّ المساعرِ أخْشَفُ
بأرضِ خلاءٍ وحدنا وثيابنا من الريطِ والدّيباج دِرْعٌ

(١٢٥٩) ديوان جميل بثينة ٣٩.

(١٢٦٠) ديوان عروة بن حزام ٤٥.

(١٢٦١) ديوان المجنون ١٢٢. الحوذان: نبات له زهرة حمراء طيبّ المذاق والمفازة: الفلاة التي لا ماء فيها وتشل: تطرد.والعر: الجرب. والمساعر: اصول الفخذين والابطين والاخشف الجلد اليابس. والريط جمع الريكة والثوب يشبة الملحثفة

(١٢٦٢) ديوان كثير عزّة ٥٩.

وَمِلحَـــــــــــــــــــفُ[١٢٦٣]

التأثير والتأثر يبدو واضحاً في الالفاظ والمعاني والصورة ولا يجد القارئ مشقة في استخراج هذه الأساليب وتلك ابرز سمات التعالق النصي الذي أرتأينا ان يكون بديلاً لمصطلح السرقات الأدبية غير أن هولاء الشعراء لم يوفقوا في امنياتهم ولعل الانفعال والترويح عن النفس ساقاهم إلى مايمكن في خوالجهم ((وهذا من كرة من سوء الامنيه)) [١٢٦٤].

وقد تبدو الصورة في التأثير والتأثر توليفية أي انها تقوم على جمع الخطابات أو الجمل أو العبارات التي تحوي على مقاربة نصيّة يمكن ان تتداخل مع نصوصٍ أخرى، أو تتكون منها أو تتكامل معها بطريقة توليفية، فيؤلف الشاعر بين أبيات كثيرة في بيت أو أبيات أو قصيدة والتوليف هو ((ضم الكلام إلى الكلام وتتابعه واتصال بعضه ببعض))[١٢٦٥] وهو مصطلح كان قد ورد في النقد القديم جاء ذلك في كتاب العمدة وأما الالتقاط والتلفيق فمثل قول ابن يزيد بن الطثَريَّة:

إذا مـــا رآنـــي مُقــبلاً غــضَّ طرفــه   كــأنَّ شــعاعَ الــشمسِ دونــي تُقابلــه

فأوله من قولِ جميل:

إذا مـــا رأونـــي مُقــبلاً مـــن ثنيّـــةٍ   يقولــون: مَــنْ هــذا وقــد عرفــوني

ووسطه من قول جرير:

فغُــضّ الطّــرفَ إنّــكَ مــن نُميــرٍ   فــــلا كعبــــاً بَلَغْــــتَ وَلاَ كِلاَبــــا

وعجزه من قول عنترة:

إذا ابـــصرتني اعرضـــت عنّـــي   كـأن الـشمس مـن حـولي تـدور[١٢٦٦]

وللفرزدق ساع طويل في الإغاره على شعر غيره وأخذه الأبيات عنوة بتهديد ووعيد من ذلك وقوفه على الشمردل اليربوعي وهو ينشد قصيدة جاء منها:

ومـا بـين مـن لـم يعـط سـمعاً وطاعـةً   وبــين تمــيم غيــرُ حــزّ الحلاقــمِ

فما كان من الفرزدق إلاّ أن اغار على هذا البيت و قال والله يا شمردل لتتركن لي هذا البيت، أو لتتركنَ لي عرضك. فقال: خذه لا بارك الله لك فيه. فادعاه فجعله في قصيدة ذكر فيها قتيبة بن مسلم التي أولها:

تَحِــــنُّ بــــزوراءِ المدينــــة نــــاقتي   حَنِـينَ عُجـولٍ تبتقـي البـورائم[١٢٦٧]

(١٢٦٣) ديوان الفرزدق ٣٢٩. الاخفش: الجلد اليابس.

(١٢٦٤)حلية المحاضر ٨٣/٢.

(١٢٦٥) العمدة ٢٨٩/٢-٢٩٠.

(١٢٦٦) م.ن ٢٩٠/٢ والابيات في ديوان يزيد بن الطثرية ٥٣ وديوان جميل ١١٧ وديوان جرير ٩٧ ولم اعثر على البيت في ديوان عنترة.

(١٢٦٧) الأغاني ٣٨٢/١٣ والبيتن في ديوان الفرزدق ٥٥٦ – ٥٦٠ والحلاقم : الأعناق والعجول: الثكلى: الحزينة والبو: ولد الناقة والبيت الأوّل في ديوان الشمرول.

وروى أبو دؤاد الفزاري ان ابن مّيادة وقف يوماً في الموسم ينشد:

ولــو أن جميــع النــاس كــانوا بتلعــةٍ وجئــتُ بجــدي ظــالمٍ وابــن ظــالمِ
لظلّــت رقــاب النــاس خاضــعة لنــا ســجوداً علــى أقــدامنا بالجمــاجم

والفرزدق واقف عليه متلثم، فقال له: يا أبن يزيد انت صاحب هذه الصفة، كذبت والله وكذب سامع ذلك منك فلم يكذبك. قال فمه يا أبا فراس،فقال أنأو الله أولى بهما منكثم اقبل على رأو يته فقال اضممهما اليك:

لو أن جميع الناس...

(فاطرق ابن ميّادة فما أجابة بحرف ومضى الفرزدق وانتحلها) [١٢٦٨].

ويروى أن ذا الرمة قال: ((لقيت الفرزدق يوماً فقلت له:

لقد قلت أبياتاً أن لها لعروضاً وان لها لمراداً، ومعنى بعيداً فقال لي: ما قلت؟ قلت:

أحــين أعــادتْ بــي تمــيمُ نــساءَها وجُـرِّدت تجريـد الحسام مـن الغمـدِ
ومــدّت بــضبعيّ الربــاب ومالــكٌ وعمرُو وشالت من ورائي بنو سعدِ
ومــن آل يربــوعٍ هــاءُ كأنّــهُ دجـى الليـل محمـود النكايـةِ والرّفـدِ

فقال لي الفرزدق: لا تعودنّ بها، فأنا أحقّ بها منك. فقال: والله لا أعود فيها ولا انشدها أبداً الا لك))[١٢٦٩] وضمنها الفرزدق قصيدته التي يهجو فيها جندل بن الراعي النميري ويعم قيساً كلها. ومطلعها:

أتوعــدني قــيسٌ و دون وعيــدها ثـراء تمـيمٍ والعـوادي مـن الأسـدِ

وهناك من يرى أن ذا الرمة قد تنازل عن أبياته للفرزدق طواعية[١٢٧٠]والمرجح مــا جــاء بــه الحــاتمي مــن أن الفــرزدق قــد أغــار علــى هــذة الأبيــات واخــذها غصبا[١٢٧١]ويدللون على ذلك ببعض الشواهد منها: أن ذا الرّمة مرّ بجرير فقال يا غيلان انشدني ما قلت في المرئي فانشده:

نبــت عينــاك عــن طلــلٍ بحــزوى عفتــه الــريح أمتــضح القطــارا

فقال ألا أعينك فيها وارفدك ؟. قال بلى بأبي أنت وأمي. فقال:

يعــد الناســبونَ إلــى تمــيمٍ بيــوت المجــد أربعــة كبــارا
يعــدّون الربــاب وآل ســعدٍ وعمــراً ثــم حنظلــة الخيــارا

(١٢٦٨) ينظر الأغاني ٢/٢٦٢-٢٦٣. والأبيات في شعر ابن ميّادة/٨ وديوان الفرزدق ٥٥٦-٥٥٨.
(١٢٦٩) طبقات فحول الشعراء ٤٥٤/٢ والأغاني ٢١/١٨ والعمدة ٢٨٥/٢ والأبيات في ديوان ذي الرمة ٦٦٤/٢-٦٦٥ وديوان الفرزدق ١٢٣.
(١٢٧٠)ينظر الأغاني ٢٥/١٨ ، ٦٢/١٨ حلية المحاضرة ٤٠/٢.
(١٢٧١) ينظر : العمدة ٢٨٥/٢.

ويهلـــك بينهـــا المرئـــي لغـــواً   كمـا الفيـت فـي الديـة الحـوارا[١٢٧٢]

ويروى أن ذا الرمّة مرّ بالفرزدق. فقال له انشدني ما قلت في المرئي. فانشده ذو الرمـة القصيدة فلما انتهى إلى هذه الأبيات ـ الآنفة الذكر قال الفرزدق ((حسن والله لابارك فكاك هذا ابداً هذا شعر ابن المراغة! هذا شعر جرير)) [١٢٧٣]   ومثل ذاك ما دار بين جرير وعمر بن لجأ في المربد ،إذ انشد جرير قوله:

ياتيمُ تيمَ عـديّ لاأبالكـمُ   لا يلقينكمُ فـي سـوأةٍ عمـرُ
أحين صرت سمـاما يابني لجأ   وخاطرتْ بيَ عن أحسابها مضرُ

فقال عمر جواب هذا:

لقد كذبت وشر القول أكذبــهُ   ما خاطرت بك عن أحسابها مضرُ
الست نزوة خوار على أمــة   لبئست الخلتان: البخل والخـورُ

وكان الفرزدق قد رفده بهذين البيتين في هذة القصيده. فقال جرير لما سمعها قبحاً يـابن قنـب. [١٢٧٤]وفـي روايـة (يـابن قين) هذا شـعر حنظلـي هذا شـعر العزيـز يعنـي ـ الفرزدق-رفدك بـه ،فتبسم عمر فما رد جواباً فلما جاء الخبر الفرزدق ضحك حتى ضرب برجليه وقال في حينها شعراً مدح جريراً وانصفه. [١٢٧٥]

وعن أخبار الأخطل وسرقاته يروي الأصمعي ذاكراً جريراً فقال((كان ينهشه ثلاثـة وأربعون شـاعراً فينبذهم وراء ظهره ويرمـي بهم واحداً واحداً ،ومنهم من كـان ينفحه، فيرمي به، وثبت له الفرزدق والأخطل، وقال جرير، والله مـا

يهجـوني الأخطـل وحـده وانـه ليهجـوني معـه خمسون شـاعراً كلهـم عزيـز لـيس بـدون الأخطل.وذلك أنّـهُ كان إذا أراد هجائي جمعهم على شراب، فيقول هذا بيتاً وهذا بيتاً وينتحل هو القصيدة بعد أن يتمموها))[١٢٧٦].

وإن كنا نجد مبالغة في قول جرير إلاّ أن ذلك لا يعني ان الأخطل لم تكن له سرقات شعرية طلما وقد اعترف بها ـ كما ذكرنا ـ .

ولا ريب في أن الفرزدق كان أكثر شعراء عصره تـأثراً بسابقيه ومعاصريه ، وقد كان هذا التأثير ((من وجهتين فشعره طافح بهذه الآثار بحيث يسهل اكتشاف قسم منها، كما انه ينص أحياناً على أخذه أو تأثره بغيره ويصدم بذكر ما يتكئ عليه من

---

(١) حلية المحاضرة ٥٠/٢ الأمالي ٤٠/٢-١٤١ والأبيات في ديوان ذي الرمة ٦٦٤/٢-٦٦٥ الأمالي ١٤١/٢.
(١٢٧٣) حلية المحاضرة ٤٩ .
(٣) م . ن:٤٩/٢- والأبيات في ديوان جرير ١٠٠ وديوان عمر بن لجا ٩٥ .
(١٢٧٥) م.ن: ٥٠/٢ حلية المحاضرة :٤٩/٢-٥٠ والأبيات .
(١٢٧٦) الأغاني ١١/٨ وللاستزادة عن مواقف جرير في هذا الموضوع ينظر : م. ن ٤٩/٨، ٥٧، ٨٧، ٨٨.

الشعر القديم الذي يعجبه))(١٢٧٧) و يبدو أن الفرزدق اتكأ على شعر امرئ القيس كثيراً والقارئ شعرهما يدرك ذلك الأثر وهذا يدل على أن الفرزدق كان راوية لشعر امرئ القيس فعلى سبيل المثال يقول امرؤ القيس:

ذَعرتُ بها سِرباً نَقيّاً جُلُودُه — وأكرعُه وشْيُ البُرودِ من الخالِ
فعَادَى عِداءً بينَ ثورٍ ونعجةٍ — وَكَان عِداءُ الوحْشِ منّي على بالِ(١٢٧٨)

ويقول الفرزدق:

ذعرت بها سرباً فضياً كأنهُ — نجوم الثريا أسفرت عن عمائها
فعاديت منها بين تيسٍ ونعجةٍ — ورويّتُ صدرَ الرُّمح قبل عنائها(١٢٧٩)

وقد يجتمع في شعره اثر لشاعرين أواكثر، ففي ميمية الفرزدق نجد آثاراً من معلقة امرئ القيس وزهير وعنترة .. إذ قال:

وقوفاً بها صحبي علي وإنما — عرفت رسوم الدار بعد التوهمِ
يقولون لاتهلك اسى ولقد بدت — لهم عبرات المستهام المتيّمِ

فآلت لهم ففازوا بوصوفها — ومن يعط أثمان المكارم يعظمِ(١٢٨٠)

فهذه الأبيات تؤكد تأثر الفرزدق بسالفيه من الشعراء، إذ نجد آثاراً لثلاث من معلقات الشعر العربي ، وأنصب الأثر نفسه على المقدمة الطليلة ، ولأشك في أن يتصدرهم أمرؤ القيس بقوله:

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهّم — يقولون لا تهلِك أسى وتجمّلِ(١٢٨١)

وقول زهير:

وَقفْتُ بَها مِنَ بعد عِشْرينَ حِجَّةً — فلأياً عَرفتُ الدار بَعْد تَوَهُّم(١٢٨٢)

وقول عنترة:

هلْ غادرَ الشّعراءُ مِنْ مُتردمِ — أمْ هَلْ عَرَفْتَ الدارَ بعدَ تَوهُّم
يا دار عبلة بالجواءِ تكلّمِي — وَعِمِي صَباحاً دارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِ(١٢٨٣)

(١٢٧٧) الفرزدق بين المهلهل والمتنبي (مقال) د.مصطفى عبد اللطيف جياووك ، مجلة اللغة العربية وآدابها. العدد (١١) سنة ٢٠٠٢، ١٢.
(١٢٧٨) ديوان امرئ القيس ٣٧-٣٨ . أو كرعه : مَوْشِيًّ أي فيها سواد وبياض والخال : ضرب من برود اليمن
(١٢٧٩) ديوان الفرزدق ٩ .
(١٢٨٠) الشعر والشعراء ٦٤ والأبيات في ديوان الفرزدق ٤٦٨-٤٦٩.
(١٢٨١) ديوان امرئ القيس٩.
(١٢٨٢) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ٧.
(١٢٨٣) ديوان عنترة ٥٢.

وبعد تأملنا تلك الأبيات نجد أثرها واضحاً وبيناً في شعر الفرزدق، فهو يلم بقول زهير وعنترة (فلأيا عرفت الدار بعد توهم) وقول امرئ القيس (وقوفاً بها صحبي).

ويعلق الدكتور مصطفى عبد اللطيف جياووك على تأثر الفرزدق بشعر ما قبل الإسلام قائلاً ((والحق أن كشف الآثار الجاهلية في شعر الفرزدق جدير بأن يوثق الشعر الجاهلي ويصدق رواته ومصادره مع انه ضروري لا غنى عنه، لمن يريد وضع الشاعر في مكانه الفني والتاريخي الصحيح... ومن هنا كان شعورنا بأن ضياع كتاب الصولي في أخبار الفرزدق خسارة فادحة لا سبيل إلى تلا فيها))[١٢٨٤].

وربما تكون لهذا الكتاب قيمة في الأدب والنقد وفي أخبار الفرزدق خاصه إلاّ أن ما حملته الينا مصادر الأدب العربي ونقده كفيل عن توضيح أخبار الفرزدق وسرقاته . ويرى الدكتور مصطفى عبداللطيف جياووك أن ((العلماء والنقاد رووا أن الفرزدق ما كان يكتفي بأن يفيد من شعر غيره معنى أو صورة بل كان يضطر في شعر غيره ويأخذه كما هو أو بعد تغيير طفيف في الاعلام. وزعموا انه سرق المتلمس، والمخبل السعدي والاعلم العبدي، وجميل بثينة والراعي النميري، والشمردل اليربوعي وابن ميادة وذا الرمّة))[١٢٨٥] وقالوا إنه كان يجاهر بالسرقة ويغصب الشعر غصباً وهذا ما رأيناه في كثير من الآراء التي ذكرناها بموضعية.

ويروى أن حماداً الراوية قدم ((على بلال بن أبي بردة البصرة وعند بلال ذو الرُّمة، فأنشده حمّاد شعراً مدحه به، فقال بلال لذي الرمّة كيف ترى هذا الشعر؟ قال جيداً وليس له، قال: فمن يقوله؟ قال: لا أدري إلاّ أنه لم يقله؛ فلمّا قضى بلال حوائجَ حمّاد وأجازه، قال له: إنّ لي إليك حاجة، قال: هي مقضيّة، قال أنت قلت ذلك الشعر؟ قال: لا؛ قال: فمن يقوله؟ قال: بعض شعراء الجاهلية، وهو شعر قديم وما يرويه غيره؛ قال: فمن أين علم ذو الرمّة؟ انه ليس من قولك؟ قال: عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام))[١٢٨٦].

وهذا يدل على أن قضية نحل الشعروسرقته من القضايا التي مسّت الشعر العربي وهذا الموقف يؤكد خبرة ذي الرمّة لطول مدارسته الشعر وممارسته له فذوقه المرهف أحدى السمات الرئيسة التي جعلته يميز بين شعر ما قبل الإسلام والشعر الإسلامي. ولحماد مواقف من هذا القبيل كثيرة تارة له وأخرى عليه منها انه انشد بلالاً قصيدة قالها ونحلها الحطيئة يمدح أبا موسى، فقال له قد علمت أن هذا شيء قلته أنت ونسبته إلى الحطيئة وإلا فهل كان يجوز آن يمدح الحطيئة أبا موسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه ولكن دعها تذهب في الناس وسيرهاحتى تشتهر))[١٢٨٧].

وقد يبدو الأثر في النصوص من خلال تكرار الصيغة نفسها في أبيات و في قصائد للشاعر نفسه أو لعدد من الشعراء، ويبدو ذلك التكرار واضحاً، وقد برزت صيغ

(١٢٨٤) الفرزدق بين المهلهل والمتنبي (مقال) مجلة اللغة العربية وآدابها العدد (١) السنة (١)، ١١.

(١٢٨٥)الفرزدق بين المهلهل والمتنبي (مقال) مجلة اللغة العربية وآدابها العدد (١) السنة (١)، ١١ .

(١٢٨٦) الأغاني ٩٧/٦-٩٨.

(١٢٨٧) م.ن ٩٨/٦وغضب بلال بن أبي بردة على حماد لأنه راوية الحطيئة

بعينها أخذت نصيب الأسد من التكرار، أبرزها: (ليت شعري)، (عفت الديار) (لمن الديار) (هل تعرف الأطلال)، (كأن القلب) (اقلي اللوم) وغير ذلك. ومن النماذج الشعرية التي تؤكد هذا التكرار قول مالك بن الريب الذي يلوعه الحنين إلى وطنه في غربته، إذ يقول:

الا ليت شعري هل أبيتانَّ ليلةً بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا

ولا ريب في أن مرارة السجن كان لها أثرها في نفس الشاعر السمهري الذي يقول:

ألا ليت شعري هل أزورنّ ساجراً وقد رويت ماء الغوادي وحلّتِ

بني أسد هل فيكم من هوادةٍ فتغفر إنّ كانت بي النعل زلّتِ

بينما لواعج الحب كما يبدو في قول جميل أشد مرارة من سابقاتها إذ يقول:

الا ليت شعري هل ابيتّن ليلةً كليلتنا حتى نرى ساطع الفجر

فيا ليتَ رَبيّ قدْ قضَى ذاكَ مرّةً فيَعْلَمُ رَبّي عِنْدَ ذلكَ مَا شُكري(١٢٨٨)

فقد تمثل التأثير والتأثر في تكرار (ليت شعري) في النصوص الثلاثة، فضلاً عن البحر العروضي (الطويل) والقافية المتواترة(١٢٨٩) والروي (يا) كل هذا يعد من مميزات تداخل النصوص وتعالقها.

ومثل ذلك التوارد النصّي ما نجده في نص توبة بن الحمير:

فلما دخلت الخدر اطّت نسوعه وأطراف عيدانٍ شديدٍ أسورُها

فارخت لنضاح القفا ذي منصّةٍ وذي سبرةٍ قد كان قِدماً يسيرها(١٢٩٠)

فهذا النص يذكرنا قول امرئ القيس:

ويوم دخلت الخدر خدرَ عنيزةٍ فقالت لك الويلات انك مرجلِ

فقالت وقد مالَ الغبيطُ بنا معاً عقرتَ بعيري يا امرأ القيس فانزلِ

فقلت لها سيري وارخي زمامه ولا تبعديني عن جناك المعللِ(١٢٩١)

فنجد ان عبارة (فلما دخلت الخدر) قد وجدت حيّزها في كلتا القصيدتين حين تأثر ابن الحميري بامرئ القيس ومثل ذلك قول الاخطل:

صحا القلب عن أروى وأقصر باطلُه وعاد له من حب أروى أخايلُه(١٢٩٢)

حيث نجد تأثره بنص زهير بن أبي سلمى:

صَحَا القلبُ عَنْ سَلمَى وأقصر باطله وعُرِّى أفراس الصِّبَا وَرَوَاحِلُه(١٢٩٣)

(١٢٨٨) ديوان مالك بن الريب ، وديوان السهري ضمن كتاب شعراء أمويون ٤١/١، ٤٣/١ديوان جميل بثينة ٥٣

(١٢٨٩) القافية المتواترة هي القافية التي يكون بين ساكنيها حرف متحرك واحد وهي مناسبة لايقاع مفاعلين، فاعلاتن، فعلاتن مفعولن (- -).

(١٢٩٠) ديوان توبة بن الحمير ٣٢ ونضاح القفا أراد أن ذفريه نضحنا بالعرق والذفرى من العرق خلف الأذن وهو أول ما يعرق من البعير .

(١٢٩١) ديوان امرئ القيس ١١.

(١٢٩٢) ديوان الأخطل ٢٣٧.

ومثل ذلك قول الشمردل اليربوعي:

طربـــت وذو الحلـــم قـــد يطـــربُ ولـــيس لعهـد الـصبا مطلـبُ[(١٢٩٤)]

فهذا البيت يذكرنا بقول الكميت:

طربـــتُ وهـــل بـــكِ مـــن مطـــربِ ولـــم تتـــصابَ ولـــم تلعـــب[(١٢٩٥)]

ويبدو أن ذلك التأثر له أسبابه الفنية والنفسية وكان الشاعر المتأثر قد وجد ضالته في القول السابق ووقع في نفسه فلفظتهُ أنفاسه الشعرية بين ثنيات كلماته ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة، إذ قال:

هيفـــاءُ لفّـــاء مَـــصْقُولٌ عوارضـــها تكـــــاد مـــــن ثقـــــلِ الأرْدَافِ تَنْبتِـــــرُ

فقد تأثر بقول الأعشى:

غـــرّاء فرعـــاءُ مـــصقولٌ عوارضُـــها تمـــشي الهُـــوينى كمـــا يمـــشي الـــوجي الوحلُ[(١٢٩٦)]

فجملة (مصقول عوارضا) تكررت في النصين.

وقد كان لبيت الأعشى اثره في قول الوليد بن يزيد

غـــــرّاء فرعـــــاء يستـــــضاء بهـــــا تمشي الهوينى إذا مشت فضلا[(١٢٩٧)]

فمعاني الأعشى والفاظه شاخصة في شعر الوليد.

ولعل هذا يقودنا إلى السرقة التي لم يسلم منها الخلفاء والولاة فقد بدت شاخصة في أشعارهم[(١٢٩٨)].

ومما لا ريب فيه أن الشعر الأموي قد تأثر بشعر ما قبل الإسلام ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة راسماً صورة المرأة:

كـــأن سَـــحِيقَ المِـــسْكِ خَـــالَطَ طعْمَـــهُ وَريـــحَ الخُزَامَـــى فـــي جَديـــدِ القرَنْفُـــل

قليلَـــةُ إزْعَـــاج الحَـــدِيثِ يَروعُهَـــا تَعَالي الضُّحى لم تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَصُّلِ

نـــؤومُ الـــضُّحى ممكـــورة الخلـــق غـــادةٌ هَضِيمَ الَحشَا حُسَّانَةَ المُتَجَّمل[(١٢٩٩)]

إن تلك الأبيات تقودنا إلى معلقة امرئ القيس التي قال فيها:

(١٢٩٣) ديوان زهير بن أبي سلمى ١٢٤.

(١٢٩٤) ديوان الشمردل البربوعي ضمن كتاب شعراء أمويون ٥١٧/٢.

(١٢٩٥) ديوان الكميت (الهاشميات) ٥١٢.

(٦) ديوان الاعشى ١٠٥، غراء: بيضاء، فرعاء: كثيرة الشعر طويلته. العوارض: ما يبدو من الأسنان عند الابتسام.

(١٢٩٧) ديوان الوليد بن يزيد ٩٠.

(١٢٩٨) ينظر: حلية المحاضرة ٤٣/١.

(١٢٩٩)ديوان عمر بن ابي ربيعة ٣٦٨-٣٦٩.

وتضحي فتيت المسك فوق فراشِها نؤم الضحى لم تنتطق عن تفضّلِ[1300]

فهذه النماذج أوضحت لنا ذلك التأثر، غير أن النقاد القدامى عدّوا ذلك مقياساً من المقاييس الفنية التي يحكون عن طريقها مدى إجادة الشاعر أو أساءته.

ولايعني أن التأثير والتأثر قد أقتصر على الشعر فحسب ، بل إن الأثر شمل النثر أيضاً وفي خطبة خالد بن عبد الله القسري خاصة،إذ قال: ((أيها الناس عليكم بالمعروف فأن الله لا يعدم فاعله جوازيه وما ضعفت الناس عن أدائه قوي الله على جزائه))[1] فقد أفاد هذا الخطيب من قول الحطيئة:

من يفعل الخير لايعدم جوازيه لايذهب العرف بين الله والناسِ

وقد اعتمد ابن عبدربه هذا النوع من الأخذ [2]

ونخلص من هذا إلى أن تطور الشعر في العصر الأموي قد أسهم في ظهور حركة نقدية مهمة تعددت مراكزها وشخصياتها وتنوعت اتجاهاتها ونزعاتها و صورها. وقد كان للخلفاء والأمراء أثرُ عظيم في ذلك فضلاً عن الشعراء والعلماء والإشراف وبعض العامة واللغويين والنحاة والرواة وغيرهم شأن يذكر في إنعاش الحركة النقدية. وقد خطا النقد فيها خطوات واسعة نحو الموضوعية ومحاولة إبراز الأحكام الأدبية في صورة مثلى تقبلها العقول وترتضيها الأذواق.

وفي الوقت نفسه فقد مال النقد في أغلبه إلى ذكر الأسباب والعلل التي بنيت عليها تلك الاحكام التي تعددت وتنوعت، وقد سلك فيها النقاد طرائق متباينة فمنهم من يميل إلى المفاضلة والموازنة بين الشعراء وقد أخذ شعراء النقائض(جرير والفرزدق والأخطل) وشعراء الغزل (عمر بن أبي ربيعة وجميل بثينة وكثير عزة لدى أكثر الناس النصيب الأكبر من ذلك النقد الذي توزع ما بين المعلل وغير المعلل. مع إدراكنا أن هذه المفاضلات والموازنات لم تلتزم صورتها السابقة (أشعر الناس، اشعر العرب...) فحسب بل التفتت إلى جوانب من الشعر لم يكن النقاد القدامى يعبئون بها فقد تنوع القول في الأغراض أو الحكم لأحدهم بانه زعيم الغزل أو أكثر أفانين الشعر وما إلى هنالك من أحكام نقدية معللة مبنية على أسس بيّنة وواضحة اشرنا لها في مواضعها.

وقد رأينا أن بعض الموازنات جاءت على صورة مفاضلة بين شاعر وآخر في قصيدة أو في قصائد معينة.

وقد كثر الحديث في هذا العصر عن السرقات الشعرية وعن اخذ الشعراء بعضهم عن بعض وقد بلغت حدّاً عند بعضهم إلى الأخذ غصباً وعنوة واغارة حتى

(١٣٠٠) ديوان امرئ القيس ١٥.

[4] العقد الفريد ١٩٠/١ والبيت في ديوان الحطيئة .

(٥) م.ن

جعلت بعضاً منهم يتنازل للآخر خوفاً وكان الفرزدق الفارس الأوّل للأخذ، فقد أخذ شعراً واضحاً من معاصريه.

واللافت للنظر في هذا العصر أن نقد الخلفاء والأمراء في هذا العصر اتجه إلى المفاضلة بين الشعراء والمعاني وتطرق إلى قدم التشابيه وعدم التجديد وقلّة الذوق، وعدم مطابقة الكلام لمقتضى الحال كما عاب عليهم عدم براعتهم في الاستهلال. وكذبهم في شعرهم وعالج موسيقى الشعر ونبو ألفاظه.

ويعد عبد الملك بن مروان الناقد الأوّل في عصر بني أمية فيما كان لابن أبي عتيق تميّز بين نقاد العصر الأموي في حين تفرد الفرزدق بسمات نقدية مهمة يشاطره في ذاك خصم اللدود جرير اشرنا إليها في مواضع البحث.

الخاتمة

الخاتمة

وبعد هذه الوقفات المفعمة بالحوار والتغلغل في عالم النقد الأدبي ونقد النص الأدبي على وجه الخصوص منذ عصر ماقبل الإسلام حتى نهاية العصر الأموي، أفْضَتْ هذه الدراسة إلى تبني بعض الرؤى والأفكار والتصورات وصولاً إلى رسم طريق الابداع الذي يقتضي أثره النتاج الأدبي . وهذا الإبداع يعيد تثمين النص على أسس جديدة ومعطيات بحثاً عن كوامنه الابداعية التي حققت له الحضور والاستمرار ومن ثم اعادة تقويم الجهود النقدية استناداً إلى النص نفسه ومدى أثره في هذه الجهود التي تبنّت بعض التصورات التي آلت معها إلى نتائج شكلت عمادها وغاياتها العلمية.

ولاغرو أن تأتي تلك التصورات والنتائج موزعة على فصول الرسالة ومباحثها.

وتجنّباً للتكرار والاطالة ارتأينا أن نوجز منها مايشكل أطراً عامة لتلك التصورات.

- حاول البحث أن يظهرَ ملامح نقدية تعليلية أكدت أن العربية في تلك العصور كانت تتمتع بحياة نقدية مهمة كان محورها نصوص الشعر العربي القديم.
- حفظت لنا مصادر الأدب العربي ونقده كثيراً من الآراء والأحكام النقدية المتداولة، وعلى الرغم من أولويتها فقد عكست لنا صورة جلية لحياة النقد العربي منذ بدايته الأولى حتى نهاية العصر الأموي. وقد كان للذوق العربي أثر فاعل في تعميق الصلة بين الأدب ونقده، أسهم في إظهار نشاط حركة نقدية في مرحلة البحث.
- فقد التمسنا ان النقد لم يتخلَّ عن الذوق في كثير من الأحكام التي توزّعت بين الذاتية والموضوعية التي تستند في جملتها إلى رؤية فنيّة وخبرة صحيحة بضروب القول في تلك المدة.
- بيّنت الدراسة طبيعة النقد السائد في عصر ماقبل الإسلام الذي كان مدار اعجاب النقاد القدامى بالبيت أو البيتين يقودهم ذلك إلى تفضيل قائلهما على الناس جميعاً ولذلك شاعت مثل هذه المصطلحات من دون تعليل أسباب لبعض منها وكأنها أحكام عامة مطلقة غير ان فيها مايعد النص محللاً ومعلل الأحكام.
- اما النقد في صدر الإسلام فقد كان في الغالب امتداداً للنقد في عصر ماقبل الإسلام، إذ اتسم في معظمه بالانطباعية وقلة الاعتماد على التحليل والتعليل، غير ان كثيراً من الأحكام وان لم تعلل فانها لم تطلق جزافاً، ولعل سكوت هؤلاء النقاد عن تعليل أحكامهم كان ناشئاً من وعي عصرهم وثقافته، وإيثارهم للإيجاز في مثل هذه المواقف لانهم كانوا يتوجهون باحكامهم النقدية إلى جيلاً يعي ما يقولون.
- لقد بيّنا فيما اسلفنا كيف نشأ النقد في عصر ماقبل الإسلام وكيف تطور في العصر نفسه ثم تابعنا كيف كان أكثر تطوراً في عصر صدر الإسلام وكيف تقدم وارتقى في عصر بني أمية، إذ نما وترعرع في بلاطات الخلفاء والولاة ومجالس الفقهاء

والعلماء والشعراء.. غير ان خلفاء بني أميّة اهتموا بالشعر اهتماماً كبيراً وشجّعوا على معرفته وحفظه، وروايته ونقده وكل هذا أصبح رافداً مهماً من روافد ثقافتهم الشعرية. وهذا الموقف التشجيعي جاء امتداداً لموقف الرسول ﷺ والخلفاء من بعده رضوان الله عليهم أجمعين للشعر والشعراء غير أن صدر الإسلام وقف من الشعر موقفاً طبيعياً فالشعر من حيث هو فن رفيع يعد من مقومات الحياة، وكان من الطبيعي أن ينصرف رسول الله ﷺ وصحابته عن الشعر الذي يناهض الدعوة ويعارضها وعن الشعر الماجن الذي لايتفق والفضائل النفسية.

- تناول هذا البحث قضايا مهمة تتصل بالشعر وعصوره ومسائله وقضاياه وقد شكلت لنا جهداً اضافياً وكادت تكون كل قضية موضع بحث مستقل وكان لزاماً على الباحث أن يعرض القضايا التي شغلت النقاد. ارتأى الباحث عرضها عرضاً تاريخياً وفنياً يمس صلب الموضوع لكل قضية وقد ناقشنا تلك القضايا بموضوعية وحاولنا الاهتداء إلى أو جه الحق فيه فيما رجحنا.

لقد شغلت المفاضلة حيّزاً كبيراً من مساحة البحث ونهج النقاد سبلاً متنوعة في تقويم النص فمنهم من فضّل شاعراً على آخر من دون تعليل أو تحليل ومنهم من ركّز على جانب واحد في النص كأن يكون المأخذ على الشعراء وآراء النقاد فيهم أو التركيز على الجانب اللغوي والنحوي ومنهم من ركّز على جانب الصياغة وقد تفاوتت الاراء في ذلك ، فمنهم من مال إلى اطلاق الأحكام العامة من دون تعليل ومنهم من ركّز على الملاحظات الجزئية كأن تكون حول فن من الفنون أو عن معنى من المعاني. وقد ركّز العصر الأموي على هذه القضية بدرجة رئيسة.

- لجأ النقاد إلى مقاييس متنوعة لتقديم شاعر أو شعراء وتتناسب هذه المقاييس مع أذواقهم وخبراتهم ومواقفهم الشعرية في الأعم الأغلب. وقد برز التعليل في أحكامهم منذ وقت مبكر وكان في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه أكثر رسوخاً في عصر صدر الإسلام.

والناقد عبد الملك بن مروان في العصر الأموي الذي كان بحق ناقداً فذّاً تمتع بذوق راق وقابلية بيانية فائقة فقد كان يحفظ الشعر ويرويه ويوضح جيده ورديئه بالتفاتات ذهنية وكان لايخفى عليه الشعر المسروق أو المنسوب.

كان فحول الشعراء (في العصور الثلاثة) أكثر تعرضاً من غيرهم للنقد إذ شارك في نقد أشعارهم كل من الرواة والشعراء والأدباء واللغويين والبلاغيين والنحاة وعلماء اللغة، واشراف القبائل وسادتهم، والخلفاء والولاة والأمراء حتى عامة الناس.

- اهتم الناقد العربي القديم بالشعر وشجع على معرفته وحفظه وروايته ونقده. وحسبت ان هذا الحفظ والتمثل يعدُّ رافداً مهماً من روافد ثقافتهم الشعرية.
- كان للمجالس الأدبية والنقدية في مختلف العصور أثرٌ فاعل لايقل أهمية عن الحفظ والتمثل في رفد تلك الثقافة، فضلاً عن الأسواق ولقاءات الشعراء، وقد أتينا بما يدلل على ذلك في موضعه.
- ناقشت الدراسة قضية السرقات الأدبية ولم تحد عن التسمية التي اعتمدتها مصادر الأدب العربي ونقده، ولا شك ان الدراسة اعتمدت الاراء التي بررت هذا المصطلح

من العيوب ورأت أن ما يسمى بالسرقة جزءا لا ينفصل من التأثير والتأثر والتعالق النصي أو التناص، فقد ظهرت بعض آثار النتاج الشعري للسلف في أشعارهم ولم يكن ذلك عيباً وبخاصة إذا حاول الشاعر منهم أن يكسو قوله أو قصيدته وصورته بألفاظ جديدة ويضيف إلى المعنى الذي أغار عليه أو الصورة التي راقت له بما تأثر به من حضارة ودين ورغد عيش فهذه كلها تدل على ثقافة الشاعر ومهارته في قراءة النصوص والإفادة منها.

- كما نجد ان النقد الأدبي نهاية العصر الأموي نما واتسع وأفاد من جهود اللغويين والنحاة والعروضيين والرواة ولم يقف فيما أفاد عند حدودهم ولم يقفو حياله عند حدود فنونهم، وأنه إلى هذا قد بدأ يتخلص من الاجمال والتعميم ويتجه في أغلبه الأعم إلى التفسير والتفضيل والتعليل وتظهر فيه ألوان من الاتجاهات تمخّضت عن أسس ومعايير جديدة.
- عالجت الدراسة موضوع المؤلفات وعرضت لآراء النقاد في القديم والحديث وتباين وجهات النظر حول تعليق قصائد بعينها على أستار الكعبة أو في الأذهان وبعد دراسة فاحصة وجدنا امر التعليق أساس نقدي مهم يويد من اهمية الدراسة وبعد التحقيق من الآراء رجحنا القول الذي يرى أن المعلقات قصائد نفيسة ومنتقاة من عيون الشعر العربي علقت على أستار الكعبة أو في الأذهان معاً.
- أكدت الدراسة ان (الحوليات) كانت عرضة للتنقيح والتثقيف وقد ازداد من قيمتها وصياغتها التي تعد حركة ذهنية لدى بعض شعراء عصر ما قبل الإسلام لإنها تعمل على ابرازه وإتقان بنية الشعر.
- وضعت هذه الدراسة حدّاً لبعض الآراء المتضاربة التي وقع فيها المستشرقون وبعض الباحثين العرب وتوخينا مناقشتها بموضوعية وحاولنا الرّد عليها مستعينين بآراء نقادنا القدامى فبعد أن أفضنا في الحديث عن قضية نحل الشعر وصحته رأينا أن الشعر العربي في عصر ما قبل الإسلام صحيح وموثوق به.
- أكدت الدراسة على قضية ضعف الشعر في عصر صدر الإسلام من الناحية الفنية فقط ورأت ان هذا امرا لا يحتاج جدال ولا نقاش ولا مراء.
- أثبتت هذه الدراسة تطور النقد العربي وذلك لانها اعتمدت على ماقاله النقاد العرب وانتهت بنا دراستنا لنشأة النقد العربي وتطوره إلى أنه نقد عربي خالص، فيه الأصالة العربية والتفكير العربي الحر، وأثبتت وجود وعي نقدي عربي منذ وقت مبكر مدللين على ذلك بأن الشعر العربي في عصر ماقبل الإسلام قد احتل مركز الصدارة من تاريخنا العربي تناولته من قبل يد النقد في التشذيب والتوجيه والتثقيف والتنقيح وغير ذلك. وقد أثبتنا ذلك فيما رجحنا. كما رجحت هذه الدراسة القول الذي اعتمد على تعليق المعلقات على جدار الكعبة لجودتها الفنية وهذا يدخل في إطار التنقيح.

وختاماً نقول: هذا ماستطعنا الوصول إليه سبيلاً وهو جهد جهيد وسخي ومارجونا منه إلاّ خدمة تراثنا الأدبي .

وحسبنا اننا اخلصنا للعمل واجهدنا أنفسنا كثيراً آملين الاقتراب من روح البحث العلمي وكماله، مع ادراكنا ان الانسان لايستطيع الوصول إليه في أي أمرٍ كان؛ لان الدراسات الأدبية أو النقدية لاتعرف الكلمة الاخيرة ولا القول الفصل، وماأحسن ماقاله العماد الاصفهاني: "إني رأيت انه لايكتبُ أحد كتاباً في يومه إلاّ قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم الصبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"فسبحان القائل جل شأنه﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[١٣٠١] وأسأله تعالى ان يوفقنا إلى مافيه الخير والتوفيق وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العلمين.

([١٣٠١]) سورة الشورى/١١.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، صديق بن حسن الفلنوجي (ت١٣٠٧هـ) ، تحقيق عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية .
- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، مطبعة الحلبي، مصر: الطبعة الثالثة، ١٩٥١م.
- أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، الدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٦١م.
- أخبار أبي تمام لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي (ت٣٣٥هـ)، تحقيق: خليل محمود عساكر، محمد عبده عزام، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت (د.ت).
- أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، بطرس البستاني دار مارون عبود بيروت ، ١٩٨٦م .
- أدب صدر الإسلام ، محمد عثمان علي ، دار الأوزاعي ، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- أدب الكاتب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٥٨م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب،لأبي عمر بن يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣) تحقيق وتعليق الشيخ علي حمد معّوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، قدم له وقرظة د.محمد عبد المنعم البري، د.جمعه طاهر النجار،دار الكتب العلميةبيروت لبنان الطبعةالثانية١٤٢٢-٢٠٠٢م
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين أبي الحسن ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ) تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود قدم له وقرظه الدكتور عبد المنعم البري، الدكتور عبد الوهاب أبو سنّة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأو لى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- أسرار البلاغة وعلم البيان عبد القاهر الجرجاني (ت٤٥٧هـ) نشره وعلق على حواشيه السيد محمد رشيد رضا، دار المنار بمصر الطبعة الرابعة ١٣٦٧هـ ١٩٦٩م.
- الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة، الدكتور عز الدين إسماعيل، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق-بغداد، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م.
- أسس النقد الأدبي عند العرب، الدكتور أحمد أحمد بدوي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٠م.
- الإسلام والشعر، الدكتور سامي مكي العاني، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٣م.
- الإسلام والشعر، يحيى الجبوري، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، مطبعة الارشاد، ١٩٦٤م.

- الأسلوب والأسلوبية، الدكتور عبد السلام المسدي، الدار العربية لكتاب ليبيا تونس، ١٩٧٧م.
- الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين ابي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ) ، راجع نصوصة وضبط أعلامه وخرج حديثة ومنها صدقي جميل العطار، دارالفكر الطبعة الأو لى ١٤٢١-٢٠٠١م.
- الأصمعي وجهوده في رواية الشعر العربي، إياد عبد المجيد إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، الطبعة الأو لى، ١٩٨٦م.
- أصول الشعر العربي ، مرجليوث ، ترجمة يحيى الجبوري مؤسسة الرسالة، الدوحة، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ -١٩٨١م .
- أصول نظرية نقد الشعر عند العرب ، الدكتور عناد غزوان ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣) تحقيق السيد أحمد صقر،دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م.
- الأغاني أبو الفرج الاصفهاني (ت٣٥٦هـ) شرح وكتب هوامشه الأستاذ سمير جابر دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، الطبعه الأو لى ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م .وطبعة دار الكتب المصرية (د.ت) .
- الأمالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت ٣٥٦هـ) مراجعة لجنة أحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الجيل بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- أمالي الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت٣٣٧هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٣٨٢هـ.
- أمالي المرتضى (عزر الفوائد ودرر القلائد) الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت٤٣٦هـ) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م.
- أمير الشعر في العصر القديم امرؤ القيس، محمد صالح سمك، مطبعة نهضة مصر، تقديم مصطفى صادق الرافعي (ب-ت).
- أنباء نجباء الأبناء، أبو عبد الله محمد بن ظفر الصقلي (ت)، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠م.
- أنساب الأشراف، أحمد بن جابر بن يحيى البلاذري ،(ت٢٩٧هـ)الجزء الثاني ،تحقيق محمد باقر المحمودي، بيروت مؤسسة الأعلمي الطبعة الأو لى ١٩٧٤م.
- البداية والنهاية ، لأبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين ، دار الكتب العلمية الطبعة الثالثة ١٩٨٧م.

- البديع ،عبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ)، اعتنى بنشره اغناطيوس كراتشقوفسكي، اعادة طبعة بالأو فسيت، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٧م.
- البديع في نقد الشعر،اسامة بن منقذ(ت ٥٨٤هـ)تحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي، والدكتور حامد عبد المجيد، مراجعة الأستاذ ابرهيم مصطفى، مطبعة البابي الحلبي القاهرة ١٢٨٠هـ-١٩٦٠م .
- البرهان في وجوه البيان ، أبو الحسن بن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب (ت٣٣٨هـ) ،تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي ،مطبعة العاني بغداد الطبعة الأولى ١٣٣٧هـ ١٩٦٧م .
- بغية الوعاة والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الأو لى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٤هـ/١٩٦٤م.
- البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع، الدكتور أحمد مطلوب دار الشؤون الثقافية بغداد الطبعة الأولى ١٩٨٦م .
- البلاغة عرض وتوجيه وتفسير ، الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمد شكري الالوسي، شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري، الطبعة الثانية، بغداد ١٩٢٤م.
- بهجة المجالس وأنس المجالس ، أبن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ) تحقيق مرسي الخولي دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨١م .
- بيئات نقد الشعر عند العرب من الجاهلية إلى العصر الحديث ، الدكتور إسماعيل الصيفي ، الكويت ،الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م .
- البيان والتبيين أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل- بيروت، (د.ت).
- تاج العروس، من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي،(ت ١٠٢٥هـ) مصر ،المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ.
- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان طبعة جديدة راجعها وعلّق عليها، الدكتور شوقي ضيف، (د.ت).
- تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار الثقافة، الطبعة السادسة والعشرون، بيروت- لبنان، (د.ت).
- تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، الدكتور ريجس بلاشير، ترجمة: الدكتور إبراهيم الجيلاني دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م.
- تاريخ الأدب العربي (في العصر الإسلامي)، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة مصر، الطبعة السابعة ١٩٩٤م.

- تاريخ الأدب العربي (في العصر الجاهلي)، السباعي بيومي، مطبعة العلوم، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة القاهرة، ١٩٤٨م.
- تاريخ دمشق ، أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ) -جزء خاص بتراجم العين المتلوة بالألف- تحقيق الدكتور شكري فيصل، مطبوعات المجمع العلمي العربي دمشق، ١٩٧٧م .
- تاريخ الرسل والملوك أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر، ١٩٧٩م.
- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، محمد نجيب البهبيتي، دار الكتاب العربي بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٦٧م.
- تاريخ العرب المطول، فيليب حتى، دار المكشوف بيروت ١٩٥١م.
- تاريخ عمر بن الخطاب ، ابن الجوزي ، طبعة مصر ، (د.ت) .
- تاريخ القصة والنقد في الأدب العربي ، السباعي بيومي ، مطبعة العلوم مصر الطبعة الأولى /١٩٥٦م .
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، الدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، طه أحمد إبراهيم، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجريين، الدكتور احسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.
- تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري، الدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف مصر، (د.ت).
- تاريخ اليعقوبي ، أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح ، (ت٢٨٤هـ) تقديم وتعليق محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية النجف الاشرف ١٩٦٤م.
- تجريد الآغاني، ياقوت الحموي بن واصل (ت٦٩٧هـ)، تحقيق. الدكتور طه حسين إبراهيم الأبياري، القاهرة مطبعة مصر، ١٩٥٥م.
- تحت راية القرآن، مصطفى صادق الرافعي، الطبعة السادسة، ١٩٦٦م.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصبع المصري (٦٥٤هـ) القاهرة، تحقيق حنفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٣٨٣هـ.
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، دار التنوير للطباعة، بيروت (د.ت).
- التحليل النقدي والجمالي للأدب، الدكتور عناد غزوان، بغداد ١٩٨٥م.
- التصوير البياني، محمد أحمد أبو موسى، مكتبة رهبة، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

- التطور والتجديد في الشعر الأموي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م.
- التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد السيد الجرجاني (ت٨١٦هـ) مطبعة مصطفي البابي الحلبي، ١٩٣٨م.
- تفسير القرآن الكريم للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) قدم له عبد القادر الأناؤوط طبعة جديدة منقحة مأخوذه من مخطوط دار الكتب ، دار الفيحاء ، دمشق دار السلام الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٩٨هـ ١٩٩٨م .
- التكملة لكتاب الصلة، للإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر، المعروف بابن الأبار (٦٥٩هـ) تحقيق عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة مصر، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
- تلخيص المفتاح في علوم البلاغة، الإمام القزويني (ت٧٣١هـ) شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- تهذيب تاريخ ابن عساكر (ت٦٧٥هـ)، تحقيق عبد القادر بدران، مطبعة الترقي ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٣٣٢هـ.
- تهذيب التهذيب، للامام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) تحقيق أحمد حكيم، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان الطبعة الثالثة ١٤١١هـ-١٩٩٣م.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرصافي والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعلق عليها محمد خلف الله، احمد محمد زغلول سلام، دار المعارف مصر، (د.ت).
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي (ت٤١٩هـ) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، شرح وتحقيق الأستاذ خليل شرف الدين، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان الطبعة الأو لى ١٩٩٩م.
- الجامع لأحكام القرآن ، الإمام أبو عبد الله بن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)،بيروت ، دار الكتب العلمية ١٩٨٨م.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، أبي عبد الله بن محمد بن فتوح بن عبد الله الحميري (ت٤٨٨هـ) تحقيق محمد بن تكوين الطبخي، مطبعة السعادة، مصر ١٩٥٣م.
- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد بن محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت٣٢٦هـ) شرح وتحقيق الأستاذ خليل شرف الدين، دار مكتبة الهلال، بيروت-لبنان، الطبعة الأو لى، ١٩٩٩م.
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهية، العصر الأموي أحمد زكي صفوت، دار الحداثة، الطبعة الأو لى.
- حداثة السؤال، محمد بنيس، دار التدوير للطباعة، الدار البيضاء ١٩٨٥م.

- حسان بن ثابت حياته وشعره، الدكتور احسان النص، دار الفكر الحديث بيروت ١٩٦٥م.
- حسان بن ثابت، محمد إبراهيم جمعة ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٥
- حسان بن ثابت ، الدكتور محمد طاهر درويش دار المعارف مصر(د.ت)
- حسن التوسل في صناعة الترسل ، الإمام الفاضل شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي الحنفي (ت٧٢٥هـ) تحقيق أكرم عثمان يوسف، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٠م.
- حلية الكميت في الآداب والنوادر والفكاهات المتعلقة بالخمريات لشمس الدين محمد بن الحسن النواجي (ت٨٥٩هـ) مصر ١٩٣٨م.
- حلية المحاضرة في صناعة الشعر، أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الهاشمي (٣٨٨هـ)تحقيق:محمد الكتاني وزارة الثقافة والاعلام،بغداد ١٩٧٩م.
- الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، أحمد محمد الحوفي نهضة مصر للطباعة ، الطبعة الرابعة ١٩٦٢م.
- الحيوان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٨م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) ،قدم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور محمد نبيل طريفي، إشراف الدكتور أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- الخصائص أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.
- الخطابة في صدر الإسلام ، الدكتور محمد طاهر درويش ، دار المعارف ١٩٦٥م.
- الخليفة عبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ)الناقد الأديب، الدكتور، خليل إبراهيم جفال،بيروت لبنان، دار النضال، الطبعة الأو لى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- خمس رسائل، الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) وآخرون الطبعة الأو لى المعارف الجليلة ١٣٠١هـ، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية- النجف الأشرف.
- دراسات بلاغية ونقدية، الدكتور أحمد مطلوب، دار الحرية بغداد ١٩٨٠م.
- دراسات في الأدب العربي، انعام الجندي، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت (د.ت).
- دراسات في الأدب المقارن التطبيقي ، الدكتور . داود سلوم، دار الشؤون الثقافية، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م.
- دراسات في النص الشعري، في (عصر صدر الإسلام وعصر بني أمية)، الدكتور عبده بدوي، الكويت منشورات ذات السلاسل، الطبعة الأو لى، ١٩٨٧م.

- دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى غاية القرن الثالث الهجري الدكتور بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٧٥م.
- دراسات في النقد الأدبي ، رشيد العبيدي، مطبعة المعارف بغداد، ١٩٦٩م.
- دراسات نقدية في الشعر العربي ، الدكتور بهجة عبدالغفور الحديثي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
- دراسات نقدية في الأدب العربي، الدكتور محمود عبد الله الجادر، الموصل، مطبعة دار الحكمة، ١٩٩٠م.
- دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي ، حسين مروة ، مكتبة المعارف بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- دراسات ونصوص في الأدب العربي، الدكتور محمد مصطفى هداره، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ١٩٨٥.
- دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر مطبعة المدني (د.ت).
- دور الأدب في الوعي القومي العربي (مجموعة من المؤلفين)، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت الطبعة الثالثة ، ١٩٨٤م .
- دينامية النص،محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٨٧م.
- ديوان* ابن ميادة _ (ت ١٤٩هـ) (شعر)، جمع وتحقيق محمد نايف الدليمي . مطبعة الجمهور الموصل ١٩٧٠.
- ديوان أبي دؤاد الأيادي (ت هـ) ضمن دراسات في الأدب العربي جوستاف فون غرونباوم، ترجمة الدكتور احسان عباس ، منشورات مكتبة الحياة بيروت، ١٩٥٩م.
- ديوان أبي دهبل الجمحي (ت٦٣هـ) ، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، مطبعة النجف، الطبعة الأو لى.
- ديوان أبي طالب بن عبد المطلب (ت ٢ ق هـ) صنعة أبي هفان المهزمي البصري (ت ٢٧٥هـ) ، وصنعة علي بن حمزة البصري التميمي (ت ٣٧٥هـ) تحقيق الشيخ محمد حسين آل ياسين ، دار ومكتبة الهلال ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- ديوان أبي قيس الأسلت الاوسي(ت١هـ) دراسة وجمع وتحقيق حسن حمد باجودة ،دار التراث العربي ، القاهرة ١٣٩١هـ .

---

* آثرنا ترتيب أسماء الشعراء ترتيباً هجائياً بعد كلمة ديوان مع الحرص على ذكر ما ورد منشوراً ضمن ديوان الشاعر مثل (شعر ...) جمع وتحقيق .... أو دراسة .... أو شرح ديوان .... إلى ما هنالك مما يتصدر الديوان بعد ذكر اسم الشاعر .

- ديوان أبي محجن الثقفي (ت ٣٠هـ) صنعه أبي هلال العسكري، (٣٩٥هـ)، نشره الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ-١٩٧٠م.
- ديوان أبي نواس (ت ١٩٩هـ) دار صادر بيروت الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- ديوان الأحوص الأنصاري(ت١٠٥هـ) تحقيق وشرح الدكتور سعيد ضناوي دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م .
- ديوان الأخطل (ت٩٠هـ) (شعر) صنعة السكري (ت هـ) روايته عن أبي جعفر بن حبيب، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار الفكر دمشق، الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ديوان إسماعيل بن يسّار(ت ١٣٠هـ) ،(شعر) ، الدكتور يوسف حسين بكّار، دار الأندلس الطبعة الأولى بيروت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- ديوان الأسود بن يعفر (ت هـ) صنعة نوري حمودي القيسي ، مديرية الثقافة ، بغداد ١٩٧٠م.
- ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس ت ٣هـ) تحقيق الدكتور محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب الجماميزت، المطبعة النموذجية مصر، ١٩٥٠م.
- ديوان الأغلب العجلي (ت ٢١ هـ) ، ضمن كتاب شعراء أمويون .
- ديوان الأفوه الأودي،(ت ٥٠ ق.هـ) شرح وتحقيق الدكتور محمد التونجي ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- ديوان الأقيشر الأسدي (ت ٨٠هـ) صنعة محمد علي وقة . دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م .
- ديوان امرئ القيس (ت٨٠ق.هـ) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر الطبعة الثانية ١٩٦٤م.
- ديوان أمية بن أبي الصلت (ت ٥ هـ) ، جمعه وحققه وشرحه الدكتور سجيع جيمل الجبيلي ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م .
- ديوان أوس بن حجر(٢ق .هـ) ، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، بيروت، دار صادر الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
- ديوان بشار بن برد (ت ١٦٧هـ) شرح حسين حموي دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
- ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي (ت٩٢ ق.هـ) قدم له وشرحه الدكتور صلاح الدين الهواري ، راجعه الدكتور ياسين الأيوبي ، دار و مكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م .
- ديوان توبة بن الحُميّر (ت ٥٠هـ) ، تحقيق خليل إبراهيم العطية، مطبعة الإرشاد بغداد (د.ت).

- ديـوان جريـر (ت ١١٠هــ) شـرح وتحقيـق إيليـا الحـاوي،/دار الكتـاب اللبنـاني، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٢م.
- ديوان جميل بثينة (ت٨٢هـ) تقديم وشرح وتعليق الدكتور محمد حمود، دار الفكر اللبناني، بيروت الطبعة الأو لى ١٩٩٨م.
- ديوان حاتم الطائي (ت٧٨ ق هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، ٢٠٠٢م .
- ديوان الحارث بن حلزة (ت٥٠ ق.هـ) ،إعداد وتقديم طلال بن حرب ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م .
- ديوان الحارث بن خالد المخزومي (ت ٨٠هـ) تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣-١٩٨٣ .
- ديوان حسّان بن ثابت (ت ٥٤ هـ) شرح وتحقيق سيد حنفي حسين، مراجعة حسن كامل الصيرفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- ديوان الحطيئة (جرول بن أوس ت٤٥هـ) شرح الدكتور يوسف عبد، دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ،١٤١٣هـ - ١٩٩٤م .
- ديـوان الحماسـة (شـرح) ، أبـي علـي أحمـد بـن محمـد بـن الحـسن المرزوقـي (ت٤٢١هـ) تحقيـق أحمـد أمـين عبـد الـسلام محمـد هـارون، مطبعـة لجنـة التـأليف، الترجمة والنشر القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.
- ديـوان حميـد بـن ثـور الهلالـي (ت٣٠ هــ) إشـراف الـدكتور محمـد يوسـف نجـم ، دارصادر بيروت ،الطعبة الأولى ١٩٩٥م .
- ديوان الخنساء (ت٢٤هـ)، بشرح ثعلب (ت٢٩١هـ) تحقيق الدكتور أنور أبي سويلم، الأردن عمّان، دار عمار، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- ديـوان دريـد ابـن الـصمة (ت٨ هــ) تحقيـق الـدكتور عمـر عبـد الرسـول ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٥م .
- ديـوان ذي الرمـة،(غيلان بـن عقبـة ت١١٧هــ) شـرح الإمـام أبـي نـصر أحمـد بـن حاتم الباهلي(ت هـ)،رواية الإمام أبي العباس بن ثعلب(ت٢٩١هـ)، تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- ديوان الراعي النميري (ت ٩٧هـ) ، (شعر) جمع وتحقيق الدكتور نوري حمود القيسي وهلال ناجي، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٠م.
- ديوان الزبرقـان بـن بـدر (ت٤٥هــ) (شـعر) تحقيـق ودراسـة سـعود محمـد عبـد الجابر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.
- ديـوان زهيـر بـن أبـي سـلمى (ت ١٣ق.هــ) (شـرح) ،صـنعه الإمـام أبـي العبـاس أحمد بن يحيـى بـن زيـد الـشيباني ثعلـب (ت٢٩١هــ)، نـسخة مـصورة عـن طبعـة دار الكتب الناشر، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- ديوان زهير بن جناب الكلبي (ت ٦٠ق هـ) ، صنعة الدكتور محمد شفيق البيطـار ، دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

- ديوان سحيم بن عبد بني الحسحاس (ت٤٠هـ) تحقيق عبد العزيز الميمني ،نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٩م – ١٩٥٠م .
- ديوان السمهري (ت هـ) ضمن كتاب شعراء أمويون .
- ديوان السموأل وعروه وحاتم ،تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٦ م.
- ديوان سويد بن أبي كاهل (ت٦٢هـ) ، جمع وتحقيق شاكر العاشور ، مراجعة محمد عباد المعيبد ساعدت على نشرة وزارة الإعلام العراقية ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢م.
- ديوان سويد بن كراع العكلي، ضمن كتاب عشرة شعراء مقلّون صنعة الدكتور حاتم الضامن، دار الحكمة للطباعة والنشر بغداد الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
- ديوان الشماخ بن ضرار (ت٢٢هـ)، تحقيق الدكتور صلاح الدين الهادي ، مصر ،دار المعارف ١٩٦٨.
- ديوان الشمردل اليربوعي (ت٨٠هـ) ،ضمن كتاب شعراء أمويون .
- ديوان طرفة بن العبد (ت٥٦٤م) تقديم وشرح وتعليق الدكتور محمد حمود، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأو لى ١٩٩٥م.
- ديوان الطرماح (ت١٢٤هـ) ، تحقيق الدكتور عزه حسن، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
- ديوان عامر بن الطفيل (ت١١هـ) ، تحقيق ودراسة أنور أبي سويلم ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ١٩٩٦م .
- ديوان العباس بن مرداس السلمي، جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري، بغداد دار الجمهورية، ١٩٦٨م.
- ديوان عبد الرحمن بن حسان (ت١٠٤هـ) جمعه وحققه سامي مكي العاني ، بغداد الطبعة الأولى ، ١٩٧١م .
- ديوان عبده بن الطبيب (ت١٣هـ) ، (شعر) جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري، بيروت، دار التربية للطباعة والنشر ١٩٧٢م.
- ديوان عبد الصمد بن المعذل (ت ٢٤٠هـ) حققه وقدم له الدكتور زهير غازي زاهد ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م .
- ديوان عبد الله بن رواحة الانصاري الخزرجي(ت ٨هـ) ، تحقيق الدكتور حسن محمد باجودة، مكتبة دار التراث القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٧٢م.
- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م.
- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات(ت ٧٥هـ) ، شرح وتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، بيروت دار صادر للطباعة والنشر ١٩٩٨م.

- ديوان العجاج (ت٩٠هـ)، قدم له وحققه الدكتور سعيد ضناوي ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ٦٧.
- ديوان عدي بن الرقاع العاملي (ت٣٥هـ) (برواية ثعلب) تحقيق الدكتور نوري القيسي والدكتور حاتم الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد، ١٤٠٧-١٩٨٧م
- ديوان عدي بن زيد العبادي (ت٥٩٠م)، تحقيق محمد جبار المعيبد، بغداد، ١٩٥٦م.
- ديوان عروة بن أذينة (ت ١٣٠هـ) ، (شعر) ، يحيى الجبوري، دار القلم الكويت الطبعة الثانية ١٤٠١-١٩٨١
- ديوان عروة بن حزام (ت ٣٠ هـ) جمع وتحقيق وشرح أنطوان محسن القوال ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .
- ديوان عروة بن الورد (ت٣٠ق. هـ) ، شرحه وقدم له ووضع فهارسه الدكتور سعدي ضناوي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .
- ديوان علقمة بن عبده التميمي (ت٢٠هـ)، تحقيق لطفي الصقال ودريه الحطيب، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧٥م.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة (ت٩٣هـ)، (شرح) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الاندلس (د.ت).
- ديوان عمر بن لجأ التميمي (ت ١٠٥هـ) ،(شعر) الدكتور يحيى الجبوري ، طبعة جامعة بغداد ، الطبعة الأولى ١٩٧٦م .
- ديوان عمرو بن الأطنابة (ت هـ) ،(شعر) جمع وتحقيق حميد آدم ثويني ، مجلة المورد ، م/ ١٤ العدد الثاني سنة ١٩٨٥م .
- ديوان عمرو بن كلثوم (ت ٤٠ ق.هـ) صنعة الدكتور علي أبي زيد، طبعة دار سعد الدين، الطبعة الأو لى ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- ديوان عنتره (ت٢٢ق.هـ) ومعلقته قام بتحقيقه: شرحاً وتقييما وتحديثاً، خليل شرف الدين، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٧م.
- ديوان الفرزدق (ت١١٠هـ) شرحه وضبطه وقدم له علي خريس، منشورات الاعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ديوان القطامي (ت١٣٠هـ)، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأو لى ١٩٦٠م.
- ديوان قيس بن الخطيم (ت ٢ق.هـ) تحقيق ناصر الدين الأسد دار صادر بيروت الطبعة الثانية ،١٩٦٧م .
- ديوان قيس بن ذريح (ت ٨٠ هـ) تحقيق عزة حسن ، دار مصر للطباعة (د . ت) .
- ديوان كثير عزة (١٠٥هـ) شرح قدري مايو، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأو لى ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

- ديوان كعب بن زهير (ت٢٦هـ) صنعة الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين العسكري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور حنا نصر الحِتّي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأو لى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ديوان الكميت بن زيد الأسدي (ت ١٢٦هـ) جمع وشرح وتحقيق الدكتور محمد نبيل طريفي ، صادر بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م .
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري(ت ٤٠هـ) (شرح) تحقيق الدكتور احسان عباس، الكويت ١٩٦٢م.
- ديوان ليلى الأخيلية (ت٨٠ هـ) تحقيق وشرح الدكتور واضح الصمد، دار صادر، بيروت، الطبعة الأو لى ١٩٩٨م.
- ديوان مالك بن الريب التميمي (ت٦٠هـ) ضمن كتاب شعراء أمويون.
- ديوان مالك ومتمم إبنا نويرة اليربوعي (ت١٢، ٣٠هـ) ، إبتسام مرهون الصفار ، مطبعة الإرشاد بغداد ١٩٦٨م.
- ديوان المتلمس الضبعي (ت ٥٠ ق.هـ) رواية الاشتر (ت هـ) وأبي عبيده (ت ٢٠٩هـ) والأصمعي(ت ٢١٦هـ) ، شرح وتحقيق محمد التونجي ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م
- ديوان المثقب العبدي (ت ٣٥ق.هـ) ، (شرح)، جمع وتحقيق الدكتور حسن حمد ، دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦م .
- ديوان مجنون ليلى(ت ٦٨هـ) ، شرح عدنان زكي درويش، دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ديوان مروان بن أبي حفصة (ت ١٨٢هـ) جمعه وقدم له وحققه الدكتور حسين عطوان ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ١٩٨٢م .
- ديوان مزاحم بن حارث العقيلي (ت ١٢٠ هـ) تحقيق كرنكو ، ليدن ١٩٢٠م .
- ديوان مزرّد بن ضرار (ت ٣٠هـ) تحقيق الدكتور خليل إبراهيم العطية ، قدم له محمد رضى الشبيبي مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٦٢م .
- ديوان المسيب بن علس (ت) (حياته وشعره) تحقيق الدكتور أيهم عباس محمود ، مجلة المورد ، المجلد العشرون العدد الأول ١٩٩٢م بغداد.
- ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) شرحه وضبط نصّه أحمد بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأو لى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ديوان معن بن أوس المزني (ت٦٤هـ) ، صنعة الدكتور نوري القيسي، والدكتور حاتم الضامن، دار الجاحظ بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.
- ديون المهلهل ، تحقيق نافع منجل شاهين ضمن دراسة المهلهل بن ربيعة التغلبي حياته وشعره ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة المستنصريه ١٩٨٦
- ديوان النابغة الذبياني،(ت٦٠٤م) ، صنعة إبن السكيت (ت٢٢٤هـ) تحقيق الدكتور شكري فيصل، دار الفكر، الطبعة الأولى.
- ديوان النابغة الجعدي (ت ٥٠هـ) (شعر) نشر المكتب الإسلامي دمشق ١٩٦٤م .

- ديوان النجاشي (ت٤٠ هـ) صنعة وتحقيق صالح البكار ، الطبيب العشاش ، سعد غراب ، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤١٩ – ١٩٩٩ .
- ديوان نصيب بن رباح (ت ١٠٨هـ)(شعر) جمع وتحقيق الدكتور داود سلوم، مطبعة الارشاد بغداد ١٩٦٨م.
- ديوان النمر بن تولب العكيلي (ت ٥٧هـ) جمع وشرح وتحقيق نبيل طريفي ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- ديوان الهذليين، تحقيق أحمد الزين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥م.
- ديوان الوليد بن يزيد(ت٦٩هـ) تحقيق الدكتور حسين عطوان دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- ديوان يزيد بن الطثرية (ت١٢٦هـ) (شعر) صنعة حاتم الضامن، دار التربية للطباعة ، مطبعة اسعد بغداد .
- ديوان يزيد بن مفرغ الحميري (ت١٣٠هـ) ، جمعه وحققه عبد القدوس أبو صالح ، مؤسسة الرسالة الدوحة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت الطبعة الأو لى ١٤١١هـ١٩٩١م)
- رسالة التربيع والتدوير، الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) تحقيق شارل (د.ت) ، دمشق ١٩٥٥م .
- رسالة الغفران، أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) ، شرح وتحقيق الدكتور علي شلق، دار القلم بيروت، لبنان.
- الرسالة الموُضِحة، أبو علي الحاتمي(ت ٣٨٨هـ) ، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.
- الروض الأنفُ، أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي الحسن الخثعمي (السهيلي) (ت٥٨١هـ)، قدم له وعلق علية طه عبد الرؤوف دار الفكر بيروت لبنان ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م .
- زهر الآداب وثمر الالباب أبو اسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت٤٥٣هـ) مفصل ومضبوط الدكتور زكي مبارك وزاد في تحقيقه محييّ الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت الطبعة الرابعة.
- الزهرة، أبو بكر محمد بن دأو د الاصفهاني (ت٢٩٧هـ) تحقيق إبراهيم السامرائي والدكتور نوري القيسي، بغداد، دار الحرية للطباعة ١٩٧٤م.
- الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، الشيخ أبي حاتم بن حمدان الرازي (ت٣٢٢هـ) عارضه بأصوله وعلق عليه حسين بن فيض الله الهمداني اليعربي الحرازي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ١٩٩٤م.
- السراج المنير، شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني، مصر، طبعة بولاق، د.ت.

- سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت٤٦٦هـ) دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة الأو لى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- السرقات الأدبية ، دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها الدكتور بدوي طبانه، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ١٩٥٦م.
- سمط اللالئ، أبو عبيدة البكري (٤٨٧هـ)، تحقيق عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر مصر ١٩٣٦م.
- سنن ابن ماجة ، الأمام الحافظ أبو عبد الله المعروف بأبن ماجة (ت) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار أحياء التراث العربي بيروت .
- سنن أبي داود، الإمام الحافظ أبو داود سليمان السجستاني الازدي (ت٢٧٥هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر بيروت (د.ت).
- سنن البيهقي الكبرى، الإمام أحمد بن الحسين بن على بن موسى أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ) تحقيق محمد عبد القادرعطا،مكتبة دار الباز،مكة المكرمة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م
- السيرة النبوية ، أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت٢١٨هـ) تقديم ومراجعة صدقي جميل العطار باشراف مكتب البحوث والدراسات دار الفكر دمشق الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- الشاعر الإسلامي تحت نظام سلطة الخلافة، الدكتور داود سلوم، مطبعة تمتم بيروت، ١٩٧٨م.
- شرح شواهد المغني، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق أحمد ظافر كوجان لجنة التراث العربي ١٩٦٦م
- شرح القصائد التسع المشهورات صنعة ابن النحاس أبي جعفر أحمد بن محمد (٣٣٨هـ)، تحقيق أحمد خطاب عمر، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٣م.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ابن الانباري أبو بكر محمد بن القاسم (ت٣٢٨هـ)، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤م.
- شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي (ت٥٠٢هـ) تحقيق فخر الدين قباوة، منشورات دار الجريدة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
- شرح الكافية رضي الدين الاستربادي (ت٦٨٨هـ) دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان (د.ت).
- شرح المعلقات العشر، الدكتور مفيد قميحة، دار مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأو لى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد (ت٦٦٥هـ) ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مصر ، مطبعة عيسى البابا الحلبي ١٩٦٣م.
- شعراء أمويون (جمع ودراسة) الدكتور نوري حمودي القيسي، مطبعة المجمع العلمي، العراق بغداد ١٩٨٣م.

- شعراء الدعوة الإسلامية، أحمد عبد النبي الجذع.
- شعرا أوس بن حجر ورواته الجاهليين (دراسة تحليلية) الدكتور محمود عبد الله الجادر ، دار الرسالة للطباعة بغداد ١٩٧٩م .
- شعراء الرسول ﷺ، وليد الأعظمي، بغداد، المصطفى للتأليف والنشر ١٩٩٠م.
- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، الدكتور يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة الدوحة، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- الشعر الجاهلي والرد عليه ، محمد حسين ، مطبوعات مكتبة الشباب مصر.
- شعر الخوارج، جمع احسان عباس، دار الثقافة بيروت ١٩٦٢م.
- الشعر العربي بين الجمود والتطور، الدكتور محمد عبد العزيز الكفراو ي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، الطبعة الثانية، ١٩٥٨م.
- شعر الفتوح الإسلامي في صدر الإسلام، النعمان عبد المتعال القاضي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥م.
- الشعراء نقاداً، الدكتور عبد الجبار المطلبي، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية بغداد، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م.
- الشعر والشعراء لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- الشعراء ونقد الشعر (منذ الجاهلية حتى نهاية القرن الرابع الهجري) الدكتورة هند حسين طه، مطبعة الجامعة بغداد، الطبعة الأو لى، ١٩٨٦م.
- صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، أبو العباس أحمد بن علي للقلقشندي (ت٨٢١هـ) طبعة مصورة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٠م.
- الصحاح ،إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت٣٩٨هـ) تحقيق أحمد عبد الغفور عطارد القاهرة ١٩٥٦م.
- صحيح ابن حيّان،الإمام محمد ابن حيّان أبو حاتم التميمي البستي (٣٥٤) تحقيق شعيب الأرنؤوط، موسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الثانية . ١٤١٤هـ-١٩٩٣م
- صحيح البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ) تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغاءدار ابن كثير اليمامة بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- صحيح مسلم، الإمام مسلم النيسابوري (ت ٢٦١هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربية، ١٩٥٤م.
- طبقات الشافعية الكبرى شيخ الإسلام، تاج الدين أبي نصر عبدالوهاب ابن تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ) تحقيق محمود محمد الطناحي و عبدالفتاح محمد الحلو ، البابي الحلبي الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ ١٩٦٤ – ١٩٦٥م) .
- طبقات الشعراء ابن المعتز (ت٢٩٦هـ)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، ١٩٥٦م.

- طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ، مع مقدمة تحليلية للكتاب دراسة نقدية منذ الجاهلية إلى عصر بن سلام ، اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت .
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، بمصر، ١٩٨٠م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، وعلوم حقائق الاعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.
- طه حسين كما يعرفه كتاب عصره شوقي ضيف وآخرون، دار الهلال بيروت (د.ت ٤٠٥).
- ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث، الدكتور علوي الهاشمي (كتاب الرياض) العدد (٥٢ - ٥٣)، ابريل – مايو ١٩٩٨.
- ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، محمد بنيس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.
- العقد الفريد لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي(ت٣٣٣هـ) ، شرح وتصحيح، أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسين بن رشيق القيرواني الازدي (ت٤٥٦هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة- بيروت لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢م.
- عيار الشعر، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، (ت٣٢٢هـ) تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، مطبعة التقدم عبد القادر محمد التوني، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م.
- عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٨هـ-١٩٣٠م.
- عيون مضيئة، أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٢م.
- فائدة الشعر وفائدة النقد ، ت. س أليوت ، ترجمة الدكتور يوسف نور عوض ، دار القلم بيروت ، ١٩٨٣م.
- الفائق في غريب الحديث والأثر ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر .
- الفاضل، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الكتب المصرية، الطبعة الأو لى القاهرة ١٩٥٦م.
- فتح القدير، الإمام محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٥هـ) تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

- فحولة الشعراء عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت٢١٦هـ) تحقيق نوري، دار الكتب الجديد، الطبعة الأو لى، ١٩٧١م.
- الفرج بعد الشدة لأبي علي المحسن بن أبي القاسم التنوخي (ت٣٨٤هـ) مكتبة الخانجي مصر، الطبعة الأو لى ١٩٥٥م.
- فصول في النقد العربي وقضاياه ،محمد خير شيخ موسى ، دار الثقافة الدار البيضاء الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف الطبعة السابعة، ١٩٦٩م.
- الفهرست، ابن النديم محمد ابن اسحاق (ت٣٨٠هـ)، التجارية الطبعة الأولى القاهرة .
- فوات الوفيات محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) تحقيق الدكتور أحسان عباس ،دار صادر بيروت ١٩٧٣م .
- في الأدب والنقد، الدكتور محمد مندور، دار النهضة مصر- القاهرة، ١٩٧٣م.
- في الأدب الجاهلي، الدكتور طه حسين، مصر ١٩٢٧م.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المؤسسة الحديثة للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٧م.
- في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية ، الدكتور طه الحاجري، مطبعة رؤيال الاسكندرية ١٩٥٣م.
- في الشعر الإسلامي والأموي، عبد القادر القط، دار النهضة العربية للطباعة بيروت، ١٩٨٧م.
- في الشعر والنقد ، منيف موسى ، دار الفكر اللبناني بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.
- في النقد الأدبي ، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية ١٩٦٦م.
- في النقد الأدبي ، الدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ-١٩٧٢م.
- في النقد العربي القديم أعلامه واتجاهاته، الدكتور العربي حسن درويش، مطبعة الفجالة مصر (د.ت).
- في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب ، الدكتور خالد يوسف ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع تونس الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م
- القاموس المحيط، الفيروز أبادي، (ت٨٧١هـ) مطبعة دار المأمون بغداد الطبعة الرابعة ١٩٣٨م.
- قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، ابن رشيق القيرواني تحقيق الشاذلي بويجي تونس ١٩٧٨م.

- قصص العرب ، محمد أحمد عبد المولى وعلي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة جديدة ١٣٩١هـ ١٩٧١م .
- قضايا الشعر في النقد العربي الدكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد، دار العودة، بيروت الطبعة الثانية ١٩٨١م
- قضايا في الأدب والنقد، الدكتور محمد مندور، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٢م .
- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، الدكتور محمد زكي العشماوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨م.
- قضايا جديدة لأدبنا الحديث د. محمد مندور بيروت دار الأداب ١٩٥٨م.
- قضية الإسلام والشعر، ادريس الناقوري، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية بغداد، دار النشر المغربية، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
- القوافي أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (ت٢١٥هـ) تحقيق عزة حسن، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم دمشق ١٩٧٠م.
- قيم جديدة لأدبنا العربي القديم والمعاصر، عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ، معهد البحوث والدراسات العربية مصر ١٣٨٦هـ-١٩٦٣م.
- كافوريات المتنبي، دراسة تاريخية وفنية، الدكتور علي كاظم أسد دار الضياء، النجف الأشرف العراق ٢٠٠٢م.
- الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الأثير (ت٦٣٢هـ) طبعة دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م (د.ت).
- الكامل في اللغة والأدب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ)، حققه وشرحه وضبط فهارسه، حنّا الفاخوري، دار الجيل بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- كتاب الرسول (ص) ، سعيد حوى مطبعة المدنية ، دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري (ت٣٨٥هـ) تحقيق الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأو يل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ) رتبة وصححه محمد عبدالسلام شاهين دار الكتب العلمية، بيروت (الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
- كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب لضياء الدين ابن الاثير (ت٦٣٧هـ) تحقيق الدكتور نوري القيسي والدكتور حاتم الضامن وهلال ناجي، الموصل ١٩٨٢م.

- كنز العمال من سنن الاقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام (ت ٩٧٥هـ)، ضبطه وفسر غريبه صفوت السقا، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٩٧٩م.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر بيروت (د.ت).
- المؤتلف والمختلف، الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي (ت٣٧٠هـ) تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار احياء الكتب العربية، علي البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦١م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الاثير (ت٦٣٧هـ) تحقيق الدكتور أحمد الحوفي. الدكتور بدوي طبانه، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة (د.ت).
- مجالس العلماء، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت٣٤٠هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
- مجمع الأمثال أبو الفضل احمد بن محمد الميداني (ت٥١٨هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية مصر ١٩٥٥م.
- مجموع أشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج (ت١٤٥هـ) ، اعتنى بتصحيحه وليم بن الورد العبوسي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.
- المحاسن والمساويء، الشيخ إبراهيم بن محمد البيهقي (المتوفي في القرن الخامس الهجري) ، دار صادر بيروت ١٩٦٠م.
- مختار الأغاني،ابن منظورالأنصاري ، تحقيق الدكتور حسين نصّار، دار احياء الكتب العربية القاهرة، ١٩٦٦م.
- مختصر تفسير ابن كثير ، أختصار وتحقيق محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م .
- المذاكرة في ألقاب الشعراء ، أبو المستجد اسعد بن إبراهيم الشيباني المعروف بمجد الدين الشيباني الكاتب (ت٦٥٧هـ) تحقيق شاكر العاشور ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .
- المرأة في أفق الأدب العربي، الدكتور داود سلوم، دار السطور، بغداد ٢٠٠٢-١٤٢٣هـ.
- المرأة في الشعر الجاهلي، الدكتور علي الهاشمي، مطبعة دار المعارف، بغداد، ١٩٦٤.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ) تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت-لبنان، الطبعة الأو لى، ١٩٨٩م.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تحقيق محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، القاهرة، الطبعة الثالثة، (د.ت).
المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥ هـ) تحقيق محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأو لى ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل بن أبي عبدالله الشيباني (ت٢٤١هـ) مؤسسة قرطبة ،مصر.
- مشكلة السرقات في النقد العربي، محمد مصطفى هداره، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٨م.
- المضامين الدينية والتراثية في شعر اليمن الحديث ،فضل ناصر مكوع(أبوكمال) دار الضياء ، النجف الأشرف الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م
- معارك أدبية قديمة ومعاصرة، عبد اللطيف شراره، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأو لى، ١٩٨٤م.
- معاهد التنصيص ، عبد الرحيم العباسي (ت٩٦٣هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد مطبعة السعادة مصر ١٩٤٧م.
- معجم الأدباء، شهاب الدين ياقوت أبوعبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ) تحقيق الدكتور س. مرجليوت، مطبعة هندية بالموسكي، مصر ١٩٢٤م.
- معجم البلدان، شهاب الدين أبوعبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت٦٢٦هـ) دار صادر، بيروت ١٩٧٧م.
- معجم الشعراء أبي عبد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت٣٨٤هـ) تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٠م.
- المعجم الكبير،سلمان بن أحمد أيوب أبو القاسم الطبرني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي ،مكتبة العلوم والحكم الموصل، الطبعة الثانية ،١٤٠٤هـ-١٩٨٢م.
- معجم مااستعجم، أبو عبيد بن عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت٤٨٧هـ) لجنة التاليف مصر، طبعة مصطفى السقا، ١٩٤٥م.
- المعلقات سيرة وتاريخاً ، نجيب محمد البهبيتي ،دار الثقافة، الدار البيضاء مغرب، الطبعة الأولى ١٩٨٢م.
- معلقات العرب دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي، الدكتور بدوي طبانه، دار الثقافة، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٧٤م.
- مفاهيم في الأدب والنقد، حكمت علي الآلوسي، دار النهضة العربية القاهرة (١٩٧٦-١٩٧٧م).

- المغازي، محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ) تحقيق الدكتور مارستدن جوس، مطبعة جامعة أو كسفورد لندن ١٩٦٦م.
- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (٢٢٦هـ) ،تحقيق كرم عثمان يوسف، مطبعة الرسالة بغداد، الطبعة الأو لى، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- المفضليات، المفضل الضبي (ت١٧٨هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤م.
- مقالات في تاريخ النقد العربي الدكتور داود سلوم ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ١٩٨١م.
- مقدمة العلامة أبن خلدون، عبد الرحمن محمد ابن خلدون (ت٨٠٨هـ)، منشورات دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٩٩٦م.
- ملامح في التراث العربي النقدي، الدكتور محمود الجادر، سلسلة الموسوعة الصغيرة، منشورات دار الجاحظ، بغداد ١٩١٣م.
- من بلاغة النظم العربي ، الدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفه ، عالم الكتب بيروت ، ١٩٨٤م .
- المنثور والمنظوم ، القصائد المفردات التي لامثيل لها ، ابو الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور (ت٢٨٠هـ) تحقيق الدكتور محسن غياض ، منشورات عويدات بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٧م
- من قضايا الشعر الجاهلي، الدكتور محمد أبو الأنوار، دار وهدان للطباعة.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ)، تقديم وتحقيق محمد بن الحبيب بن الخوجة، تونس دار الكتب الشرقية ١٩٦٦م.
- الموازنة بين أبي تمام والبحتري (ت ٢٣٢، ٢٨٤هـ) ، الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي (ت٣٧٠هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، بيروت-لبنان (د.ت).
- الموازنة بين الشعراء، الدكتور زكي مبارك، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، الطبعة الثالثة١٩٣٦م.
- مواقف في الأدب والنقد ، الدكتور عبدالجبار المطلبي، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٣م.
- الموشح لأبي عبد الله المرزباني (ت٣٨٤هـ) تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر ١٩٦٥م.
- موطا الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي (١٧٩هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار احياء التراث العربي مصر
- النثر الفني في القرن الرابع، الدكتور زكي مبارك، مطبعة السعادة، الطبعة الثانية مصر، ١٩٣٤م.

- النص السلطة الحقيقية، الدكتور نصر حامد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأو لى ١٩٠٥م.
- نصوص من الشعر الإسلامي والأموي ، الدكتور إحسان النص، دار الفكر بيروت، ١٩٧٥م .
- نصيحة الملوك ، ابو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ) تحقيق حمد جاسم الحديثي دار الشؤون الثقافية ١٩٨٦م.
- نضرة الأغريض في نصرة القريض، المظفر بن الفضل العلوي (ت٦٥٦هـ) ،تحقيق الدكتور نهى عارف الحسن، دمشق، مطبعة طربيت ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- النظرية النقدية عند العرب من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الدكتورة هند طه حسين، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية ١٩٨١م.
- نقائض جرير والفرزدق، نسخة مصورة بالأو فسيت عن طبعة لندن ١٩٠٥م، مكتبة المثنى بغداد (د.ت).
- نقض كتاب في الشعر الجاهلي، الشيخ محمد الخضر حسين، المطبعة السلفية، مصر، الطبعة الأو لى، ١٩٢٧م.
- النقد الأدبي ، أحمد أمين، مطابع دار الغندور، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م .
- النقد الأدبي الدكتورة سهير القلماوي ، مركز الكتب العربية القاهرة، ١٩٨٨م .
- النقد الأدبي ، كارلوني وفيللو ، ترجمة كيتي سالم ، منشورات عويدات ، بيروت ١٩٧٣م.
- النقد الأدبي اصوله ومناهجه ، سيد قطب ، دار الفكر العربي بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٥٤م.
- النقد الأدبي الحديث ، الدكتور محمد غنيمي هلال ، دار العودة ، دار الثقافة بيروت ،١٩٧٣م.
- النقد الأدبي عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، الدكتور محمد طاهر درويش، المكتبة المركزية جامعة بغداد ١٩٧٩م.
- النقد الأدبي في كتاب الأغاني، الدكتور وليد محمد خالص، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- النقد التحليلي، الدكتور محمد أحمد القمراوي، المطبعة السلفية القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٢٩م.
- نقد الشعر قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الأولى (د.ت).
- النقد العربي القديم بين التأليف والاستقراء، الدكتور داود سلوم، مكتبة الأندلس، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٧٠م.

- النقد عند اللغويين في القرن الثاني الهجري، سنيّة أحمد محمد، دار الرسالة للطباعة، بغداد ١٩٧٧م.
- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، الدكتور نعمة رحيم العزاوي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٨م.
- النقد المنهجي عند العرب ، د. محمد مندور ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٩٦٠ م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٣هـ) ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة وزارة الثقافة والارشاد القومي والمؤسسة المصرية العامة.
- النهاية في غريب الحديث والاثر ، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق ، طاهر أحمد الزاوي) ومحمود محمد الطناجي مصر ١٩٦٣م.
- نوادر المخطوطات، أمية بن عبد العزيز وآخرون، تحقيق عبد السلام محمد هارون، لجنة التأليف مصر، ١٣٧٠هـ.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت٣٩٢هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي ١٩٦٦م.
- وفيات الأعيان، لأبي عباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ) تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر بيروت (د.ت).

الرسائل الجامعية

- الاتجاهات الفنيه في رواية الشعر الجاهلي (أطروحة دكتوراة، على الآلة الكاتبة) صالح محمد صالح الصايلي، كلية الآداب جامعة المستنصرية ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- التأصيل النقدي لفنية شعر ماقبل الإسلام (أطروحة دكتوراه، على الآلة الكاتبة)عبد القادر علي باعيسى كلية الآداب جامعة الموصل ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م .
- زهير بن أبي سلمى بين ناقديه في القديم والحديث (رسالة ماجستير، على الآلة الكاتبة) عدوية حياوي الشبلي، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- سلطة النص الشعري في المنظور النقدي والأدبي حتى نهاية القرن الخامس الهجري (أطروحة دكتوراة، على الآلة الكاتبة) إنعام فائق محيي، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- الذوق وانماط التذوق الشعري في العصر العباسي (رسالة ماجستير، على الآلة الكاتبة) عباس أمير معازر ، كلية الآداب جامعة الكوفة ٢٠٠٠م .

الدوريات

- أبنية التنصيص الظاهرة والخفية في شعر ماقبل الإسلام، الدكتور عادل البياتي، مجلة آداب المستنصرية، العدد (٢٠/٢١)، ١٩٩١م.
- اشكالية المنهج في نقد الشعر الحديث ، الدكتور عناد غزوان ، مجلة الأقلام ، دار الشؤون الثقافية بغداد، العدد الثالث ١٩٨٦م.
- الالتزام في الشعر، عذاب الركابي، مجلة الفصول الاربعة، مارس ١٩٨٠م.
- بين الشاعر والمتلقي في التراث العربي، ثائر حسين جاسم، مجلة آفاق بغداد، العدد (٣)، السنة (١٢)، ١٩٨٧م.
- تقويم جديد لجهود حماد الراوية في رواية الشعر العربي ونقده الدكتور زكي ذاكر العاني، مجلة المورد، العدد (الأو ل) لسنة ١٩٩٩م.
- التناص وإشارات العمل الأدبي ، الدكتور صبري حافظ، مجلة ألف العدد (٤) ربيع ١٩٨٤م.
- الروح الشعري محيي الدين محمد ، مجلة الشعر يناير ١٩٦٥م .
- الفحولة بين الجذر اللغوي والتاسيس الاصطلاحي، الدكتور عبد الله الجاذر، مجلة الموقف الثقافي، السنة الخامسة ٢٠٠٠م، دار الشؤون الثقافية بغداد.
- الفرزدق بين المهلهل والمتنبي، الدكتور مصطفى عبد اللطيف جياووك ، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، العدد الأو ل، السنة الأو لى ٢٠٠١م.
- قراءة النص الأدبي وتذوقه الدكتور أحمد قاسم الزمر مجلة الحكمة ، العدد ٢٠٨ السنة (٢٧) ، أكتوبر – ديسمبر ١٩٩٧م .
- مقالات في الشعر، الدكتور عبد المحسن طه بدر، مجلة الشهر العدد(٧)، (١٠) سنة ١٩٥٨م.
- مقالات في الشعر، مجلة المجلة، السنة (١٠)، العدد (١١٣)، ايار١٩٦٦م.
- مشكلة التناص في النقد الأدبي المعاصر، محمد ايدوان، مجلة الأقلام العدد (٤،٥،٦) ١٩٩٥م.
- مفهوم السرقة الشعرية وتطوره في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب، الدكتور ناصر رشيد حلاوي، مجلة المورد مج/٢٦، العدد الأو ل ١٩٩٨م.
- من صور النقد التطبيقي وترويض النص وسلطة اللغة، الدكتور عناد غزوان، مجلة اللغة العربية، جامعة الكوفة.

بحوث غير منشورة

- التقدير النحوي في كتب التفسير، الدكتور علي كاظم اسد.
- مشكلات المصطلح البلاغي بحث غير منشور، الدكتور علي كاظم أسد